في رحاب الإمام الحسين عليه السلام

محاضرات ألقاها

الأستاذ الشيخ محمد كاظم الخاقاني

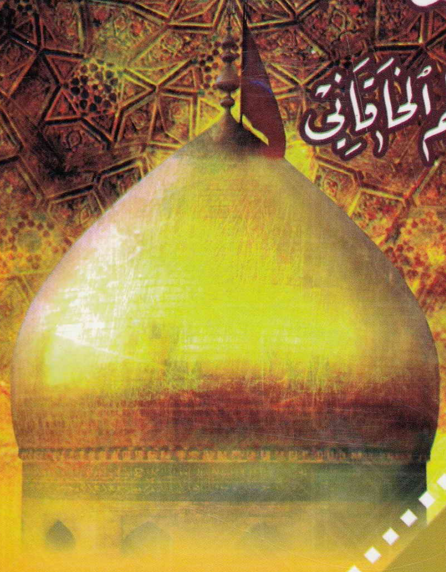

مؤسسة أنوار الهدى

شبكة الفكر
alfeker.net

في رحاب الإمام الحسين عليه السلام

في رحاب الإمام الحسين عليه السلام

محاضرات ألقاها

الأستاذ الشيخ محمد كاظم الخاقاني

سرشناسه	:	خاقانی، محمدکاظم، ۱۳۳۰ -
عنوان و نام پدیدآور	:	فی رحاب الامام الحسین علیه‌السلام
مشخصات نشر	:	قم: مکتبه انوار الهدی، ۱۳۹۴.
مشخصات ظاهری	:	۶۴۸ص.
شابک	:	978-600-292-030-0
وضعیت فهرست نویسی	:	فیپای مختصر
یادداشت	:	فهرستنویسی کامل این اثر در نشانی: http://opac.nlai.ir قابل دسترسی است.
یادداشت	:	کتابنامه به صورت زیرنویس.
شماره کتابشناسی ملی	:	۳۷۹۶۳۹۰

في رحاب الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ محمد كاظم الخاقاني

الناشر : أنوار الهدى

الإخراج الفني : فالح العبيدي

عدد الصفحات : ٦٤٨ صفحة وزيري

المطبعة : وفا

سنة الطبع : ١٤٣٦ هـ

العدد : ٧٠٠ نسخة

شابك : ٠ ـ ٠٣٠ ـ ٢٩٢ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

ايران- قم - سوق القدس - منشورات انوار الهدى - رقم الدار٥٧

سيد حيدر الموسوى ٠٩١٢٢٥١٨٣٩٦

anwar.alhoda@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

فإن من الجدير بالذكر هاهنا التنويه على أن من قام بكتابة وترتيب وتصحيح هذا الجزء من الكتاب الذي هو سيرة الإمام الحسين عليه السلام هما منصورة محمد كاظم الخاقاني وميساء منلا وقد قام بالتبرع لطبع هذا الكتاب عادل مجيد كاظم زاده جعل الله تعالى الحسين عليه السلام شافعاً لهم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم متمنياً لهم خير الدنيا والآخرة وداعياً لهم بالتوفيق وكذلك للسيد الجليل السيد حيدر السيد إسماعيل الموسوي لما قام ويقوم به من جهودٍ عظيمة في طبع تراث أهل البيت عليهم السلام والحمد لله أولاً وأخيراً على توفيقه.

الفقير إلى رحمة ربه

محمد كاظم محمد طاهر الخاقاني

٢٨ جمادى الآخرة عام ١٤٣٦ هـ

ما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نظر الإمام الحسين عليه السلام ؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام في هذه الأيام وهي أيام شهر محرم الحرام وفي بدايته من سنة ١٤٣٥ هـ ونحن بمناسبة ذكرى الإباء والشرف والكرامة، بمناسبة ذكرى صراع الحق والباطل، الباطل المتلبس بلباس الدين ونحن بصدد التكلم عن المراد من العدل في مقابل الظلم ونحن في ذكرى عظيم من العظماء قد بذل كل غال ونفيس بأزاء المبادي والقيم الإنسانية والرسالة المحمدية رسالة السلام التي بعث الله بها الأنبياء الكرام جميعا.

ونحن في ذكرى هذا الرجل العظيم الذي قام لإحياء الرسالات السماوية بعد الانطماس من بعد ما تلاعب المتلاعبون وسكت العلماء العالمون وتجاوز المنافقون كل الخطوط فلم يجدوا امامهم لا رادعاً ولا مانعاً فراح عليه السلام سعياً لتحقيق العدل وإزالة الظلم والذل والهوان الذي كان مخيما على هذه الأمة.

لكن لعل قائلاً يقول: الظلم المخيم على هذه الأمة كان

بواسطة من؟ هل كان بواسطة الأكاسرة أو الفراعنة أو القياصرة أو بواسطة الملحدين و المشركين، نقول كلا ثم كلا بل الظلم الذي كان مخيماً، قائماً على هذه الأمة مذلاً لها كان بواسطة من هم أخطر وأعتى وأقسى وأضل من الذين ذكرناهم من الأكاسرة والقياصرة والفراعنة بل وحتى من الملحدين والمشركين، لأن هذه رايات واضحة معلومة لدي كل إنسان هي من رايات الظلم والضلال والطغيان والعدوان فلا يمكن أن تكون قائمة بإزاء الحق الصريح وما دعت إليه رسالات السماء الذي كان خطراً يضرب أسس المبادي يحرّف الكتاب والسنة ويلبس كل ظلمة لباس الحق والعدل هو ما كان بواسطة من هم أخطر ممن ذكرنا والمراد بهؤلاء الذين نقصدهم هم المنافقون الذين تسلطوا على أمة محمد باسم الدين حينما وجدوا الامة تعيش جهلاً فالكلام عن المتقمصين قميص الدين لضرب المبادئ والقيم من بعد ما كلّت سواعدهم من النيل من رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، حينما كلت سواعدهم في مكة المكرمة وكلت سواعدهم في الخندق وبدر وغيرهما من ساحات الشرف والكرامة حيث أن ضرب الحق بإسم الحق وضرب الدين باسم الدين لأشد من كل بغي وعدوان على رسالات السماء وأقول وأؤكد القول وأدعوا المجتمع إلى التأمل.

أقول ما حرفت التوراة ولا الإنجيل ولا الزبور ولا القرآن ولا

ما كان من قبل هذه الكتب من رسالات السماء التي جاء بها الرسل الكرام، ما حرفها جميعاً الا المنافقون فما حرف توراة أو انجيلاً ولا حرف قرآناً شيوعي أو ملحد ولا مشرك بل حرفها المتظاهرون بالتقوى الذين تسلطوا على الأمم بعد الأنبياء وقد أعان هؤلاء المنحرفين المنافقين على طول التاريخ أعانهم على كل غاياتهم الجهال المتنسكون.

فنريد أيها الأخوة الأخوات أن نتكلم عن راية حق رفعت في ظلمات الدهور لا في ظلمات الجاهلية بل في ظلمات أسدلت بكل واقعها ضلالها على هذه الأمة التي جاء رسول الله ﷺ ليخرجها من الظلمات إلى النور، نريد أن نتكلم عن راية حق رفعت في ظلمات الدهور، هذه الراية الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر التي راحت لتدعوا هذه الأمة حينما وجدتها تعيش ظلمة ومتابعة بذل للحكام راحت لتدعوها إلى العودة إلى قيم الرسالة الرسالة التي تلاعب بها هؤلاء المتلاعبون ففسروا محكمات آياتها بتبع الهوى فأصبحت معالم الحق المخرجة للبشرية من الظلمات إلى النور لو شاءت البشرية حقاً إلى ربها سبيلاً راحت تفسر هذه الآيات المحكمات للناس بواسطة وعاظ السلاطين الذين قال قائلهم وإلى يومنا هذ غير مختشٍ ولامبالٍ بأن طاعة الحكام تجب ولو كانوا فسقة جائرين يسلبون الناس أموالهم ويضربون ظهورهم هكذا وقاحة لا أظنها أن

تصدر من مشرك لا أظن أن شيوعياً ولا مشركاً ولا ملحداً ولا أي إنسان يأتي للبشرية مخاطباً إياهم يجب عليكم أن تطيعوا الحكام ولو كانوا مفسدين، لكن بعباءة الدين قيلت هذه العبارة بقرونها على هذه الأمة وأصبح عدل الله المطبق على أيدي هؤلاء الحكام الذين هيأ لهم الأجواء وعاظ السلاطين المنافقون أصبح عدل الله جوراً وظلماً وعدواناً، فأميتت السنن الإلهية وانطمست الأنوار وجاءت الظلمات يتلو بعضها بعضا فأحيا الظالمون البدع وأعادوا جاهليتها مرة ثانية لكنهم ألبسوها لباس الدين حتى أصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يسميه المسلمون بأمير المؤمنين وصل حال هذه الأمة أن يكون خليفة الرسول صلى الله عليه وآله شارباً للخمر جهارى وقاتلاً للنفس المحرمة، راح لينصبه بلا مشورة على هذه الأمة بعيداً عن صلحائها تحت ضلال السيوف، طاغية من الطواغيت ألا وهو معاوية بن أبي سفيان.

هكذا راحت الأمة لتستسلم إلى من قاتلتهم بالأمس تحت راية رسول الله صلى الله عليه وآله و من المؤلفة قلوبهم انحدرت هذه الأمة وانحدرت وانحدرت في الظلمات حتى صار معاوية أميراً للمؤمنين ينصب شاباً شارباً للخمر جهارى هكذا هي هذه الأمة في مثل هذه الظروف، والظلمات، في مثل هذه الجاهلية المتلبسة بلباس الدين ياليتها كانت جاهلية كما كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله كان الباطل

باطلاً وكان الجهل جهلاً الآن صار الجهل نوراً وصار الظلم عدلاً وهلم جرا .

لكن قبل الدخول في البحث وفي المآسي التي نتكلم عنها مرت وتمر إلى يومنا هذا مهد لها فأصبحت حضارة إسلامية في أعماق النفوس كأعماق هذه الأمة قبل الدخول في البحث ألفت نظر الجميع على أني في هذه المحاضرات وفي هذه الليالي ونحن في رحاب سيد الشهداء أبي الأحرار الحسين بن علي عليهما السلام إني لا أريد التعرض لأي آية أو رواية تثبت إمامة أو مودة لأوصياء الرسل كما وأني لا أريد ان أستدل بدليل يثبت خلافة لا من عقل ولا نقل في مقابل من يدعون وإلى يومنا هذا على أن الحكام هم خلفاء الرسل لا أريد أدخل نقاشاً مرت عليه القرون من شاء الله أن يهديه يهديه ببصيرة الإيمان ومن أصر على اتباع وعاظ السلاطين والحكام وسماهم بأمراء المؤمنين فلا أظن أن محاضرة وكلاماً تكون سبباً لهديه.

فإذن نعرض عن هذا صفحاً كما وأني لا أريد في ضمن هذه المحاضرات الحديث عن كرامة أو فضيلة للإمام الحسين عليه السلام ، الحسين بما له من مكانة وعظم لا يتردد متردد لم يعش الظلمة في فضائله، في كراماته، في مقامه، إن تردد البعض في إمامته كإمامة حق هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله لكن الأمة اليوم إن ضحك عليها

الضاحكون سابقاً فجعلوها تنحدر تعيش الشبهات بين حسين ويزيد، تعيش الشبهات في وديان انحدارها وظلماتها بين علي الحق والصدق وبين معاوية النفاق والدجل وما شاكل هذه الأمور، لا أظن أن الانحدار اليوم لهذه الأمة بهذا المستوى.

فإذن لست بصدد الحديث عن فضيلة أو كرامة للحسين عليه السلام، الحسين من لا ينكر فضله ومكانته أحدٌ من المسلمين إلا من سفه نفسه من بعض النواصب الذين بلغ بهم الانحطاط والانحدار أن يجادل الواحد منهم حتى عن يزيد في مقابل الحسين عليه السلام مثل هذه الظلمة، مثل هذا الانحدار أستنكف أن أنزل إلى هذا المستوى لأجادل مثل هؤلاء، هؤلاء لعل نار الله الموقدة لا تصلحهم فلا يصلحهم كلام زيد أو عمرو.

فأقول وأؤكد وجدت الإعراض عن مثل هؤلاء وما هم عليه من الظلمات أجدر بالعقل والدين حيث الضياع جدلاً في وديان الجاهلين.

كما وأني أيها الإخوة والأخوات في مثل هذه الليالي وفي هذه المحاضرات لست بصدد التكلم عن يوم ولادة للإمام الحسين عليه السلام أو وفاة ولا عن عدد أولاد أو بنات أو زوجات ولا عن شعرٍ قاله عليه السلام ولا أريد أن أتكلم عن نسب.

وهل يتكلم إنسان عن حسين العظمة وعن نسبه؟

حسين ابن رسول الله ابن فاطمة ابن علي.

حسين سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلسنا بحاجة أن نؤكد من هو الحسين وما هي فضائله، من لم يميز حسيناً عن يزيد ولا علياً عن معاوية أظن أن النزول إلى مستواه تحقير لمقام الإنسانية، بل ولست أيضاً بصدد التعرض لعلم للإمام الحسين أو عبادة أو زهد وتقوى ولا عن كرم وجود لمن هو في غنى عن كل ذلك وجزى الله المخلصين على طول التاريخ لما قاموا به من فضل وكرامة وبيان ومكانة للحسين عليه السلام.

فهو الحسين عليه السلام وكفى بذلك فخراً ومقاماً ومعرفة، سيد شباب أهل الجنة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

كما وأني لست بصدد التكلم عما يجب أن نقدم للحسين عليه السلام من دمعة ومحافل حزن وعزاء وشعائر نقيمها نراها واجبة في أعناقنا ولا نتردد في ذلك وإن اختلفنا هاهنا أو هاهناك فيه إجمالاً وتفصيلاً وأداء وتطبيقاً لمن أحيا ذكرهم، وما المراد من إحياء ذكرهم.

قد نختلف لكننا مجمعون على أن من الواجب إحياء ذكرهم لأن بذكرهم وإحياء هذا الذكر العظيم إحياء كتاب الله، وسنة رسول الله وإحياء سيرة الصالحين على طول التأريخ.

فنحن كشيعة أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله لا نتردد في وجوب ذكرهم وأن بذكرهم تكون الصلاة صلاة ويكون العدل عدلاً

ويكون الحق حقاً ويكون القرآن قرآناً وإن بنسيان ذكرهم يتسلط الجائرون يفسرون الكتاب والسنة بتبع الهوى فإذن هو الحسين عليه السلام.

الذي نريد أن نتكلم عنه نتكلم عما قدمه الحسين عليه السلام للبشرية فضلاً عن المسلمين وأتباع آل محمد، ماذا قدم؟

قدم كل غال ونفيس راسماً للبشرية بتضحياته وبمواقفه المشرفة وخطبه وأهواله راسماً لهم سبل الشرف إن كانوا أحبوا أن يعيشوا شرفاً وكرامة وعزة وإباء حيث راح بخطاه وبسيره وسلوكه وسبحه في بحور الكرامات واللانهايات متوجهاً إلى ربه عارجاً إليه راح بهذه الخطى، ليدعوا إلى الحق والعدل بما كان ويبين ما كان يرتكبه الظالمون فإن بكينا حسيناً عليه السلام فإنما نبكي على أنفسنا وضياعها وعدم مواكبتها بواقع وصدق للحسين عليه السلام ومن قبله لأبيه رجل الحق في مقابل كل باطل.

فنحن أيها الإخوة والأخوات في هذه الأيام بصدد بيان ما يمكن أن نستفيده من الحسين لا ما نقدمه إلى الحسين عليه السلام، من نحن حتى نقدم إلى الحسين أمرا وهو عند ربه في جوار الأنبياء والمرسلين، نحن إن قدمنا قدمنا لأنفسنا فلنرى ما نقدم حقاً ما يكون صدقاً وواقعاً يخدم شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لا نقدم أهواءا ونقدم مفاخر حسينية على أخرى وفعل رجل على آخر حتى نكون صادقين مع أنفسنا إن لم نكن صادقين مع غيرنا فإن

سرنا لنستفيد من خطى الحسين عليه السلام الخطى التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[1] وسنتكلم عن كل ما ورد بهذا المجال لنعرف عن أي إنسان نتكلم لنسعى من بعد ما نجد أنفسنا محتاجين لا مقدمين للحسين عليه السلام شيئاً لنسعى لإصلاح النفس والعودة إلى منازل الحق لنعرف ما هو المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قام لأجله الحسين عليه السلام لإصلاح هذه الأمة لإصلاح أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله حينما وقف وصدح وأوصل صوته للعالم وليومنا هذا وإلى يوم القيامة قائلاً: «إنما أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[2].

عن أي معروف يتكلم وعن أي منكر يتكلم؟

وعن أي حق مضاعٍ يتكلم؟

وعن أي عدل يتكلم؟

علينا أن نتأمل حتى لا تضيع علينا الأمور بالتسارع وبالتقليد والمتابعات.

فأقول لكن بل وألف لكن عن أي أمر بمعروف وعن أي نهي عن منكر يتكلم حسين الشرف حسين الإباء حسين العلم حسين

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤ : ٥١، ح ١٣٣.

٢ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩، كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد بن الحنفية.

التقوى، حسين وارث الأنبياء والمرسلين، عن أي أمر بمعروف ونهي عن منكر يتكلم عظيم هذه الأمة الذي ضيعته الناس فعاشت ذلاً وهواناً تعدي من بعده حتى على أعراضهم، عن أي معروف وعن أي منكر يتكلم الحسين عليه السلام والمساجد عامرة؟

ما قام الحسين عليه السلام ليأمر بالمعروف في دولة شيوعية ولا في دولة علمانية، راح ليأمر بالمعروف وينهى عن منكر في دولة تدعي المعروف والنهي عن المنكر، عن أي معروف وعن أي منكر يتكلم؟ والمساجد عامرة تضج بأهلها صلاةً ودعاء ونسكاً واعتكافاً وأسواق المسلمين لم يبع فيها الخمر أبدا وما حدث التأريخ أنها بيع فيها الخمر جهارى، وحرائر المسلمين لم تخرج إلى الأسواق والشوارع متبرجات، عن أي أمر يتكلم؟

إن نظرنا إلى نساء المسلمين وجدناهن محجبات وجدناهن متعففات وجدناهن يعشن الكرامة والحياء وإن نظرنا إلى مساجد المسلمين وجدنا غاصة بالمسلمين، هم بين راكع وساجد وبين داع ربه وباكٍ عن أي حق يتكلم وعن أي باطل يتكلم؟ عن أي معروف يتكلم والمساجد عامرة؟ والخمور متروكة، والقرآن المجيد يتلى في جميع الأقطار، لا يتلى في دولة صغيرة ولا في مكان في كهف والقرآن المجيد يتلى في جميع الأقطار وأنحاء هذه الامبراطورية العظمى الإسلامية، إمبراطورية عظمى إسلامية

يتلى فيها القرآن وتقام فيها الصلاة والناس بين قائم وجالس وصائم وحاجٍ قاصدا بيت الله الحرام.

عن أي منكر ومعروف يتكلم؟

علينا أن نتأمل، لماذا يتكلم الحسين عليه السلام ويقول أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر أيتهم الأمة أنها خرجت عن المعروف، أيتهم الأمة على أنها تعيش منكراً، والأمة ما تركت صلاةً ولا شربت خمراً جهارى، أو أن الأمة جاهلة لا تعرف الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر؟

لا شك ولا ريب أنه صادق وأمة جاهلة والقرآن المجيد يتلى في جميع الأقطار وأنحاء هذه الإمبراطورية العظمى ويدعو الخطباء الناس ليلاً ونهاراً إلى حفظ كتاب الله تعالى.

القرآن كانت الناس تحفظه حفظاً وذا هو الحسين عليه السلام كيف يتهم الأمة بأنها تركت الأمر بالمعروف وتركت النهي عن المنكر وذا هو بنفسه عليه السلام وليس بعيداً بما يسبب نسياناً وهو أجل من النسيان لكن كلام كمفترض يقال: وكيف ينسب للأمة عدم معروف وإرتكاباً لمنكر وذا هو وليس ببعيد يستوجب نسياناً قد ترك الأمة الإسلامية وهي تنادي بأعلى أصواتها: لبيك اللهم لبيك قاصدة بيت الله الحرام تريد أن تقيم مناسك حجها فأي أمة تتهم بترك معروف وإقدام على باطل وهي كالسيل المنحدر تركها قاصدة بيت الله

الحرام وهلم جرا.

الفرائض مقامة والمحرمات ممنوعة ومن شرب الخمر جهاري يحد.

فإذن علينا أن نتأمل مع كل هذا الواقع وكل هذه الأمور وهو يشهدها بنفسه بكمها الهائل صلاة وصوماً وحجاً وزكاة وجهاداً كيف يتهم أمة محمد حسين عليه السلام على أنها تركت الحق ودخلت في الباطل فيا عجباً عن أي معروف ومنكر يتكلم حسين الرسالة والمعارف وإلى أي باطل يشير حينما قال أريد أن آمر بالمعروف، يجب علينا أن نعرف المعروف، حتى نعرف أنه حينما قال: أريد أن آمر بالمعروف هل المعروف كان متروكاً؟ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر؟

هل الأمة كانت تشرب خمرا، وأسير بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أبي علي عليه السلام.

لاشك ولا ريب أن سيرة علي عليه السلام هي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله فلماذا يعطف عليه السلام ويقول وسيرة أبي علي بن أبيطالب عليه السلام؟ هما سيرة واحدة فلماذا هذا العطف.

يجب علينا أن نتأمل في الكلمات ونستنطقها، علي عليه السلام بالأمس القريب خاطب عبد الرحمن بن عوف قائلاً بكتاب الله وسنة رسوله فعلى العين والرأس أما بسيرة الشيخين فلا، فإن كانت

هي سيرة رسول الله فلا تحتاج إلى شرط وإن لم تكن فما هذه البدع، فكيف الحسين عليه السلام وهو ابن علي عليه السلام يقول بسيرة جدي محمد صلى الله عليه وآله وسيرة أبي علي بن أبيطالب وهما سيرة واحدة.

إن استنطقنا الكلمات عرفنا الكثير من الأمور وتحرك العقل لاستفهام وبصيرة وإن قرأناها سطراً كما نقرأها دائما عشنا بعيدين عن أعماق الكلمات وحيث يقول في موطن آخر، تارة يقول آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر.

وفي موطن آخر يقول: «ألا ترون» ، يخاطب المسلمين ولم يخاطب البشرية في الصين: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به»[1]، يعني كان شيئاً مشهوداً وإلا لما قال لهم بهذه المقالة وإلا استغربوا منه وقال يا حسين عن أي حق تتكلم وعن أي باطل وعن أي معروف.

فإذن كانوا على بصيرة أنهم يعيشوا الباطل ويعيشون الابتعاد عن شرع الله حيث يقول ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لايتناهى عنه.

فإذن ما كان يتكلم عن باطل كشرب خمر ولا كان يتكلم عن حق كإنكار آية أو رواية مسلّمة، عن أي حق وباطل يتكلم؟

١ـ تحف العقول: ٢٤٥ ، من كلامه عليه السلام في مسيره إلى كربلاء.

بكل هذا العزم والجزم يخاطب أمة قائلاً: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به» لنعرف الحق حتى نعرف أي حق ما كانوا يعملون به وأن الباطل لا يتناهى عنه، لنعرف الباطل ونحن لا نتردد أنه ما خاطبهم ليقول وأن الباطل لايتناهى عنه يعني أن النساء ترتكب الفواحش.

حاشاه أن يتكلم بمثل هذا اللسان، وحاشاه أن يخاطب الأمة قائلاً والباطل لا يتناهى عنه أي وأنكم تشربون الخمر جهارى.

فأعود وأقول مرة ثانية وسأقولها ثالثة ورابعة للتأكيد لتكون حاضرة في الذهن عن أي حق وعن أي أمر بمعروف ونهي عن منكر يتكلم حسين المعارف والإباء والشرف والكرامة؟

الذي يعيش ويبين في كلماته أنه يعيش مأساة، يعيش حزناً في أعماق ضميره لما يراه من سقوط هذه الأمة في ظلماتها.

فهل كانت الصلاة متروكة وهل كان الخمر مشروباً وهل كان القرآن مهجوراً؟ وهل كان الحج معروضاً عنه؟ وهل كانت المساجد خالية وهل كانت الفاحشة ترتكب علناً ؟ كلا.

فإذن هذه كلها ما كانت محل خطاب من الحسين عليه السلام بهذه الأمة.

فإذن أين محل الخطاب وهاهنا لابد للتنبيه أن أشير أيها الإخوة والأخوات أيضاً إلى واقع مرير نمر عليه مرور الكرام بلا

تأمل ولا تثبت، ما هذا الواقع المرير؟ هو واقع يحكي واقع هذه الأمة على لسان نبيها إن كانت تصدق قولاً لرسول الله ﷺ، أشير إليه هاهنا لارتباطه بمحل بحثنا حتى نخرج عن غفلة أو لعله يكون سبباً للخروج عن غفلة لمن شاء إلى ربه سبيلاً عن التقليد وعن المكابرات ومتابعة الهوى.

ما هو هذا الأمر وهذا المطلب الذي سيكون سبباً لخروج من غفلة إن شئنا ذلك بإرادة وعزم وتصميم، حيث يقول رسول الله ﷺ: «كيف بكم» ؟

قلنا يجب أن نستنطق الكلمات هل الرسول ﷺ يقول كيف بكم يعني يخاطب عشرة من الأمة الإسلامية أو يخاطب الهيكل الإسلامي.

«كيف بكم» هل يخاطب أهل الصين والهند؟

كلا يخاطب هذه الأمة يقول ﷺ: «كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر» ؟![1]

نحن ما سمعنا على طول التأريخ أن هذه الأمة أمرت بشرب الخمر كأمة إسلامية أمرت بشرب الخمر ما سمعنا ولا سمعنا يوماً من الأيام أن هذه الأمة أمرت بترك الحج ما سمعنا يوماً من الأيام،

١ـ قرب الإسناد: ٥٤، ح ١٧٨.

ماذا يقصد رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذه الأمة يصل أمرها في الانحدار أن تأمر بالمنكر.

ونحن ما وجدنا ليومنا هذا وقد مرت القرون يتلوا بعضها بعضاً ما سمعنا يوماً أن أمة محمد على اختلاف مذاهبها وقفت يوماً مجتمعة لتقول أيها الناس اشربوا الخمر واتركوا الصلاة، «ونهيتم عن المعروف» : ما وجدنا أمر بمنكر بما نعرفه من المنكر كشرب خمر وارتكاب زنا ونهي عن معروف كترك صلاة وترك حج نحن ما سمعنا، فعن أي منكر ومعروف يتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقيل له يا رسول الله أيكون ذلك؟

يعني هل يصل حال هذه الأمة بانحدارها في ظلماتها وتسمي نفسها مسلمة وهي تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف.

قال: «نعم وشر من ذلك» .

لا تستغربوا من كلامي هذا أني أقول هذه الأمة يصل أمرها في الانحدار إلى هذا المستوى بل أقول اكثر من ذلك.

نعم، وشر من ذلك.

فقال صلى الله عليه وآله : «كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً» [1] .

١ـ قرب الإسناد: ٥٤ ، ح ١٧٨ .

هذا في الحقيقة مسخ هوية أمة.

الأمة التي يجب أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر تترك هذا وتأمر بالعكس ثم تجد العكس هو الصحيح، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً، هذه هي الطامة الكبرى أن يصبح الإنسان يرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً وهو يظن نفسه أنه يحسن صنعاً، هذه هي الطامة الكبرى، هل يتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وهماً وخيالاً عن مستقبل هذه الأمة أو يتكلم واقعا؟ يتكلم واقعاً وحقيقة يتكلم منحدراً تصل فيه هذه الأمة في سقوطها إلى هذه المرحلة، ظلمة ترى فيها الباطل حقاً والحق باطلاً، ترى المنكر معروفاً والمعروف منكراً.

وسنحاول إن شاء الله على قدر الإمكان أن نشير ما المراد من هذه الكلمات المستغربة لو تأملنا فيها.

وهاهنا لابد من الإشارة إلى أمور ترتبط ببحثنا هذا ننظر إليها بتأمل وإمعان لنرى ما المراد من هذه الكلمات وما هو المراد من قيام الحسين عليه السلام؟ وما هو من أمر عظيم أراد أن ينهض بهذه الأمة من أجله لندخل ببصيرة إلى ما قدمه الحسين عليه السلام لهذه الأمة وما هي الدروس التي ينبغى أن نستفيدها من خطى الحسين عليه السلام التي هي بلا شك ولا ريب خطى رسول الله صلى الله عليه وآله جسدها تجسيداً لهذه الأمة فهي لا تعرف إلا بالتأمل وما قام به الحسين عليه السلام لابد أن نتأمل

فيه قولاً وفعلاً وللدخول في البحث نذكر وصية أوصى بها أخاه محمد بن الحنفية.

فإذن هلم معا لنقرأ أول كلام تكلم به الإمام الحسين عليه السلام قاصداً ترك المدينة المنورة متوجهاً إلى مكة المكرمة أول كلام هي وصيته التي أوصى بها أخاه محمد بن الحنفية فنقرأ معا هذه الوصية وسنعود إليها فهماً بما يمكن أن نكون أهلاً لذلك.

ما جاء من وصية عليه السلام أوصى بها أخاه محمد بن الحنفية ثم ختمها بخاتمه الشريف وأودعها عند أخيه محمد حين عزم على الخروج من المدينة المنورة قاصداً بيت الله الحرام في مكة المكرمة فقد كتب هذه الوصية ودفعها لأخيه محمد بن الحنفية ثم ودعه وسار في جوف الليل وسار ليلاً خوفاً من ملاحقة بني أمية ويقال أنها كانت ليلة الثالث من شعبان سنة ستين من الهجرة النبوية الشريفة فلنتأمل في هذه الوصية وسنعود إلى الكلمات المتقدمة ونتأمل فيها أيضاً ما المراد من الحق؟ ما المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمساجد قائمة والصلاة قائمة والحج قائم وهلم جرا وهذا نص هذه الوصية:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية.

ما هي هذه الوصية لنرى هل هي وصية أم هي بيان واقع أو

هي شيء آخر عادة الإنسان يوصي بثلث الإنسان يجعل وصيا أو قيما على ذريته ويقول تقسم أموالي كذا أو كذا هكذا هي الوصايا أهذا منها؟ ماذا قال في وصيته:

أن الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق وأن الجنة والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

هذا كله لاربط له بوصية هذا بيان حال وإقرار بما يعتقد ثم كتب فيها:

إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين.

ثم قال: وهذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

١ـ أنظر: بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩، وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية.

هناك كلمات كثيرة تستوقفنا يجب علينا أن نتأمل فيها معروفاً ومنكراً، حقاً وباطلاً، ووصية هل هناك شك في الحسين عليه السلام هل يعبد ربه؟ وأنه يوحد الله وأنه من أتباع شريعة محمد صلى الله عليه وآله وأنه وأنه، لماذا وصية يملأها بهذه المعاني ثم يقول ماخرجت مفسداً ولا ظالماً، لمن ظالم، أي ظلم يتكلم عنه حتى يكون ظالماً هذه كلها أمور سنتأمل فيها اكثر فأكثر حتى لا نمر على الكلمات مرور الكرام ونذهب إلى أمور أخرى قد لا تكون بهذه الأهمية نضخم أمراً ونتكلم عن شيء ونسير بأمور ونسمي أموراً شعائر حسينية أو ذكر لآل البيت عليهم السلام ونترك أصلاً وواقعاً نريدها لأنفسنا بياناً يقظة وانتباهة نحو الواقع والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

شرح جواب رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان

كنا ونحن في رحاب الحسين عليه السلام وقد وصلنا إلى الوصية التي كتبها عند خروجه وختمها بخاتمه الشريف وسلمها إلى أخيه محمد بن الحنفية وقد أشرنا إلى أن هناك نقاطا عدة لابد من الوقفة عندها حتى لا نقرأ الكلمات بدون أن نستنطقها ونعرف ولو بقدر ما المراد منها ولذا سنعود إلى ما كان في المحاضرة الأولى لنرى الكثير من الأمور التي مرت علينا ما المراد منها وأؤكد وأقول وبالأخص ما كان منها يجب التوقف عنده بكل إمعان ودقة فعن أي حق مضاع في مقابل الباطل يتكلم الإمام الحسين عليه السلام وعن أي أمر بمعروف مهجور في مقابل منكر معمول به يتكلم أيضاً وقد عرفنا وبكل واقع أن الصلاة كانت قائمة على عهده وكذلك كان الناس يحجون بيت الله الحرام وما حدث أحد على طول التأريخ أن الناس والأمة الإسلامية كانت تشرب الخمور جهارى في الشوارع والأسواق وفي المطاعم ما سمعنا ذلك حتى نتأمل على أن المراد من المنكر والمعروف الذي أكّد عليه أي منكر وأي معروف

سنعود إلى ذلك لكن من أجل أن لا نفسر الكلمات بتبع الهوى يجب علينا أن ننظر إلى ما كان يتكلم به الإمام الحسين عليه السلام لنرى أن كل أمر كان الكلام فيه إنما هو نزاع بين علي عليه السلام ومن خالفه ليكون الأمر عائدا إلى مسألة خلاف بين علي ومن خالفه أو إلى مسألة خلاف بين الإمامة أي بين أوصياء الرسل وبين من خالفهم واعتبر الأمر خلافة دنيوية، سنجد عند التأمل إن الأولياء والأنبياء والصالحين على طول التأريخ إن تكلموا إنما تكلموا بالحق بما هو حق وإذا تقدموا بكل التضحيات إنما تقدموا للتضحية من أجل إقامة العدل ودفع الظلم فهناك أساسان لا يمكن أن نغمض الطرف عنهما حق بأزاء باطل وعدل بأزاء ظلم هما أساسا جميع الأديان السماوية ولذا كان من غاية كل هذه الأديان القيام بالقسط والتنويه والإشارة إلى عظيم سيحقق هذا القسط الإلهي والعدل الربوبي على وجه الأرض وهو من بشرت به جميع الأنبياء وجاءت البشائر يتلوا بعضها بعضا من الرسول صلى الله عليه وآله مبشرا هذه الأمة بل البشرية بعدل إلهي يقوم به مهدي هذه الأمة.

إذا عرفنا ذلك يجب علينا أن نتأمل في هذه الحقائق ومن أجل التأمل فيها بدقة وإمعان بخطى الحسين عليه السلام وبما قام به لنشهد الباطل ونشهد الحق ونشهد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هل حجّمه وبعّضه الحسين عليه السلام ليجعل الأمر بالمعروف أمراً بصلاة

والنهي عن المنكر نهيا عن شرب خمر وإقدام على فاحشة، لنقرأ معا لنرى كيف رأى الحسين عليه السلام الحق في مقابل الباطل والمعروف في مقابل المنكر، فمن أجل أن نستنطق كلمات العظماء فيما هو المراد من المنكر حتى لا نفسر المنكر تفسيراً شخصياً ونحجم شريعة الحق شريعة السلام حتى لا نفسر كما قلنا الباطل أو المعروف تفسيراً شخصيا بعيدا عن الواقع الذي كان على عهد الحسين عليه السلام قائماً، أي باطل كان قائماً على عهد الحسين عليه السلام ونحن عرفنا ولو بنحو الإشارة أن الحسين عليه السلام ما خاطب الأمة لم تشربون الخمر وما خاطب الخمر لم تركتم الصلاة ما وجدناه هكذا يتكلم، فمن جملة هذا المنكر الذي يجب أن نتأمل فيه وأن ننظر إليه حتى لا نبتعد عن الواقع بكلمات من هنا ومن هناك تصدر من مشيخة، تصدر من بعض العلماء حتى لا يتحملوا مسؤولية بأزاء هذه الأمة حتى يعيشوا الرفاه والأمن والإطمئنان بعيدين عن الأخطار فمن جملة هذا المنكر ما يشير إليه الحسين عليه السلام بنفسه حتى لا نبتعد عن واقع هذه الأمة في رسالة كتبها لمعاوية بن أبي سفيان ردا على رسالة لمعاوية كتبها إلى الإمام الحسين عليه السلام، جاء في رسالة الحسين عليه السلام هاهنا نحن نتكلم عن رسالة الحسين عليه السلام يشير فيها إلى رسالة وردته من معاوية.

ماذا ورد في هذه الرسالة «وأما بعد فقد بلغني كتابك»

يخاطب معاوية يعني قد وصلني كتابك وأحطت به علماً.

«تذكر فيه يا معاوية أنه قد بلغك عني أمور» يعني كأن الحسين عليه السلام يريد أن يقول أن معاوية قد كتب لي أن هناك أموراً بلغتني عنك أنا لست راضٍ بها.

«قد بلغك عني أمور أنت بي عنها راغب» يعني أنت لا ترغب أن تكون هذه الأمور متحققة «وأنا بغيرها عندك جدير»[1] وأنت هكذا تريد ولو من باب الخداع أن تجعلني كبيراً، أنت يا حسين أكبر من هذا وأجدر من هذا أن يصلني عنك بعض الأمور كأنها أمور دانية لا تتناسب مع الحسين عليه السلام يريد معاوية أن ينبه الحسين عليه السلام عنها أنا لا أصدقها في حقك وأنت اكبر منها من باب الخداع ومن باب الإشارة والتهديد فيخاطبه الحسين عليه السلام مجيباً.

قبل أن ندخل في إجابة الحسين عليه السلام يجب أن نتأمل الحسين يخاطب رئيس شرطة في المدينة؟ أو يخاطب والياً على المدينة؟ أو يخاطب جنديا؟ أم أنه يخاطب زعيم وحاكم دولة وامبراطورية قد عرف بالبطش وقد عرف بالمكر والعدوان وقد عرف بنقض العهود وقد عرف وقد عرف حتى لا يجعل زيد ولا عمرو من علماء العامة أو الخاصة المبررات تلو المبررات والتوجيهات تلو

١ـ اختيار معرفة الرجال: ٤٩، كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية رداً عليه.

التوجيهات بغطاء ديني على أن الحاكم يجب أن يتبع على كل حال ولو كان ظالما أو بغطاء وتوجيه آخر على أن التقية تقتضي أن نسكت وربما راح البعض اكثر تفننا ليعطوا عنوانا جديدا على أن الحكومة الإسلامية هي هيبة قائمة للمسلمين حتى يهاب منها غيرها فعلى المسلمين وإن وجدوا مهانة وذلاً وهواناً وظلماً أن يسكتوا لهيبة السلطان حتى لا تشمت الأعداء ولا تجد منفذا لها للدخول فها هنا يجب علينا أن نتساءل هلا كان الحسين عليه السلام عارفا بذلك على أن هناك الرومان وأن هناك دولاً أخرى ربما إن نال من هيبة السلطان كمعاوية قد يجدون منفذا وأن هناك في الداخل أمماً كثيرة منهم أهل الكتاب فإن وجدوا هكذا شيء قد يطمعوا فهلا كان الحسين عليه السلام بعظمه لم يلحظ مثل هذه الأمور ليسكت عن كل ما كان يجري بظلمه وظلماته عن معاوية لكي تبقى الدولة الإسلامية بكل قوتها حتى لا يطمع بها خارجي ولا يتوهم الخروج عليها داخل فيها كأهل الكتاب ليقول قائلنا اليوم وقد قيلت مثل هذه الكلمات على أنه يجب أن نؤيد الحكام لأنا نعيش هجمة أجنبية قد تجد مجالاً للدخول وقد نعطي مجالاً لمن يخالفنا في الرأي كبعض الطوائف الإسلامية أن تنقد وتتكلم فنستر كل ما نجد حتى لا نعطي مجالاً للآخرين نتحمل الظلم ونسكت عن ظلم الظالمين وإن وجدنا يتيماً وأرملة وبائساً وفقيراً كل هذه الغايات

تتساقط وتكون لا قيمة لها عند الغاية العظمى وهي هيمنة الدولة في مقابل الغير، أمثل هذه التوجيهات والمبررات التي تجعل الغاية كل الغاية هي حكم قوي قائم ولو بدون عدل وحق أيكون مبرراً يكون الحساب؟ علينا أن نتأمل حتى لا نخدع أنفسنا ولا نخدع بكلمات بعض الذين يريدون أن يتخلصوا من كل أعباء الرسالة وأخطارها لكي يكون توجيهاً ومبرراً لهم في مقابل شعوب تأن من مأساتها من حكامها ومن الظلمة المتلبسين بلباس الدين، نقرأ شيئاً بعد شيء حتى نرى ماذا ينبغي وكيف يجب أن نفكر، فيخاطبه الإمام الحسين عليه السلام فإن الحسنات لا يهدي لها ولا يسدد إليها إلا الله أما نصائحك وكلماتك التي تتكلم بها وهي أنك أجدر من مثل هذا وأهدى من مثل هذا فلست أنت الذي تهدي أمثالي يا معاوية نحن هديناكم إن كنتم حقا مسلمين إلى الصراط المستقيم ولست أنت الذي تدعوا أمثالي إلى الهدى الذي يدعوا والذي يوفق إلى الهدى هو الله سبحانه وتعالى فلا تجعل نفسك من الناصحين ولا تجعل نفسك من المعلمين فقف حدك واعرف قدرك من أنت حتى تعلم أمثالي يا معاوية فهذه أول ضربة يضرب بها معاوية وطغيانه وجهله.

وأما ما ذكرت من أنه انتهى إليك عني فإنه إنما رقاه إليك الملاقون: وأما قولك أنه وصلتك أمور عني أنا لست بجدير بها وما شاكل هذه الأباطيل والكلمات فإنه إنما رقاه إليك يريد أن يقول

ويبين على أن حاشية الطغات هم المتزلفون والمتملقون، هم ضعفاء النفوس الحقراء هؤلاء هم أطرافك وأطراف كل طاغية هؤلاء هم الذين يوصلون إليكم الأمور تقربا أو للبلوغ إلى غاية وأمر يريدونه فإنه إنما رقاه إليك أي أوصله إليك، لا يوصل إليك الصالح ولا يوصل اليك المؤمن لأنه لا يريد أن يتزلف إليك من أنت حتى يوصل إليك كلام حق هؤلاء يعرفون من أنت.

فإذن ما يريدون إيصاله إليك إنما هي الأباطيل وإنما هي النيل من الآخرين وإنما لكي يصلوا إلى مقاصدهم على أكتاف الآخرين، إنما رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميمة: فأخذ الحسين عليه السلام بنصحه إن كان أهلاً للنصح، وما أريد إليك حرباً: إن الحسين عليه السلام يريد أن يقول له أنت كل هذا الخليط والمزيج والنسيج إنما جعلته صادقاً فيما تدعي أو كاذباً فيما تدعي إنما تريد أن تقول إني أظنك تريد عليّ حرباً اعرف إنت كنت لها أهلاً فأنا لها حاضر فهو تهديد بلسان آخر وما أريد إليك حرباً لكن هل معنى هذا أن الحسين عليه السلام يريد أن يبعد عن نفسه خطراً؟ كلا، وما أريد إليك حرباً ولا عليك خلافاً، كأن ظاهر المسألة الحسين عليه السلام يقول أنك تتهمني بتحريك أمة أنك تتهمني بأني مريد لحرب ضدك فأنا لست قاصداً ذلك، لعل هذه الكلمات يريد أن يشير بها الحسين عليه السلام أنها إن كانت بيعة حصلت أو إن كان صلحاً قد حصل

كان من بنود هذا الصلح ومن هذه البيعة إن كانت بيعة كان من شرطها أن يكون التزام ببنود هذا الشرط وأنت حين دخلت العراق قلت كل شرط كان بيني وبين الحسن عليه السلام فهو تحت قدمي.

فإذن لا عهد بيني وبينك وقد كان من جملة هذه البنود على أن إن حدث للحسن عليه السلام شيء كان الأمر يعود إلى الحسين عليه السلام فهو الخليفة بعد معاوية.

فإذن نحن لم نبدأك بنقض عهود ولا بتلاعب يعني لي الحق لو أردت أن أقوم لكن ولا أريد إليك حرباً ولا عليك خلافاً ثم وأيم الله إني لخائف الله: كأن الحسين عليه السلام أراد أن لا يدخل معاوية في وهم خوف وجبن من قيام عليه، وأيم الله إني لخائف الله في ترك ذلك، أنا خائف أني إذا ما قمت عليك لعل الله يسألني عن الأمر أنه لم تركت طاغية يفترس أمة وأنت كنت أهلاً للقيام ضد هذا الطاغوت، إني لخائف الله في ترك ذلك وما أظن الله راضياً بترك ذلك أي بتركي لك عدم القيام والحرب.

هل يريد الحسين عليه السلام أن يقر بذنب؟ حاشاه لكن المؤمنون لأنفسهم متهمون، يعني يريد أن يقول الحسين عليه السلام ولست بصدد الدخول في هذا الأمر لأنه يخرجنا عن محل بحثنا لكن كإشارة أقول المؤمنون لأنفسهم متهمون فكأن الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يقول على أن ما عليّ من الله أخاف أني قصرت في أمر لأيقاظ أمة

وبيان حق في موطن هاهنا أو هناك في حجازها أو يمنها أو عراقها وما أوصلت إلى الأمة ما هي عليه وما أنت عليه من الجريمة حتى يكون سببا لإنهاض هذه الأمة وتحريك هذه الأمة ضدك وضد أمثالك هذا الذي أنا أخاف أن يسألني ربي لأنه لايريد القيام إلا بتحقيق أسبابه ، ولا عاذر: وأخاف أن لا يكون الله عاذر له بدون الاعتذار فيه إليك: أنا أخاف على أني قبل أن أبين لك الأمر وأشرح لك الأمور حتى أكون قد أوصلتها إليك أولاً فيكون العذر تاماً على أني بينت لك الحقائق وبينت لك ما أنت عليه من الجرائم والعدوان ثم بعد ذلك حتى تكون الحجة تامة على الأمة وعليك إن حصل أمر، بدون الاعتذار فيه إليك وفي أولياءك القاسطين: أي الفاسقين والظالمين، بهذا الخطاب يخاطب معاوية ويتكلم عن قيام ضد هذه الحكومة الظالمة، القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشيطان: هل وجدنا يوماً من الأيام أن الذين يدعون ما يدعون من التقوى والإيمان خاطبوا شرطياً بمثل هذا الخطاب خاطبوا عسكرياً بمثل هذا الخطاب، هم يعلمون علم اليقين ولا يترددون في ظلم حكام المسلمين في شرقها وغربها وانحرافهم عن الحق وعن الصراط المستقيم كل ذلك مغطى تحت عناوين التقديس وكثرة الصلاة والتواجد في المساجد وماشاكل هذه الأمور وكانت كلها متواجدة فاعتبرها الحسين عليه السلام منكرا وأراد الحق.

فإذن على الأمة أن تنتبه ما هو على العلماء، ما هو عليها وما هو على الجميع حتى لا يخدع البعض منا البعض الآخر ثم يخاطبه قائلا: ألست القاتل حجراً ثم يبين الباطل أين هو ويبين المنكر أين هو ألست القاتل حجرا، أرجو التوجه لي ولغيري ولمن سيأتي ألست القاتل حجراً، حجر إنسان قتله ظالم، اليوم لو تقتل أي حكومة ظالمة أي إنسان محق في جهة من الجهات هل نجد عالما يتكلم ويخاطب دولة لم قتلتم زيدا أو عمرو لم سجنتم زيدا أو عمرو، لم نهبتم مال زيد أو عمرو هذا كله خط أحمر ليس من وظائف العلماء وهذه السياسية لايجوز التدخل فيها أهكذا كان الحق والباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن علي والحسين ورسول الله والأنبياء والصالحين؟ أم كانوا يدافعون عن الناس ويدافعون عن المسجونين والمظلومين والفقراء والبؤساء والأيتام والأرامل.

ألست القاتل حجرا والمصلين العابدين: هذا دفاع عن مجتمع وعن ظلامة مظلوم، هذا بيان لجريمة ارتكبت، الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم هكذا كان هؤلاء قتلتهم لإيمانهم وتقواهم، ظلمتهم لأنهم نقدوا جريمة ارتكبتها أنت أو أولياءك ثم قتلتهم ظلما وعدوانا من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، هكذا راح الحسين عليه السلام ليفضح طاغية

قائلاً أنه ماكرٌ أنه ينقض الأيمان المغلظة ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة المؤكدة أن لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، مع كل هذه الأيمان أنك لا تأخذهم بحدث سواء كان في عهد علي عليه السلام وما قاموا به تأييداً للحق في جملها وصفينها والنهروان وكنت قد حقدت عليهم أو لغير ذلك كنت قد عاهدت الله أن لا تأخذهم به فغدرت وارتكبت جريمة، ولا بإحنة والإحنة هي الحقد، ولا بإحنة تجدها في نفسك عليهم هكذا كنت أنت قادرا هكذا كنت أنت ظالما نحن لا نريد ولا نتوقع من عالم هاهنا وهاهناك سنياً أو شيعياً أن يكون بهذه الصراحة لكن لا أن تصل الأمور إلى مرحلة المداهنات واللعب وتسمية الحق باطلاً والباطل حقا فنقول أن من دافع عن مظلوم خرج عن منهج الحق فكان سياسياً وكان يتدخل فيما لا يعنيه لأن الشريعة صلاة فمن تركها ينهى عن تركها والشريعة خمر فمن شربها ينهى عنه ثم يخاطبه قائلاً عليه السلام:

ألست أنت تريد أن تعلمني ديني، أنت تريد أن تتكلم؟ من أنت أنت هكذا إنسان ظلم المجتمع وقتل الاوتاد والمؤمنين والعظماء أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ من هو هذا الإنسان؟ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فأنحلت جسمه وصفرت لونه بعد ما آمنته وأعطيته عهود الله ومواثيقه، هكذا كان

العظماء يخاطبون الطواغيت لا لحق سلبه طاغوت من حسين عليه السلام ولا لمال ولا لأي شيء كانوا يعيشون ألم الأمة ما تكلم الحسين عليه السلام هاهنا عن مال سلبه إياه معاوية ولا عن أمر تعرض إليه معاوية تكلم عن مأساة أمة، تكلم عن عدوان على العلماء على المتقين على الأحرار وهذا هو الخط الأحمر الذي نعيشه نحن كعلماء أن لا نتكلم في مثل هذه الأمور أبداً ومطلقاً ليس من وظيفتنا أن نتكلم عن ظالم ومظلوم ولا حق ولا باطل ولو ملأت السجون وأعدمت الناس في كل يوم.

«العبد الصالح الذي أبلته العبادة فانحلت جسمه وصفرت لونه بعدما أمنته وأعطيته عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته» هذه العهود والمواثيق «طائرا» يعني لو أعطيت هذه العهود طائرا «لنزل إليك من فوق الجبل» هكذا أنت جعلت جعلت الرجل بمواعيدك مطمئناً ولو كانت هذه المواعيد أعطيت لطائر لنزل واطمأن، هكذا كنت غادراً وماكراً وكنت طاغوتاً دجالاً «ثم قتلته» بعد هذه المواثيق وهذه العهود «جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد».

أين نحن من مثل هذا السيف القاطع وكلام الحق الصادح في مقابل الطواغيت.

ثم يخاطبه مرة ثالثة «ألست المدعي زيد بن سمية المولود على فراش عقيد من بني ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك» ألست أنت

المبتدع في الإسلام أنت تريد أن تعلمني ديني وأنت رجل مبتدع متطرف تخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله جهارى «وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر» فجئت فكنت مشرعاً في مقابل رسول الله صلى الله عليه وآله مبتدعاً لا مبالياً ولا مختشياً لأنك تعرف أمة صامتة دعاها إلى الصمت رجال الدين من أجل أن يعيشوا الأمن والأمان «فخالفت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله تعمداً واتبعت هواك بغير هدى من الله» يخاطب الحاكم والامبراطور، نحن نريد واحدة من الف من مثل هذه الكلمات أن تصدر لإحقاق الحق وإقامة العدل من عالم «ثم سلطته» أي سلطت من ادعيت أنه أخاك وهو زياد، «على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويسمل أعينهم» أي يخرجها من الحدق «ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك» يعني تركنا الدين تركنا المواثيق لكن اعتبر نفسك عربيا من هذه الأمة فلو كنت كعربي ولو كنت كإنسان لكنت تجد من نفسك ألماً على مثل هذه الجرائم التي ارتكبتها وترتكبها، «أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم بن سمية أنهم كانوا على دين علي» أي على منهج وسيرة علي «فكتبت إليه أن اقتل من كان على دين علي».

هكذا كان الاستبداد يبينه الحسين عليه السلام أن الحكام هكذا كانوا مستبدين يأخذون الناس بالظنة والتهمة ويقتلونهم لولاءات

«فقتلتهم ومثّل بهم بأمرك» أمرته بقتلهم وأمرته بالتمثيل بهم بقتلك فأي مرشد وهادٍ أنت وأنت تمثل حتى بالأجساد وما وجدنا رسول الله ﷺ أجاز المثلة حتى في الكلب العقور «ودين علي والله هو الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك وبه جلست مجلسك الذي جلست ولو لا ذلك لكان شرفك وشرف أبيك الرحلة، بدين علي الذي قاتلك من أجله وقبلك رسول الله ﷺ وقبل أباك من قبلك كمؤلفة قلوبهم» قبلكم في الإسلام والآن أنتم تعيشون امبراطورية على حساب الدين وعلى حساب الأمة وهلم جرا.

«وقلت فيما قلت» في رسالتك وخطابك إليّ «انظر لنفسك» تنصحني أن أنظر لنفسي «ولدينك ولأمة محمد ﷺ» هكذا ورد في رسالتك تنصحني أن أنظر لنفسي وأن أنظر لديني وأنظر لأمة جدي محمد ﷺ وأن أتقي شق عصا هذه الأمة «واتقي شق عصا هذه الأمة وأن تردها أي يا حسين إلى الفتنة» هكذا ورد في كتابك «وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها» أنت تدعي خوفا من الفتنة وأنت تدعي نصيحة وخوفا على أمة محمد وليس هناك أخطر على أمة محمد منك ولا أخطر على أي شيء منك فأنت تحذر وأنت رأس الفتنة والجريمة «ولا أعلم نظرا لنفسي ولا لديني ولأمة محمد ﷺ أفضل من أن أجاهدك» وإن أردت الحق فإن كانت الفتنة فأنت الفتنة وإن كان الحق فالحق في

محاربتك وفي مجادلتك وفي إيقافك عن عدوانك، أفضل من أن أجاهدك «فإن فعلت فإنه قربة إلى الله وإن تركته فإني استغفر الله لذنبي واسأله توفيقه لإرشاد أمري» وقلنا لا نريد أن نتكلم عن المراد من الذنب لأنه يخرجنا عن المقام يعني عن مقام بحثنا وهو ما المراد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحق في مقابل الباطل «وقلت فيما قلت إن أنكرتك تنكرني وإن كدتك تكدني فكدني ما بدالك» أنت هددت على أنك إذا أتاك مني ما لا يرضيك سوف تكدني فأنا أقول لك بصراحة من القول كد ما بدا لك وافعل ما تفعل «فإني لأرجو أن لا يضرني كيدك» الحسين عليه السلام وهو القائل في يوم كربلاء صباحاً حينما اصطف الجمعان خاطب أنصاره قائلاً تقدموا قد أذن الله بقتلي وقتلكم فالإنسان الذي يتكلم بهذا الاطمئنان وبهذه الثقة المطلقة أن لا مؤثر في الكون بدون إذن الله تعالى حتى ولو كانت الأسباب موجودة لا تفعل فعلها بدون إذن لا يخاف من طاغوت بل ولا يخاف من جن وإنس لو اتحدا بعربهم وعجمهم أن يفعلوا شيئاً إذا ما كان الله يريد يداً أن تمد لمؤمن.

فإذن لا يهاب مثل الحسين عليه السلام مثل تهديدات هؤلاء الطواغيت «وأن لا يكون على أحد أضر منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك وتحرصت على نقض عهدك يامعاوية ولعمري ما وفيت بشرط ولقد نقضت عهودك بقتلك هؤلاء النفر الذين قتلتهم

بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك إلا لذكرهم فضلنا وتعضيمهم حقنا» قتلتهم مخافة أمر «لعلك لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا ذلك الأمر» لعلهم ما قاموا بذلك ولعلك لو تركتهم لكان إليك أولى لأنك ميت وإنهم ميتون وستلاقي ربك بما فعلت «فابشر يا معاوية بالقصاص» كل خطاباته له ليس فيها كلمة يا أمير المؤمنين وهذا ما يزعج الطواغيت وهذا ما يزعج الذين يريدون الاسم والشهرة والعظمة يتأثر لو خاطبه المخاطب بكلمة يراها دون شأنه، يريد ولو كان يحكم قرية أن يقال له يا صاحب السمو يا صاحب الجلالة يا أيها الملك المفدى يا حضرة الفلان ويا أيها العلامة الفلاني هكذا هي النفوس فحسين عليه السلام يخاطب طاغوتاً صاحب امبراطورية قائلاً فابشر يا معاوية بالقصاص «واستيقن بالحساب واعلم أن لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وليس الله بناسٍ لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه بالتهمة ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة» ونحن نرى أن مثل هذه الأمور ترتكب تبعد الناس من بلاد إلى بلاد لأنها تتكلم كلمة حق وتنهب الأموال وتقتل الناس في شرق الأرض وغربها باسم الدين وغير الدين، باسم الإسلام وغير الإسلام والعلماء ساكتون لا يتكلم منهم متكلم يلقنون الناس أن هذه سياسة وليست من وظائف العلماء وكأن

الحق في مقابل الباطل وكأن العدل في مقابل الظلم وكأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد حجّم وبعضت هذه الشريعة وجزأت حتى صار كل أمرها بالمعروف صلاة وكل نهيها عن المنكر شربا لخمر والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أهل بيته الطاهرين الطيبين.

ماهي الأسباب التي ساقت هذه الأمة بشموخها إلى الذل والهوان؟

كان البحث في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وما يمكن أن نستفيد من قيام الإمام الإمام الحسين عليه السلام ضد الباطل والظلم و أردنا أن نشاهد الباطل شهودا على أرض الواقع بما كان يعاني منه الصالحون والمتقون في زمن الإمام الحسين عليه السلام وما كان يجري على الساحة باسم الدين باسم اقامة العدل باسم ارادة وحدة صفوف المسلمين كيف الطواغيت والحكام تحت هذه العناوين الخلابة راحوا ليقتلوا الناس وليتهموا الناس وليرتكبوا ما ارتكبوا من نهب وعدوان وكنا معا في بيان رسالة كتبها الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان وصلنا فيها إلى هذا المكان حيث خاطب الإمام الحسين عليه السلام معاوية قائلاً: «فابشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحاسب واعلم أن لله كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وليس الله بناس لأخذك بالظنة وقتلك أولياءه على التهمة ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة».

هذه الحقائق لا نريدها لكي تمر علينا ولكي نقول قال حسين عليه السلام في زمن من الأزمنة في مقابل من كانوا يدعون إسلاماً

وعدلاً وحقاً، نريد أن نعيش سيرة الحسين، سيرة الأولياء كيف كانوا يتعاملون مع ظلم وباطل ولو كان يتلبس بلباس الحق والعدل حتى لا يقول قائل من هنا أو هناك أن الأنبياء والأولياء والعظماء والعلماء ليس من وظيفتهم أن يتكلموا عن مثل هذه الأمور مدافعين عن الأمة وظيفة العالم أن يشرح شكاً في صلاة، وأن يتكلم عن كيفية صحة صلاة ومبطلات صوم وهلم جرا.

أما أن العالم يتكلم عن مأساة الأمة وما تعاني من تلاعب يصل إلى مرحلة تفسير القرآن بتبع الهوى وإلى تلاعب تقتل الناس تحت شعار إرادة الوحدة والجماعة وأن الحكومة يجب أن تضرب بيد من حديد شرذمة خارجة على وحدة الأمة وإجتماعها حتى لا يقول قائل أن الأولياء والعظماء وأوصياء الرسل ما كانوا يتدخلون في مثل هذه الأمور بل أقول إنهم كانوا يعيشون مأساة الأمة وحياة الأمة يريدون أن يخرجوها من جهلها إلى العلم، ومن ذلها للطواغيت إلى أن تكون أمة تعي وتفهم و ترى الكرامة وتعيش من أجل الكرامة هكذا كان الحسين عليه السلام حتى ننظر إلى الغاية الأساسية والأمر الذي قام به الحسين عليه السلام من أجل النهوض بهذه الأمة إلى مرتقى العلم والحكمة والعدل و... ولا نخدع بزهد من هنا وهناك، الزهد هو الدفاع عن الحق، الزهد هو الدفاع عن الأمة والعيش مع الأمة في مأساتها مع أراملها ويتاماها ومع ما تعاني وعانت طيلة هذه

الأمور من الطواغيت الذين تسلطوا عليها وجزروها جزراً تحت غطاء الدين.

«فأبشر يا معاوية بالقصاص» إلى قوله: «وأخذك الناس» والخطاب من الحسين عليه السلام لمعاوية «ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الخمر ويلعب بالكلاب»[1].

الكثير من الناس يقول ما نحن والدخول في مثل هذه الأمور، يتبدل حاكم وليأتي حاكم آخر، تتغير أنظمة وتأتي أنظمة أخرى نحن بحمد الله نذهب إلى المساجد ونصلي ونرجع، لا نغش النفس لا يكون المسجد مسجدا تقام به الحقائق تكون سبيلاً لله تعالى ولا تصرف الأموال صرفا سليما إلا تحت قانون العدل فإذا حصل العدل صرفت الأموال في سبيل الله وإذا حصل العدل أقيمت المساجد في سبيل الله و حج الناس بيت الله في سبيل الله والا فكلها تكون سبيلاً بأيدي الطواغيت والمتلاعبين وبعض العلماء المداهنين.

«لا أعلمك إلا وقد خسرت نفسك وبترت دينك وغدرت رعيتك وأخربت أمانتك وسمعت مقالة السفية الجاهل وأخفت الورع التقي لأجلك أي لأجل السفهاء» هكذا كان الخطاب، حتى

---

١ ـ اختيار معرفة الرجال: ٤٩، كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى معاوية رداً عليه.

إذا دخلنا لنتكلم عن الحسين عليه السلام لا نضيع حياة الناس الذين يحضرون في مجالسنا في كلمات من هنا وهناك ربما تكون في حواشي المراد المراد هو ما عينه الحسين عليه السلام بخطبه حينما خاطب معاوية بكلامه حينما تتكلم للأمة بقيامه حينما قام ضد الطغيان والجور، فمعاً لنمضي ونذهب إلى واقع حياة عاشته هذه الأمة في ظل حكم معاوية قبل يزيد قاتل الحسين عليه السلام، حتى نرى كيف كانت الأمة تعيش ولماذا قام الحسين عليه السلام، أؤكد حتى لا تضيع تلك الغاية العظمى وتلك النهضة العظيمة التي أرادها للبشرية جمعاء ليخرجها من الظلمات ومن الجهل لعز العدل ورقيه حتى لا تضيع بكلام خطيب وكلام زيد من هنا وهناك.

إلى واقع حياة عاشته هذه الأمة في ظل حكم معاوية قبل يزيد قاتل الحسين عليه السلام وهادم الكعبة ومستبيح المدينة بأعراضها هكذا يفعل الطواغيت، يهدم الكعبة المكرمة ويعطيه عنوان دين، يقتل سيد شباب أهل الجنة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعطيه صبغة دين، يستبيح أعراض المدينة للجيش ثلاثة أيام ويعطيه صبغة دين هكذا هم الطواغيت، هكذا هم وعاظ السلاطين، قادرون أن يلبسوا الباطل بكل ظلماته لباس الحق ولباس النور ويظهروه للمجتمع مخادعين، هادم الكعبة ومستبيح المدينة بأعراضها لننظر إلى دواعي نهضة الحسين عليه السلام وما الباطل الذي كان يقصده؟ أكدت

وأؤكد وأكرر لترسيخ الأمر في الأذهان، ما قام الحسين عليه السلام مخاطباً يزيد ولا الأمة ليقول لمَ يا يزيد شرّعت حكم شرب الخمر؟ الأمة ما كانت تشرب خمراً والأمة ما كانت تقدم على الفواحش بل كانت تعيش عزة وكرامة وشيماً لا ننكرها ولا يمكن أن ينكرها أحد فالأمة التي أراد الحسين عليه السلام لها العز والكرامة كانت تصلي وتصوم وتحج.

فإذن لمَ يقف الحسين عليه السلام ذلك الموقف العظيم ويتكلم بذلك الكلام ويعرض نفسه ونساءه وأبناءه وأصحابه والجميع للجزر لأي حق؟ حتى لا نضيع غاية قام من أجلها الحسين عليه السلام لننظر إلى دواعي نهضة الحسين عليه السلام وما الباطل الذي كان يقصده فهلم معا لنقف على تل من تلول النخيلة ولننظر من بعيد إلى أطراف الكوفة لنسمع معا كلمات تنسب إلى من يسمى بأمير المؤمنين، هذه كلمات صدرت من إنسان يقال له باسم أمير المؤمنين فهو على قمة الأمة الإسلامية حتى نرى أن القيام من أجل أي المبادئ لننظر في أطراف الكوفة من النخيلة إلى كلمات صدرت ممن يسمى بأمير المؤمنين وهو معاوية بن أبي سفيان الذي يدافع عنه إلى اليوم الكثير من المسلمين معتبرين إياه سيداً من سادات الأمة، أما من يدعون السلفية أو بعض من يدعي السلفية، من الوهابيين ومن غيرهم فهؤلاء لا نريد أن نتكلم عنهم لأنهم

يدافعون حتى عن يزيد فلا مجال للنقاش معهم عن معاوية وأضراب معاوية.

قال معاوية بن أبي سفيان في أول خطبة خطبها في العراق في مشارف الكوفة بعد أن قبل المسلمون لأنفسهم أن يكون أميرا للمؤمنين عليهم راضين لأنفسهم الذل والهوال بدلاً من الكرامة والعز الذي أراده الله تعالى لهم قبل علي عليه السلام وقبل الحسن والحسين عليهما السلام ماذا قال؟ بعد ما جاء بزهوه وغروره إلى العراق من بعد ما أصبح أميرا للمؤمنين: «والله ما قاتلتكم لتصلّوا»[1].

بمجرد ما يسمع بعض الوهابيين هذا الكلام يقول افتراءات وأباطيل جاء بها الشيعة الروافض الكفرة على أمير المؤمنين، نحن نخاطب الإنسان بما له من عقل وبما له من دين وبما يعتقد من عقاب ربه لم يحضر معه في ذلك اليوم ليتحمل بعض وزره ونيران الله وغضبه هؤلاء الوهابيين ولا من غيرهم.

«والله ما قاتلتكم لتصلوا» فإذن ما قاتل الأمة من أجل أن تصلي «ولا لتصوموا، ولا لتحجوا ولا لتزكوا».

فإذن ما قاتلهم في صفين وفي تلك الدماء التي ذهبت من المسلمين ومن الصحابة بعشرات الآلاف ليصلوا ولا قاتلهم

١ـ الإرشاد ٢: ١٤.

ليصوموا وقال لتحجوا ولا لتزكوا، أنا لكل هذه الأمور ما قاتلتكم.

فإذن ما قاتل علياً عليه السلام لأن علياً عليه السلام خرج من الدين أو أن علياً عليه السلام قتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان، لماذا لم يقاتلهم على كل هذا؟

ما أشرنا إليه سابقاً وأكدنا أن الحسين عليه السلام ما قال لم لم تصلوا؟ لم لم تزكوا؟ لم لم تحجوا؟ وهو قد خرج والناس كالسيل متوجهة إلى بيت الله الحرام.

فإذن ما كان هذا محل كلام بين علي عليه السلام ومعاوية أو بين الحسن عليه السلام ومعاوية أوبين الحسين عليه السلام ومعاوية أو بين يزيد، هذه كانت مسلمات أمة قائمة بصلاتها وصومها وحجها هذا ليس بنزاع بين أحد وآخر لا يكون الكلام فيه أمرا بمعروف لأنه متحقق ولا نهيا عن منكر لأن الناس ما كانت قاطعة لصلاة ولا شاربة لخمر هذا باتفاق المسلمين ولا لتزكوا لماذا ما قاتلهم على هذا الأمر؟

قال: «إنكم لتفعلون ذلك» هذا من المسلمات لا الحسين تكلم بها ولا يزيد تكلم بها ولا معاوية تكلم بها، هذه مسلمات أمة ولا يتهم الأمة أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين على أنها قطعت الصلاة كأمة وشربت الخمر كأمة وتركت الزكاة أو الحج كأمة، الناس إلى يومنا هذا يحجون.

إنكم لتفعلون ذلك فإذن هذا ما كان يدخل تحت حق ولا

باطل ولا تحت أمر بمعروف ولا نهي عن منكر فأين إذن الأمور بحقها وباطلها ومعروفها ومنكرها؟

ليست هذه بكلها وبتمامها أما ما كان يريده معاوية فواضح: «وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم» حسمها حسما واضحا بدون تغطية إن كان هناك دجالون يغطون الأمور معاوية كان مكشوفاً قال وإنما وكلمة وإنما أداة حصر، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم.

فإذن كل القتال كان من أجل أن يتأمر في مقابلها كل القتال من علي عليه السلام وكل المواقف من الإمام الحسن عليه السلام وكل ما قدم الحسين عليه السلام من تضحيات وتعريض نفسه في زمن معاوية ويزيد إلى الأخطار والذبح كان لحق وباطل غير هذا ولمعروف ومنكر غير هذا ما هو هذا الحق والمنكر سنتكلم عنه اكثر فأكثر ليعرف الناس على أن هذه ما كانت محط كلام بكل معنى الكلمة وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، عرفنا الغاية الأموية بصراحة من قادتها أنها كانت للتأمر لا لحق ولا لباطل، لا لمعروف ولا لمنكر وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم ومن تتبع معاوية في مكره وخداعه سيجد كيف تلاعب بمعاني القضاء والقدر؟ وكيف تلاعب بمعاني الجبر والتفويض وكيف أعانه شياطين تلبسوا لباس الدين ليعطوا هذه المعاني ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (١)

١ـ سورة الإنسان، الآية ٣٠.

وما شاكلها عنوان الجبر لأن الحديث ليس في الجبروليس في القضاء والقدر فلا يمكن أن ندخل في هذا الباب.

لكن أريد أن أقول أنظروا إلى كلمات معاوية «وقد أعطاني الله ذلك» إذن معاوية أعطاه الله ذلك أي أعطاه إمارة المؤمنين، هذه مشيئة الله ليست جهل أمة ولا مكر دجال، هذه مشيئة الله أنه أراد لهذه الأمة أن يقتل علي عليه السلام وأن يعزل حسن عليه السلام ويسم.

هذه وهي الروح الجبرية الأشعرية كانت وما زالت ليومنا هذا هي روح عامة ابناء العامة والجماعة مع الأسف حتى اندثر في مقابلها ما كان قول للمعتزلة ولست هاهنا بصدد الدخول في هذا البحث لكن اشير إلى ملامح شيطنة ومكر دخل منها معاوية يلقن الناس جبراً أشعرياً قبل أن يتعنون بعنوان الأشعرية فقد أعطاني الله ذلك أي اعطاني الله عليكم السلطان فإذن سلطان معاوية هبة من الله لما له من لياقة وما أراد الله من مشيئة لهذه الأمة.

«وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون» أنتم كارهون لكن هي مشيئة الله أن أكون أنا حاكماً أتأمر عليكم وبتبع هذا الأستهتار في الخطاب أقول لماذا يستهتر حكامنا ولم يكن الاستهتار بهذا الوجه الصريح في كثير من دول العالم الأخرى لأنا أمة صامته لا تسمع ولا تقرأ ولا تريد أن تفهم وتريد أن تبدل الآيات والروايات بتبع الهوى لوعاظ السلاطين ولذا ما وجدنا حكام الدول الأخرى بهذا

الاستهتار يخاطبون أممهم لكن الأمة العربية خاطبها قادتها بهذا الاستهتار وبتبع هذا الاستهتار في الخطاب ننظر إلى الفعل أيضاً الذي قام به معاوية.

فإذن على المسلم أن ينظر كيف كانت تصرف الأموال، الآن الأموال هاهنا وهناك في الدول العربية والإسلامية على اختلاف طوائفها ومذاهبها تصرف باللعب والكل يعلم بذلك بدلاً من أن يقول القائل أعينوا من يقول أين تذهب أموال المسلمين؟ ولم يتلاعب بها الحكام؟ ولم تجعل ثروات لزيد وعمرو وللأزواج وغيرهم، بمجرد أن يتكلم متكلم جاءه القديسون هذه سياسة لا تتكلم بها، نهب أمة وجعلها تعيش فقراً وذلاً وهواناً وشتاتاً وتسكعاً في البلاد ذليلة كالفقراء مهاجرة من بلاد إلى بلاد مع غناء وثروات بلادها المتكلم في هذا سياسي زنديق منحرف متعامل مع الأجانب يريد النيل من حكام المسلمين هكذا نحن في قمم فهمنا للأمور، الأنبياء جاءوا ليدافعوا عن الأمة ويقولوا لا تنهبوا هذه الأمة، لا تسلبوا هذه الأمة، لا تعيشوا مع هذه الأمة ديكتاتورية وجريمة واستبداداً، فلننظر أنه كيف كانت تصرف الأموال التي يؤتى بها، أي أموال؟ أموال دولة فقيرة؟

كلا، نهبوا العالم بعنوان الجهاد وتجاوزوا على أعراض العالم وجاءوا بنساء العالم وببنات البشر والناس على اختلاف طبقاتهم

وقومياتها وباعوها في الأسواق وصارت الأمور تضرب بها الأمثال أن في الغزوة الفلانية مائة الف جارية بيعت وقسمت على الجيش وهلم جرا، الأموال كانت أيضاً تصب على الدولة والإمبراطورية الإسلامية من كل العالم ومن لم يدخل تحت هذا اللواء كان يدفع جزية على الإنسان أن يرجع لحياة تلك الأمة : حينما نأتي إلى التاريخ والشعراء والخطباء والعلماء إلا ما ندر منهم نجد التاريخ إنما يتكلم كم غزوة حصلت وكم من مال حصل يصف لنا قصور الحكام و يصف لنا المجوهرات التي كانت تلبسها ست الزبيدة لهارون الرشيد ما وجدنا هذه الأقلام الطيبة الشريفة الطاهرة والألسن الطاهرة تتكلم لنا عن أكواخ كانت تعيشها هذه الأمة وعن سجون كانت تأن فيها هذه الأمة، لماذا تأريخنا يتكلم متى صعد على العرش فلان ومتى مات ومن خلفه وكيف بنيت القصور وكيف وكيف لماذا؟ ولماذا لا يتحدث التأريخ كيف كانت تصرف هذه الأموال؟ والكثير منها واضح أن أمير المؤمنين الفلاني أو الفلاني كان يعطي الجواري وكان يعطي عشرات الآلاف من أموال المسلمين الذين كانوا يعيشون الاضطهاد والحرمان والجوع والفقر كان يعطيها لشاعر مدحه في شعره، كيف كانت تصرف هذه الأموال التي كان يؤتى بها من جميع الأقطار وأغلبية الناس كانت تعيش الفقر تؤخذ منهم هذه الأموال تحت عنوان الزكاة

والضرائب أضف إلى ذلك ما كان يحصل منها بتبع من جعلوهم على الناس كالولاة والجباة ومن تردد فلينظر ما صنع الولاة كبسر بن أبي أرطأة وزياد بن أبيه وما كان قد حصل منهم من أمور ارتكبوها حتى لا نقرأ تاريخاً دخل قصور العباسيين والأمويين وترك أكواخ الأمة بأنينها فكانت بما هي من هذا الكم الهائل وما كان يحصل من الغزوات والجهاد وما عبر عنه بأي تعبير آخر ولست بصدد الدخول في شرعية مثل هذه الغزوات ومثل هذا الجهاد الذي يقال له الفتح الإسلامي، فكانت بما هي عليه هذه الأموال من هذا الكم الهائل تصرف على شهوات ورغبات الحكام معاوية ويزيد وغيره مما جاء من بعده ويحرم منها البائس والفقير والمسكين والأرملة ومن كان معاوية يراهم أعداء له أو أنهم من أتباع آل محمد أو من أتباع قوم آخرين يراهم أعداء للأمويين، فكان هذا من الباطل في مقابل الحق الذي قام الحسين عليه السلام من أجله، هكذا باطل ونهب أموال الناس وجعلها تعيش أكواخاً تأن فيها لفقرها وحرمانها كان ألم الحسين عليه السلام وحزنه كانوا يحزنون على أمة فقيرة بائسة مفترسة بيد الطواغيت التي الآن أصبح الكلام عنه كلاما لا ينبغي وكان العلماء فوق مثل هذه الكلمات.

حتى قال معاوية في خطبة إن هذه الأموال إنما هي فيء لقريش، هذه الأموال التي كانت تأتي من هنا وهناك تحت أي من

العناوين تجبى إلى بيت الخلافة هذه فيء قريش يعني كأن الله بعث بالأنبياء وبسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ليكون عزا لقريش حتى العروبة حذفت فضلاً عن البشرية والإنسانية ليكون الناس عبيدا لقريش ويقصد بقريش نفسه لأن بني هاشم من قريش والكثير ممن كان يعيش في الجزيرة العربية من قريش فإذن قريش كلها هي معاوية كما وأنا نسمع كلمات الحكام الان في زماننا يتكلم باسم الناس والأمة ليقول نحن نقول كذا، يتكلم الحاكم الواحد الذي جاء على رقاب هذه الأمة بألف مكر وألف دناءة وتسلط عليها يخاطب البشر والناس ويقول نحن نقول كذا فهو الشعب وهو الأمة وهو الأرض وهو السماء، فكان من الباطل مثل هذه الأمور التي هي اليوم ليست بباطل في مقابل عدل قد أضيع تحت عناوين من أجله قد أذلت هذه الأمة وتشير الكثير من الروايات إلى ما ارتكب معاوية في حق أهل المدينة من المضايقات، ماذا صنع بأهل المدينة ؟ على الناس أن يرجعوا وينظروا ماذا صنع الحكام كبني أمية لأحقادهم على أهل المدينة لأنهم شموا منهم رائحة الكراهية، شموا منهم رائحة الوعي والإدراك على أن بني أمية ليسوا أهلاً بل الذي هو أهل آل محمد صلى الله عليه وآله، هذه الروحية شمها بني أمية من أهل المدينة ولذا نجد المدينة تحت ضرب وطأة الحكام إلى يومنا هذا لأن فيها

روح علوية، فيها روح إيمانية فيها روح تريد أن تشير إلى البشر إلى أن هناك حقا قد أضيع ليس حقا شخصيا لبني هاشم حق أمة وحياة أمة أضيعت وذلت ولذا كان بني أمية يحقدون على أهل المدينة وقلت إلى يومنا هذا مرت القرون وكل حاكم يأتي يشم رائحة الولاء لأهل البيت في المدينة فيعيش حقدا عليهم حتى منعهم معاوية من الأعطيات حتى عاش اضطر الكثير من أهل المدينة بسبب الفقر أن يهجروا من بلادهم ضيق عليهم معاوية وسد الأبواب تماماً ومنع الأعطيات أن تصل إلى أهل المدينة حتى عاشوا الفقر والحرمان فهاجر الكثير من أهل المدينة من المدينة لهذا السوط القائم على رقابهم، بل ويبيعوا مساكنهم وأراضيهم بأبخس الأثمان هذه السياسة نحن نشاهدها بكل معالمها قائمة في بلادنا مع كل الأسف أي بلدة تحس منها حكومة من الحكومات على أنها فيها روح المخالفة تسد عليها جميع أبواب الخير ويضيق عليها بكل معنى الكلمة ليعيش أهلها الذل والهوان ليبيعوا أراضيهم لينتقلوا إلى منطقة أخرى هكذا يصنع الحاكمون، لتصبح هذه الأراضي ملكا لبني أمية ومن والاهم وسلطهم بنوأمية على البلاد هكذا يصنع الحكام ليومنا هذا وتشير الروايات أيضاً أنه وفد على معاوية عبد الله الأنصاري، لم تبين الأحاديث أنه وفد على معاوية لماذا لكن جابر معروف بولائه لأهل البيت عليهم السلام وجابر لا يقصد

طاغية كمعاوية ليقول له إني فقير اعطني درهماً لو عاش الفقر والحرمان لا ينطق بمثل هذه الكلمات لأنه يعلم أن درهما من معاوية لابد وأن يكون لتعامل لجهة وهذا كل مؤمن يعرفه أن حاكماً لا يعطي إنساناً أي شيء إلا بحساب لا يريد منه أن يقرأ الفاتحة على روح أمه وأبيه.

فإذن نقول التأريخ لم يحدثنا أنه لماذا وفد جابر بن عبدالله الأنصاري على معاوية هل أراد نصحه؟ هل أراد أن يبين له أنين الأمة؟ أو كان يريد أن يتكلم معه عن حق وباطل أو أي أمر من الأمور، وفد فلم يأذن له معاوية بالدخول عليه يقينا لو كان يعرف أن القادم من الصحابة المتزلفين والمتملقين لبعث إليه من يستقبله من خارج الشامات، وهذا يكفي أن نفهم أن القادم كان يحمل أمرا يتضايق منه أمثال معاوية فمنعه من الدخول عليه استعلاء من جهة وتوهياً له من جهة أخرى وأنه ما كان يريد أن يسمع نصيحة ناصح وكلمات قد تخدش خواطر من يريد أن يقضي ليله باللهوء واللعب، فرجع جابر إلى البلاد فبعث إليه معاوية من يوصل إليه ستمائة درهمٍ يعني أراد أن يبين معاوية أن هذا الرجل ما جاء إلا متسولاً فلذا ما أعطيته وقتا لإضاعة حياتنا مع أمثال هؤلاء، ولعله أراد أن يلفت النظر لمن حوله من الجهال أن هؤلاء من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله كبروا وأصبحوا يعيشون عدم العقل وأنهم يطمعون

بأموال ومساعدات ليسوا أهلاً لها فبعث إليه ستمائة درهم حتى يعطي عنوان أنه ما جاء إلا متسولاً فبعث إليه من يوصل إليه ستمائة درهم فردها جابر بن عبدالله الأنصاري وقال لرسول معاوية قل لمعاوية والله يبن آكلة الأكباد، هذا الذي يخاطب معاوية بابن آكلة الأكباد ويذكره بدناءة أمه، والله يبن آكلة الأكباد هكذا كان العظماء يخاطبون الطواغيت لا مداهنين ولا مداجين ولا متلاعبين ولا عاملين الموازنات لإرضاء الحاكم والشعب معا فما نصنع في كثير من المواطن نحن ونلبس ذلك لباس الدين، «والله يابن آكلة الأكباد» يخاطب حاكما «لا تجد في صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا» إن كنت نويت حقا أن تساعدني فأنا لست ذلك الرجل الذي يجعل لك في صحيفة أعمالك يوم القيامة إن كنت صادقاً أن يجعل لك يوم القيامة شيئاً يكون حسناً أنا لا أكون سبباً لمثل هذا الأمر هكذا كان العظماء يخاطبون الطواغيت.

واستمر معاوية في التضييق على أهل المدينة حتى أصبح الرجل منهم أي من أهل المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، يحقد عليها معاوية لأنه يتذكر حروبها مع أبيه يتذكر حروبها مع عتبته وشيبته وأضراب هؤلاء من بني أمية يعيش أحقاداً يتذكر بها آباءه وأجداده واستمر معاوية في التضييق على أهل المدينة حتى أصبح الرجل منهم لا يستطيع شراء راحلة يستعين بها على الحياة، هكذا

أذلهم وضيق عليهم من كل مكان حتى تصبح البلاد بلادا لا يمكن أن يعيش بها الإنسان لشدة ضغط بني أمية عليها وتهجير أهلها وهكذا هي الأحقاد شاهدناها في حياتنا ونشاهدها ومن لم يشاهدها عاش بعيدا عن مأساة هذه الأمة.

«ولما حج معاوية وجعل المدينة على طريقه» يقينا ما قصد المدينة ليتشرف بقبر رسول الله ﷺ بل قصد المدينة ليظهر هيبته لأهل المدينة الذين أراد ذلهم «واضطر الناس إلى استقباله» وهكذا يصنع الحاكمون هالة تستقبل الحاكم والذي ينظر إليها بالتلفاز يقول عجيب كم هذا الحاكم محبوب؟ وهي أدوات راحت إلى البلاد هددت زيدا ورغبت آخر واشترت الضمير بأموال فدفعت بأناس لغايات مختلفة ولو للخوف ليستقبلوا طاغوتاً.

«واضطر الناس إلى استقباله ومنهم الأنصار» فعلم الناس أنهم إذا لم يستقبلوه فعليهم أن يحالوا إلى محكمة كما تصنع الحكام، «ووجدهم معاوية مشاةً» هؤلاء الأنصار الذين كانوا يوماً تخاف منهم فارس والرومان على قلتهم حينما تخاذلوا عن الحق سلط الله عليهم مثل هؤلاء الطواغيت، لا أقول جميعاً لكن الله تعالى قد ينتقم من كثير من الناس لسكوت لجبن ولجهة لكن البلاء إذا جاء قد يشمل المؤمن أيضاً، ووجدهم معاوية مشاة يعني لا خيل لهم يركبونها ولعله أراد إذلالهم بهذه الطريقة، «فقال لهم ما منعكم أن

تتلقوني كما تلقاني الناس» أمثلي يستقبل مشياً استقبلوني بزهوكم وخيلكم، هو يعلم لكنه أرادها اذلالاً لهم، يظهر نفسه لم يعلم بالوضع.

«فقال له سعيد بن عبادة منعنا من ذلك قلة الظهر» يعني ما كان لنا ظهر نركبها لنأتي إلى استقبالك «والحاح الزمان علينا» يعني وجور الزمان، منعنا الفقر من أن نركب خيلاً ونأتي لاستقبالك، «وإيثارك بمعروفك غيرنا» وهذا صنعك يا معاوية لماذا تدعي التغافل عنه، هذا كلام سعيد بن عبادة من الأنصار يخاطب معاوية فقال له معاوية مستهزءاً ساخراً «أين أنتم عن نواضح المدينة» يعني أنتم فلاحون باصطلاحنا اليوم، أنتم زراع، تلك الدواب التي كنتم تستخدمونها لحرث الأرض وسقيها أين ذهبت لماذا ما جئتم على دوابكم يريد أن يحط من كرامتهم أنكم ما كنتم تجاراً ولا كنتم بأي مقام وحيثية كنتم أناس بسطاء فلاحون تزرعون فكانت لكم نواضح تنضحون بها الأرض يعني توصلون إليها المياه، يذكرهم بأيام الجاهلية أنكم هكذا كنتم أذلاء، ماذا أجابه سعيد؟ لنرى أن النفوس الأبية تبقى أبية وصاحب الشرف يبقى شريفاً لكن الذي يداهن ويتلاعب صاحب نفس خسيسة يداهن من هنا وهناك لمرضاة الحاكم والمحكوم معا فأجابه سعيد قائلاً «نحرناها يوم بدر

يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان»[1] ولنهاية الوقت تتمة للحديث والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

١ـ أنظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ١١٦، ح ٣٤١.

كيف كانت سيرة معاوية مع المسلمين وغيرهم في زمان خلافته؟

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام وما قام من أجله دفاعا عن هذه الأمة وبيانا للحق كنا نعيش بعض تلك الحقائق التي عاشتها الأمة في زمان بني أمية ووصل بنا البحث إلى هاهنا، وهو حينما قصد معاوية الحج جاعلاً المدينة المنورة على طريقه إذلالاً لأهل المدينة لأنه كان هووغيره قد شموا رائحة الولاء لأهل البيت هو وغيره يعلمون وبكل أعماقهم على أن أهل المدينة الذين قاتلوه وقاتلوا أباه من قبله مشركين لا يمكن أن ينظروا إليه اليوم وهو من المؤلفة قلوبهم أن ينظروا إليه نظرة أمير المؤمنين يرى أن النظرات من كل جانب من هنا وهناك حتى ممن هو في كنفه من الأنصار بنظراتهم وأعماق تأملاتهم يرونه ماكراً، هذا يلمسه معاوية وليس غبياً تمر عليه هذه الحقائق فضيق وضيق وأذل أهل المدينة تماماً وساقهم كما تقدم إلى ترك ديارهم والهجرة إلى بلاد أخرى وبيع أموالهم وأراضيهم وأوصلهم إلى ما أوصلهم إليه.

فإذن سياسة بعض المتأخرين من حكامنا بدلاً من أن تكون

تابعة لسنة رسول الله ﷺ الذي جاء لإعزاز البشرية وكرامتهم إنما هي سنة ترجع إلى معاوية وأضراب معاوية كيف يذلون من يشمون منهم رائحة الخلاف والابتعاد عن الحكم وشاهدناها وتشاهدونها جميعاً لا أحتاج إلى أن أبين مصاديقها لأنها تصدق في كل مكان ولها المصاديق الكثيرة.

فقال له سعيد بن عبادة حينما خاطبه معاوية قائلاً لماذا لم تستقبلوني على خيل كرامة لي فقال منعنا من ذلك قلة الظهر وألحاح الزمان علينا وإيثارك يا معاوية بمعروفك غيرنا، يعني أنت جعلت هذا وتظهر نفسك بعيداً عن هذه الحقائق فقال له معاوية ساخراً مستهزءاً أين أنتم من نواضح المدينة، كانت لكم في يوم من الأيام حينما كنتم بداةً، حينما كنتم تعيشون المزارع كانت له نواضح أي دواب كنتم تسقون بها الزرع زمان الجاهلية فأين هذه النواضح ذهبت عنكم ولم تركبوها لتأتوا ويقصد أن كانت لكم بغال وما شابهها من الدواب التي كنتم تنضحون بها فلماذا ما جئتم بها، كأنه يريد أن يقول لهم أنتم لستم أهل لتأتوا على خيول وإنما تأتوا على بغال على ثور وما شاكل هذه الأمور استحقاراً بهم، فأجابه سعيد ويا ليت لنا لسانا كلسان سعيد اليوم نخاطب الطواغيت حينما يسخرون من الأمم أو من المسلمين فأجابه سعيد بن عبادة

قائلاً «نحرناها يا معاوية يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان»[١] يذكره بحنظلة بن أبي سفيان.

فإذن يذكره بأخيه على أنا قتلناها هناك فتذكر أن تلك النواضح أين نحرت، وأما صنع معاوية بالعراق:

فقد أمر واليه المغيرة بن شعبة أن يحبس العطاء والأرزاق عن أهل الكوفة فإذن ما كان حقده فقط على أهل المدينة كان حاقداً أيضاً على العراق أن يحبس العطاء والأرزاق عن أهل الكوفة فعاش الناس الفقر والحرمان ثم سلط عليهم من بعد ما عزل المغيرة بن شعبة وسلط عليهم زياد بن أبيه الذي ادعى أنه أخ له، ازداد الأمر سوءا على أهل العراق حينما سلط عليهم معاوية زياد بن أبيه، تأريخ زياد وما ارتكب زياد بن أبيه من جرائم بشعة وقتل عام للعراق والعراقيين هذا هو بنفسه بابٌ يجب على أي إنسان أن يقرأه بنفسه ولسنا هنا بصدد تفاصيل هذه الجرائم.

وأما ما ارتكبه معاوية بالنسبة إلى أهل مصر: فقد أمر بازدياد الضرائب على الأقباط وهم نصارى وكان في عهدهم يعني وكان في العهد الذي بين الحكومة وبين الأقباط قدر معين من دفع الأموال تحت عنوان الجزية والضرائب فأزادها معاوية عليهم هكذا

١ـ أنظر: أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ١١٦، ح ٣٤١.

كانت أفعال الولاة بالنسبة إلى الناس وبالنسبة إلى أهل الكتاب هكذا ظلموا الناس وهناك من يتعصب لهم وإلى يومنا هذا ويدافع عنهم ويريد أن يكون معهم في قعر جهنم.

في حين أن الشام لولائها للحكم الأموي كانت تعيش ازدهاراً وانخفاضاً في الأسعار التي يحتاجها عموم الناس ومن هذا الباطل ومن هذا الظلم منح معاوية لعمرو بن العاص خراج مصر، هكذا يهب الخليفة حيث يشاء، لأن عمرو بن العاص أعانه على حرب علي عليه السلام يهب خراج مصر بكلها وتمامها لشيطان وماكر آخر لأنه أعانه على علي عليه السلام حين بين ذلك غير مختشٍ ولا مبالٍ مصرحا أني أعطيته طعمةً والمسلمون يسمعون وإلى يومنا هذا وبعد مع كل هذا المكر والظلم سيدهم معاوية، ومن البذخ المالي الذي كان أيضاً يرتكب ويقام ويصرف على حساب الدين والأمة ما كان يشتري به معاوية الذمم ويتكلم مستهتراً ساخراً يخاطب ولاته أنك بكم اشتريت من فلان دينه صراحة يتكلم وكم من مقالة لمعاوية يخاطب بعض الولاة إنه باع عليك دينه بخساً، وقد فرض معاوية ضريبة النيروز يعني إضافة على الخمس والزكاة وعلى الجبايات، النهمة في جمع المال ساقته أن يفرض على المسلمين ضرائب النيروز المختصة بزمن الساسانيين، حتى أجحف بها على الناس وقد بلغت فيما قال عشرة ملايين درهم وهي ضرائب ما كان لها

سابقة في الإسلام يبتدع هكذا ابتداع من نفسه لنهمة يرتكبها هذا كله أي الكلام عن مثل هذا الظلم من قتل الناس وظلمهم وافقارهم وسلب أموال الناس هو ما يسميه اليوم الكثير من العلماء من يتكلم فيه أنه غير صحيح وأنه سياسي ومنحرف.

فإذن لا يجب أن يتكلم مسلم عن ظلامة شعب ولا عن اضطهاد شعب ولا عن أي جريمة يرتكبها حاكم هكذا ربيت هذه الأمة حتى صار الحق باطلاً، فأصبحت ضرائب النيروز سنة أموية جرت من بعد معاوية بين الخلفاء وقد أطلق معاوية أيدي ولاته لنهب الناس وظلمهم بما يوصف فصاروا متمرسين في الظلم ونهب أموال الناس وقد عانت الأمة الصعاب وعاشت أشد الظروف صعوبة من جور الولاة وظلمهم وكتب معاوية إلى واليه زياد بن أبيه أن يصطفي له خالص الذهب وهذا لا ربط له لا بالمسلمين ولا بأي شيء بل هذه من خواص معاوية تكون، يوجه به إلى دمشق كل ذلك لغاية الترف وللأحقاد على أهل العراق وبعض البلاد التي كان يظن ولائها لأهل البيت عليهم السلام والغاية من ذلك كله إضافة على التحقير ليشغلهم بأنفسهم، حتى لا يفكر أحد إلا بقوت يومه وهي سنة معاوية التي يجريها اليوم حكامنا باسم الدين.

حتى قال بعض الشعراء بالنسبة إلى ما فعل معاوية بالعراق وأهلها قائلاً:

ألا أبلغ معاوية بن صخرٍ فقد خرب السوادُ فلا سوادا

بلاد السواد والخضرة جعلها خرابا هكذا صنع بأحقاده معاوية وهكذا يصنع الحكام بأحقادهم في أي بلاد يرون منها مخالفة يبيدونها ويقطعون عنها حتى المياه وكان من سياسة معاوية اضطهاد الموالي: من السياسات التي قام بها معاوية وحكمها وسرت كسنة من بعد معاوية في زمن بني أمية قاطبة إذلال الموالي والمراد من الموالي من هم ليسوا من العرب، دخلوا إلى الإسلام سواء صاروا مسلمين من بعد ما فتحت بلادهم أو كانوا كتابيين أذلهم جميعاً وجعل الإسلام ديناً قومياً عربياً، فقد بذل جهده في إذلالهم وكاتب عماله بذلك فقال إني رأيت هذه الحمراء لأنه كان الموالي يطلق عليهم بالحمر، ويقصد بذلك الموالي لأن اكثرهم من الرومان ومن فارس فسموهم بهذا الاسم، «إني رأيت هذه الحمراء قد كثرت وكأني أنظر إلى وثبة منهم على العرب وسلطانهم» كثرة هؤلاء يعرض الحكم العربي إلى الخطر، أي كثرة دخول غير العرب إلى الإسلام حتى ولو كانوا مسلمين فضلاً عما لو كانوا من أهل الكتاب وغير ذلك حتى قال وكأني أنظر إلى وثبة منهم والوثبة هي الهجمة السريعة على العرب وسلطانهم.

فإذن صار الإسلام سلطاناً عربياً هذه هي ذهنية معاوية فرأيت أن أقتل شطراً منهم يقيناً معاوية ما أراد أن يجمعهم ويحكم عليهم

بالإعدام وهو يعلم أن هذا لا يمكن فإذن كيف يقتلهم؟ يبعثهم في الغزوات والحروب وما شاكلها للقضاء عليهم وهذه سنة كثير من الحكام يبعثون بكثير من الناس إلى الحروب حتى يقضى عليهم، فرأيت أن أقتل شطرا منهم وأدع شطرا آخرا، كفرعون يقتل البعض ويبقي البعض للخدمة ولما يمكن أن يستفيد منهم هكذا صنع معاوية، وأدع شطرا آخر لإقامة السوق وعمارة الطريق حتى صارت الحكومة في زمن بني أمية وعلى رأسهم معاوية حكومة عربية تضطهد القوميات على اختلاف طبقاتها وصار هذا الأمر سنة حتى ذهب بعد ذلك أحد الموالي من خراسان يطالب عمر بن عبدالعزيز بالعدل، عمر بن عبدالعزيز أخذ صورة وطابع عدل فقصده بعض الموالي من خراسان لما ارتكب أسلافه من ظلم لغير العرب يطالبه بالعدل قائلاً له يا أمير المؤمنين عشرون ألفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق يبعثون بهم إلى محارق الموت فقط على أكله وشربه هذا هو العدل الإسلامي.

«يا أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم من أهل الذمة» هؤلاء لأنهم ليسوا بعرب هكذا يذلون ومثلهم من أهل الذمة حتى وصل الأمر في عهد الأمويين أن أصبح الواحد منهم يستنكف أن يصلي في مسجد تصلي فيه الموالي، أنه يجب أن نصنع للموالي مساجد لأنفسهم حتى لا يختلطوا بالعرب

استعلاء على غيرهم حتى وصل الأمر إلى هذه المراحل فبني مسجد خاص يصلي به الموالي حيث أن بني أمية زرعوا روح العنصرية والقومية ضد من هو من ضد العرب وجعلوا ذلك أي العز والكرامة للعرب وكون حكومة بني أمية كانت حكومة قومية لا ينكرها إلا دجال، أو مقلدا للرجال بدون فهم ولا دراية وربما منع بعض الولاة ولم يسمح للموالي أن يصلوا معهم في مسجد واحد يعني أعلنوها علناً حتى أدت هذه السياسة إلى أحقاد القومية والعنصرية إلى اختلاف بين العرب والأعاجم حتى من أسلم منهم فضلاً عمن لم يسلم وبقي ككونه من أهل الكتاب وراحت هذه النزعة القومية العنصرية والتحقير لغير العرب ليدفع ببعض الموالي أن يشتركوا في ثورات ضد الحكم الأموي أو يلتحقوا بمن كان يدعوا إلى ثورة كالالتحاق ببني العباس ومعلوم وكل أحد يعلم أن الذي كان سببا لإسقاط حكم بني أمية هم غير العرب من الذين أيدوهم من أبي مسلم الخراساني وغير ذلك كما التحق الكثير منهم ببني العباس للإطاحة بالحكم القومي العربي.

وكان من سياسة معاوية لإذلال العرب أنفسهم إلقاء الفتن وتحريك النزعات القبلية فيما بينهم خوفا من اتحادهم ووعيهم يوماً من الأيام فيكونوا كفة ويدا واحدة ضد ظلمه وطغيانه أراد أن يمزقهم تمزيقاً فحرك فيما بينهم الفتن والنزعات القبلية فقد سعى

لإشعال نار الأحقاد حتى بين الأوس والخزرج وأظهر كذلك لهذه الغاية على أنه من الذين يقربون من اليمنيين على حساب المضريين حتى يجعل الطوائف يضرب بعضها بعضا وراح هكذا يضرب القبائل بعضها ببعض فبنى أساس الدولة على أساس فرّق تسد هذه هي السياسة التي يقوم بها الكثير في العالم لتمزيق الشعوب وعدم توحيد كلمتها ضد العدوان والاحتلال والجريمة ليست جديدة قد تعلمها الكثير من أسلاف متقدمين كمعاوية وغيره، خلافا لما كان عليه المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث بنى الدولة على الإخاء فآخى بين الناس بدلاً من مثل هذه الأعمال.

ولما دخل العراق أعلن غير مختش ولا مبال على أن جميع ما أعطاه للحسن بن علي عليه السلام من عهود وشروط فهي تحت قدميه لا يفي بشيء منها هكذا خليفة المؤمنين غادرا ناكثا للعهود وإلى يومنا هذا هو أمير المؤمنين والسيد الجليل وخال المؤمنين.

ومن أولئك الولاة الذين ظلموا الناس في العهد الأموي خالد القسري فقد خطب خطبة في مكة يهدد فيها الناس قائلاً أيها الناس، نقرأ هذه الحقائق حتى يسمع الناس كيف كانت الأمة تعيش حتى لا يقول قائل كانت الأمة تقدس الخلفاء والحكام، كانت الأمة تعيش تحت وطأة الحكام ذليلة، اليوم مع كل وسائل الإعلام العالمي والأمم تذل ولا أحد يسمع صوت من يذل في هذه

الدنيا فكيف بنا قبل قرون التي كانت القرية بقريتها تقتل ولا يسمع عنها أحد ولا تصل أخبارها إلى أحد فخاطبهم خالد القسري أي خاطب أهل مكة قائلاً: أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة: هذه الجماعة أخذت في طول التأريخ لقتل البشر وكل من يخرج من الجماعة فهو شرذمة قليلة عميلة خائنة وهذه الكلمات التي نسمعها في كل يوم «وإياكم والشبهات فوالله» أي شبهات على التوحيد على النبوة؟ لا شبهات تنال من الحكم «فوالله ما أوتي لي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم» هكذا كان التبجح بالجريمة فلما أصبحت الشعوب تعيش مذلة واضطهاداً وتهجيراً وذلاً وفر المثقفون وفر علماءها أصبحوا يؤخذون كما تؤخذ النعاج و قد خطب عتبة بن أبي سفيان بمصر قائلاً: «إني قلمت أظفاري» يعني اعتبر الأمة فريسة وهو أسدها لكنه رحمة بهذه الأمة التي هي نعاج قلم أظفاره «عنكم ليلين مسيئكم فأما إن أبيتم إلا الطعن على السلطان» فإذن كل النزاع من معاوية وكل هذا الجمع إنما هو على السلطان الذي أذل الناس لهذا السلطان معاوية «فوالله لأقطعن بطون السياط على ظهوركم فإن حسمت أدواءكم» يعني إن حسمت وأنهت أمراضكم هذه السياط فبها ونعم «وإلا فإن السيف من وراءكم» فليسمع الناس كيف عامل الحكام هذه الأمة حتى لايستغربوا اليوم لماذا أصبحت هذه الأمة ذليلة تساق وزينها هو

الصمت عن كل ذل وهوان ويلقن ذلك العلماء أن هذا هو المنهج الرباني حتى يعلم الناس لماذا وصل بنا الأمر اليوم أنا نعيش أمة ذليلة حقيرة تساق كما يساق الغنم، «فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم» يعني منا نحن بني أمية «وموعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل بالعقوبة إذا جئتم بالمعصية» الناس كلهم يتصورون أن مثل هذا الطغيان كان يصدر من الحجاج فقط حينما قال «إني أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها» الحجاج واحد من هؤلاء المجرمين وقال لأهل مصر في خطبة أخرى «إياكم أن تكونوا للسيف حصيدا» هكذا هذه الأمة أذلت بيد حكامها على طول التأريخ حتى أصبحنا أمة ذليلة.

معاوية وسياسة دس السم لمخالفيه: لا يتردد أحد فيما فعله معاوية من دس السم لأعداءه بدأها بمالك الأشتر رضوان الله عليه ولعل القول بأنه بدأها بمالك الأشتر نحو من التجوز في الكلام لأنه كان له المكانة فظهرت ولعل معاوية قد ارتكبها بعشرة من عامة الناس لا يعرف بذلك أحد لكن عندما يسم مالك الأشتر نسمع بذلك نحن اليوم وإذا يسم الحسن عليه السلام نسمعه نحن اليوم لكن إن سم زيدا وعمروا من الناس العاديين والمجاهيل الذين يعتبرهم معاوية أعداء له لعله قد يكون خفي علينا الكثير منه، فقد سم مالك الأشتر والإمام الحسن بن علي عليهما السلام إلا من قد دس إليهم من هنا

وهناك الكثير من الناس الذين لا نعلم فقد ظهر منه ما وصلنا بواسطة التأريخ أما كم وكم قد أضيعت من الأمور رجل مخالف يدعى لوليمة فيسم أو يدعى لقصر فيسم كما يرتكب الحكام الآن، الحكام الآن لا يرتكبوا جميع المجازر علناً بل الكثير منها ترتكب من هذا الطريق يدعون المخالفين هاهنا وهناك لسمهم والقضاء عليهم ولو كانوا في بلاد بعيدة في العالم يبعثون إليهم صديقا بوجه متقرب إليهم لسمهم والانتهاء من حياتهم، فعلينا أن نقف ونستنطق الكلمات متأملين فيها والحسين عليه السلام يخاطب الأمة قائلاً «ألا ترون أن الحق لا يعمل به» يعني ما كان أمرا خفياً على هذه الأمة بل الأمة كانت ترى ببصيرة لتخاذل ولجبن ولقبول المهانة عانت هذا، لا أنها كانت لا تميز «وأن الباطل لا يتناهى عنه»[1].

فإذن الحق والباطل كان واضحاً يعني ما خاطبهم الحسين عليه السلام ليقول ألا ترون أن الحق لا يعمل به أي أن الناس لا يصلون وأن الناس يشربون الخمور، لا ما كان الأمر هكذا وقد أقر به معاوية بنفسه حينما قال ما قاتلتكم فهذا مما يرشد البصير العاقل أن الأمة كانت على علم ووعي بهذا الباطل وبهذا المنكر ويقينا ذلك ما كان إنكاراً لآية يعني ما قال لهم الحسين عليه السلام ألا ترون أن الحق لا يعمل

ـــــــــــــــ

١ـ تحف العقول: ٢٤٥.

به وأن الباطل لا يتناهى عنه لأن معاوية حذف بعض الآيات من كتاب الله، أو أن معاوية جاء لينكر مسلما من مسلمات سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ كلا هؤلاء لا يعملون مثل هذه الأعمال وحينما نقول إن المنافقين هم الذين حرفوا كتب الله تعالى لا نقصد أنهم حرفوها تماما نسخا وكتابة، ما تمكنوا منه في طول التأريخ أن يغيروه نصا غيروه كما تلاعبوا في التوراة والإنجيل وغير ذلك وما لم يتمكنوا من ذلك لانتشاره ووعي المجتمع راحوا ليبدلوا آية من حيث المعنى ويفسروها بتبع الهوى ويؤولوها بتبع الهوى هكذا صنع حكام المسلمين بلحاظ سنة رسول الله وبلحاظ كتاب الله المجيد، ويقينا ما كان ذلك إنكاراً لآية ولا لسنة مسلمة وإنما كان تحريفاً لواقع هذا الأمر لواقع تفسير صحيح سليم وسنة سليمة ساقوها إلى ما يخدم مصالحهم وأيدهم على ذلك العلماء الدجالون للتقرب إلى هؤلاء فأقول: أي حق ومعروف علينا أن نتأمل حتى نعرف أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يتكلم عن أي حق عرفنا أنه لا يتكلم لا عن صلاة ولا عن صوم ولا عن حج ولا عن تبرج فأقول أي حق أيها الأمة أي حق ومعروف هو أعظم من حق هذه الأمة؟ من عدلٍ لهذه الأمة، من أموال تنهب من هذه الأمة، من تأويل وتفسير بتبع الهوى تخدم السلاطين.

فإذن هذه الحقائق التي ضيعت ونسيت وهما الحق في مقابل

الباطل وعدل في مقابل ظلم أصبحا نسياً منسياً، والمتكلم عنهما سواء في حق المعارف والحق والكتاب والسنة أو في حق الأمة وظلامتها وذلها وهوانها المتكلم عنها إنسان منحرف يجب أن يطرد من المجتمع، فأي حق أعظم من عدل تعيشه هذه الأمة حياة الكرامة والرفاه لا الذل والهوان والتهجير والتسول في البلدان والمطالب بأي حق فلننظر إليه أين يعيش؟ إما في السجون أو يعيش تحت وابل من الرصاص متهما بألف تهمة بأنه خائن وعميل وأنه دجال وأنه وأنه ثم تأتي لتلحقه اللعنات من قبل الحكام على صعيد الإعلام لماذا؟ لأنه قال لم تظلمون هذه الشعوب؟ ستنهال عليه وسائل الإعلام من كل جانب ومكان تشن عليه هجمة من كل جانب لتثبت أنه عميل وخائن، وتنال منه أدوات الإعلان الناطقة والمكتوبة ليلاً ونهاراً وهذه مع الأسف هي مأساة هذه الأمة والشعوب نتاجها ذل أمة قبلت لنفسها الحقارة والذل لكي تعيش تحت سياط الحكام التي أذلت بواسطة توجيهات وعاظ السلاطين.

فإذن نقول ندع الأمر إلى الضمير الإنساني إلى الأمة بما هي أمة لتتأمل وترى أنه حينما ثار الأنبياء وكانوا ثورة على طول التأريخ ضد الظلم والجرائم كانوا ثورة ضد أي شيء هل أن كل هذه الأمور التي كانوا يتكلمون بها يحثون الناس ليصلوا صلاة الليل، كيف يمكن أن أدعوا الناس لصلاة الليل وهي تعيش الجوع

والفقر والهوان؟ فبدلاً من أن نظهر أنفسنا زهادا قديسين نريد من الناس أن يصلوا حتى صلاة الليل علينا أن نكون بواقع نخرج الناس من ذل فقرها وهوانها تحت سياط الحكام حتى نكون واقعيين أنا لا أقول أن صلاة الليل ليست مستحبة مؤكدة بل أنا أقول يجب أن نتجاوز مرحلة أساسية حتى ندعوا الناس بعدها إلى صلاة الليل أنا كيف أدعوا جائعا إلى صلاة الليل؟ أنا كيف أدعوا جاهلاً إلى صلاة الليل؟ يجب أن تكون الأسس الأولى وهي أن نأخذ بالناس إلى الرقي لمعرفة كتاب الله ولصلاتهم الأولى الأساسية الواجبة بمعرفة حتى يرتقي المسلم بها عارجا إلى الله مقيما لكل حق شجاعا قويا بإيمانه وبصلاته ومعارفه وبكل ما أوجب الله عليه ثم نذهب في مرحلة ثانية برقي آخر أما تكديس الكلمات كلها على حواشٍ لا ترتبط بأساس نهضة الحسين عليه السلام ولا ترتبط بأصول الدين المفروضة حتى ننسي حقيقة وواقعاً وأساساً تقوم عليه الشرائع ألا وهو القسط الذي يجب أن يكون حاكما ليكون الكتاب مفسرا حقا ولتكون الأمور صحيحة سليمة هذا الذي نريد أن نقول ما قامت به الأنبياء ودعت إليه الأولياء.

وعندما نقول أن المنافقين حرفوا كتاب الله لا نريد بذلك تحريفاً بنص الكتاب لأن الخطب الواردة عن الأئمة عليهم السلام دائما يستشهدون بكتاب الله ويقولون على أن كل حديث يرد عليكم

اعرضوه على كتاب الله لأن كتاب الله لا نقاش به لأحد وليس هناك من قائل بأن فلانا أو فلانا يدعي أن الكتاب محرف أو أمثال ذلك، التحريف الذي حصل تحريف للمعاني إبعاد المجتمع عما يجب أن يكون ملتفتاً إليه وما شاكل هذه الأمور وللحديث تتمة في حلقاتنا القادمة إن شاء الله سنتكلم بوضوح عن كثير مما تقدم الكلام عنه تقدم الكلام أنه ما المراد من سيرة لرسول الله وعلي عليه السلام ، تقدم الكلام على أنه ما المراد من الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقدم الكلام عن كثير من الأمور أشرنا إليها ولم نفصلها ما نسيناها لكن أردنا ونحن في بداية بحثنا حول الإمام الحسين عليه السلام وفي رحابه أن نركز على أمر ما هي الأسباب التي ساقت هذه الأمة بشموخها إلى الذل والهوان نبحث عن الأسباب حتى نخرج كيف ذلت هذه الأمة بيد الحكام ومن هو السبب لذلها أهم العلماء الذين أعطوا الصمت قائلين يجب على الأمة أن تتبع الحكام ولو كانوا فسقة ظالمين، فصمت كثير من العلماء عن كثير من الأمور وأن الشريعة ليست إلا صلاتا وصوما وحجا وخمرا وما شاكل هذه الأمور تاركين للشريعة بكل أبعادها مجزئين لها هكذا يجب أن نتأمل حتى لا نخدع بمظاهر قدس تبعدنا عن حقائق الشرع ومراد الأنبياء حقاً وباطلاً وعدلاً والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

هل الحسين عليه السلام ذهب مع أهل بيته الكرام لإسقاط إمبراطورية عظيمة آنذاك؟

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام وما يمكن أن نستفيد من قيامه الذي أسقط إمبراطورية عظمى آنذاك، لابد من التأمل في حقائق قد أشرنا إلى رؤوس أقلام منها، وهي ما المراد من الحق في مقابل الباطل، وما المراد من المعروف في مقابل المنكر، لكن لابد من التأمل في أمر، أن هناك على طول التأريخ سالت دماء كثيرة من الأنبياء وأوصياءهم و الأولياء والصالحين، وهذه الدماء بلا شك ولا ريب لا تختلف الغايات فيها، لا يمكن أن يتصور عاقلٌ على أن دماً لنبي لولي ولصالح أريق بآلاف السنين قبل الدم الذي أريق في كربلاء يختلفان في الغاية، فالغاية لأبناء الدنيا تختلف بتبع الهوى وبتبع المراد، لكن غاية أولياء الله هي غاية واحدة للشرف والكرامة علماً وعملاً، فإذا كانت هذه الدماء التي سالت جميعاً تصب في مصب واحد وغاية واحدة لا يتردد العاقل في ذلك، ولا يمكن أن نتصور حسيناً عليه السلام يقوم اليوم لغاية تختلف عن غاية قام من أجلها رسول الله صلى الله عليه وآله .

إذن لابد وأن نتأمل على أن هذه الغاية الجامعة مالمراد منها لتكون عزا وكرامة في الدارين أي الدنيا والآخرة؟ هناك أمر لابد من الالتفات إليه حتى لا تختلط لدينا الموازين والقيم، إن العظماء أنبياء كانوا أو أوصياء رسل أو كانوا من الصديقين والأبرار هؤلاء سكوتهم يكفي ليبحث الباحث والطاغوت وأصحاب الدنيا ليتقربوا إليهم لما لهم من الذكاء والمعرفة والكلام المؤثر في النفوس، فإذن الدنيا لم تكن مُعرِضَة عنهم بل هم كانوا معرضين عن الدنيا، حتى لا يتصور متصورفي المقام أن هناك نزاع بين حسين عليه السلام حسين العلم والعمل ويزيد كان لحطام الدنيا نزاعاً على رئاسة ومقام وجاه، العارف بواقع أبعاد النبوة والإمامة والذي يعيش واقع نفوس الأتقياء والأبرار يجزم جزماً قاطعاً ولا يتردد فيه، على أن هؤلاء لو أعطوا الدنيا بما فيها لا تهزهم ولا يشتاقون إليها ولا يرغبون فيها كما سيأتي الحديث عن الإمام علي عليه السلام في ذلك.

فإذن نجزم جزماً قاطعاًعلى أن هذه الدماء التي سالت على طول التأريخ كلها تسير تطلب أمراً واحداً، ما هوهذا الأمر الواحد؟ وكيف أصبحوا هؤلاء جميعاً على طول التأريخ وجهاً لوجه في مقابل أبناء الدنيا والطواغيت ما الذي جعلهم وجهاً لوجه في مقابل الطواغيت؟ أصمت يدفع لمواجهة؟ أكلام يشرح شرطاً لصلاة وجزءاً لصلاة يدفع للمواجهة؟ فلو أن عالماً فلو أن نبياً جاء ليقول

هذا معتقدي أن هنا كعبادة أعتقد بها وهي بكذا جزءوشرط، لا أظن أن قريشاً تتحرك وتتحمس وتقدم أفلاذ كبدها لميدان الحروب لكي تقتل أو لكي تقاوم فليعتبر مبتدعاً أو جاهلاً، كل حركة كانت من ولي على طول التأريخ وجدناها يبادر إليها الطواغيت لضربها بكل قوة وعنف، فالنأتي لننظر بواقعية من قرب لو أن حسيناً عليه السلام كان قد فتح حوزة يدرس فيها الصلاة والصوم ويبين فيها شروطاً تكون سببا لتصحيح صلاة أوصوم أو حج، هل كان مثل هذا يهز عروش الطواغيت ويتأثرون منه؟

لاشك ولا ريب أن الذي دفع بأولياء الله أن يكونوا في تمام حياتهم وجهاً لوجه في مقابل الطواغيت، هناك مبادي وأُسُس مبادي الحق في مقابل مبادي الشر، نور وظلمة لا يجتمعان، حق وباطل لا يجتمعان معروف ومنكر لا يجتمعان، فلذا نقول على الإنسان المؤمن حتى لايبتعد ويدخل في أمور ثانوية ليست من أسس المبادي لشرائع السماء، مبادي شرائع السماء قيم شرائع السماء قائمة على بيان حق أي على بيان وتوضيح آية لا يتمكن بعد توضيحها جاهل أو ماكر أن يستفيد منها لغاية، توضيح سُنة بكل معناها حتى لا يتمكن أن يجعلها جسراً شيطان وماكر ليعبر بها إلى غاياته الدنيوية، ولذا في كل زمان لو أن إماما من الأئمة أو وليا من الأولياء كان يعيش في قرية لنصبَّت عليها الجيوش لماذا تنصب

الجيوش؟

لماذا يفتش بيت الإمام الصادق عليه السلام ولو للإهانة في كل سنة مرة أومرتين، ولماذا يضَّيق على علي عليه السلام لماذا يخاف من أبي ذر ويؤخذ به من بلاد إلى بلاد ومن مهانة إلى أخرى حتى يؤخذ به ويدفع به لكي لا يسمع له سامع صوت إلى الربذة، هذه الحقائق هي التي تدفع بنا أن نتأمل على أن هؤلاء العظماء هل كانوا يتكلمون على صوم ومبطل له وصلاة وشك فيها وشرط حج وعن حرمة خمر فكان ذلك سبباًلغضب الطواغيت أو غضب الحكام، أم أن مثل هذه الأمور لا تغضب حاكماً ولا تغضب جائراً، الذي يغضب حاكم حينما يريد الحاكم أن يقول أيها الناس إنما قال الله تعالى في كتابه حينما أمر بطاعة الله ورسول الله وأولوا الأمر، نحن أولوا الأمر ثم يأتي دجال بعد أن يقول الحاكم أنا المراد من أولي الأمر فيقول أولوا الأمر هم أولوا الأمر ولو كانوا فسقة جائرين لا يجوز القيام عليهم، يتمم طريق الدجل وطريق الظلمة حاكم وماكر كوعاظ السلاطين، هذا الذي يدفع بالحكام أن يبادروا إلى البحث عن المؤمنين ولو كانوا في السجون ولو كانوا في الغابات، فيجب علينا أن نعرف أن الغاية التي بذل الأولياء دماءهم رخيصة ولا نشك ولا نتردد أن قطرة من دم ولي لا تعادل ما في السماوات والأرض عند الله ثمناً، كيف أرادها الله رخيصة أن تبذل وراحوا ليقدموها

طول هذا التأريخ الطويل يقدموها رخيصة لربهم، كيف قدمت رخيصة وهي موازين الحق وهي صراط الله المستقيم وهي يوم القيامة كل قطرة منها تكون ثقيلة في الميزان، كيف أصبحت رخيصة عند بارئها ما أصبحت رخيصة لنجلس باكين على هذه الدماء، صارت رخيصة لأن بها يقظة أمة تعرف الحق لأهل الحق وسبل الحق، لأن بها إحقاق حق وعدل يجعل الأمة تعيش كرامة وتعيش عدلاً ولا يوجد فيها يتيم يعيش الهوان والذل والجوع ولا أرملة ضائعة ولا أمة تأن من فقرها في أكواخها، هذه الحقائق يجب أن يلتفت إليها الإنسان حتى لا نضيّع غاية أهم لغاية أخرى، فنقول إذا عرفنا الغاية من بذل هؤلاء العظماء دماءهم الذكية رخيصة وهي لا أغلى منها عند الله تعالى، ثم رجعنا إلى أنفسنا وتساءلنا منها أحسين عليه السلام الصامت الذي غاية ما يتكلم به في مدرسة أو حوزة صلاةً وشكاً و صياماً وشرطاً لصحتها، أيكون محل هجمة من قبل الطواغيت؟ فإن أنصفنا من أنفسنا وجئنا لنعيش واقعا لهؤلاء العظماء، كيف عاشوا ولما كانوا دائماً وجهاً لوجه مع الطواغيت ثم جئنا لننظر إلى أنفسنا كيف نعيش أمناً، كيف لا يقصدنا حاكم كيف لا يهاجمنا أحدعرفنا إن لم نخدع النفس على أنا لا نعيش تلك الجهة التي كان يسير بها العظماء وذلك الطريق الذي كان يعيش فيه العظماء.

أريد هنا أن أنوه إلى أمر :مما لا شك ولا ريب فيه نجزم به جزماً قاطعاً أن حب الدنيا رأس كل خطيئة، ومما لا نتردد فيه على أن حب الزعامة والرئاسة والتخطيط من أجل الوصول إلى الكراسي وتحزيب الأحزاب من أجل الوصول إلى الكراسي وإن أعطيناها ألف مبرر وعنوان على أنها هي لخدمة لشرع الله، لكن الباطل لا يصبح يوماً من الأيام حقاً وإن ضحكنا على البسطاء من الناس، المذموم حب الرئاسة والمذموم تحزيب الأحزاب وتنظيمها للوصول إلى سدة الحكم، وأقول بقطع وجزم ويقين ليس هناك من عابد ومتقي يوماً من الأيام خطط وفكر لقبض أزمَّة الأمور، هاهي الأمة راحت لتجتمع في سقيفتها وعلي عليه السلام معرض عنها، وثلاث أيام تؤكد وتصر وهو يعتذر أن يستلم أمورها وكما سيأتي الكلام، وهكذا هم رجال الله، الذي يهمهم و يدفعهم ليس صراعا على حطام الدنيا مع الحكام، وذلك مما يغضب الحكام والحاكم لو نازعه ولده لقتله لكن هل كان السبب قتل هؤلاء وسمّهم وسجنهم و تشريدهم والتضييق عليهم والعمل الدءوب المستمر بواسطة وعاظ السلاطين، على منابرهم لينالوا منهم بشتّى الطرق والافتراءات لينقصوا مكانتهم بأعين الناس، هل كان لأنهم كانوا يخططون للزعامة؟ كلا فإذن يجب أن نعرف أمراً حتى لا تختلط علينا الأمور.

ما كان سبباً لمواجهة الحكام وجهاً لوجه ليس تخطيطاً لقبض أزمة الأمور، وهم يعرفون ويعلمون ولا يفكر أحد منهم في زعامة لأنها كُلفة على عاتق وليست راحة بال، فإذا كانت مشكلة و كُلفة وإذا كانت بلية فلا يخطط لها إلا أن يُبتلى بها فتكون على عاتقه كما سيأتي لولا حضور الحاضر، فهل أن الحسين عليه السلام راح ليتحرك للعراق لقبض أزمَّة الأمور لصراع مع بني أمية كما يتوهم البعض لأن من حقه هذا، كل حق شخصي يسقطه أي ولي من الأولياء ولذا نرى الحسين عليه السلام في ليلة العاشر من محرم على قلة العدد الذي معه يخاطبهم هذا الليل اتخذوه جملاً.

فإذن لو كانت الأمور ترجع إلى حق شخصي لما طالبوا به حتى ولو كان من حقهم الشخصي أن يكونوا هم قادة هذه الأمة، وفي كل زمان المخلصون المتقون من حقهم القيادة لا الجهال والمجرمون، نقول لو كان حقا شخصيا لما سعوا إليه، والدنيا كلها لا قيمة لها عندهم الحسين عليه السلام كالحسن عليه السلام كأي أمام من الأئمة كأي متقٍ من المتقين ما هو الواجب عليه بيان حقٍ في مقابل باطل، أي تفسيراً لآيةٍ تفسيراً سليماً ومن فسَّر آية تفسيراً سليماً تواجه مع الطواغيت، لأن بتفسير الآيات وفهمها فهماً سليماً لا مجال لظلمات الدجالين ووعاظ السلاطين، وإذا بُينت سُنة بياناً صحيحاً صارت سبباً ليتواجه العبد الصالح نبياً كان إماماً و وصياً

كان أو أي إنسانٍ مؤمن مع الطواغيت، لأن هذه المعارف بواقع علمها التي هي نور لا يجتمع مع الظلمة يدفع لمواجهة الحكام، والأمر الثاني الذي يدفع للمواجهة الكلام عن العدل، أين صرفت وتصرف أموال بيت مال المسلمين، لماذا أنتم في القصور والفقراء تأن في أكواخها، لماذا لم تحققوا العدل بين الرعية، لماذا تسجنون الناس على الظنة والتهمة، ولماذا كل من يخالفكم تطبقون عليه أنه كافر ومشرك، ولماذا كل من يخالفكم تطبقون عليه بتبع الهوى الآيات فتجعلون الناس جميعاً كل من يخالف حاكماً محارب لله وللرسول صلى الله عليه وآله ومفسد في الأرض، وأنتم المفسدون في الأرض تبتعدون عن واقع الآيات التي أنتم مصاديقُها وتجعلون الأمة مصداقاً للمحاربة لله وللرسول وللفساد في الأرض.

فإذن نقول إن الحسين عليه السلام هو الحسن عليه السلام ليست هناك من مناهج متعددة ولا سُبل متعددة، لما دعى أهل العراق الحسين عليه السلام كان بواقع تقدم بالنسبة إلى أبيه علي عليه السلام حينما جاءته الأمة بعد مقتل الخليفة الثالث مصرة ثلاثة أيام فقال مقالته الشهيرة «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر»[1].

وهنا أقيمت الحجة على الحسين عليه السلام على أن أمة تأن تعيش

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٤٨، الخطبة الشقشقية.

ذلا وهواناً مما ارتكبه الظالمون، تطلب الأمة منك يا حسين النُجدة وتستغيث بك يا ابن رسول الله فكيف لا يكون منقذاً لها وكيف لا يكون ملبياً لدعوتها.

فإذن لا تختلط الأمور، الحسين عليه السلام وقع فيما وقع فيه الإمام علي عليه السلام بعد مقتل الخليفة الثالث، إن جاءت الدعوة وأقيمت الحجة كان على ولي الله أن يلبي دعوة الداعي والمستغيث، حينما يقول له خلصني من ظلامتي من ذلي من هواني فراح ملبيا لدعوة لكن لا يتصور متصور أنه لولا توجه دعوةٍ من العراق لكان صامتاً كما نحن صامتون، ماكان صامتاً لو كان صامتاً لما كان يفكر فيه معاوية ليله ونهاره، ماكان صامتاً كما نصمت ما كان محجماً للشريعة صلاةً وصوماً، كان يتكلم على صعيد الشريعة بتمامها وكلها، وبيان الشريعة بتمامها وكلها بآياتها و رواياتها و سننها وهذا يسوق كل عبد في كل زمان إلى المواجهات، ولذا يكون المؤمن مبتلى لأنه يبين حقا سكت عنه الساكتون وتلاعب به العلماء العالمون فلما يبين حقاً يبتلى، الناس يظنون أن هناك خصوصية للناس بأمراضها وفي كثير من الأمور الكثير من الأمور هي أمور مشتركة، قد يصب الله بلاءه بمرض على عبد لا ننكر ذلك لكن ليست هذه الوجوه المشتركة هي المائز بين المؤمن والغير مؤمن، المؤمن يصب عليه البلاء لأنه يرى باطلاً فيتكلم، المؤمن يصب

عليه البلاء لأنه يرى دجالاً يفسر آية بتبع الهوى لمرضاة الحكام فيتكلم على خلاف ذلك فيتواجه مع مشكلة، المؤمن يرى أرملة ويتيماً في كوخهم يضجان ويبكيان فيبكي ويتأثر ويصرخ أيتها الظلمة الحكام كفوا ظلمكم عن الشعوب، هذا ما يجعلهم يعيشون بلاء الإيمان، الفقر بما هو فقر يكون بلاء والمرض بما هو مرض يكون بلاء واختبار يختبر الله به كل البشر، لكن المؤمن مبتلى لما عليه من ثقل وبيان حق في مقابل باطل ومن نداء لعدل في مقابل ظلم، هذا ما دفع بهم لأن يكونوا وجهاً لوجه في مقابل الحكام والظلمة.

فإذن نعود فنقول حتى لا تختلط الأمور ونكون قد أقمنا حجة لمن أراد أن يتأمل، كل عالم على طول التأريخ لا يختلف حاله من زمان وزمان آخر، هذه الدماء التي أريقت سيلاً في طول التأريخ من الأنبياء والصالحين والأولياء والشهداء ومن كان في ركبهم ويكون إلى يوم القيامة، إنما أريقت للحق حتى تخرج الناس من ظلمة الجهل إلى المعارف، فإن عاشت الأمم معرفة أصبحت لا يضحك عليها الضاحكون، كيف يمكن أن تصبح الأمم تعيش معرفة والعلماء بعواصم العلم متمسكون، ولا يذهب إلى القرى والأرياف لبيان الحق إلا خطيب يريد درهماً وديناراً، ولا أقول جميعاً حاشا لله لكن أقول لو أنا عشنا في القرى والأرياف لو أن

العلماء عاشوا القرى والأرياف، وراحوا كما كان الرسول صلى الله عليه وآله طبيبا دوارا بطبه فلو راحوا لينشتروا في الأرض في قراها في مدنها هم يطرقون الأبواب على الناس ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، لما تحكّم في رقابهم الظالمون ولكانوا واعين و ملتفتين بمجرد أن تخرج نبرة شيطان يعرفونها، فالذي سلط الطواغيت على هذه الأمة ويسلطها عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسلط الشرار على الأخيار وهذا كلامٌ ليس لي هذا الكلام يعود إلى آية ورواية وعلى الناس أن يرجعوا إلى الآيات والروايات.

فإذن الذي ساق المؤمنين وكان بلاءاً خاصاً بالمؤمنين هو بيان الحق، ولا أريد من بيان الحق الذي يتكلم به المتكلمون دائماً هذه قالها معاوية بنفسه ما قاتلتكم لتصوموا ولتصلوا ولتحجوا، الناس تحج وتصوم وتقوم بفرائضها الناس حجمت الدين فصار الدين قضية شخصية وسقط الدين عن عنوان كونه سبيل الحياة للكرامة، ولما سقط عن كونه سبيل الحياة للكرامة وعاشت الأمة بدلاً من العلم والمعرفة جهلاً، وعاشت الأمم بدلاً من القول قف أيها الحاكم لا تظلم الناس عاشت صمتاً فصار الصمت زهداً فلما صار الباطل حقاً وقعنا فيما وقعنا فيه، حتى وصلنا أنه إذا دخل الرجل الصامت الذي لا يتكلم إلا عن شك في صلاة وحكم لحج إذا دخل مسجدا أو حسينية أشرنا إليه بالبَنان معظمين له هذا القديس

الذي يمشي على الأرض وهو من الملائكة الكرام، إذا أصبحنا هكذا قد انقلبت لدينا المقاييس وتبدلت حتى صار من عبَّر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله: الساكت عن الحق شيطان أخرس، وصار عندنا كتمان الحق من مظاهر الزهد والتقوى وصارت الناس ملقَنة بذلك هذا الذي وقعنا فيه.

فإذن أقول لا يتصور متصور أن حسيناً عليه السلام راح بأهل بيته ليسقط إمبراطوريات هذا لا يفعلها أي عاقل، ولا يتصور متصور أن حسيناً عليه السلام حينما وصل إلى مشارف الكوفة وعلم بخذلان أهل العراق له أصر مع قلة عدده أن يقاتل، منع من الرجوع فدار أمره بين الذل والهوان استسلاماً بين يدي عبيد الله ابن زياد يفعل به ومن معه مايشاء أو يقاتل فيموت كريماً فرجح حياة الكرامة على الذل، لا تختلط علينا الأمور فنتكلم بأمور غير سليمة.

فإذن دُعي أو لم يدع إلى العراق في كل الحالات كان عظما في حناجر الطواغيت.

لو كان في العراق لو كان في المدينة لأجبر على البيعة، وهنا أمر لابد من الالتفات إليه لعل قائلاً يقول لو أن الحسين عليه السلام ما دعاه أهل العراق ليقوم بحكومة عدل في العراق أكان يبايع يزيدا أو ما كان يبايع؟ نقول ما كان يبايع يزيد مع كل ذلك، لماذا لا يبايع يزيد؟ هذه نقطة يجب أن نتوقف عندها بكل إمعان وتأمل، حينما

يقول الحسين عليه السلام ومثلي لا يبايع مثله) مثل حسين لا يبايع مثل يزيد شارب الخمر جهارى، ماذا يريد أن يشير الإمام الحسين أن الذين يأتون من بعده أبرار أتقياء فلذا سيبايعهم الأئمة من بعدي، الجريمة واحدة والشاكلة واحدة ما تجاوز يزيد ما ارتكبه من بعده بنو أمية ولا ما ارتكبه من بعده بنو العباس كلٌ كانوا على شاكلة واحدة يتسابقون في الجرائم والظلمات، فكيف يقول مثلي لا يبايع مثله، أي مثلية يتكلم عنها؟ هذا أمر أشرت إليه في كثير من المواطن، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ضُرب الدين بمحتواه الباطني وحفظ الإطار، فقام الإمام علي عليه السلام لينبه ويلفت نظر الأمة والبشرية إلى خطر محدق، بما كان قد أحدق بالتوارة والإنجيل فبقي إطاراً ثم تلاعب المتلاعبون بعد ذلك، ووقفت السيدة فاطمة عليها السلام في المسجد النبوي لا في بيتها حتى ينكر ما تقول أو يدعى على أنها ليست فاطمة التي جاءت بنفسها إلى المسجد النبوي، ونبهت و بينت وتكلمت على أن هناك خطرا عظيما يحدق بهذه الرسالة وجعلت التكليف من عاتقها على عاتق المهاجرين والأنصار الذين بذلك كانوا عالمون، هذه هي الوقفة الأولى التي حصلت بعد وفاة رسول الله، لا لكي ينازع علي عليه السلام القوم على خلافة ورئاسة في السقيفة حاشاه من ذلك ولا يتصور متصور في ذلك أن ينزل إلى هذا المستوى، أن عليا عليه السلام كان يناقش القوم ويصارعهم على زعامة

ورئاسة دنيوية، علي عليه السلام كان ينازع القوم مواريث الأنبياء أيها القوم إذا كنتم تريدونها حكومة أعلنوها حكومة أعلنوها رئاسة أعلنوها حكومة عربية أعلنوها تحت أي عنوان لا أنازعكم على ذلك، لكن تقولون أنا نُقيم سنة رسول الله ونطبق كتاب الله هذا الذي لا أقبله.

فإذن حينما وجد الإمام علي عليه السلام، و وجدت فاطمة عليها السلام أول جندية في ركاب الحق وقفت مع علي عليه السلام، حينما وجدا هجمة و وثبة خطيرة يتصارع فيها المتصارعون على الحكم ولا يمكن أن يطبقوا حكما تفسره الآيات واقعا كما أراد الله وتفسر السنة كما أراد اللهف أرادوها منبهاً لي وإلى غيري والأجيال إلى يوم الدين، أرادوها منبهاً أيها الناس أيها المسلمين اعلموا أن هناك وثبة لضرب المحتوى وإبقاء الإطار، ثم جاء الإمام الحسين عليه السلام ليقول مقالته في المرحلة الثانية حينما ضرب المحتوى والإطار معاً، فنسفت الشريعة لأن أمير مؤمنيها يشرب الخمر جهارى فما بقي شيء.

فإذن مرت هذه الأمة بمرحلتين مرحلة نسف المحتوى وإبقاء الإطار وهذا الذي حذر منه علي عليه السلام وحذرت منه فاطمة عليها السلام، وهذا الذي ساق أبا ذر وعمار وهؤلاء الأبرار أن يعيشوا اضطهاداً، ثم جاءت المرحلة الثانية وهي أن تنسف الشريعة جهارى، أمير المؤمنين خليفة نبي الله الذي يجب أن يكون مظهر العدل والعلم والحكمة ومظهر الإحسان ومظهر الأسماء والصفات

الإلهية، وإذ به مظهر قتل النفوس و مظهر اللعب بالقرود وشرب الخمر وكل جرم وجريمة هذا المظهر بكل ظلماته قبلته الأمة أميراً للمؤمنين، أراد الإمام الحسين عليه السلام أن يقيم حجة ويكون سبباً لعظيم حساب لأمة قبلت مجرماً جاهلاً فاسقاً ولطاغوت نصب على هذه الأمة أمثال هؤلاء، فأرادها حجة أرادها انبتاهة لنا إن كنا أهلاً لكي نستيقظ من غفلة.

فإذن نقول ونؤكد على أن هناك أمور يجب أن لا تختلط مرت الرسالة المحمدية بعد وفاة الرسول الأعظم بمرحلتين، المرحلة الأولى وقف لها علي و وقفت لها فاطمة عليها السلام بمن تابعهم على هذا الواقع وعانوا ما عانوا من البلاء، ثم مرت رسالة محمد صلى الله عليه وآله بهجمة و وثبة أخرى أشرس من الوثبة الأولى لكي تنسف كل شيء بما له من الإطار فوقف حسين عليه السلام ووقفت زينب عليها السلام لهذا الواقع، حتى تعرف النساء أيضاً على أن الواجب ليس فقط على عواتق الرجال ليس هناك من خصوصية بأمر بمعروف ولا بنهي بمنكر للرجال دون النساء، والآيات صريحة على أن الأمر بالمعروف واجب على مسلم ومسلمة، فنقول هذا أولاً لو لم يدعوا الناس الحسين عليه السلام إلى كربلاء لما كان يبايع يزيد أيضاً وإن بايعه من يأتي من بعده، لما لم يبايع؟ لأنها مرحلة تاريخية جديدة بنسف الشريعة بتمامها فإذا قبلتها الأمة مرة ثانية من

بعدما قبلت بعد يوم السقيفة أمراً تمت الحجة، أن هذه الأمة التي تنسب نفسها إلى سيد الكائنات، تريد وبكل قرارة نفس و تقبل أن ممثل سيد الكائنات شابا شاربا للخمر حتى تواجه ربها بهذا الوجه الأسود، أنها أقرت وبعد ما أقرت ما سمعنا أن من بعد الحسين عليه السلام جاء إمام من الأئمة وقال إني لا أبايع حاكماً، هذه بيعة الحرية من بعد ما قال تعالى لا إكراه في الدين فإذا كانت الأمة بمستواها العقلي وبمستواها المعرفي ترى هذا ديناً ترى هذا إسلاماً فليكن إسلاماً لها.

فإذن نقول يجب على الناس أن يعلموا على أن الحسين عليه السلام وأن الأبرار وإمام المتقين علي عليه السلام ما خرج من إطار واقعه، الإطار الواقعي هو أنه لا إكراه في الدين فلما أرادت الأمة في السقيفة رجالاً ما خالفهم على ذلك وإنما خالف لبيان الحق أن انحرافاً قد حصل وأن من جعلتموهم قادة ليسوا هم أصحاب مواريث النبوة، ومسألة الغدير لا أريد أن أدخل فيها لا يغالط نفسه في الغدير إلا دجال أو جاهل، وقال الحسين عليه السلام مقالته حينما نسفت الشريعة فلما تمَّ على أن هذا الأمر تم على أن هذه الأمة قبلت يزيدا وستقبل من بعده من هو مثله أمراء للمؤمنين، جاء بقية الأئمة واعتبروا هذا الذي تريده الأمة دينا هو دينها فليس إقراراً وبيعة واعترافاً بشرعية، بل هو اعتراف وإقرار بأن الأمة التي تريد شيئاً تكون حرة فيه، وهذا الذي

فهمته الناس إلى يومنا هذا ظنوا أن الأئمة بايعوا الحكام، ما بايعوا على أن هذا هو إسلام، بايعوا لحرية الرأي لأن القاعدة لا إكراه في الدين، فلما قبلت الأمة أن هذا هو النور الذي جاء به محمد وإن كان ظلمة فلتواجه الأمة ربها بهذه الظلمة، وهاهنا يجب أن نلتفت إلى أمر فنتسائل بعد هذه المقدمات فقد قلنا الآن بجزم ويقين وقطع لا نشك بأن الأنبياء والأوصياء والصالحين من عباد الله جميعاً عاشوا الصعاب قتلاً وسجناً، لكن هنا هل كان سبب ضيق الحياة والاضطهاد الذي عاناه هؤلاء العظماء من الحكام كان لتنافس في حطام الدنيا؟ أبدا، هل كان لأن لهم حقا شخصيا في هذا فقاموا من أجل ذلك الحق الشخصي؟ كلا، وها هو إمام المتقين ومن جاء من بعده سلك هذا المسلك وهم جميعاً بمسلك واحد والدماء التي سالت من زمن آدم عليه السلام حتى قيام الساعة إن كانت للحق سالت لغاية واحدة، وهاهو زعيم بني هاشم علي عليه السلام يقول «وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى»[1].

الذي يتكلم هذا الكلام لا يريد أن ينازع أحد على حكم أي على رئاسة دنيوية، بل على مواريث النبوة لو أنهم جاءوا و قالوا أنه

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٣٤٦، خطبة رقم ٢٢٤.

حكم أيها الناس إسألوا دينكم من علي لما خالف أحدا أبدا، وها هو القائل ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه أي بثوبين خليقين قديمين باليين ومن طعمه بقرصيه ثم قال في نفس الخطاب : فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا أي ذهبا ولا ادّخرت من غناءمها وفرا أي شيء ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً أي ما هيأت غير الذي ترونه من هذه الثياب البالية ولا حزت من أرضكم شبرا أهذا ينازع أحدا في السقيفة على حكم) نازعهم على مواريث النبوة التي جاءوا ليفسروها بتبع الهوى وهو القائل أيضاً «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عِراق خنزير في يد مجزوم»[1] . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٥١٠ ، كلمة ٢٣٣ .

ماذا قال أبناء العامة عن ثورة الحسين عليه السلام ؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الحسين بن علي عليه السلام وما يمكن أن نستفيد من عطائه للإنسانية والأمة الإسلامية قد وصل بنا البحث إلى هاهنا وهو ما قاله علي عليه السلام «واللهِ لدنياكم هذه أهون في عيني من عِراق خنزير في يد مجذوم»[1] المراد من العراق بكسر العين هو من الحشا ما فوق الصُرة معترضاً البطن من عراق خنزير.

فإذن هو شيء في أحشاء خنزير هذا الشيء وهذا الكلام بالنسبة إلى من هو مسلم مؤمن وإلا ربما استذوق الخنزير غير المسلمين، هو يتكلم بروحية إيمان ومعتقد إسلامي بما للخنزير في الإسلام من حرمة ونجاسة، ونفرة في عيني من عِراق خنزير هذا الخنزير في يد من؟ في يد مجزوم وهو المصاب بالجذام هذه هي الدنيا بعين علي عليه السلام، والغريب هاهنا أن الدنيا قد يعشقُها قومٌ فيبذلون كل غالٍ ونفيس لأجلها سعياً للخلد فيها وإن كانوا

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٥١٠، كلمة ٢٣٣.

يجزمون أن لا خلد، لكنهم يعملون عمل الراغب في الخلود ويبذلون كل غالٍ ونفيس من أجلها ومن أجل غاياتها هكذا هم أكثرية البشر، وهناك من يحب الدنيا حباً عادياً وقد تكون الدنيا بالنسبة إلى البعض مغرية لكنها إغراءاً عادياً، والكلام من الإمام علي عليه السلام ليس بهذه المثابة ليس إعراض عن الدنيا شخصٌ قد يمر بقصر يعرض عنه لأنه ليس من غاياته، يمر بسيارة وهو معرض عنها لأنه ما فكر في سيارة، لكن الحديث هاهنا ليس إعراضاً بل إنما هو نُفرة الإمام حينما يصفها بعراق خنزيروهو مؤمن مسلم في يد مجزوم.

فإذن يريد أن يحكي واقع هذه الدنيا بالنسبة إليه أنها موجبة للنفرة موجبة للابتعاد، هل لأنه يشهد بواطن الدنيا ؟هل لأنه يشهد زوال الدنيا؟ هل لأنه بشهود العارفين وجد الدنيا بما لها من الدنائة والخِسَّة ؟ كل هذه قد تجتمع في بصيرة المؤمنين.

فإذن يجب هاهنا أن نتأمل على أنه حينما وصفها بهذا الوصف، وهو الصادق المصدق الذي لا يتردد فيه إلا من أصيب بالنفاق، وهذا باتفاق الأمة الإسلامية أن من بغض علياً لا يكون إلا منافقاً، نتكلم عن المسلمين أما غير المسلمين ربما البعض منهم ما سمع حتى باسم علي عليه السلام، هكذا هي الدنيا بأعين أوليائه مثل هؤلاء العظماء أيتنافسون في مثل هذا لما كانت نظرة أبناء الدنيا نظرة

ضيقة راحوا ليتكلموا بكلام وينسجون من عالم الخيال وهماً، حتى قال قائلهم على أنه لما نزل ملك الموت على موسى عليه السلام غضب وضربه ولما علم نوح عليه السلام من بعد طول عمره تألم ألماً شديداً، هؤلاء حينما يأتون ويتكلمون عن أولياء الله، حينما يتكلمون عن الذين مرتبطين بالله سبحانه وتعالى كُلفة ينتظرون انتهاءها، ليذهبوا إلى دار الخلد إلى دار الرضوان والنعيم ومجاورة الله وأوليائه، هؤلاء حينما ننظر إليهم بمنظارنا الضيق وبغاياتنا الدنيوية نذهب لنأخذ نتيجة حتى للأنبياء، على أنهم هكذا يحبون الدنيا لأننا أحببنا الدنيا فظننا كل أحد مثلنا، فليس بلوم على مثل هؤلاء أبناء الدنيا إذا يتردد ترددهم في واقع هذه الكلمات من علي عليه السلام، لأنه قد تردد بشرف الإنسانية قد تردد بواقع الدنيا لأنه ما عرف الدنيا، فظن أنه من المستحيل أن يكون هناك أحد على وجه الأرض لم يحب هذه الدنيا، هكذا هم أبناء الدنيا كما وأن الجاهل يستغرب من كلام العالم، والبخيل اللئيم يستغرب لماذا هذا الإنسان يعيش هذا الجهل، فيبذل أموالاً إما لكرم وعلو نفس يبذل وإما لمعتقد بالآخرة يبذل، يستغرب منه لأن اللئم مع الكرم لا يجتمعان، فلا يتمكن أن يدرك كيف هذا يبذل فيفسر بذله بالجرم وهكذا.

فإذن نقول لا نستغرب ولو من مسلم يدعي الإسلام لأن الإسلام ليس إدعاءاً الإسلام معتقد ومعرفة، فمن جاء ليتصور قيام

الحسين عليه السلام كان لأجل الدنيا حكى نفسه وحجبها وعدم فهمه لأولياء الله، وقد قال علي عليه السلام أيضاً وهو يمر بمزبلة، ويشير إلى المزبلة ومافيها «هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس»[1]، هكذا هي بصيرة العارفين.

وقال علي عليه السلام أيضاً «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة» متى قال هذه المقالة، حينما جاء الناس لتزدحم على داره مصرة ثلاثة أيام أن تبايع علياً عليه السلام «لولا حضور الحاضر»[2] يعني لولا تواجدكم وإقامة الحجة علي على أنكم أردتم شرع الله فرفضتكم، وإلا فأنا عارف بكم، من ذهب في السقيفة ليبايع قوماً ليسوا أهلاً لايبايع اليوم حقاً، هذا لا يتردد فيه علي عليه السلام ولا يتردد فيه أي مؤمن نظر ببصيرة، «وقيام الحجة بوجود الناصر» أقمتم علي حجة بأنكم من أنصار الحق لإقامة دولة الحق، وأنا أعلم أنكم لستم كذلك و كلامه الآخر وكلماته الأخرى تبين هذا، أقمتم الحجة وما أخذ الله على العلماء وهناك أمر أقمتم الحجة فيه أو لم تقيموا هو على عواتق العلماء كل واحد على قدر ما يتمكن، سواء كان في سلطان أو كانبقدر ما على كل مؤمنة ومؤمن أخذ الله

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٥٠٥، كلمة ١٩١.

٢ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٤٨، الخطبة الشقشقية.

سبحانه و تعالى وما أخذ اللهعلى العلماء، لماذا يقيده بالعلماء لأن الجاهلقد يأمر بالمنكر ويظنه معروفاً إذن قيده بالعلماء «وما أخذ الله على العلماء أن لايقاروا على كظة ظالم وسغب مظلوم» شرحت هذه الكلمات في شرحي لخطبة الشقشقية، لولا هذا لألقيت حبلها أي الخلافة التي تتنازعون وتتصارعون وتصارعتم عليها «لألقيت حبلها على غاربها»، فرضها دابة فرضها ناقة ولسقيت آخرها، من هم الآخر؟ المتواجدون الحاضرون الذين صارت الحجة قائمة بهم على أنهم جاءوا يريدون حقاً وعدلاً، «ولسقيت آخرها بكأس أولها» أين الكأس الأول الذي سقى علي عليه السلام هذه الأمة به، حينما وجدهم على الدنيا يتصارعون في سقيفتها، ولذا قلنا ونقول لا يستغرب الإنسان كيف نازع القوم وكيف اليوم يرفض أن يكون زعيماً لهم، نازع القوم مواريث النبوة واليوم يبين واقع أمة أنها ليست أهلاً لهذه المواريث، وما نازع يوماً أبناء الدنيا دنياهم وسلطانهم، وهو الذي نصح أبا ذر وتكلم مع غيره دعهم هؤلاء لدنياهم، بكأس أولها ولألفيتم و وجدتم دنياكم، شاهدنا هاهنا فهي ليست كما تظنون، و «لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» هكذا هي الدنيا بواقع منظار علي عليه السلام، وهو الذي قال بالنسبة إلى نفوس المتقين أنا لماذا أتكلم بمثل هذه الكلمات؟ لأن هناك جهلاً لأن هناك عماء لأن هناك بطون متراكمة من رواسب

الجاهلية، راحت لتظن أن من قام لأمر إنما يقوم للدنيا فظنوا كل قائم لحق يقوم للدنيا لأنهم جعلوا أنفسهم مرآة لشهود العارفين، وكانت تلك النفوس مرآة لشهود الطواغيت والفراعنة، وهو أي علي عليه السلام القائل بالنسبة إلى نفوس المتقين ومقامهم الرفيع، يقول بالنسبة إلى المتقين وهو إمام المتقين وهو صاحب الغدير وهو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، فالأمة التي تشك في قيام للحق لأمثال هؤلاء لا أدري أترى الحق في وجه يزيد.

قال عليه السلام في وصفه للمتقين «لولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين»[1] هكذا هم المتقون لكن مثل هذا العظم كيف يمكن أن يدركه أبناء الدنيا، «شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب» لماذا وصل بهم الأمر إلى هذه المرحلة، مشتاقين إلى ربهم، يريدون يوماً هم ينتظروه، يريدون أن تنتهي كلفة الدنيا ليخرجوا إلى ربهم في رضوانه وجنانه وفي جوار المتقين والأنبياء والصالحين، قال «عظم الخالق في أنفسهم» من وجد الله كيف يجد غير الله كبيرا من جزم وتيقن بعطاء الله نعيما وجناناً، وكيف يتمسك ويخلد إلى الأرض هذا من المستحيل لكنّا لسنا بمؤمنين «فصغر ما دونه في أعينهم» هكذا يتكلم إمام المتقين

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٣٠٣، خطبة ١٩٣.

عن المؤمنين فكيف بأولياء الله فكيف بحسين عليه السلام فكيف برسول الله صلى الله عليه وآله وكيف بالأنبياء والعظماء، حتى يصل بنا الجهل أن نقبل إسرائيليات في حق الأنبياء على أنهم حينما يأتيهم الخبر، أو يحسون على أن أجلهم قد قرب يتأثرون ويخافون ويضطربون وكذا وكذا ويغضبون وما شاكل هذا الجهل الذي قبلته الأمة حتى بالنسبة إلى العظماء من الخلق.

فإذن لابد أن نتأمل وبكل دقة وإمعان أن أي أمر بمعروف ونهي عن منكر وأي حق في مقابل باطل كان ومازال ليومنا هذا يزعج الحكام، وكان سبب الحقد على أولياء الله تعالى ليعيش أولياء الله على طول التأريخ القتل والسجون والاضطهاد والهجرة، فنقول لا شك ولا ريب أن هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما واقع العلم في مقابل الجهل بياناً لهذه الحقيقة، وهما واقع العدل في مقابل الظلم أساسان قامت عليهما دعوة الأنبياء جميعاً، وسارا بتحقيقهما لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ولإخراجهم من ذل الجور والاستبداد ليعيشوا حياة كريمة لا حياة المذلة والهوان.

ولكن هل أن مجرد البكاء على الحسين عليه السلام من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله على طول التأريخ، هل كان هو السبب لغضب الحكام هل مجرد أن أمة تبكي ولياً يغضب حاكماً، كلا كما وأن بيان

حكم لشك في صلاة كما قلنا أو في صوم أو حج لا يغضب حاكماً، كما ولا يخاف الحاكم على عرشه وإنما يخاف أن تخرج الناس من جهلها إلى نور العلم، أن تخرج الناس من ذلها للطلب بتحقيق العدل، هذا ما يخيفهم والأداة التي كانت تثير هذا الواقع هي العظماء المتقون على طول التأريخ، لكن هاهنا يجب أيضاً أن نتساءل من أنفسنا هل أن مجرد دمعة تجري من موالٍ لأهل البيت عليهم السلام لأنه تألم على مجزرة وقعت يوماً قبل قرون في التأريخ، هذا البكاء بما هو بكاء على الحسين عليه السلام أيهز عروش الطواغيت ليعيشوا غضباً مستمراً، حتى أن وصل بهم الأمر أن يهاجموا قبر الحسين عليه السلام طيلة التأريخ كراراً وتكراراً، الحسين في قبره وهم يعيشون الخوف منه، ألدمعة جرت بما هي دمعة من موال، هزت عروشهم، هل كان سبب غضب الحكام وأوليائهم وأذنابهم من وعاظ السلاطين هي تلك الدمعة بما هي دمعة، أم أنهم علموا ويعلمون أنه بكاء يُخرج من غفلة ليست دمعة عادية هذه دمعة الشرف والكرامة دمعة على شهادة الحرية والإنسانية والعدل والقيم السماوية جميعاً، التي سقطت في كربلاء يبكون هذا الشرف والعظم ويحاولون إحياء ما قام به الحسين عليه السلام، هذه الروحية هذا الواقع هو الذي يهزعروش الطواغيت والمجرمين، أم أنهم أي الطواغيت يعلمون أنه بكاء يخرج من مذلة، ويحدث ثورة ضد

الطغاة والظالمين، لماذا يخافون من مثل هذه الدمعة ومن مثل هذا البكاء، لأنه بكاء العارفين من كان من أتباع آل محمد ﷺ دمعته دمعة عرفان، دمعته دمعة الثورة لتحقيق العدل، لأنه بكاء العارفين بمبادئ الحسين عليه السلام التي هي قيم رسالات السماء نوراً وعدلاً، والنور بما هو نور ينسف ظلمات الجاهلين، والعدل يسقط عروش الظالمين من هاتين يخافون، فالبكاء منا والحزن إنما هو على تلك المبادئ و القيم والشيم التي قام من أجلها الحسين عليه السلام، البكاء هنا على حسين الكرامة والعظم والشيم والقيم حيث أن باستشهاده استشهدت هذه المبادئ، وهذه القيم على أيدي الظالمين المتلبسين بلباس الدين، الذين سمتهم هذه الأمة لجهلها وسقوطها بأمراء المؤمنين، والدجالين المتلبسين بلباس الدين من رجال الدين على طول التأريخ هؤلاء هم الطامة الكبرى، العالم الشيطان الماكر إذا تلبس بلباس الدين،

وسنخصص أيها الإخوة والأخوات بإذن الله تعالى ليلة للحديث عن هذا الحزن وعن هذا البكاء على الحسين عليه السلام، حتى لا يتصور الجاهلون أنه بكاء على حدث مرت عليه القرون، إنما هو بكاء على القيم على الشرف على الكرامة التي نادى بها الحسين عليه السلام، هل جهلتها هذه الأمة فعاشت ذلها جهلاً وهواناً وخسة وظلماً، إذن ما كان الصراع والنزاع الذي ساق على طول

التأريخ إلى قتل الأولياء وسيل الدماء الطاهرة صراعاً على الدنيا كما يتوهم ذلك أبناء الدنيا وعلى كراسيها وزينتها، وإلا لو كان هكذا لكان صراع بين الباطل والباطل.

فإذن صراع الحق مع الباطل وقد أخذ الله على نفسه لطفا بحال العباد أن يبقي على طول التأريخ رجالاً ونساءاً يقاومون الباطل لإقامة الحجة إلى يوم الحساب، إذا لم يكن منهم علي عليه السلام إذا لم يكن منهم الحسين والحسن عليه السلام، فمن هو منهم الوهابيون والجهلة هؤلاء أبناء السلاطين أيكونون منهم إذا لم يكن منهم علي عليه السلام، وإنما السبب الرئيس لذلك إنما هو بيان الآيات، السبب الرئيس الذي يغضب الطواغيت ويخيفهم إنما هو بيان الآيات والروايات، لا محجمة مقيدة بصلاة ونهي عن خمر بل على صعيد الشريعة كلها لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، بما هو مراد من واقع الآيات والروايات لا بما تفسر بتبع الهوى، ذلك هو الذي كان سبباً لمواجهة العظماء مع الطواغيت، والأمر الثاني هو سعي العظماء لإقامة العدل حتى يحصل كل ذي حق على حقه من الفقراء والمساكين والأرامل، ولكي لا تصرف الأموال لبناء القصور ولهوها، وتبذل الأموال كما بذلت على طول التأريخ باسم الدين وتبذل الأموال لقمع الشعوب، وتبذل الأموال للجواسيس والمخابرات على حساب الشعوب وعلى حساب الدين.

الحاكم بأموال الأمة يأتي بجيوش وجواسيس حقراء ويسمي ذلك أمناً للبلاد، الحكام يأتون بأموال الناس لبناء القصور وزهوها والناس تأن في أكواخها، هذا الذي قام من أجله علي عليه السلام هذا الذي قام من أجله الحسين عليه السلام هذا الذي يقوم من أجله كل متقٍ على طول التأريخ، أما الذين يسكتون عن كل هذه المأساة بما تعيشه الأمة من جهلها وبما تعيشه الأمة من ذلها هؤلاء لا أظن أن من الحق أن يسميهم المسمي بالقديسين، حيث أن الغاية من بعثة الأنبياء هي أمران حق وعدل، لكن التكلم عن ظالم ومظلوم قد ترك فتسلط الأشرار على الأخيار فعاشت الأمة جهلاً وذلاً معاً، والعلماء من أجل أن يتخلصوا من ثقل التكليف لأن ببيان الحق بأبعاد العلم والسعي لإقامة العدل للدفاع عن المظلومين، يسوق هؤلاء إلى المواجهة مع الجبابرة والدجالين فرأوا الصمت هو خير سبيل وبالأخص إذا ألبسوهم لباس القديسين، ولكي لا يقول قائل لهم لماذا لم تتكلموا عن هذين الأساسين علم في مقابل جهل وعدل في مقابل ظلم، اتهموا كل متكلم في آية أو رواية على أنه تجاوز الحدود وراح ليتكلم فيما لا يعنيه.

ونحن أيها الإخوة والأخوات نعيش في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وبيان سيرته وهو أحد أعاظم القادة الكرام الذين وقفوا أمام الجهل والعدوان، ومن أجل هذا على طول التأريخ البشري

كما قلنا سالت الدماء، فمن يبكي فليبكي علما أريد منه إخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن يبكي فليبكِ عدلاً فبالعلم والدعوة إلى العدل نحيي سيرة الحسين عليه السلام، لأنه العلم والعدل ولأنه وارث النبين والشهداء والصالحين، بعد هذه المقدمات التي قلناها وأكدناها وكررناها حتى نخرج مما نحن فيه من غفلتنا، حتى لا نسمي بما ليس بشعيرة شعيرة فلنرجع أيها الإخوة لنشهد الغاية التي قام من أجلها الحسين عليه السلام،ثم فلنعاهد الله عز وجل السير على نهج تلك السيرة العطرة سيرة العلم والشرف والكرامة، لكن الدنيا هي الدنيا من اسمها واضح أنها دنية لا ترقى إلى مقام عظيم، ولذا فيها من سكت عن الظلم والدجالين، انتقده البعض ومن تكلم عن الظلم والدجالين انتقده قوم آخرون، ولا نرى أي مبدأ وأي معتقد لم ينل منه البعض، وكل يقيم براهينه وأدلته على ما يدعي، لو تكلم متكلم عن التوحيد لوجدنا مؤيد ومخالف، لو تكلم متكلم عن الأنبياء والنبوة لوجدنا مؤيد ومخالف، لماذا هذا الصراع القائم حتى في البديهيات لأنه صراعٌ تابع للغايات وليس صراعاً قائما على العلم والعقل، ولذا لا يمكن أن ينتهي هذا الصراع ونحن نعلم علم اليقين أن من جلس مجالس الجدل وجد نفسه منتصراً ولا يتردد في ذلك ولو كان المقابل له نبياً من الأنبياء، وقد سمعنا على طول التأريخ كم من صراع ولو على صعيد النزاع العلمي بين الأنبياء

والفراعنة وجد الفراعنة أنفسهم منتصرين، ولذا راح على طول التأريخ ليورد النقد بتبع مبلغ العلم والغايات الكثير من الناس حتى على الأولياء الذين قاموا لتحرير البشرية من الظلمات إلى النور ومن الذل إلى العدل، حتى قال قائلهم قد ألقى الحسين عليه السلام نفسه بالتهلكة وهذه كلمات من أنصف، بأن الحسين عليه السلام قام فألقى بنفسه في التهلكة وآخرون تجاوزوا الحدود فقالوا قد شق حسينٌ عليه السلام صفوف أو عصا هذه الأمة، وقال ثالث قد مات الحسين عليه السلام من أجل مكسبٍ دنيوي مادي وهو الصراع على السلطة، هكذا قيلت الكلمات بالنسبة إلى قيام الحسين عليه السلام وإلى يومنا هذا، أنا أريد أن أقول كلمة على أنا لا نبالي بما قيل وما يقال، الحسين ليس أعظم من الله سبحانه وتعالى وهناك من هو من الملحدين ينكر نصاً، وهناك الكثير الكثير مظهرين أو مبطنين ينكرون حكمة الله سبحانه وتعالى، لأنهم يرون بنظرهم من هنا أو هناك أمرا لا يتناسب مع حكمة، ليس الحسين عليه السلام بما قام به من أجل الكرامة والإنسانية، ليس فقط من توجه عليه النقد وتوجهت عليه الإرادات والإشكالات، حتى راح البعض ليستدل بمثل هذا الاستدلال قائلاً ومن الدليل على أن الحسين عليه السلام إنما قام للدنيا ومطامعها الدنيوية الدليل على ذلك اصطحابه لنسائه وأطفاله، الدليل على أنه قام لأمر دنيوي أنه أخذ معه النسوة والأطفال حتى الرضع، هذا أكبر دليل

على أنه كان يقصد سلطانا لا أدري كيف يكون أخذه لنسائه وأطفاله دليلاً على أنه كان يقصد دنيا، ولماذا هذه العقول المحجوبة عن الواقع لم تقل ولم تلتفت على أن الذي يدعو إلى الحق لا يترك نسائه وأبناءه ورضّعه في أمن وأمان ويدعو الناس لذلك، وهو القائل «نفسي مع أنفسكم »[1] فكيف يصل الانحدار بأمة ترى أهله ونسائه وأطفاله وبنو عمومته وتعريضهم جميعاً للخطر والقتل، وهو القائل لأخيه حينما خرج «من لحق بي منكم استشهد»[2] وهو القائل «خطَّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»[3] مثل هذا الكلام لم يكن دليلاً على أنه قصد سلطانا أو وعد جمعه أو من معه ومنّاهم سلطاناً، ما حدث التأريخ ذلك مع كل هذا نجد حقراء نجد محجوبين يجعلون ما هو الدليل على الشرف والكرامة، يجعلون الدليل على ضد ما يكون، الشخص الذي يأتي بأولاده يأتي ببني عمومته هذا لا يكون كغيره الذي يدعو الناس ويبعد الأخطار عن أهله، على كُلٍ أردتها كتنبيه على أن هكذا نفوس موجودة ينقد عليا ينقد حسيناً عليه السلام ينقد محمداً صلى الله عليه وآله

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٨١، كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أشراف الكوفة.

٢ـ مناقب آل أبي طالب ٤ : ٧٦.

٣ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٦٦.

ينقد الله سبحانه وتعالى، ثم راح قائل هؤلاء ليقول كيف يمكن أن يكون ماقام به الحسين عليه السلام حقاً لطلب الإصلاح لهذه الأمة وقد نهاه عن ذلك الخروج الكثير من الصحابة، كأن نهي بعض الصحابة دليل قاطع على أن الأمر كان باطلاً، بل وما شجعه أحد من أهل المدينة على الخروج، كأن أهل المدينة وغيرهم كانوا في زمن معاوية يعيشون الكرامة والعزة ويعيشون عظم الإسلام بعدله وعلمه، ولذا يقول هذا القائل أنه لماذا نهوه هؤلاء لأنهم كانوا تحت وطأة ذل معاوية ساكتين، هؤلاء كانوا قد قبلوا الذل لأنفسهم وقد قبلوا الجهل لأنفسهم وقد قبلوا أن يكون من المؤلفة قلوبهم حاكم عليهم مسمى بأمير المؤمنين، هؤلاء من هم حتى أمروا أو نهوا أو نصحوا، فهل كان جميع هؤلاء هذا القائل يقول ومن امتنعوا على مساعدة الحسين مرتدين وخونة للدين والإسلام.

ثم يقول وكيف يكون الحسين بن علي خرج إلى طلب الإصلاح في أمة جده أو لم يكن يعرف تبعات و نتائج خطواته هذهوالعمل الذي تسبب في فرقة المسلمين بإقتتال الطوائف فأين ذهبت حكمة الحسين وبصيرته عن هذه الحقائق، فهو إذا إنما خرج طلبا للسلطان والدنيا التي سُلبت من أبيه، هكذا مقالات تقال لكن المتأمل في مثل هذه الكلمات يجد هؤلاء يناقضون أنفسهم بأنفسهم، تارة يقولون إنه رجل خرج طلبا للدنيا نصحه المسلمون

قاطبة من الصحابة والتابعين فلم يقبل فراح لطلب الدنيا وقد وصل إلى ما وصل إليه من الأمر، الرجل الذي سار إلى طلب الدنيا كيف من بعد ذلك تقولون كان سببا لشق عصا المسلمين.

فإذن المسلمون انشقوا لو كانتقضية شخصية كيف تنشق عصا المسلمين لطالب زعامة لنفسه، وعلى طول التأريخ مرت الكثير من الثورات والكثير من الرجال طلبوا الزعامة لأنفسهم فنُسوا وماكانوا سببا لشق صفوف المسلمين، أنت تقول أنه رجل خالفه الأصحاب وخالفه التابعون واتفقوا على ذلك جميعاً فهل كانوا مرتدين، وأنت بنفسك تناقض نفسك حين تقول أن ثورته سبَّبت شقّاً وانشقاقاً وثورة واقتتالاً، وماشاكل ثم تقول وسببت اقتتال طائفي.

فإذن هناك كانت طائفة مع الحسين، أنت تنكر وجودهم تارة وتجعل المسألة حسين مع أبناءه ومن قام، ثم تقول كان سبباً لاقتتال طائفي وكان سببا لكوارث وكان .... .

فإذن هزّ الأمة بما هي أمة وحدثت ثورات.

فإذن كان القمع مخيفاً، ثم وجدت الأمة نفسها كانت مذنبة فراحت لتكفر عن ذنب، وهذا هو الواقع الذي يجري في كثير من البلاد، كل داعية حق يقف ثم الأمة تنتبه على أنها كانت خاطئة حين تركته، فلا أدري كيف يناقضوا هؤلاء لكن لما بنيت البحث على عدم الجدل مع هؤلاء ومن سموا أنفسهم بالمؤمنين أو

بالمسلمين أو المثقفين، لأن البحث بحث علمي لا أريد أن أدخل جدلاً مع أمثال هؤلاء الجهال، فلا أدري كيف أجازوا لأنفسهم كما يدعون الدعوة إلى الحرية وهم يمنعون أي تكلم عن حاكم وينتقدون من قام على الاستبداد، والكثير منهم يدعي الثقافة نحن لا نريد أن نتكلم عن سلفيين و وهابين هؤلاء قد أصيبوا بمرض الحقد على آل محمد، نحن نستغرب خطاباً لمن يدعي الحرية، يدعي الحرية من جانب ويتكلم على من قاموا من أجل الحرية لا أدري كيف يجمع هؤلاء بين هذين الأمرين، لكن لعل أمثال هؤلاء رأوا حكام المسلمين وإلى يومنا هذا من مظاهر العلم والحرية والكرامة، لعلهم انتقدوا حسيناً ومن قام ضد الطغيان والظلم والجهل، لأنهم وجدوا من زمان وفاة رسول الله إلى يومنا هذا حكام المسلمين مظاهر العدل والعلم، ولذا حينما جاؤوا اليوم ليتكلموا عن الحرية مرادهم يطلبون الحرية في الغرب لأبناء الغرب لا للمسلمين، لأن المسلمين يعيشون الحرية وحكامهم أمثلة لمثل هذه الحرية والعلم وليسوا مثالاً ومظهراً للجريمة والجهل إن لم نقل جميعاً وإنما أكثرهم كذلك، ولذا أقول أيها الإخوة والأخوات نحن لا نتوقع من أبناء الدنيا وإن تلبسوا بلباس الدين غير هذا المنطق والمستوى من الفهم، لأن من لا يدرك غاية وراء الغاية الدنيوية من المستحيل أن يفهم أن هناك من يقوم لله سبحانه

وتعالى، والآن أردنا أن ندخل في وصية الإمام الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد ابن الحنفية ونتأمل ونقف في نقاط تبيينها، حتى نرى ماذا أراد من هذه الوصية وكيف يمكن أن تكون وصية وهي ليس فيها شيئاً أوصى به، وإنما هو كلام يبين فيه معتقداً ويحث إلى سيرة سار بها رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

ما هي وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية؟

قد وعدنا بالعودة على كل ما مر مما ذكرنا ومن جملة ما تقدم ذكره لكي يكون مدخلاً بالنسبة إلى ما ورد من الإمام الحسين عليه السلام في خطاه وفي خروجه ضد الظلم والظالمين وسنساير هذه الخطى قولاً وفعلاً بشرح خطبة للإمام عليه السلام أو وصية كما هي هاهنا أو رسالة بعثها لأحد يمكن أن نستفيد منها أمراً، حتى تكون هذه الليالي شرحاً لهذا المنهج من الحسين بنفسه عليه السلام بدون أن نضيف إليه من أنفسنا أمراً ربما يكون ذوقياً ربما يكون اجتهاداً في المقام، فلا نريد أن ندخل أذواقنا ولا اجتهاداتنا الشخصية لنعطي باجتهاداتنا وذوقنا غايةً لنهضة الحسين عليه السلام أو تفسيراً بتبع هذا الأمر، حتى نكون إن تكلمنا، تكلمنا كلمة عن الحسين عليه السلام ربما فسرناها بتفسير قد يأتي شخص آخر و يُفسرها بتفسير آخر، هذا لا يُخرجنا عن واقع منهج وعن خطابٍ وكلامٍ وسيرٍ، أما إذا ذهبنا خارجاً وجئنا لنتكلم بشعائر أو أموراً أخرى ربما تُخرجنا عن واقع يجب أن نعرفه من صاحبه بنفسه وهو الإمام الحسين عليه السلام.

فإذن الآن نعود مرة ثانية لنقرأ معاً ونقف عند الكلمات التي ينبغي أن نقف عندها ونستنطقها، ماذا يُراد منها؟ لقد مرت وصية كتبها الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية وهي كما يلي: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية: أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق» وهو الله سبحانه وتعالى.

وفي رواية تقول وفي ما ورد في نفس هذه الوصية «جاء بالحق من عند الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور».

«وأن الجنة والنار حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور».

لحد الآن ونحن نمشي مع الوصية ما وجدنا وصية بأمر، وإنما شاهدنا إقراراً بوحدانية الله تعالى وإقراراً برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يترتب عليها من بعث ونشور ثم يقول عليه السلام: «وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً» ثم يبين أن خروجه ما كان لأي جهة لا غروراً ولا جهلاً «ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين

القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

ثم يقول: «وهذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والسلام عليك وعلى من اتبع الهدى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

الآن نريد أن نتأمل في هذه الوصية الورادة من الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، هذه الوصية من أولها إلى آخرها إنما تتحدث عن المعتقد توحيداً، نبوةً إلى أن تصل إلى القبر والنشور، هل يعتبر مثل هذا وصية؟ نحن قرأنا الوصايا من الأئمة بعضهم إلى بعض، أو إلى المسلمين أو إلى الشيعة أو وصية الرسول صلى الله عليه وآله، وجدنا هناك كثيرا من الأمور بالنسبة إلى الأمة بالنسبة إلى الوظيفة بالنسبة إلى التقوى بالنسبة إلى ما يرجع إليه هو بنفسه من أمر، يريد الشخص الذي يكون من بعده يقوم بها، المقطع الأول في هذه الوصية لا ربط له بما نعتبره وصية بل هو إقرار بالمعتقد، المقطع الثاني من هذه الوصية يتحدث فيه الإمام أنه إنما خرج للإصلاح لا للإفساد والجهل والغرور.

فإذن المقطع الثاني كلام عن الإصلاح، المقطع الثالث فيها

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩ ؛ مكاتيب الأئمة عليهم السلام ٣ : ١١٣ وفيه زيادة فقرة «والسلام عليك ... العظيم».

الذي يستوقفنا هو أنه يقول أسير بسيرة جدي وأبي هذا هو المقطع الثالث قد نتوقف فيه ونتأمل، ما المراد من هذا العطف كيف جاء ليعطف سيرة علي عليه السلام على سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، سنبين ذلك وفي المقطع الرابع يقول وهذه وصيتي إليك.

فإذن إقرار بمعتقد وبيان لإصلاح لا إفساد وسير على سيرة رسول الله وعلي عليهما السلام.

ثم يخاطب أخاه قائلاً وهذه وصيتي إليك، يعني أوصيك بالتوحيد، أوصيك بالنبوة، أوصيك بالإصلاح والابتعاد عن الإفساد أوصيك أن تسير بسيرة محمد وأبيك عليه السلام هذا الذي يستفاد منه بالنسبة إلى محمد، فأولها إلى آخرها ليس فيها شيء إلا هذه الأمور التي يمكن أن نعتبرها وصية أن هذه وصيتي إليك، فأين الموصى به؟إن كانت هذه الأمور هذه مسلمات شرع التوحيد و النبوة .....، كون أن الحسين عليه السلام يقينا إنما يسير بسيرة علي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فأين محل الكلام الذي يمكن أن نتكلم فيه الآن نأتي لنتأمل في هذه الوصية:

هل هو عليه السلام حينما قال مقراً بالتوحيد والنبوة إلى النشور هل هو تأكيد لمبادئ الرسالة بما تحمل من معتقد، هل جاء ليؤكد لهذه الأمة هذه الرسالة ويرسخ هذه الرسالة في أذهان هذه الأمة، حتى أن من يقرأ الوصية من بعده يعرف على أن حسيناً عليه السلام كان

جازما قاطعاً بالتوحيد والوحدانية ورسالة محمد ﷺ وإلى آخره، هل كان غاية ما يريد من هذه الوصية التي لا تحمل معنى الوصاية وإنما هي اقرار وبيان للإصلاح، هل أراد بلحاظ مقدمتها وهي المسألة العقائدية أن يؤكد المبادئ الرسالية بما تحمل من معتقد إلى مسألة النشور هل هذا هو المراد فإن قيل على أن المراد هو هذا، إن قيل على أنه أراد أن يؤكد مبادئ هذه الرسالة على أنها توحيد وإصلاح إن كانت تأكيداً لمبادئ الرسالة، فهاهنا سؤال يطرح نفسه هل هذه الأمة أصيبت بشك؟ يريد أن يؤكد لها توحيداً، هل أصيبت بتردد في أمر من التوحيد حتى النشور حتى جاء ليجعل أمراً يؤكده بهذه الوصية؟ هل هذا الأمر كان هكذا؟ في حين أن الرسول ﷺ يقول: «إني لا أخاف عليكم أن ترتدوا من بعدي وإنما أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها» هذا الكلام من الرسول ﷺ يعطي طمأنينة تامة أن هذه الأمة بعد إيمانها لن ترتد ارتداداً عقائدي، هي على تلك المبادئ المشكلة في التنافس في الدنيا وتفسير الآيات والروايات بتبع الهوى بما يخدم الدنيا هاهنا هو الخوف.

فإذن القول بأنه وجد تردداً في شريعة رسول الله ﷺ وأنه جاء ليعطي تأكيداً لهذا الأمر، حتى لا تخرج الناس من دينها هذا بعيد لأنه لا يتناسب مع ما ورد عن الرسول ﷺ، ثانياً الإنسان

العظيم الذي يخاطب الأمة بهذا البيان: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به»[1] ماكان يتكلم عن الشك في الحق عن عدم العمل بالحق عن عدم التناهي عن المنكر.

فإذن المشكلة في زمن الحسين عليه السلام ما كانت مشكلة عقائدية كانت مشكلة دعت إليها الدنيا بزخارفها بما فيها هذا الذي كان الإمام الحسين عليه السلام يريد أن يحق الحق لاأن يثبت الحق لأن الحق كان ثابتاًو معلوماً عندهم، المنكر والمعروف وكل المبادئ كانت واضحة عند الأمة، كان التلاعب فيها بتفسيرها بتبع الهوى وإلى آخره.

لعل قائلاً يقول كيف تدعي شيخنا هذا المقال ونحن وجدنا والتأريخ أثبت على أن هناك حركة حدثت في زمن بني أمية، وقويت هذه الحركة ونشطت بكل قوة في زمن بني العباس، وهي حركة الزنادقة أو الدهريين أو عبر عنهم ما شئت فراحوا ليحدثوا ترددأ في المعتقد من هؤلاء بن أبي العوجاء وغيرهؤلاء ولست مريدأ للدخول في هذا البحث، كانوا حتى يأتون إلى مكة والمدينة ليناقشوا الرجال كالإمام الصادق عليه السلام وغيره في مثل هذه الأمور ويطلبون منهم الأمان أن لا يسلموهم إلى الحكم، لأن الحكم يريد

١ـ تحف العقول: ٢٤٥.

أن يتظاهر بالتقوى والإيمان لأن وسيلته لا الدليل والبرهان وإنما قطع الأعناق، وهذا ليس منهجاً لأي داعية حق في التأريخ ولذا كان الإمام الصادق عليه السلام يجلس معه الملاحدة مع الزنادقة، كانوا ينكرون التوحيد، فكيف يمكن أن نقول على أنه ما أراد تأكيد المعتقد؟

نقول تأكيد المعتقد حتى ولو كان مراداً في ضمن المقال لكنه ما كان أمراً أساسياً الأمر الأساسي هو الحق الذي يرونه ولا يعملون به وماشاكل هذه الأمور.

فإذن نعود ونقول: إنا لا نتردد على أن هناك لما ارتكب الحكام، ولما ارتكب الكثير من رجال الدين باسم الدين الجرائم وأكل الأموال والتلاعب، فوجدهم الناس متلاعبين ويتظاهرون بالتقوى هذه سببَّت عند البعض ردة فعل، لأن من يضرب الدين بيد الشرك والإلحاد لا يضر به بل يدفع الناس إلى التصلب على الدين، وهذا شاهدناه على طول التأريخ، ما جاء مجرم ولا طاغوت مهما كان من الجريمة وإن أعلن الإلحاد أولم يعلنه لكنه راح ليحارب الدين، ما وجدناه تمكن أن ينسف الدين وأن يقضي عليه، الذين نسفوا الدين والذين ضربوا الناس في معتقداتها من الباطن، هم الذين يتظاهرون بالدين والتقوى ويعملون على خلافه تماماً من حكام أو رجال دين، هذه تسبب ردّة فعل ونحن شاهدناها

وتشاهدونها في زماننا هذا، في المناطق التي تدعي الإسلام تحت أي عنوان وتحت أي مذهب إسلامي نحن وجدنا وشاهدنا أن هؤلاء المتظاهرين بالدين والتقوى، كيف راحوا ليخرجوا الناس أفواجاً أفواجاً من دينهم، هذا لا نتردد فيه ونحن شاهدناه وقرأناه فيما حدث بالنسبة في عصر بني أمية وعصر العباسين، لكن ما كان بتلك الكيفية التي يهز أمة، لكنه كان يشار إليه بالبنان هذا بن أبي العوجاء وهذا فلان وهذا فلان حصلت انحرافات لكنها ما كانت لتهز أمة، الذي كان يهز أمة هو الجور والظلم وتفسير الآيات بتبع الهوى، فإذن هذا أولاً.

الاحتمال الثاني في المقام إن لم يكن المراد تأكيد هذه المبادئ أنه عليه السلام أراد الإقرار بالتوحيد والإقرار بالنبوة والإقرار بكل أمر حتى النشور، لمَ؟ لدفع شبهة، كأن قائلاً يقول وهل مثل حسين عليه السلام يدفع عن نفسه شبهة الإلحاد، يدفع عن نفسه شبهة عدم الإقرار والاعتراف بنبوة محمد جده صلى الله عليه وآله، وبما عليه أبيه عليه السلام وهل هذا محل شبهة حتى يمكن أن يقول قائل بذلك، نقول نعم، الإعلام والسلطة الجبارة التي سيأتي البيان عن ذلك، التي تمكنت في اليوم العاشر من محرم أن تستفتي شُريحاً القاضي على أنَّا نريد منك فتوى تبيح لنا قتل الحسين، كانت الأمور الجارية آنذاك أن المخالف للحاكم كافر، وهذا ما استخدمه الكثير من الحكام من

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أريد أن أشير من استخدمه من يراجع التأريخ ويريد أن يعرف الحق بنفسه عليه أن يرجع ليرى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زمان الحسين كم من حاكم استخدم كلمة الكفر بالنسبة إلى مخالفيه لكن لعل قائلاً يقول من المستبعد أن يتمكن حاكم أن ينسب الحسين إلى الإلحاد، أن ينسب الحسين إلى الشرك والكفر؟ نقول من تمكن في كربلاء مع كون المجتمع لا يتردد في إيمان الحسين عليه السلام، مجتمع يعرف الحسين تمكن في اليوم العاشرمن المحرم أن يقول، قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من قام على إمام زمانه يقتل بسيف رسول الله» وأن الخارج على إمام زمانه باغٍ.

من تمكن أن يطلق عنوان البغي على الحسين عليه السلام، وعنوان الخروج على إمام الزمان على الحسين، وأن يطبق أنه من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وأن إمام الزمان هو يزيد وأن الجاهل هو الحسين عليه السلام ليس من المستبعد أن يصل إلى مرحلة يتهم الحسين بالكفر، اليوم نحن والمسلمون ولو لم يكونوا شيعة اليوم، لا أظن أن أحداً يصل في الانحدار إلى هذه المرحلة أن يتصور في حسين إلحاداً أو أن حسيناً عليه السلام كان باغياً خارجاً على إمام زمانه، لا أتصور مهما وصل الانحطاط بالناس اليوم إلا من كانوا نواصب، لكن في تلك العصور المظلمة لا ندري نحن ما مرَّ عليها، فمن يقرأ هذه الوصية للحسين عليه السلام يتأمل فيها حسينٌ ريحانة

رسول الله صلى الله عليه وآله سيد شباب أهل الجنة، أيمكن لأمة محمد أن تنسبه إليه أمرا يعود إلى معتقد؟ نقول نعم هذه الأمة وصلت إلى هذا وسنشير إلى ذلك.

فإذن نقول الاحتمال الثاني أن تأكيد الحسين عليه السلام لهذه المسائل العقائدية أراد بإقراره بهذه الأمور من توحيدها إلى نشورها، إلى أنه قائم للإصلاح لدفع شبهة قد يوردها الظالمون، ماهي الشبهة؟ بأن القائم على إمام زمانه باغٍ، كما طبق ذلك عليه بنو أمية في يوم العاشر من محرم؟

هنا نقطة أرجو التوجه إليها هل أن شُريح القاضي قال إن الحسين قام على إمام زمانه ومن قام على إمام زمانه يقتل بسيف رسول الله ؟ نقول كلا شُريح أذكى من أن يتكلم مثل هذا الكلام، شُريح الذي حافظ على مكانته من زمان طويل إلى زمان الإمام علي عليه السلام، وما تمكن الإمام علي عليه السلام أن يعزله، وبقي إلى زمان الحسين عليه السلام قاضيا أي ماكرٍ وداهية هذا، الذي يتمكن أن يتعامل مع الجميع ويبقى محافظاً على مكانته، لما ذهبوا إليه بنو أمية أو عبيد الله بن زياد، وأراد منه فتوى بقتل الإمام الحسين عليه السلام حتى يعطيها عنواناً دينياً، قال أنا لا أتمكن أن أقول أن الحسين يقتل أو أن الحسين كافر، كما اتهم الحكام من خالفهم بالكفر، فلما أصروا عليه قال أتمكن أن أقول مقالة ماهي هذه المقالة؟، كلام حق يراد

به باطل أنا والكل سمع بالواسطة أوبدون واسطة منرسول الله ﷺ على أن من قام على إمام زمانه يجب قتله، أنا هذا الذي أعطيكم إياه فرضي بذلك عبيد الله وسرَّ سروراً شديداً، الأمة لا تفهم هل ينطبق هذا على الحسين أو لا ينطبق، عنوانه من قام على إمام الزمان، من هو إمام الزمان؟ الخليفة يزيد بن معاوية، من هو القائم عليه؟ هو الحسين بن علي فالمسألة تامة بكل أركانها.

أريد أن أنوه على أمر أن بعض المتلاعبين من رجال الدين يظنون أنفسهم بهذه الحنكة والعقلية أن يخدعوا الله والحاكم والشعب معا، هكذا يدخل في متاهات وإعجاب شخصي، أن المجتمع إن جاءه معترضاً، كيف أفتيت يا شُريح بقتل حسين وأنت تعرف حسيناً ولا تتردد فيه؟ أنا ما أفتيت أنا قلت قال رسول الله هؤلاء استفادوا من كلامي وقتلوا الحسين بهذا اللحاظ، يرضي شعباً بهذا أنا ما قلت حسيناً هذاأنا قلت أن رسول الله ﷺ قال، لكن انطبقت زماناً ومكاناً وشخصاً معيناً قائماً على حكومة فطبقتها عليه بنو أمية، فيتمكن أن يهدء من غضب الناس عليه بهذا الكلام، ويرضي الحكومة أنه أعطاهم فتوى بأيديهم تمر على الجهال أن يقتلوا حسيناً، يزيد إمام الزمان وأمير المؤمنين والحسين قائم عليه فيقتل فالجاهل يستفيد منها القتل، ويوم القيامة جوابه واضح لربه ويدخل الجنة مسروراً، كيف يدخل الجنة مسروراً يا إلهي أنا إنما قلت قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وما قلت أن حسين هو الباغي وأن يزيد هو أمير المؤمنين فخدع ربه وخدع شعبه وخدع الحكومة، هذا هو العظم في المنكر ظاناً أن الله سبحانه وتعالى يخدع كما تخدع الجهال من المسلمين، رواية تأتي في زمان وشروط وقرائن معينة صادرة كفتوى من القاضي في الكوفة، لا تعطي أي عنوان لأحد إلا أنها وسيلة لقتل الحسين عليه السلام، وهذا مع الأسف لو تأملنا لوجدناه يصدر من كثيرمن العلماء، هكذا يراوغون في فتاواهم يعطون أمرا بحسب الجاهل تفسر بتفسير، ويستغلها الحاكم والجائر والدجال باستغلال خاص، وهو يظن نفسه أنه يخدع حتى ربه بها يوم القيامة.

الآن نأتي ونقول من أن الحسين قتل بسيف جده لأنه قام على إمام زمانه، لعل قائلاً يقول إن مثل هذا الاحتمال في هذه الوصية من المستبعد، لماذا من المستبعد لأن مثل الحسين يتهم بمثل هذا من المستحيل، نقول على المسلمين أن يرجعوا ويقرأوا التأريخ بأنفسهم لا عن طريق بعض أصحاب اللحى، إن قرأوا التأريخ بأنفسهم لا من زيد و لا من الشيخ الفلاني ولامن فلان سيجدون كيف طبق الحكام على من امتنع من الزكاة أنه كافر، بمجرد الامتناع من.الزكاة، وثم أعطاها مع كل هذا ما سلِم الرجل ولا سلِم عرضه من بعده فتجاوز المتجاوزون على عرضه بالزنا.

فإذن أمة بمجرد هذا يمكن أن تطبق حكومتها على الناس

عنوان الكفر، ومن تردد فليرجع أيضاً ليرى الذين خالفوا الخليفة الثالث كيف سماهم بالكفرة، وأكثر من ذلك نقول لا يستغرب الإنسان ويقول كيف يتكلم هذا الشيخ أن أمة تتمكن أن تتهم حسيناً بالخروج عن الدين هذا أصلاً مستحيل؟! ليس بمستحيل: وقف بعد مقتل الخليفة الثاني عبدالرحمن بن عوف، وقال لعلي عليه السلام مدَّ يدك يا علي أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه وطريقة الشيخين، فقال علي عليه السلام فأما على كتاب الله وسنة نبيه فنعم وأما على طريقة الشيخين فلا.

ماذا أجابه عبدالرحمن قال له ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [1] فإذا كان أول مصدق لرسول الله صلى الله عليه وآله بغض النظر عن كونه إماماً معصوماً أم لا، ومن هو من الخلفاء الراشدين باتفاق الجميع، ومن لا يتردد بإيمانه أحد حتى أن من يبغض عليا باتفاق المسلمين منافق هذا لا يتردد فيه متردد أبداً مهما كان يريد أن يلعب ويراوغ، فمن كان بهذه المهذلة أن حبه إيمان وبغضه نفاق، تمكن أن يخاطبه عبدالرحمن بن عوف قائلاً فمن ينكث فإنما ينكث على نفسه.

فإذن يمكن أن يكون عليا ناكثاً، ويمكن أن يكون حسين

١ـ سورة الفتح، الآية ١٠.

خارجاً على إمام زمانه كافر.

وكيف نستغرب وهناك ما هوأدهى وأمرّ من كل هذا، نبي هذه الأمة الذي لا يتردد متردد مسلم في كونه هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، يخاطبه المخاطب قائلاً حينما طَلِب داوة وقلم دعوا الرجل فإنه يهجر، فإن كان من لا ينطق عن الهوى يهجر، وإن كان أول مصدق لرسول الله صيحتمل أن يصبح ناكثا.

فإذن من الممكن في حق هذه الأمة أن يكون حسينها كافراً، فليس مستغرباً هذا الأمر ولذا أحببت أن أؤكد على أن هذه الوصية التي خلت من معاني الوصايا، وليس فيها يا أخي افعل كذا واعمل كذا، إنما هي إقرار بتوحيد.. أي إقرار بمعتقد ثم وصية يريد أن يقول إني ما خرجت إلا للإصلاح لا للإفساد بيان حالة ليست بوصية.

فإذن بيان الحالة ليس بوصية والإقرار بالتوحيد ليس بوصية، وهذه وصيتي إليك يعني وكن أنت على هذا يا أخي يا محمد، هذا أقول وأؤكد أنه كان في زمان وصلت الأمة إلى الانحطاط والتدهور أنها يمكن أن تنسب حسيناً إلى الإلحاد، ويمكن أن تنسب علياً إلى نكث العهود والخروج من الدين، ويمكن أن تنسب محمداً إلى عدم الإتزان بالعقل، كل هذا ممكن فكيف نستغرب.

الأمر الذي ينبغي علينا أن نتوجه إليه هاهنا، أنه تشير هذه الوصية إلى أن الحسين عليه السلام يقول: «أسير بسيرة جدي وأبي علي»[١].

ما المراد من هذا العطف؟

هل المراد من هذا العطف أنه أراد أن يؤكد أن سيرة علي هي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله من باب التأكيد، أو أراد أن يلفت نظراً؟

لا تتصور أيها المتصور إني أريد منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ما جرى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كان منهجاً واحداً أنا أريد منهج رسول الله الذي رسمه علي عليه السلام.

فإذن يكون من باب التلميح والكناية والإشارة على أني أيها الناس الذين طلبتموني لأقيم لكم دولة أنا لا أقيمها مطلقا بما سميتموه ديناً وإسلاماً، بل أقيمها بما رسمه أبي علي عليه السلام الذي هو منهج رسول الله صلى الله عليه وآله، فبهذا أيضاً يمكن أن نقول على أن المراد هو هكذا.

الاحتمال الثالث في المقام لهذا العطف، على أنه حينما عطف أراد أن يشيرإلى أمر على أن الرسالة مرت بمرحلتين، المرحلة الأولى مرحلة التنزيل، والمرحلة الثانية مرحلة التأويل والتطبيق، المرحلة الأولى، الهيكل العام الذي كان بين مسلم جديد العهد

١ـ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

بالإسلام، وبين كتابيّ ومشرك وغيرهؤلاء من كانوا يخالفون الإسلام ماهو الحكم بأزائهم حربا وسلماً وعهوداً.

فإذن مرحلة التنزيل مرحلة لينٍ لأنها بداية معرفة مع المسلم وغير المسلم، لأنه ربما يكون غير المسلم لم تبلغه الدعوة ولم تصل إلى ذهنه الدعوة، فإذن هي مرحلة تنزيلٍ بما يناسبها، ومرحلة ثانية البيان تم وكل الأمور حصلت فهي تعامل في الغالب مع هيكل إسلامي، عرف الإسلام وربما صار عرف الإسلام عن أب وجد، فإذن مرحلة ثانية هذه المرحلة الثانية رسمها علي عليه السلام فوجدناه كيف تعامل مع هذه المرحلة في زمن حكمه، كيف تعامل معالمطليع المسلم وكيف تعامل مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فإذن ثلاثة رسم الطريق مع كيفية التعامل معهم، ثم وجدنا أن سيرته اختلفت عن سيرة المتقدمين، بدلاً من هجوم لفتح راح للإصلاح في نفس الهيكل الداخلي.

فإذن هي سيرة بكيفية تختلف عن سيرة متقدمة في مقابل المخالف العارف كانت سيرة في الجمل والنهروان وصفين، وفي مقابل أمة تريد الحق وإحراقه كان تعاملاً معيناً، في مقابل من خالفوا ولم يشهروا سيفا كان تعاملاً واضحاً أنه ما أجبر أحداً على بيعة، ولا قطع أعطيات أحد من الناس أبداً ولو كانوا مخالفين، في مقابل الخارج عن هذا النظام الإسلامي ما وجدناه أمر بحروب لغزو

وفتح باسم الجهاد، فإذن رسم لمخطط تطبيقاً لشريعة بعد ما تمت أصولها وأصبحت الناس تعيش إسلاماً، فلعله أراد أن يقول على أن هناكمرحلة تنزيل ومرحلة كذا فأنا أيها الناس من سيعمل على ما يناسب التنزيل والتأويل معا، لعل سائلاً يسأل ويقول و كيف ذلك؟ زمن التنزيل انتهى وهو يعيش زمن التطبيق والتأويل، فكيف يمكن أن تقول على أنه يقصد صورتين ومرحلتين معاً، وهما في الحقيقة والواقع لا نتردد أن ما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله هو ما عليه علي عليه السلام، على هذا يكون تأكيداً لكن أقول لعل المراد أكثر من التأكيد بأي معنى؟ يعني أنَّا وإن كنا أصبحنا نعيش كمسلمين ولنا أحكامنا في مقابل القاسطين والناكثين والمارقين، ولنا أحكامنا في مقابل أهل الكتاب، ولنا أحكامنا في إصلاح هذه الأمة وعدم الهجوم على الآخرين تحت عنوان الفتح، لكن نبقى نحن مع الذين هم من غير المسلمين نتعامل معهم كما تعامل معهم رسول الله صلى الله عليه وآله، فحكم نفرضه الآن اتسعت البلاد فصارت حكومة إسلامية واسعة، هي تلك الحكومة التي كانت في المدينة لرسول الله كيف طبق نظامها على المسلمين، وكيف تعامل مع العالم، تعامل معهم بإرسال الرسائل إليهم مبشراً ونذيراً، وما وجدناه بعث الرسائل ثم تلت الرسائل الجيوش.

فإذن هناك تعامل بأزاء خارج وتعامل بأزاء داخل، فلعل

الحسين عليه السلام أراد أن يقول لو استلمت الأمور وأرادت الأمة حكما إسلاميا فإن هناك مرحلتين هما باقيتان، مرحلة تعامل مع الداخل رسمه علي عليه السلام ومرحلة تعامل مع الداخل والخارج بما يناسب الخارج، والدعوة أصبحت منتشرة سمعها أهل الصين والهند وسمعها العالم بكله وبتمامه، نحن وإن اتسعت الجغرافيات للحكم الإسلامي لكن ماهو خارج هذا الإطار يبقى التعامل معه تعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإذن لعله أراد أن يشير إلى واقع على أن هناك إثنينية وإن كانت هي وحدة، بلحاظ ننظر إلى تعامل رسول الله مع من هو خارج عن هذا الواقع، وبلحاظ ننظر إلى تعامل علي كيف طبق الشريعة في الداخل، فتكون بلحاظ هي تنزيل وبلحاظ هي تأويل ولا مانع من ذلك.

فإذن هذه الرسالة تحكي أبعاداً ثم تحكي بُعدا ثالثا وهذه وصيتي إليك يعني جعل أخاه محلاً للخطاب يا أخي أنا لا أريد لك إلا الخير فإن شئت الخير لنفسك فهذه وصيتي إليك، و وصيتي إليك أن تعمل بما قلت أنا بهذه أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، بمعروف على صعيد الشريعة لا محجما في صلاة، بمنكر على صعيد الشريعة لا محجما بنهي عن شرب خمر، حتى تكون شريعة حقيقية وخطابه الذي سيأتي بيانه حينما كتب إليه برسالة قائلاً من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح،

تحكي هذا الواقع هذه وصيتي إليك ثم خاطبه بخطاب آخر وأراد منه أن ينال شرف الدنيا والآخرة ولا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه المسألة على أنه ما هو المعتقد بالنسبة إلى محمد بن الحنفية له بحث وله كلام آخر، ولست بصدد الدخول في هذا لكن رسائل الحسين إليه تؤكد أنه كان يريد منه أمرا آخر والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

تذكير وتنبيه لمن يبحث عن الحقيقة في قضية الإمام الحسين عليه السلام

كنَّا أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد بيَّنا بعض الأمور المرتبطة بهذه النهضة وبهذا الخروج ضد الظلم والطغيان ويمكن خلاصة القول، الذي يتصوره الإنسان أن يكون دافعاً لهذا القيام، وما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية، من أنه لم عليه السلام راح ليؤكد في وصيته الخالية من كل ما يمكن أن يكون موصى به، مؤكدة على التزامه بالشرع، والقيام للإصلاح لا للإفساد، ماهو؟ هو ما أصيبت به هذه الأمة من تفسير لآية ورواية تفسيراً غير سليم، كتفسير وتطبيق الباغي والخارج على إمام زمانه على مثل الحسين عليه السلام ، هكذا وصلت هذه الأمة ولذا راح ليؤكد اعتقاده بشرع الله حتى يكون مستمسكاً و وثيقة عند أخيه، إذا إدعى المدعون أنه كان باغياً أنه كان كافراً..، وتطبيق الباغي والخارج على إمام زمانه على مثل الحسين عليه السلام، وجعل الإمام الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا حديث متفق عليه بين المسلمين قاطبة، وتطبيق مثل هذا وجعل الذي من مات ولم يعرف

إمام زمانه مات ميتة جاهلية على من؟ على يزيد بن معاوية أن كل مسلم يموت ولم يعرف إمام زمانه، من هو إمام الزمان؟ الحكام ومنهم يزيد بن معاوية.

فإذن الحسين عليه السلام الذي قام على إمام زمانه قد مات ميتة جاهلية، كيزيد بن معاوية ومعاوية وغيرهما من حكام بني أمية وبني العباس والعثمانيين، وغيرهم من حكام المسلمين نسبوا أنفسهم إلى التشيع أو إلى سنة رسول الله و التسنن، وحكامنا اليوم الذين شربنا مرَّ كؤوسهم، وما كانوا وما صاروا بالنسبة إلينا خبراً من الأخبار، لما أصبح بنو أمية وبنو العباس والكثير من المتقدمين خبرا من الأخبار، جاءت الكلمات المنسوجة والمرتبة لتقول أنهم كانوا هداة أنهم .. ، وأخذوا ينسجون لهم نسيجاً لكن لا أظن أحدا يتمكن أن ينسج نسيجاً بالنسبة إلى حكامنا اليوم، الذين نراهم بظلمهم وعدوانهم وتفسيرهم للآيات والروايات بتبع الهوى، وينسبون أنفسهم إلى الله والرسول وينسبون أنفسهم إلى شرع الله، فمشكلة هذه الأمة أيها الإخوة والأخوات كانت ولا تزال في جهلها لفهم واقع الشرع وليس في إنكارها لأصول الدين، فالذي ساق هذه الأمة ويسوقها إلى متاهات و الذل، هو أنها يوماً قبلت هذه الأمة أن يخاطب سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله ويقول القائل مخاطباً إياه دعوا الرجل فإنه يهجر، فهذه الأمة التي نبيّها صاحب

المعارج والمعراج، نبيها الذي لا ينطق عن الهوى قبلت في حقه أنه يهجر وما قالت للقائل قف حدك ولا تتجاوز أيها الرجل، وهذه الأمة التي فهمت وعرفت أن خلفاء الرسل هم الحكام ولو كانوا فسقة جائرين، وأن أولي العزم من الرسل خمسة وإن علموا بذلك، وأن قوافل الأنبياء بعشرات آلافهم على طول التأريخ إنما كان أوصياءهم أنبياء كان أوصياءهم مثال لكل العلو، كان أوصياءهم مثال للعدل مثال للرحمة مثال لكل عظم، فقبلت هذه الأمة أن أوصياء محمد صلى الله عليه وآله يختلفون عن أوصياء بقية الرسل المتقدمين، قبلت هذه الأمة أن أوصياء سيد الكائنات سيد الأولين والآخرين يمكنوا أن يكونوا جاؤوا بالوارثة، وجاؤوا بالسيف بل ويجب طاعتهم ولو كانوا فسقة جائرين، هذا الفهم بهذا الانحطاط لهذه الأمة ساق هذه الأمة إلى ما هي عليه من هذا الجهل اليوم وما هي عليه من الذل اليوم، وليس ذلها ناشئ اليوم وإنما هو تابع لرواسب قد تقدمت، حتى حينما كانت دولة قوية كانت دولة قوية كحاكمة كأي دولة قوية في العالم، ما حدث التأريخ أنها كانت تعيش معرفة أو كانت تعيش عزاً ما حدث التأريخ ذلك، فإن كان الفقر في دولة قوية فهناك دول قوية مرت واليوم هناك دول قوية موجودة فإن كان الفخر بقوة دولة وسلطان فلنفخر ويفخر العالم بكل دولة مرت قوية، وإن كان الفخر بأمة تعيش معرفة وتعيش

عدلاً وتعيش كرامة ماوجدنا هذه الأمة عاشت هذه الكرامة، راح وعاظ السلاطين ليذلوا هذه الأمة من أجل الحكام، ولذا قبلت هذه الأمة أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله أعني عليا عليه السلام حينما قبلت أن نبيها يهجر قبلت أيضاً أن وصي رسول الله صلى الله عليه وآله أعني علياً عليه السلام يمكن أن يكون ناكثاً كما قال عبد الرحمن بن عوف، ولو أن هذه الأمة تركنا عنوان كون علي عليه السلام وصيا لرسول الله هذه الأمة لكنها لا تتردد في أن حبّ علي عليه السلام إيمان وبغضه نفاق وأنه كما يقولون من الخلفاء الراشدين، هذه الأمة قبلت في حق هذا الرجل بكل هذه الصفات أن يكون ناكثاً، ولذا راحت لتمر الكلمات يتلو بعضها بعضا على هذه الأمة كلمات حق يراد بها باطل، يفسر فيها إمام الزمان بيزيد والباغي بحسين عليه السلام، وراح ليفسر فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل شيء يمكن أن نفسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا التكلم عن الحكام وظلامة الشعوب فإنه ليس من الأمر بالمعروف ولا من النهي عن المنكر، لأنه كما قالوا ويقولون إنه شق لعصا المسلمين أي عصا هذه؟، لأن عصاهم هي تلك العصا الذهبية السحرية التي هي بيد الحاكم الجالس على العرش، الذي هو كما يدعون خليفة رسول الله ومظهر تحقيق العلم والعدل الإلهي.

الآن عرفنا الحاكم؟ من هم الجماعة التي يشق أمثال الحسين

صفوفهم؟ الجماعة هم تلك الجماعة الصالحة الحافة بالحاكم وعرشه.

فإذن الحاكم هو الكل في الكل الجماعة التي يشق صفها ويكون أمراً عظيماً لا يرضى به الله، أي جماعة هذه ؟ عرّفنا هؤلاء أن الجماعة هم تلك الجماعة الحافة بعرش السلطان، هذه الجماعة التي أعدت مسبقة كلمة أحسنت أيها الأمير أحسنت يا أمير المؤمنين، أحسنت أيها الملك المفدى، أحسنت يا صاحب الجلالة، أحسنت يا صاحب السمو، هؤلاء المتزلفون أصبحوا هم الجمع الإسلامي لتكبر وتهلل في وجه أمثال هؤلاء، هؤلاء من سماهم الجماعة مع الأسف على طول التأريخ وعاظ السلاطين.

أجل أيها الإخوة والأخوات الكرام هذه الأمة في فهمها للآيات وللروايات وتطبيقها على محالها ومصاديقها، بأن رأت يوم العاشر من المحرم من قال في حقه وحق أخيه الإمام الحسن عليه السلام رسول الله ماذا قال في حقهما؟ «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»(١)، رأت هذه الأمة بأبعاد معارفها وخلوصها لربها، رأت هذه الأمة الإمامة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث وجدتها باغية تشق عصا المسلمين خارجة للإفساد لا للإصلاح،

١ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣٩٤.

هكذا هي هذه الأمة، ولذا ولأجل هذا وجدت نفسها مكلفة تكلفيا لا مفر منه من قبل الله تعالى ورسوله قبل أن تكلف من قبل عبيد الله بن زياد أو يزيد بن معاوية، رأت من واجبها أن تقتل حسيناً وأن تمثل به، هذه هي الأمة التي نتكلم عنها.

ثم راحت هذه الأمة لمزيد من الثواب والقرب إلى بارئها، ماذا رأت من الواجب وما هو تكليفها؟ راحت لترى أن من واجبها أن تهجم على خيام الحسين عليه السلام لترعب كما ادعت الخوارج الذين خرجوا على إمام زمانهم، من هم الخوارج ؟ التي قبلت هذه الأمة أن يسميهم الحاكمون بالخوارج؟ هم آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم راحت هذه الأمة لا لطمعٍ في مال ولا لخسة طبع كما يقال، أن تنهب مافي الخيام وماهو على بعض النساء من حُلي كسوار أو خاتم، بل تجاوزت هذه الأمة حتى راحت لتقطع إصبعا للإمام الحسين عليه السلام، ورأت ذلك أمراً راجحاً، لأنها إن لم تنهب وإن لم تهجم، فهناك من ينهب ومن يهجم وهناك من يأخذ هذه الأموال، فكأنها خوفا على ضياع هذه الأموال راحت لتهجم على آل محمد صلى الله عليه وآله، هكذا مع كل الأسف هذه الأمة التي يقودها عبيدالله ابن زياد ويقودها يزيد بن معاوية وقبلت من بعدهما ولاة وأمراء للمسلمين، هذه الأمة راحت لتفعل كل هذه الأفعال بكل دنائتها وخستها، لكن لعل قائلاً يقول شيخنا لم تطلق العبائر وتقول هذه الأمة، الذين

ارتكبوا جريمة في صحراء كربلاء قبل الكوفة عدد معين من الناس وليست هذه الأمة؟ أقول من رضي بعمل قوم حشر معه، أقول هذه الأمة قبِلت يزيد بن معاوية أميرا للمؤمنين فقد رضيت بهذه الجرائم كلها، رضيت بها بمعتقد أم لم ترضى من قبِل مجرماً قائداً وجاء ليسمي من جاء من بعده من المجرمين قادة هو راضٍ بهذه الأفعال، هكذا هوأيها الإخوة والأخوات تفسر وتطبق الآيات وهذه الأمة راحت لتفهم شرع الله هذا الفهم، وأكبر شاهدٍ على ما أقول من انحدار هذه الأمة في ظُلماتها، ما تقدمت الإشارة إليه من أنا ما شاهدنا وماسمعنا يوماً من الأيام بل ولا حدَّث التأريخ أيضاً حتى عن فرعون أنه قال يوماً لشعبه مخاطباً إياهم أطيعوني أيها الناس ولو كنت ظالماً جائراً، ما سمعنا ذلك حتى من فرعون أنه خاطب شعبه هكذا، بل ولا سمعنا من حاشية فرعون يوماً من الأيام أنهم خاطبوا الشعب المصري قائلين أطيعوا فرعون ولو كان ظالماً جائراً ما سمعنا أبدا، ولاسمعنا يوماً من الأيام أبداً ومطلقاً حتى نرى كم هو انحدارهذه الأمة في ظلماتها وجهلها وغبائها، كما وأنَّا ما سمعنا على طول التأريخ وليومنا هذا أن مشركاً خاطب شعبا أنا حاكم عليكم فأطيعوني و لو كنت جائراً، ولا سمعنا مقالة تصدر من ملحد ولامن علماني ولا من أي شخص بل ولا حتى سمعنا في الغابات أن رئيس قبيلة يخاطب أمة يخاطب قبيلة قائلاً أطيعوني ولو كنت

ظالماً، أو قال قائل أطيعوا الحاكم ولو كان ظالما ما سمعنا نحن ذلك، لكن سمعنا ومع كل الأسف وعلى طول التأريخ وليومنا هذا والقائل متلبس بلباس الدين غير مختشٍ ولا مبال ولا خجل مما يقول لا من ربه ولا من أمة، ماذا يقول هذا القائل الذي ينسب نفسه إلى الله وإلى الرسول وعلى طول التأريخ و تسميه الناس بالعالِم المقدّس الجليل ماذا يقول هذا العالِم ويخاطب الناس بلا حياء من أحد لا من رب ولا من أمة، يقول أنه يجب على الأمة أن تطيع الحاكم ولو كان فاسقا جائرا ولو ضرب ظهور الناس وسلب أموالهم فهل وصل في العالم كله حتى في الغابات حاكم يخاطب الأمة بهذا الخطاب لا أظن على طول التأريخ كل ظالم ظلم إدعى ظلمه عدلا، وكل دجال جاء ليؤيد حاكما إدعى أنه يعيش عدلا، أما أن رجال دينٍ بكل هذه الوقاحة يقفون ويخاطبون الأمة الإسلامية أيها الناس يجب عليكم أن تسكتوا أيها الناس يجب عليكم أن تطيعوا الحاكم، ولو جاء بالوراثة أو جاء بالسيف فإن الله قد أمر بطاعته ولو كان ظالماً جائراً، لا أظن أن التأريخ البشري يحدث مثل هذا الحديث عن أي أمة مهما كانت في غبائها وجهلها وعدم فهمها وعدم ارتباطها لا بكرامة ولا برب أنا لا اظن ومن شاهد ذلك فليأتنا به.

فإذن أقول لا نستغرب أن حسيناً عليه السلام يأتي ليتشهد الشهادتين

وليقول أنه معتقد بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النشور والقبر، لا يستغرب أحد أن الحسين لا يحتاج إلى مثل هذا.

فإذن أرادها في مقابل شبهة لأمة قد وقعت فيها كالشيوعيين كإبن أبي العوجاء وما شاكلهم ليس الأمر كذلك ولا نغش النفس بمثل هذه التفاسير، حسين يعلم انحطاط أمة وسقوط أمة في ظلماتها تصدق الحاكم ولوبمثل هذه الكلمات، أمة تنسب إلى نبيها سيد الكائنات أنه يهجر وتنسب إلى علي العدل والمعارف أنه ينكث لا تتوقف عن نسبة الكفر إلى حسين عليه السلام، فأراد الحسين عليه السلام بقوله إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً وظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله، يبين معتقداً ويؤكد قياماً ويبين لأمة وقعت في ظلماتها وانحدارها حينما أذلتها رجال الدين للحكام، أراد أن يقول أيها الأمة إن القيام على الظالمين ليس إفساداً بل هو إصلاح إن الوقفة ضد الهوان عزا وليس ذلاً، أراد أن يبين لهذه الأمة أنها وقعت في خلطٍ أنها وقعت في جهلٍ، أراد أن ينبه هذه الأمة ولذا اتفقت كلمات العقلاء على أنه بعد قيام الحسين عليه السلام تنبهت الأمة أن من الممكن أن تقوم ضد ظالم، وأن الحاكم يمكن أن يكون ظالما لأن وعاظ السلاطين ضربوا على أدمغة هذه الأمة وأكدوا وأكدوا وأكدوا حتى صارت شريعة على أن الحاكم مادام يسمى بأمير المؤمنين فيفعل ما يشاء وعلى الأمة أن تطيع .

والآن أيها الإخوة والأخوات لنذهب معاً لنشهد مشهدا آخر من مشاهد ثورة الحسين عليه السلام، وقلنا نحن لا نريد في هذه اليالي أن نتكلم وعظاً وإرشاداً من قبل أنفسنا ولا تفسيراً لغاية قام من أجلها الحسين ولا أي شيء نمشي مع كلام قاله الحسين عليه السلام أو خطبة خطبها أو دعاء تكلم به ودعى ربه به، والآن لنشهد مشهداً آخر من ثورة الحسين عليه السلام والدواعي التي دعت إلى هذا الخروج، ثم نقيس ما قاله حسين عليه السلام ناسباً ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ونظر في مقابله ماذا نسب وعاظ السلاطين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، الآن نحن عرفنا أن وعاظ السلاطين على طول التأريخ نسبوا إلى رسول الله روايات كذباً وافتراءاً على سيد الكائنات على رسول السلام والعلم على رسول العدل جاؤوا وصاغوا عبائر وروايات وأذلوا الأمة بها، أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لا يجوز القيام على الحاكم ولو كان ظالماً جائراً، نريد أن نرى هذا ما سمعناه من وعاظ السلاطين، هذا ما سمعناه من أمة قبِلت أن الحاكم هو يمثل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه هو أمير المؤمنين هذا ما سمعناه، نريد أن نرى ماذا نسمع من أوصياء الرسل من مقال ينسبونه إلى رسول الله، فإذا سمعنا ذلك علينا أن نعود إلى ضمائرنا وإلى عقلنا وإلى حسابنا يوم الحساب لنرى أي المقالتين أنسب بشرائع السماء أي المقالتين أنسب بالعلم والنور والكرامة أي المقالتين أنسب بعدل الله الذي بعث من أجله الأنبياء

الكرام، ماذا نسب حسينٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لنرى أي الطرفين يمكن أن يكون صادقاً في دعواه النسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ماذا قال الحسين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحُرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم و بالعدوان»[1] هناك سمعنا نحن من يسمون أنفسهم سنة قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله مع كل هذه الأوصاف يجب على الناس أن تطيع حتى لا تشق عصا هذه الأمة وحتى لا تضعف هيبة الدولة وحتى ... ومن شاء فليرجع، «فلم يغير عليه» هناك يقولون حتى ولو كان ظالماً جائراً لا يجوز الخروج عليه وإذا خرج عليه خارج ولو كان عبداً صالحاً يجب على الأمة أن تكون يدا واحدة مؤيدة لحاكمها تضرب بيد من حديد ولو العبد الصالح، هكذا فسرت الشريعة لهذه الأمة فذُلت هذه الأمة وصارت أمة أضحوكة للبشر، ماذا يقول حسين وماذا ينسب إلى رسول الله وعلى الإنسان بعقله و وجدانه وضميره الحي أن يرجع لا إلى طِوال اللحى، «فلم يغير عليه» من رأى هكذا سلطان ظالم فلم يغيرعليه بفعل إن كان قادراً على الفعل وقول إن كان قادرا على القول، من لم يغير لا أن يؤيد هؤلاء يقولون يجب أن يؤيد هؤلاء يقولون يجب أن لا

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٨١.

يخرج هؤلاء يقولون الحاكم يفعل ما يفعل و ينهب ما ينهب لا يجوز لأحد أن يتكلم وينقد حاكماً، ماذا يقول الحسين عليه السلام ناسباً إلى رسول الله «فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أنه يدخله مدخله» كان حقاً على الله أن يدخله مدخل هذا الحاكم الجائر وهي جهنم وبئس المصير.

فإذن هذا الحاكم الظالم من لم يغيرعليه ولم يقل قولاً يمكن أن ينال من هذا الحاكم والطاغوت يدخله الله مع هذا الطاغوت، لأنه قبل الذل لنفسه فحسين يقول «القابل للذل لنفسه يحشره الله على لسان رسوله مع الظالم يوم القيامة» وهؤلاء يقولون لا يجوز التكلم ولو تكلم متكلم يجب أن نكون ضده تأييداً للظالمين، الوجدان والعقل والآيات والروايات على الإنسان أن يتبّعها بنفسه، ويقرأها ماذا تقول بالنسبة إلى الذين يستسلمون إلى الذل ولم يهاجروا من أرض الله إلى بلاد يمكن أن يتكلموا الحق وأن يعيشوا الكرامة.

على الإنسان أن يرجع حتى يرى أن حسيناً عليه السلام يقول حقا يناسب العقل والشرف والآيات والروايات أو أن وعاظ السلاطين يقولون حقا، حيث أن مما لا شك فيه أن الأديان إنما جاءت لإخراج الناس من الجهل إلى نورالعلم ولإقامة العدل، هذه هي أسس الأديان فكيف تترك أسس الأديان نوراً علمياً وكرامة

بالعدل، كلها لكرامة الحاكم لا أدري كيف تترك كلها لا قيمة لها عند وعاظ السلاطين، لا الأمة لها قيمة ولا كتاب الله له قيمة ولا العدل له قيمة، ولا أي شيء له قيمة عند هؤلاء الذين يدعون أنفسهم ممثلين لشرع الله وينسبون أنفسهم إلى سنة رسول الله لا شيء له قيمة إلا الحاكم، فلا أدري ماذا يفسرون هذه الآيات ماذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ (١) لماذا أرسلت الرسل بالبينات والعلم والهدى ولم أنزل معهم ولم أنزل الميزان، كل هذا ليقوم الناس بالقسط كل هذا للعدل والقسط الذي لا قيمة له عند وعاظ السلاطين، لأن القيمة كلها بكتاب الله وسنن الأنبياء وكل ما جاء به الرسل كلهم إنما جاؤوا لهيبة السلطان، وقد قال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ (٢) هكذا قال الله تعالى وما وجدناه قال أيها الناس ما لكم تخالفون الحاكم الجائر الظالم أما تعلمون إنه محبوب لي وأنا نصَّبته عليكم بقضائي وقدري، ما وجدنا هكذا شيء فكيف ضحك هؤلاء بهذه الواضحات على هذه الأمة، أنا لا أدري كيف قبلت

١ـ سورة الحديد، الآية ٢٥ .

٢ـ سورة هود، الآية ١١٣ .

هذه الأمة قروناً لا يوماً ولا يوم لعل أمةً في ظلمة في مكان وزمان لانحدار لجهةٍ من الجهات، لعيشٍ تحت ذل وهوان يمكن أن تقبل أمراً كما قبلت بني إسرائيل بالمهانة وتاهت أربعين سنة، لكن هذه الأمة بما لها من الشموخ أمة الإسلام وبما تدعي من مكانة وشرف عربي كما يدعون بكل هذا تصبح ذليلة حقيرة بأيدي الحكام يسوقهم وعاظ السلاطين، كيف انحدرت هذه الأمة والبعض منها إلى يومنا هذا يقول ويؤكد: قد قام إجماع المسلمين، ومن خرج على خلاف هذا خرج على إجماع المسلمين، أن من قام على حاكم أو تكلم على حاكم كان قد شق عصا المسلمين وو.. هذا النسيج الباطل الذي يصفونه، وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (١).

وقال تعالى في كثير من الآيات وجاءت الروايات كلها ضد الظلم والظالمين فكيف أصبح رئيس الظلم والظالمين وهو الحاكم الجائر يجب أن يطاع، كيف تجتمع هذه في عقلية إنسان ذو عقل، لكن الظالم بنظر هؤلاء القوم المدعين للإسلام والتقوى والناسبين أنفسهم إلى رسول الله وسنته، الظلم قبيح ويقرون بذلك وأن الأديان جاءت ضد الظلم والجهل، لكن الظلم إذا صار متلبساً

١ـ سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

بلباس أمير المؤمنين يجب أن يطاع ولا يجوز أن ينال منه أحد، بل قالوا أكثر من ذلك أنه لا يجوز أن ينقد الظالم ناقد أو يخرج عليه وما تقدم من الكلام العجيب الغريب :فأخاطب هذه الأمة أليس من العجب العُجب أن تقبل هذه الأمة قروناً من الزمن أن ظالما لو ظلم الناس بدرهم تقام عليه الحدود ولو تجاوز عليهم في أي جهة من الجهات يشهَّر به ويطرد من المجتمع إن لم يصلح نفسه، فكيف قبلت هذه الأمة على أن الظالم لشخص هكذا حكمه لكن الظالم لأمة والظالم لشرع يجب أن يحترم ويطاع، هذا تناقض في العقلية العربية لا أدري تناقد في العقلية الإسلامية لا أدري مسخ لهوية المسلم بما فيه من عرب وأعاجم لا أدري، إذن الظلم والجهل بمقاييس هؤلاء الرجال إذا تلبس لباس الدين وصار صاحبه يسمى بأمير المؤمنين شرعاً وعقلاً لا يجوز النيل منه، ومن خرج عليه ولو كان عبدا صالحا وجب على الأمة الإسلامية أن تضربه بيد من حديد، أليس هذا من العجب العجاب أليس هذا الكلام لا يمكن أن يصدر حتى من مجنون، وقد قال تعالى: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [1] لكن وعاظ السلاطين طيلة هذه القرون أمرت هذه الأمة وأذلتها بطاعة الظالمين بحجة أن هذا التأييد للحاكم من

١ـ سورة الشورى، الآية ٨.

أجل وحدة المسلمين ومن أجل جماعة المسلمين ثم راحوا ليدّعوا أكثر من ذلك أن الإجماع الإسلامي قد قام على ذلك.

فإذن الإجماع لأمة محمد صلى الله عليه وآله إجماع أربعة وخمسة يدّعونه إجماع المسلمين، يكذبون على الأمة وعلى الله ويدَّعون أن الإجماع قد قام على أنه لا يجوز القيام على الحاكم الظالم، هذا الإجماع كيف أحرزتموه وأين وجدتموه في غابة أو في سماء أو في بحر، قالوا واضح وأكبر دليل على ثبوت على هذا الإجماع نريد أن نرى دليلهم، وأن الدليل القاطع على شرعية هذا المقال وعلى ثبوت هذا الإجماع ماهو الدليل القاطع ؟ أرجو التوجه وليسمع المسلم وليرجع إلى عقله ودينه وبصيرته وحسابه يوم الحساب قالوا: «إنَّا ما شاهدنا أن الصحابة قاموا ضد الحاكم الجائر»

.

فإذن ما شاهدنا الصحابة قاموا ضد الحاكم الجائر وكم من حاكم جائر جاء في عهد الصحابة أنفسهم قبل التابعين هكذا دليلهم، بل ولا قام عليه التابعون.

فإذن هو شرع الله المبين الذي لا شك فيه.

فإذن عرفنا شرع الله من سكوت الصحابة ومن سكوت التابعين للصحابة الذين جاؤوا من بعد الصحابة، وماشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عرفنا كيف نعرف شرع الله تعالى تركاً للآيات والروايات

وكل شيء وللعقل وللشرف والكرامة، عرفنا أن شرع الله من هنا يؤخذ من أي شيء يؤخذ؟ من سكوت الصحابة ومن سكوت التابعين للحاكم الظالم وأنهم ما قاموا ضده ولا قبلوا أن يقوم أحد ضده وراحوا لينصحوا حسيناً عليه السلام حينما أراد أن يقوم على الظالمين، فهذا أكبر دليل على أن حسيناً كان شاذاً من هذه الأمة وأن الأمة أجمعت على عدم جواز القيام على الحاكم الظالم، كلام عجيب غريب نسميه لطيفا نسميه سخيفا لا أدري؟!

فتسائل هاهنا هل أن شرع الله يرسمه الرجال ويعرف بأفعالهم وبسكوتهم وصمتهم، أم أن هذا مع عرفانهم يكون استسلاماً للذل وابتعاداً عن آية ورواية ونفاقاً ودجلاً وماشاكل ..، أم هو تقوى وإيمان لحفظ وحدة المسلمين فليسميها كل إنسان بتسمية ويلقى بها ربه، فكأن شرع الله يرسمه الرجال ويعرف بأفعالهم لا بآيات الكتاب المجيد ولا بالروايات الواردة عن أهل رسول الله صلى الله عليه وآله ولا بأحاديث أخرى وردت عنه حيث قال صلى الله عليه وآله: «إن الحق لا يعرف بالرجال» هذا كله لا قيمة له اتفقت الأمة وسكتت عن الظالمين الأمة سكتت عن الظالمين لعله دجلاً لعله جهلاً لعله جبناً لعله نفاقاً وطماعاً بما في أيدي المنافقين، هذا كله لا يحتمل، لا يقيناً الصحابة كانوا ملائكة والتابعون كانوا ملائكة و سكتوا عن الظالمين فالسكوت عن الظالمين مرادٌ بشريعة رب العالمين،

فالظالم الذي ينبغي أن لا نعتبر شرعية حكمه يأتي وعاظ السلاطين بعد إعطائه الشرعية ولو تسلط بالسيف أو بالوارثة على المسلمين، ثم ليقول قائلهم بعد إذلال الأمة لطاعته كل من يخرج عليه يكون باغياً، وليقول قائلهم لا يجوز الخروج على الحاكم الظالم ومن خرج عليه كان خارجا على إجماع الأمة، وهلم جرا من الكلمات التي لا أدري وعلى المنصف أن يحكم بنفسه و بدينه ولا يلقى ربه بكلمات وعاظ السلاطين .

وها هو الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المجيد ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾ [1]، من ظلم يجوز له أن يصدح ويجهر بقوله يصدح ضد من ؟ ضد من ظلمه فسرق منه تفاحة هذه جريمة جزئية يجوز لك أن تقول ظلمني زيد وعمرو لكن لا يجوز لك أن تقول «ظلم الأمة من بدل دينها ومن نهب ثرواتها ومن أذلها» .

هاهنا خط أحمر لا يجوز لأحد أن يتكلم عنه فهؤلاء يقولون مع شهودهم وسماعهم لمثل هذه الآيات والروايات يقولون يحب الله السكوت عن الظالم إذا كان حاكماً يخالفون كتاب الله نصاً مفسرين له بتبع الهوى مرضاة للحكام لأنهم من أذناب الحكام

١ـ سورة النساء، الآية ١٤٨ .

الذين يعيشون على فتاتهم والحال أن الظالم العادي الذي قد يظلم زيداً أو عمرو يجب أن يؤدب وتقام عليه الحدود لكن الظالم للأمة وللشرع يجب أن يطاع فكيف يعقل أن يقبل من أحد خلافاً لما قاله الحسين عليه السلام حينما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله على أن من رأى سلطاناً جائراً وما قاله رسول الله بنفسه «إن الحق لا يعرف بالرجال»، وما قاله وصيه بالحق إمام المتقين حينما اعترض عليه البعض جهلاً قال: «الحق لا يعرف بالرجال إعرف الحق تعرف أهله»[1] فهل مثل هذا الدين وهو دين الاستسلام للحكام يفعلون ما يفعلون بكتاب الله وسنة رسوله و بالأمة إذلالاً فهل هذا الدين هو دين الله عز وجل ودين أنبيائه الكرام أم هو دين وعاظ السلاطين لا أدري!؟

أسأل من هذه الأمة هذا دين الله أم دين وعاظ السلاطين المتزلفين للحكام الذين يريدون منهم منصبا ومالاً وتكريماً والذين يريدون أن يوازنوا بين الحاكم والشعب والأمة حتى يعيشوا كرامة وتقديساً واحتراماً على سكوتهم أو على مداهناتهم للحكام أجل التخلف لفهم شريعة رسول الله ساق هذه الأمة إلى الذل والهوان وأن يتسلط عليها الدجالون والحكام الظالمون والعلماء الصامتون

١ـ روضة الواعظين ١:

الذين وسمتهم الأمة بالقديسين والصالحين ولم تسمهم بأنهم أناس أصبحوا ولم يهتموا بدين محمد صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ ولم تسمهم أنهم أناس من أجل أن يتخلصوا من عبء التكليف وثقله راحوا ليداهنوا وهذا العمل ما جعل الأشرار يتسلطون على هذه الأمة ويشيع الفساد والظلم وللحديث تتمة والحمد لله رب العالمين.

من المؤسف أن يكون غاية النزاع لمن الحق

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وما يمكن أن نستفيده من سيره وسلوكه وحياته وكلماته وما قام به.

فقد عرفنا أيها الإخوة والأخوات أن التأكيد من الحسين عليه السلام في الوصية على معالم الدين توحيداً حتى القبر والنشور، كان شهادة لدفع شبهة قد يسعى إلى تلقين الناس بها الحاكمون ومن يتزلف إليهم من رجال الدين، بأن حسيناً قد كفر أو كان باغياً وخارجاً على الدين، وقد أكدت هذا في ما مضى وإن كان البعض يتردد في مثل هذا الاحتمال اليوم في حق الحسين عليه السلام، لأنه ما لاحظ التأريخ بجوانبه المختلفة، فراح بذوقه وبما يرى من حسين اليوم كمسلم سنيا كان أو شيعيا يستغرب هل يمكن أن يتهم مثل الحسين في أمة محمد صلى الله عليه وآله بكفرٍ ببغيٍ وماشاكل نقول نعم، ومن الشواهد على ما نقول أن السبايا من آل الرسول صلى الله عليه وآله لما أدخلوا إلى الشام أدخلوا تحت عنوان الخوارج، فإذن كان من الممكن أن يكون من الخوارج الحسين عليه السلام أن يكون من الخوارج كل من يقوم على الحاكم، أدخلوا تحت عنوان الخوارج والكفرة الذين

قاموا على أمير المؤمنين وإمام الزمان، ولذا راح بعض الشاميين ليطلب من يزيد بن معاوية أن يهبه جارية مشيرا إلى بنت من بنات الحسين عليه السلام، في حين أنه من مسلمات شرع الله وليس هناك من اختلاف طائفي مذهبي في مثل هذا أن المسلم أو المسلمة لا تكون جارية لأنها لا تملك.

فإذن كان في ذلك الوقت حتى المسلم إذا قام على الحاكم يمكن أن يلبس لباس الكفر والإلحاد، وأن تكون زوجته أو بنته أو من تلتحق به من النساء وتكون معه تكون جارية، لا نستغرب هذا حتى لا نحكم على الأشياء بالأذواق، وكيف نحكم على الأشياء بالأذواق وراح المسلمون وليومنا هذا في حديث متفق عليه بين المسلمين لا ينازع فيه إثنان، حديث وارد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] مرت القرون وليومنا هذا إما أن المسلم لا يسأل من هو إمام الزمان ومن هو الذي يموت جاهلاً، لعله لا يريد أن يسأل خوفا أن يقع في مشكلة، وراح آخرون وبكل صراحة ليقول قائلهم هم الحكام، فلا أدري أهو حديث خُصص بحكام جاءوا كانوا من الصحابة فقط أو يشمل التابعين أو يشمل أمة محمد إلى يوم الدين، إن كان يشمل أمة

١ـ كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٤٠٩، ح ٩.

محمد إلى يوم الدين وشككنا في السابقين منهم، فلا نتردد في خيانة وجريمة وخروج عن العدل والمعرفة وعن كل شيء بالنسبة إلى حكامنا ولمن عاش قبلهم بقرون، هل يمكن لعاقل أن يرضي نفسه مهما كان بعيدا عن الدين وعن المعارف، أن مثل هؤلاء الحكام من مات ولم يعرفهم مات ميتة جاهلية هذه هي الأمة هذا واقعها، وكان أقل ما يفترض في حق من يقوم على الحاكم على أنه قد شق عصا المسلمين ظلماً وعدواناً وقد ظلم أمير المؤمنين وظلم الأمة، ولذا راح ليؤكد الحسين عليه السلام في وصيته بعد التأكيد على الوحدانية والنشور والحساب والجنة والنار، قائلاً: «لم أخرج أشِراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً»[1] لولا أن هذه العناوين كانت مُحَكَّمةً في هذه الأمة، على أن الخارج على الخليفة من كان الخليفة فليكن من خرج على الخليفة على أمير المؤمنين يكون خروجه بطرا وشرا وإفساداً في الأرض وظلما للعباد والبلاد.

لما كان يأتي الحسين عليه السلام ويقول بهذه المقالة هذه واضحات لا يحتاج أن يقولها الحسين فقالها فإذن ماكانت واضحات، ولعل البعض ليومنا هذا يناقش ويعتقد في ضميره لكنه لا يتمكن أن يعلن اليوم لأن الأمة لا ترضى بذلك، لو أن أحدا من النواصب المتلبسين

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩.

بلباس الدين يريد اليوم أن يقول أن الحسين كان مبطلاً وأن يزيد كان محقاً أظن الأمة لا ترضى اليوم بمثل هذا الكلام، لكنها رضيت قرونا من الزمن أوترددت في حقانية حسين عليه السلام ولو في مقابل مثل يزيد، حيث أن من المُسلَّم أيضاً آنذاك أن الخارج على الحاكم لا يكون إلا مفسدا في الأرض وكيف لا وليومنا هذا تقتل الناس، حيث أن من المُسلَّم أيضاً على أن الذين يخالفون الحُكام مفسدون في الأرض، كيف نستغرب أن يقول القائل لم يتكلم الحسين أنه ليس مفسداً، اليوم في عصر المعارف في عصر ما يدعى من الحرية، نحن نرى الناس أفواجاً أفواجاً تقدم إلى الإعدامات، تحت عنوان مفسد في الأرض تحت عنوان محارب لله تحت عنوان محارب للرسول تحت عنوان محارب للأولياء الله وما شاكل هذه الأمور، الأمة التي تعيش ليومنا هذا الجهل فكيف نستغرب ذلك في عصور مرَّت على هذه الأمة، وكيف لا يكون الخارج على الحاكم ظالما لنفسه ملقياً لنفسه في التهلكة، وقد خاطبوا الحسين عليه السلام لا تلقيبنفسك في التهلكة وقد نصحه الناصحون واعتبروا ذلك إلقاءً للنفس في التهلكة وشقاً لعصا المسلمين، وأراد أيضاً عليه السلام أن يخرج الأمة ولو بعد حين رب مصلح يعلم ويجزم أن الأمة تعيش جهلاً أن الأمة تعيش غفلة، لكن تكليفه من الله أن يقيم الحجة ولولإحياء الأمة بعد حين، فالحسين حينما قتل عليه السلام لعل

أكثرية من الأمة حتى ولولم تعتبره آنذاك خارجا على إمام زمانه وأن الكثير منهم كان يعرف لكنهم كانوا يلومون لكنهم كانوا ينقدون لكنهم كانوا غير ناصرين وهلم جرا، كل ذلك يدل على أن مثل هذه الروحية كانت موجودة في الأمة، ظالما لنفسه ملقياً لنفسه في التهلكة ظالما للإسلام والمسلمين وأمير المؤمنين، وأراد أيضاً أن يخرج الأمة من جهلها ولو بعد حين كما قلنا حتى تخرج من الإستسلام للحكام الظالمين، فرضت هذه القضية فصار من مسلمات شرع الله أن الخارج على الحاكم خارج من الدين، أرادها كمنهج يقيم به شرع الله أيها الناس إعلموا على أن القيام ضد الحاكم ليس كذلك، ثم راح ليستشهد بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما تقدم ما هو هذا الحديث تقدم بيانه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله»[1] أي النار هذا الواقع وهو أنه يجب على الأمة أن لا ترضى لأنفسها إلا حاكماً عادلاً عالماً هذه فطريات البشر، هذه الأمة انسلخت من هذه الفطرة.

نحن لا نريد أن نصرَّ على أوصياء الرسل بعد الأنبياء وأن

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٨١ .

يكونوا معصومين طاهرين، نقول هذه الأمة ما وقفت عند حد حتى نصارعها ونجادلها ونقول أن أوصياء الرسل أو خلفاء الرسل يجب أن يكونوا معصومين كالرسل أو لا يجب حتى يكونوا مفسرين بحق لكتاب الله وسنة نبيه ومطبقين لها تطبيقاً سليماً، نحن لا نريد أن نصل بالأمة إلى هذا الرُقي لكن نقول الأمة ياليتها خالفتنا في عصمة وعدم عصمة، الأمة راحت لتقبل الحُكم بالوارثة وراحت لتقبل الحكم للجاهل وراحت لتقبل الحكم للفاسق وراحت لتقبل الحكم للجائر.

فإذن لا تتوقف هذه الأمة عند حدٍ حتى نقول هناك مقسم مشترك بيننا وبينها في مسألة الحكم، أين المقسم أبين الحق والباطل مقسم أبين العلم والجهل مقسم ليس هناك من مقسم حتى نتكلم في ذلك.

فإذن نقول نحن لا نعتب على من أوصل القبول في الحكم لأوصياء الرسل أو خلفاء الرسل إلى ما أوصلوه إليه، نحن نعتب على من يدعي معرفة ومنهجاً علوياً، مسلكاً حسينياً أنهم وصل بهم الأمر إلى مرحلة صمت عن الحاكم مهما بلغ، ولبس هذا الصمت عن الحاكم لباس الزهد والتقوى، وأصبح المتكلم بظلامة أمة، وأصبح المتكلم عن تفسير الآيات والروايات من الحكام وأذنابهم بتبع الهوى المتكلم خارجا من الدين هذا نستغربه أما من القوم فلا

نستغرب أمراً، القوم وصل بهم الأمر أن قبِلوا ظالماً جاهلاً جائراً بالوراثة والسيف، إذن هذه هي الطامة الكبرى، الرسول يقول: «من رأى سلطاناً جائراً إلى آخر قوله لم يغير عليه» لا نطلب منهم وما طِلب الكثير من هؤلاء العلماء أن يغيروا على حاكم لا بقول ولا فعل لكن لا ينقدوا من ينقد ظالماً، وصل بنا الحال أنهم ينقدون من ينقد ظالما ويتكلمون على من يحاول تغيير أمة من ذلها وهوانها لتقول للحاكم قف حدك فلا تفسر الآيات بالهوى ولا تقتل الأمة وتنهب أموالها، هكذا هي الأمة.

فإذن العتب والكلام ليس مع طائفة، الكلام مع الجميع علينا أن نعود إلى شرع الله ولا نخدع أنفسنا بكلمات من هنا أوهناك، وقد جاء في كتاب الإمام الحسين عليه السلام نحن قلنا نريد منهجية نعيش بها كرامة وعلماً نستفيدُها من نهضة وقيام الحسين عليه السلام حتى لا نضيع الحياة بتكرارٍ في كل سنة في عاشوراء أو في غير عاشوراء، وقد جاء في كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى رؤساء البصرة أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه فإن السنة قد أُميتت والبدعة قد أحييت.

فإذن الأمام الحسين يقول كتاب الله قد تُرك ولم تعمل به الامة وأن السنة قد أُميتت والبدعة قد أحياها الظالمون، ونحن قلنا وكررنا أن الأمام الحسين عليه السلام ما كان يتكلم أن كتاب الله قد هُجر

لأن الناس تركوا صلاة أو تركوا صوماً أو شربوا خمراً أو أن الفاحشة شاعت بين النسوة من المسلمين حاشا لله، هذا ما تكلم به حسين عليه السلام.

فإذن علينا أن نرجع لأنفسنا ونقول الكتاب الذي يريد العمل به ماهو؟ السنة التي رآها قد أميتت أي سنة يتكلم عنها؟ البدعة التي رآها الحسين قد أشيعت ما هي؟ حتى نرجع اليوم لأنفسنا ونقول هكذا وصل حال الإسلام بعد (٦٠) سنة من الهجرة النبوية، فما هو بالنا وحالنا في إسلامنا اليوم هل هو إسلام محمد صلى الله عليه وآله بما جاء به من كتابٍ عرفاناً للخروج من الظلمات إلى النور، وهي سنة محمد صلى الله عليه وآله سنة الكرامة علماً وعملاً أم هي بدع وافتراءات وتفسيرات بتبع الهوى ساقتنا إلى أن نصبح بالإسم مسلمين نعيش الذل والهوان والجهل ونرى أنفسنا سالكين مسالك الأبرار والمتقين.

ثم قال مخاطباً القوم فإن تسمعوا قولي أهدكم إلى سبيل الرشاد فإذن مع كل ما كان يدعى من إسلام بكتابه وسنته ما وجده الحسين عليه السلام لا إسلاماً ولا سُنة ولا كتاباً، ولذا قال لهم فإن تسمعوا قولي أهدكم سبيل الرشاد.

فإذن الأمة كانت تعيش سبيل الضلال في مقابل سبيل الرشاد، حتى نعود لأنفسنا اليوم لنرى أنفسنا أنعيش سبيل الرشاد أم سبيل الضلال؟، كيف يريد أن يهديهم عليه السلام إلى الكتاب وسُنة نبيه والسعي

لردع بدعة والحاكم يقال له أمير المؤمنين إذن الحاكم ليس حاكما على الفاسقين حاكم على المؤمنين، والأمة إذن مؤمنة إذا كان أمير المؤمنين حاكمها والأمة مؤمنة عن أي سنة وبدعة يتكلم الحسين عليه السلام.

فإذن أمير المؤمنين كان ليس أميراً للمؤمنين والأمة المعبَّر عنها بالمؤمنة إن كان إيماناً كمعتقد لا نتردد فيه نحن وإن كان إيماناً بمناهج العلم والعمل هذا الذي نتردد فيه، لا نريد أن نتهم أمة بالخروج عن الدين، فإذن كان إسما بلا مسمى من سمى يزيد بن معاوية أميرا للمؤمنين أي أمة هذه لا ندري هذا العجب العُجب تبقى مؤمنة وتسمي يزيد أمير المؤمنين، كما وأنه قد جاء في كتابه عليه السلام إلى رؤساء أهل الكوفة ماذا قال فلعمري ما الإمام حتى نعرف إذا قال القائل أنا فقيه إرجعوا إليَّ في التقليد أنا حاكمٌ لي ولاية مطلقة، أنا أمير المؤمنين أنا...، حتى نرى من هو الإمام « فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط » أي بالعدل « والدائن » أي العامل في الأمة المجازي للناس «بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام»[1] هذا كتابه إلى أهل الكوفة هذا هو من يستحق أن يكون إماماً، إماماً لأمة بمستوى، إماماً لمسجد

١ـ وقعة الطف: ٩٦.

بمستوى، إماماً لمقلدين بمستوى، إماماً لأي جهة بمستوى، أهم هكذا الأئمة آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر شارحون لكتاب الله للأمة حتى تخرج من جهلها وهلم جرا، هذا ما أدعه إلى لأمة ويوم حسابها ولنفسي قبل كل أحد.

فعلينا جميعاً أيها الإخوة والأخوات من بعد ما عرفنا أن الحسين عليه السلام ما كان يقصد من الإصلاح صلاة، لأنها كانت متحققة ولا شرب خمر لأنه ماكان يباع في الأسواق ولم تتظاهر به الأمة، علينا أن نتأمل ما كان مراد الإمام الحسين عليه السلام من العمل بالكتاب والسنة، وماهي البدعة التي تكلم عنها، وما المراد من الآخذ بالقسط أي العدلفأي عدل كان ضائعا وأي جور كان قائماً، هذه حقائق يجب علينا أن نعرفها حتى نشاهدها في مجتمعنا أنحن نعيشها أو لا، إن وجدنا أنفسنا نعيشها أي كما أراد الحسين فبها ونعمة، وإن وجدنا أنفسنا نخدع أنفسنا في كل هذا الأمر علينا أن نصلح أنفسنا، حتى نخرجمن أمة أصبحت أضحوكة و تعيش مذلة حتى أصبحنا نريد ديمقراطية وحرية من الغرب وغيره هذه هي مأساة هذه الأمة، فأقول وإن كان من المؤسف القول إن الأمة اختلفت بعد نبيها العظيم صلى الله عليه وآله، وتنازعت وتنازعت و وقع فيما بينها الصراع والجدل واحتدم وكان قرونا قائما و إلى يومنا هذا، وهي تؤكد وتقول هذه الأمة هل أن من تسلط على رقاب هذه الأمة أي الحكام كان

يستحق أن يسمى بأمير المؤمنين وكان حقاً خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أم أن المستحق لهذا الإسم هم أوصياء الرسل ومن بعدهم يكون الأمر شورى بين المسلمين، هي المقالة الثانية قولٌ بأن من حكموا من حقهم هذا الإسم ومن حقهم أن يحكموا باسم رسول الله صلى الله عليه وآله وقبلتهم الأمة وأوجبت طاعتهم، هذا هو النمط العام من المسلمين الذين يسمون أنفسهم بأهل التسنّن، في مقابلهم من هم في مقابلهم من يقولون ويدعون مشايعة علي عليه السلام أي من شيعته لنراهم ونرى أنفسنا قبل كل أحد على أنّا واقعاً نشايع علياً علماً وعملاً أم لا، أم أن المستحق لهذا الإسم هم أوصياء الرسل ومن بعد الأوصياء، الأوصياء لهم زمان معين كالإثني عشر إمام وينتهي الأمر ويكون للحجة ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ عند الظهور، هذا عرفناه لكن من زمن الغيبة وبالأخص الكبرى إلى يوم الظهور ما هو الحكم؟، الحكم أن الأمر بين المسلمين شورى بينهم، قبل أن نأتي إلى دليل وآية ورواية من المسلمات التي لا شك ولا ريب فيها أن الحكم بين المسلمين هو الشورى وأمرهم شورى بينهم، ثم من الأمر المسلّم عقلاً جاء الدليل أو لم يأتي ولو جاء الدليل لكان إرشاداً على أن الجاهل يجب أن يرجع إلى العالم، وعلى أن الأمة يجب أن تسلم أمرها بيد عالم متق قوي يحقق لها عدلا، هذا مسلمات شرع ثبتت أدلة التقليد أو لم تثبت، ثبتت أدلة حكم إسلامي أو لم

تثبت، جاء الله بشرع وقال أمر الناس شورى بينهم فالناس من أجل أن يعيشوا كرامة لابد وأن يذهبوا إلى رجال علماء لا جُهال، إلى رجال متقين أقوياء لا ضعفاء ولا فسقة ..،هذا هو النقاش الذي يدور ودار بين الفريقين وأنه لا يمكن أن يكون الحكم بالوارثة ولا بالسيف هذا هو الصراع، واستمر هذا الصراع والنزاع قرونا بين الطرفين كُلٌ يصر على معتقده أبناء العامة والجماعة يصرون على أن من تَحكموا في رقاب الناس هم أمراء المؤمنين هم لأنفسهم بما يعتقدون، ونحن ندعي على أنها إمامة وعصمة بعد الرسول ثم تكون شورى ويكون الأمر راجع إلى العالم المتقي، واستمر هذا الصراع قرونا من الزمن في حين أنه مما لا شك ولا ريب فيه أن هناك حقاً وباطلاً يعرفان، بمعرفة الإيمان من كتاب الله ومن سنة نبيه الكريم هذا مما لا يشك فيه عاقل، لا يمكن أن يكون كل من الطرفين محقاً من المستحيل السنة محقون والشيعة محقون والفرق الإسلامية بثلاثة وسبعينها كلها محقة، ويأتي النصراني ويقول أنا محق ويأتي اليهودي ويقول أنا محق ويأتي الملحد أيضاً ويقول أنا محق، فلا يمكن أن يكون الحق متكثراً على تكثر معتقدات الناس لكن في خِضَّم هذا الصراع الذي دار ومازال يدور بين المسلمين الأسف هاهنا، تصارعنا وتصارعنا وكل يدعي الحق وكل يدعي أنه يسلك مسالك رسول الله ﷺ ومتبع لكتاب الله المجيد، أي شيء

ضاع في البين؟الذي ضاع هو الحق هذا يقول الحق لأهل البيت وذاك يقول الحق للحكام، هذا يقول بعد الأنبياء أوصياء رسل وذاك يقول بعد الأنبياء حكام، الذي ضاع ما هو؟ ضاع كتاب الله ضاعت سنة رسول الله بين الطرفين ضاعت، كل ما يسعى إليه مع كل الأسف الشيعي أن يثبت أن الحق في مقابل أبناء العامة لآل الرسول وأن يثبت أن الخلافة لهم، أبهذا نعيش عزاً وكرامة أبهذا نعيش إسلاماً أبهذا نعيش واقع كتاب مجيد و واقع سنة نبوية أويجب أن نعرف هذا الواقع، كأنه ليس بمهم الأمر المهم بكله وبتمامه أن نثبت على أن الحق لأهل البيت حكما وهذا هو الأمر المهم، أبهذا نصبح مسلمين أبهذا نصبح نعيش كرامة نور للعلم وكرامة عدل يخرجنا من مذلة؟ كلا، ولذا لما نازعنا القوم في أنه لمن الحق وعشنا جهلاً بالحق مرة ثانية تسلط علينا الظالمون سواء باسم الحكام سنة أو شيعة تسلطوا على رقابنا وإلى يومنا هذا، لأنّا ما عرفنا الحق وما سعينا لتحقيقه وتطبيقه وانتهينا وبقينا نتكلم لمن الحق ألآل محمد أو لغيرهم هكذا عشنا مع كل الأسف، فعاشت بالنتيجة بعد ضياع الحق نفسه هذه الأمة عدم معرفة لكتاب الله وعدم معرفة لسنة رسول الله الذَّين أوجب الله تعالى العمل بهما وكانا غاية لكل أولياء الله، ماجاء أولياء الله ليقولوا اسعى أيها الإنسان لنصبح حكاما ماسمعنا وليا من أولياء الله هكذا قال وهاهي

كلماتهم بالنسبة إلى الدنيا وخستها وهاهي كلماتهم في كل مجالاتها واضحة، نحن نحتاجهم ليبينوا لنا المراد من كتاب الله لا أن نتأثر عليهم لماذا ما تسلطوا وحكموا هم ما كانوا يريدون حكما وأي قيمة للدنيا بما فيها، فعاشت هذه الأمة عدم معرفة كتاب الله وعدم معرفة سنة نبيه فهماً وتطبيقاً ولذا أقول إن من المؤسف أن عامة المسلمين على اختلاف مذاهبهم عاشوا ويعيشون عدم معرفة لكتاب الله وسنة نبيه، إما لتهاون في دين وذاك ليس بتهمة وعلى الإنسان أن يرجع إلى نفسه يسعى في كل يوم ثمانية إلى عشر ساعات لدنياه ويكدّس الأموال لأجيال ولم يجعل في الأسبوع ساعة واحدة ولو في العطلة ليعرف كتاب الله أليس ذلك تهاونا في الدين، لو كان غاية أساسية أصلية لما تقدمت عليها الغايات فتقدم الغايات باختلافها طلبا للدنيا وتصوراً للخلود فيها أبعدنا عن شرع الله معرفة وتطبيقاً، حتى أصبح خلاصة الإسلام عند المسلمين قاطبة سنة وشيعة ما هو الإسلام؟ صلاة ماهو الإسلام؟صيام وماهو الإسلام حج هذا لا نتردد فيه، لكن هذا كان متحققاً في زمن الحسين عليه السلام وما سمى الأمة تعمل بكتاب الله ولا سمى الأمة سالكة سبيل رسول الله هذا هو الواقع علينا أن لا نخدع أنفسنا.

فإذن أقول أصبح عند المسلمين قاطبة سنة وشيعة على اختلاف مذاهبهم صار الإسلام صلاة والمسلم ربما لا يفهم حتى

مفردات الصلاة، لا أقول أنه يمعن النظر فيها حينما يصلي لا أدعي هذا ولاأقول لكن أقول الكثير تقليداً وإقامة لإطار يصلون لكن حتى معاني الصلاة ليست مفهومة فضلاعن معاني القرآن المجيد بأبعاده وبطونه وفضلاً عن معرفة سنة رسول الله بأبعادها وبما تشرح كتاب الله، فهل أن دين الله الذي وقف الحسين من أجله و وقف الصادق من أجله و وقف جميع الأنبياء والمرسلون و وقف كل الأبرار والصالحون من أجله فقط هي إقامة صلاة هذه كانت مقامة، فإذا كان الإسلام دين الكرامة ودين العدل والعلم ودين الحياة في كافة شؤونها، فكيف ذلك ونحن إن كنا مسلمين نعيش جهلاً ونعيش ذلاً ونعيش تمزقاً ولم نتفق على أي شيء لأحقاد نعيشها فيما بيننا، لعل قائلاً يقول أهي أحقاد بين الطوائف الإسلامية، أقول يا ليتها فقط كانت أحقاداً بين الطوائف الإسلامية أحقاد في الطائفة الواحدة من كل طوائف المسلمين وتسابق لأخذ مسجد وحسينية ومعبد وهلم جرا، هذه هي واقع حياتنا حتى لا نخدع النفس بمقالات من هنا وهناك.

فإذن علينا أيها الإخوة والأخوات لأنفسنا لا لكي نثبت أن الحق لمن أهو للسنة أم للشيعة بل علينا أن نعود لمعرفة الحق نفسه حتى لا نعيش الضياع صراعاً وجدلاً فيما بيننا وبين غيرنا وذلك لأنا نحن كشيعة إن تكلمنا عن ظلامة لأهل البيت عليهم السلام أو أحقية لهم

في حكم إنما نريد ذلك لنرى معالم الدين بواسطته قائمة، ليس كل الأمرأنه لماذا ظُلم أهل البيت، أهل البيت ظلموا وجميع الصالحين وجميع المتقين وجميع الأنبياء على طول التأريخ ظلموا، نحن حينما نقول ظلموا نقول لماذا ما فسح لهم المجال ليخرجوا الناس حقا من الظلمات إلى النور.

فإذن نحن نريد بواسطتهم أن نرى نوراً ونريد بواسطتهم أن نرى عدلاً نعيش به كرامة، هذه هي الغاية وإلا فهم عند ربهم في جنات النعيم، ونحن نعلم أنهم ماسعوا إلى دنيا هذا نجزم به المؤمن العادي ما سعى ولن يسعى إلى طلب دنيا، فكيف نتأثر عليهم أنه لماذا ما حكموا فإذن ليس تأثرنا على ذلك تأثرنا على أنفسنا وعلى الأمة الإسلامية أنها لماذا فسر لها كتاب الله الظالمون، ولم يفسر لها كتاب الله المتقون هذا التفسير نحن نحتاجه وهذا التطبيق للعدل نحن نحتاجه وهذا مهجور أبداً ولا يتكلم عنه متكلم فمع الأسف ما سعت الأمة لتعرف المراد من المعروف والمنكر والدعوة التي دعا إليها الإمام الحسين عليه السلام لمعرفة كتاب الله والحق والابتعاد عن الباطل وهلم جرا، فيجب علينا أن نعرف شرع الله حتى نعيش به عزا، ونحن نقول ولا نتردد في ذلك كشيعة لأهل البيت أن معرفته إنما تكون عن طريق أوصياء الرسل، هل صارعنا القوم فقط لكي نقول لهم إن الحق لأهل البيت، أوصارعنا القوم لنقول لهم إن الحق

مع أهل البيت ونحن نريد من طريق أهل البيت أن نعرف كتاب الله وتطبيق عدله، هذا نحن أصلاً ما سعينا إليه ولا فكرنا حينما ذهبنا لنرى الحسين عليه السلام بكل عظمه حينما خالف رحنا لنبكي على الحسين فقط ورحنا لنقول أنه كان محقافي مقابل بني أمية، هذه هي الغاية التي نسعى من أجلها وبهذا نقف بين يدي ربنا جهالاً يوم القيامة، وقد راحت لتضيع الحياة مع الأسف جدلاً بين الطرفين كل يرى الحق بجانبه سعيا لإثبات الحق بدليل من آية أو رواية تثبت إمامة لأهل البيت أو تنفيها أو كرامة أو فضيلة تثبت ذلك، والطرف الآخر راح لينفي هذا فكل منّا اشتغل في رد صاحبه جدلاً وحقداً ومخالفة، وما سعى الشخص منا لتحقيق هذا الواقع في نفسه ليكون نبراساً تقتدي به الأمم حتى إذا رأى الغربي مسلماً يقول هكذا هي الخلق هكذا هي المعارف هكذا هو العدل، لسنا كذلك مع كل الأسف، وكل نعرف على أن أي صراع وأي عنوان وأي دليل وأي برهان نحن لا نتردد بل نجزم جزما قاطعا على أن من جلس للنقاش في مقابل أي إنسان خالفه في مذهب أو دين أو خالفه في أصول التوحيد كمسلم أو نصراني أو يهودي يقابل ملحدا هذا يجلس جلسة انتصار وذاك يجلس جلسة انتصار، لا لكي يسمع برهانا ولا دليلاً ويخرج كل منهما منتصراً بعد الجلسة، ونحن شاهدنا ونشاهد أن الرسل الكرام كموسى عليه السلام حينما جلس مع فرعون، فرعون

وجد نفسه منتصراً وموسى عليه السلام وجد نفسه منتصراً فإذا كان الصراع، فإذا كانت الجلسات والنقاش ولو بين أنبياء وفراعنة الفرعون يرى نفسه منتصراً وتؤيده الأمة على ما يدعي وموسى عليه السلام منتصر ويراه الله منتصراً والمؤمنون، فمثل هذه النقاشات ومثل هذا الجدل أيوصل أحدا إلى نتاج سليم هو عقيم من أوله، ولذا شاهدنا ويشاهد المجتمع جميعاً كم من جلسات عُقدت للتقريب بين المذاهب أو للتقريب بين الأديان يجلس الجميع يصطنعون البسمات ثم يذهبون إلى الفنادق ليأكلوا أنواع مختلفة من الموائد الطيبة ثم يأتي كل واحد منهما ممثلاً ليرضي صاحبه ببسمات مصطنعة ثم يودع كل واحد منهما بما يحمل كل واحد منهما الجزم بأنه على الحق تماما بلا أي تنازل حتى ذرة والطرف الثاني أيضاً هو كذلك إن لم يخرج كل منهما حاقد على الطرف الثاني فإذن مثل هذا لا يوصل أمة إلى نتاج وثمر.

فعلينا أن نعود لنعرف كتاب الله بدلاً من هذا الخداع لنعرف المراد من عدل الله لنخرج من هذا الخداع ونصنع أنفسنا كمسلمين، فلندع الآخرين وربهم ولنعش عقلاً أن الله سبحانه وتعالى وهو أقدر القادرين لوأراد أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلها وهو أقدر القادرين وقد قال لا إكراه في الدين وهو أقدر القادرين وقد قال و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الذين

يجاهدون الجهد، لا يهتدي إلى الحق تماما لا مسلم ولا كافر ولا أي واحد ما لم يحصل جهاد من الباطن، الذين يسعون بكل إخلاص طالبين من ربهم وهو الكريم الجواد أن يهديهم سبله يهديهم إلى ذلك، أما المقلدة و المجادلة فهؤلاء يخدعون أنفسهم، ولنرجع بدلاً من الإصرار على إصلاح الآخرين جدلاً لا فائدة ولا ثمرة فيه فلنرجع لإصلاح أنفسنا لنعرف هذا الحق الذي أراده الحسين عليه السلام ماهو ونتأمل في ذلك بل نتأمل في كلمات الحسين عليه السلام بعد أن عرفنا أن الحق والباطل الذي كان يتكلم عنه ليس صلاة ولا شرب خمر و لنهاية الخمر ندع الحديث إلى محاضرة أخرى والحمد لله رب العالمين.

إقامة حجة في حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام

قد وصل بنا البحث أيها الإخوة والأخوات ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد كان الكلام عن قيام ونهضة لا نتردد فيها، كانت ضد الظلم والظالمين، هاهنا لابد وأن نتوقف لنرى أن الحسين عليه السلام هل كان قد وقف كما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله ليخاطب أمة جاهلة تعبد أصناماً، أو هو كما كان ابراهيم عليه السلام مع أمة كانت كذلك تعبد أصناماَ، فكان الباطل واضحاً والحق في مقابله واضحاً، باطلٌ انحدرت به هذه الأمة العربية وغيرها في العالم انحداراً أوصلها من قمم علياء التوحيد إلى ظلمات عبادة أصنام صنعتها بأيديها، إن كانت في مُقدماتها بعض ما يمكن أن يُعطى عنواناً، كأن نقول إن الذين انحرفوا عن قمم علياء التوحيد دخلت في أذهانهم شُبهة، على أن الملائكة المُدبرات أمرا هؤلاء الملائكة هم أرباب أنواعٍ يعني أن الله تعالى فوض إليهم أمر هذا الكون ليكونوا أرباباً له يُسيرونه ولوتحت إرادة إلهية، ثم بعد فترة من الزمن راحت الأمم لتنسى الملائكة كأرباب أنواع ولتعبد أصناماً خلقتها وصنعتها بأنفسها، فنحن لا نتردد أن حسيناً عليه السلام ما جاء ليقابل الباطل

تحت عنوان الباطل، باطلٌ قابله سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله باطلٌ قابله ابراهيم عليه السلام باطلٌ قابلته أكثر الأنبياء والصالحين، باطلٌ بلباس الباطل قوبل وإذ به من بعد فترة من الزمن لأنه باطل واضحٌ انتصر الأنبياء على المبطلين، فخاطبوهم خطاباً صريحاً ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون هكذا يتصادم الباطل مع الحق، الظلمة مع النور الدعوة إلى الجور في مقابل الدعوة إلى العدل، نحن لا نتردد أن حسيناً عليه السلام ما قابل أمة كانت تعيش مثل هذا الباطل، لعل قائلاً يقول إذن الخطب أهون لأن هناك حق ما بينتوحيد بعلياء قممه وباطل وصل إلى عبادة أصنامٍ، لكن الحسين عليه السلام ما كان يعيش مثل هذه المشكلة لأنه ما راح ليخاطب قومه قائلاً ما هذه التماثيل، موسى عليه السلام يقابل أيضاً أمة تعيش شِركاً، تعيش جهلاً، قائد هذه الأمة التي قابلها موسى عليه السلام كان يقول غير مختش ولا مبال أنا ربكم الأعلى، وكان يقول بصراحةٍ من القول ما عَلمت لكم من إله غيري هكذا قابل موسى عليه السلام من يدعي الربوبية صراحة من القول بدون أي اختشاء، والحسين عليه السلام بلا شك ما جاء ليخاطب أمة بهذا المستوى وبهذا المنحدر، بل جاء الحسين عليه السلام فوجد أمة تصلي وتصوم وجد أمة تزكي وتحج بيت الله الحرام، وما وجدناه خاطب هذه الأمة قائلاً لم تركتم الصلاة لم شربتم خمراً هذا كله ما كان محط كلام للإمام الحسين عليه السلام، حتى نعرف حينما يتكلم الإمام

الحسين عليه السلام عن أي موطن ومورد يتكلم، نقول أولاً وقبل كل شيء إن صراع الحق الذي كان بين الأنبياء في الغالب، والباطل الذي كان في المقابل من عبدة الأوثان ومن الملحدين والزنادقة ..، كان صراعاً واضحا بين نور و ظلمة صراعا واضحا بين عدل وظلم، ولذا شاهدنا كيف كان الانتصار في آخر المطاف للرسل الكرام، فالمشكلة حينما يتلبس الشيء بلباس آخر، حينما يتلبس المنكر لباس المعروف، حينما يتلبس الباطل لباس الحق، حينما يتلبس الجور لباس العدل، حينما يصعد على العرش ماكرٌ دجالٌ منافق وماشاكل هؤلاء الذين صعدوا على العروش باسم الدين وسمَّتهم الأمة بأمير المؤمنين، أمير المؤمنين بالباطن منافق أي كافرٌ في الباطن، أمير المؤمنين يحمل الجور والخسة والدناءة والظلمات بكل أبعادها.

فإذن دائماً المعركة بين رجال الحق ورجال الباطل في تطبيق القضايا وتصحيح المسير يكون أصعب من مقابلة للباطل مع الحق، حق وباطل مكشوفين، ولذا نقول لا يتصور متصور على أن النزاع هاهنا يكون سهلاً النزاع هاهنا يكون أشد صعوبة لأنه نزاعٌ مع النفاق نزاعٌ مع الأمور المبطّنة بوجوهها المختلفة هذا أولاً، وثانياً لنتأكد ولنرى أن الحسين عليه السلام الذي ماجاء ليقول لهذه الأمة صوموا صلوا حجوا زكوا لا تشربوا الخمر، كيف راح ليخاطب هذه الأمة

على أنه: «ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه»[1] هذه لنا لندقق فيها حتى لا تُحرف مسيرة الحسين عليه السلام عن قممها، عن غاياتها، ما كان هناك من إلحاد وشرك ما كان هناك من ترك لصلاة ما كان هناك من شرب لخمر هذه الأمور كلها، وإذ بالحسين عليه السلام بكل صراحة من القول يقول ويخاطب هذه الأمة «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان»[2] أمة تطيع أمير المؤمنين أمة مساجدها عامرة أمة تؤدي زكاتها إلى ولي أمرها، يخاطبها قائلاً: «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان» أمة بأمير مؤمنيها وبالمؤمنين و بصلاتها وبصومها يخاطبها قائلاً «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان» ، فما اعتبر لهم صلاة ولا صوما ولا خمسا ولا زكاة ولا حجا وما إتهمهم بترك صلاة ولا إتهمهم بشرك ولا إتهمهم بإلحاد، مع هذا كله يخاطبهم على أنهم أصبحوا مطيعين للشيطان، أي شيطان هذا؟ أنتم ترون أن الولاة أن رجال الدين المنافقين الدجالين المتزلفين للحكام قد لزموا طاعة الشيطان، أنتم أيها الأمة ترون أن هؤلاء الولاة أن هؤلاء الجباة أن هؤلاء القضاة أن هؤلاء الذين تسميهم الأمة بالمتقين والزهاد من رجال

١ـ تحف العقول: ٢٤٥ .

٢ـ وقعة الطف: ١٧٢ .

الدين، هؤلاء ليسوا مطيعين لله ألا ترون أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، سمى أمير المؤمنين بالشيطان وسمى هؤلاء من المطيعين للشيطان، حتى نعرف ولا نخدع من رجال دين يتظاهرون بالزهد والتقوى يؤيدون منهم على شاكلة يزيد ومنهم على شاكلة معاوية من حكام الجور والظلم في زماننا هذا وقبل ذلك، ثم تأتي الأمة لتقول إن هؤلاء مظاهر التقوى والزهد والإيمان هذا من العَجب العُجب.

فإذن أؤكد وأقول علينا أن نعود لأنفسنا ونرى كيف خاطب حسين عليه السلام هذه الأمة التي تسمى بالأمة المؤمنة و خاطب هذه الأمة بأميرها الذي يسمى بأمير المؤمنين كيف خاطبها قائلاً ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن.

فإذن اعتبرها طاعة لشيطان واعتبرها تركاً لطاعة الرحمن.

«وأظهروا الفساد» أيّ فساد يتكلم عنه الحسين؟ الصلاة قائمة وكل الأمور جارية والهيكل الإسلامي بإطاره متحقق إلا ما خرقه يزيد ببعض الأعمال كشرب الخمر، أما الإطار فكان ظاهرا هو الإطارلو فرضناه في يزيد قد خُرق هذا الإطار لكن من جاء بعد يزيد دخل مرة ثانية بالمكر حتى لا يصاب بما أصيب به يزيد.

«وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء» هذه نقاط يجب أن نقف عندها.

قال الحسين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من رأى منكم سلطاناً جائراً» .

فإذن الذي يرى السلطان الجائر ما هي وظيفته؟ أيكون بصمت عن السلطان الجائر قديساً يستحق أن يجاور الأنبياء والمرسلين؟ هذا الذي حصل وحاصلٌ عندنا اليوم، حكام المسلمين يعيشون الجور والظلم والعدوان والنهب والجرائم والخسة والدنائة إلا ما ندر منهم على اختلاف مراتبهم، ماذا من رأى منكم سلطانا جائراً إلى قوله عليه السلام يتكلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «فلم يغير عليه بفعل ولا قول» الذي لم يغير عليه ماذا قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه وكيف بشره بالخلد والجنان وجوار الأنبياء والمرسلين قال كلا ما بشره بمثل هذه البشائر التي تدعونها وتسمون الصامتين قديسين، ماذا قال؟ «كان حقاً على الله أن يدخله مدخله» أي بالنيران نحن هكذا غيرنا وغيرنا وتلاعبنا حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفاً والحق باطلاً والباطل حقاً وما شاكل، فصار هذا الواقع بكل ظلماته حضارة إسلامية و واقعا إسلاميا وقبلناه أنه دين الله الذي بدأه بآدم وختمه برسول الله صلى الله عليه وآله ، نعيش ذلا ونسميه دين نعيش نفاقا ونسميه دين، نرى المنافقين دجالين ساكتين عن الظلم نرى الدجالين الذين يعرفون الحق ويسكتون عنه ولا يعلمون الأمة ولا يخرجونها من ظلماتها، وإنما يتكلمون في الصلاة وشرب خمر وهاتان كانتا

متحققتين في زمان الحسين عليه السلام كانت الصلاة قائمة وكان الخمر ممنوعاً هكذا نحن هكذا واقع هذه الأمة مع كل الأسف.

فإذن نعود ونقول علينا أن نتثبت حتى لا نخرج من نهضة الحسين بما ندعي من شعيرة، شعيرة الحسين هي هذه من رأى سلطانا جائرا فلم يغيرعليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، هذه شعيرة الحسين الذي رفعها راية وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف أخرجنا نهضة وقياماً من قمم عليائه إلى ما وصلنا إليه وعلى الناس أن يفكروا بعقولهم ولا يقدسوا الرجال .

وماذا قال؟ ألا وإن هؤلاء الذين الآن أشرنا إليهم من رجال الدين و الولاة والقضاة ومن الجباة و.. وكل من يؤيد ظالما ويسكت عن ظالم ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان من هو الشيطان؟ أمير المؤمنين بمنظار الحسين شيطان وبمنظار الأمة أمير المؤمنين هذا هو الاختلاف بين النظرتين حسين يرى معاوية شيطانا ويرى من أيده أيد الباطل وأمة رأت معاوية وماشاكله وليومنا هذا من جميع حكام المسلمين إلا ما ندر منهم سنة وشيعة يراه شيطانا وأن طاعته طاعة شيطان ونحن نراه طاعته واجبة وإن لم تكن واجبة فالسكوت لازم «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان» حتى ندقق في كلمات الإمام الحسين هذه كلمات الحسين ولم يقلها محمد كاظم الخاقاني نثرا من عنده أو شعرا من

نفسه هذه كلمات الحسين عليه السلام حتى نرى أنفسنا كم وكم انحرفنا عن نهضة الحسين، ونحن نريد بجهلنا وبكلمات وغايات صغناها وحكناها ونسجنا لها من هنا وهناك أن تشفع لنا فاطمة عليها السلام أن يشفع لنا الحسين عليه السلام، الحسين لا يشفع لأمة قبلت الذل لباساً لها، الحسين لا يشفع لأمة رضيت بالطواغيت أمراء لها كيف يشفع لنا ونحن نعيش نفاقاً الحسين يشفع للمنافقين؟،ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان، إذن عرفنا طاعة شيطان وطاعة رحمان، هذه الأمة بكلها على طول تأريخها نسيجها واحد سماها تركت طاعة الرحمان وسماها تريد أن تعمل وتلزم طاعة الشيطان.

«وأظهروا الفساد» أيها الإمام يا حسين كيف تقول وأظهروا الفساد هم يصلون هم يصومون هم .. ،ما قال قائل منهم بإلحاد ولا كفر ولا عبد صنما وأنت تعلم بذلك، ولا تتردد على أن هذه الأمة ما أخفت أصناماً في بيوتها أنت تجزم كيف تخاطب هذه الأمة وتقول وأظهروا الفساد حكام أظهروا الفساد وهذه الأمة تطيعهم.

فإذن علينا أن نرى أين الفساد الذي كان يتكلم عنه وهل هذا الفساد طهرت منه هذه الأمة وحكامها اليوم، فإن كان موجوداً علينا أن نرجع تارة لأنفسنا إن كنا مكراً ودجلاً نريد أن نخدع الآخرين فلا نخدع أنفسنا ونُقدِم على ربنا جهالاً مؤيدين للظالمين أو

ساكتين عنهم، وأظهروا الفساد.

فإذن أكرر وأقول الأساس الذي قام من أجله الحسين والذي دعا من أجله الحسين وأكده الحسين عليه السلام نسيناه ورحنا لنصنع غايات للحسين عليه السلام بمذاقنا وشهواتنا، وأظهروا الفساد، يا بن رسول الله أي فساد هذا والأمة تعيش توحيداً والأمة تعيش إعطاء زكاة وتصلي وتصوم وأنت تركتها كالسيل منحدرة نحو بيت الله تقول لبيك اللهم لبيك؟ يريد أن يقول إن هذه الحناجر الملبية إلى الله كذابة يريد أن يقول إن هؤلاء الذين أيدوا الحكام أناس ليسوا بصادقين، وأظهروا الفساد أي فساد يتكلم عنه الحسين عليه السلام أنا لا أريد أن أقول أي فساد أنا أقول يجب علينا أن نرجع إلى أنفسنا لنرى أن الحسين يقول أظهروا الفساد وهذه الأمة أطاعتهم كشياطين وتركت طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود أي حدود عطلوها هل شرب شخص خمرا فتركوه كلا ما سمعنا أن أحدا في زمان بني أمية أو في زمان بني العباس شرب خمرا فتركوه، أو أن شخصا وقف في الشارع العام أو في مسجد وقال أنا منكر للتوحيد وما أقاموا عليه حدا أو ما قتلوه كلا ما وجدنا ذلك، فعن أي حدود يتكلم الحسين عليه السلام أي حدود هل أن من كانت تثبت عليه مسألة الزنا مسألة شرب الخمر مسألة كذا وكذا كان يترك، لا القضاة يبادرون إليه قبل كل أحد من أجل أن

يحصلوا على مال كرشوة إن تمكنوا منها أو من أجل أن يظهروا أنفسهم من القديسين، كما نرى نحن اليوم أعتى دولة مجرمة في العالم بكل ظلمها وجرائمها وعدوانها تقطع الأيدي وهم يعيشون في القصور والفقراء تقطع أيديهم ويسمون ذلك إقامة للحدود لأن هؤلاء سرقوا ، يتركون رئيس السراق يتركون رئيس الدجالين في قصره يعيش ويقطعون يد فقير سرق لفقر، والأمة ترى وتنظر إلى الحاكم الفلاني كم هو قديس دخلنا بلاده فوجدناه كيف يقيم الحدود على السراق فوجدنا الأيدي مقطعة، هكذا سقوط هذه الأمة تترك السارق والمجرم الأكبر وتنظر إلى أنه قطع يد فقير فإذن هو قديس، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود علينا أن نرجع إلى أنفسنا علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا الله سبحانه وتعالى، لنسأل هل مررنا يوماً من الأيام نحن كخطباء نحن كعلماء نحن كشيعة أتباع آل محمد هل وقفنا يوماً وسألنا من أنفسنا عن أي حدود يتكلم الحسين عليه السلام؟ هل كانت الخمور تشرب والحسين يقول لماذا لا تقيمون الحدود على شرب الخمور، هل كان هناك من يقف في المسجد ويقول أنا أنكر التوحيد وكانوا يضحكون في وجهه كلا.

فإذن عن أي حدود وعن أي فساد يتكلم الحسين علينا أن نرجع إلى أنفسنا حتى نقرأ التاريخ لا كما كتبه المؤرخون ولا كما

كتبه الطامعون في أيدي الحكام، المؤرخون هكذا كتبوا لنا في السنة كذا حصلت غزوة وحصلت فتوحات وكذا من الأموال جُبيت إلى بيت المال وكذا من الجواري قسمت بين الجيش أو في السوق، كيف كانت تعيش الناس وماهي حالتهم وكيف كان يعيش الناس جهلاً بدينهم، وكيف كان يعيش الناس ذلاً في أكواخها، هذا خط أحمر لا يجوز لأحد أن يتكلم عنه هذا الذي يشير إليه الإمام الحسين عليه السلام، يشير إلى جهل تلبس لباس العلم والدين والإسلام، ويشير إلى ظلم تلبس لباس العدل وهذا ما علينا أن نرجع حتى نرى إلى أي شيء يشير الحسين عليه السلام.

«واستأثروا بالفيء»: لو أن اليوم رجلاً من أي الطبقات والأصناف عالما خطيبا شابا في مدرسة تاجرا كاسبا أي إنسان، قال أيها الناس هذه البلدة الإسلامية الكذائية كذا لها من النفط وكذا لها من الغاز وكذا لها من الزراعة وكذا لها من المعادن أي تذهب هذه سلوا حكامنا هؤلاء القديسون، لقامت عليه الضجة من كل مكان وأول من يقوم هؤلاء الصامتون المتلبسون بلباس الدين، لا تتدخل في السياسة كأن فقر أمة ذل أمة نهب ثرواتها جعلها تعيش فقراً وجهلاً، هذا هو دين الله الذي جاء لتجلسوا في حسينياتكم ومساجدكم وحوزاتكم وكذا لتدرسوا الناس صلاة، الصلاة كانت قائمة والحسين يقول و استأثروا بالفيء.

فإذن الحسين كان يتكلم عن الفيء يعني كان يتكلم عن ثروات هذه الأمة كيف تنهب وكيف تصرف وأين تصرف.

فإذن أول سياسي منحرف هو الإمام الحسين عليه السلام بنظر من ؟ بنظر هؤلاء، واستأثروا بالفيء هذا هو الحسين يتكلم عن أمة مظلومة يقول أين ثرواتها أين فيئُها نفس العبارة كان يسمى فيئاً والآن نسميه أموال بيت مال المسلمين، نسميه أين ذهبت أموال النفط أين ذهبت أموال الغاز أين ذهبت أموال المعادن أين ....،هذا كلام يبدو أنه من منحرف عميل دجال يريد أن يَحرِف الأمة ويريد أن ينال من علماء هذه الأمة، هكذا نحن صيغنا المنكر حقا والحق باطلا.

هذا هو الحسين، أؤكد أيتها الأمة الإسلامية أيها الذين ترون أن لكم يوماً تحاسبون فيه هذا ليس كلامي أنا محمد كاظم الخاقاني، هذا كلام حسين الذي تنتسب إليه الأمة بسنتها وشيعتها على خلاف معتقدهم في الحسين، وهذا كلام حسين الذي لا يتردد حتى السني أن حسيناً لا يكون كاذباً حاشاه يقوله عن رسول الله صلى الله عليه وآله من رأى سلطاناً جائراً إلى...، هذه ليست كلماتي صغتها وأصيغها بنسيج من الوهم والخيال، واستأثروا بالفيء حسين يتكلم عن أموال المسلمين أين تذهب وكيف يسرقها الحكام، لو أن اليوم واحد سار بسيرة الحسين عليه السلام وقال أيها الناس لماذا في البلاد

الإسلامية مع ثرواتها مع أموالها مع نفطها مع غازها مع خيراتها مع معادنها مع...،أين تذهب هذه لماذا أنتم أيها الحكام تعيشون في القصور والناس تعيش ذلا وهوانا ولا تدري كيف تقضي أيامها وشهرها،؟

انظروا إلى هذا الدجال المنافق الخبيث العميل كيف يتكلم مع عن الفيء لا يقولون يتكلم عن الفيء لأنه وجد حسيناً تكلم عن الفيء، ما يقولون تكلم عن ظالم لأنه وجد حسيناً يقول قال رسول الله ﷺ من رأى منكم سلطانا جائرا ..،هذا أبدا حسين ما تكلم عن هذا حسين تكلم فقط وفقط عن الشك في الصلاة، الصلاة كانت موجودة وما وجدناها في خطابات الحسين كلها من أولها إلى آخرها، من وجد هكذا كلام فليأتي به إلينا ويقول قال الحسين عليه السلام لماذا ينكر زيد التوحيد ولا راد له، لماذا الأمة لا تصلي وأمير المؤمنين لا يأمرها بالصلاة، لماذا الناس تشرب جهارى الخمر في المطاعم والأسواق ما وجدنا حسيناً هكذا قال.

فإذن الفساد غير هذا كان هذا الفساد هو بنفسه الموجود اليوم بأشنع منه وأقبح وأعلن منه نرتكبه تماما والذي يقول الخط الأحمر هاهنا، الذي يقول لماذا العلماء ساكتون عن هؤلاء الذين يأكلون الفيء أي يأكلون أموال الناس ويظلمون الناس هذا منحرف والساكت قديس .

أؤكد أيها الناس اتركوا محمد كاظم الخاقاني وارجعوا إلى ضمائركم وارجعوا إلى عقولكم ولا تعيشوا تقليداً وتقديساً للرجال، عيشوا عزاً وكرامة للعقل الحر البعيد عن مذلة استسلام لا لحاكم ولا لعالم، ارجعوا بأنفسكم فلا تقليد هاهنا، إن كان هناك تقليد إنما هو فقط وفقط في المسائل التي ترجع إلى فروع الفروع، لا في الصلاة تقليد ولا في الخمر تقليد، في فروع الفروع يعني لو وقعت مشكلة في مسألة ترجع إلى صلاة نستفهم عالما وننظر إلى رسالة عالم فلا تقليد في معتقد، أنا لا أقلد زيدا ولا عمرو ولا أي إنسان يجوز له أن يقلد زيدا أو عمرو في توحيد أو نبوة أو معتقد أو تفسير آية أو رواية أو ماشاكل، ليس هناك من تقليد ولا تقليد في أي أمر آخر التقليد له محله المعين فكيف رحنا لنقلد الناس، حتى يقول القائل لا تتكلموا عن أي شيء يرجع إلى حاكم ومحكوم وظالم ومظلوم، والحسين يتكلم.

اليوم نرى الحسين عظيما في اليوم الذي نادى فيه الحسين عليه السلام وقال وتواجه مع الحكام والطواغيت والدجالين من رجال الدين، قال كلمته واستأثروا بالفيء راح ليحاسب الحكام على سرقاتهم راح الحسين عليه السلام ليحاكم الحكام على سرقاتهم ويقول لهم قفوا أيها السراق، اليوم من يقول لحاكم أين أموال المجتمع لماذا المجتمع يعيش في البلاد الإسلامية مع خيرات صبَّها الله على هذه

الأمة لماذا تعيش الأمة فقراً وجهلاً، لا تقول جهلاً لأنا كتبنا رسائل عملية للمجتمع، المجتمع لا يريد رسائل عملية يستنسخها البعض من البعض الآخر، المجتمع يريد رجالاً ينزلون إلى الشوراع ينزلون إلى المساجد، ينزلون إلى الحُسينيات يذهبون إلى الأرياف والقرى، يعرِّفون الناس توحيدهم، يعرِّفون الناس إمامتهم، يعرِّفون الناس نبوَّتهم يعرِّفون الناس الحق من الباطل، ليميزوا الحق من الباطل حتى لا يبقوا ألعوبة بيد الدجال، الحسين يريد رجالاً يقولون للحاكم قف ولا تسرق هذه الأمة كفى سرقات لهذه الأمة، ويستأثرون بالفيء، أقولها لا أريد من أحد مدحاً، ولا أبالي بأي إنسان ينسب لي أي نسبة لا أبالي بذلك، ولا أريد أن أدعي تقوى وإيمان، لأني بعيد عن المجتمع لا أريد منه شيئاً.

أريد أن أقول أيها الناس في ذمتي شيء حتى يخرج من ذمتي ويكون في رقاب الناس، في ذمتي شيء إني أرى حسيناً هكذا يقول في ذمتي شيء إني أرى حسيناً هكذا نسب إلى رسول الله، يقول واستأثروا بالفيء حجة أريدها أن أخلص يوم الحساب من حساب نفسي، الناس قبلتها أو ما قبلتها أو جاؤوا ومرّوا مرور الكرام كالخطباء يمرون مرور الكرام مسرعين كالبرق الخاطف إذا جاؤوا لمثل هذه الأمور، من رأى منكم سلطانا لا يتكلم إلا عن بني أمية، من رأى منكم سلطانا جائرا يعني بني أمية ولم يغيرعليه يعني

ما غيَّر عليه في زمان معاوية ويزيد عجيب الحسين يتكلم الحسين ما يتكلم هكذا الحسين يخاطب البشرية لإحيائها إلى يوم الدين، واستأثروا بالفيء يعني ليسوا حكامنا حكامنا زهَّاد أتقياء طيبين، الساكت ترى ليس علماءنا الساكتين علماءنا ناطقين لا يوجد واحد وإلا موصوف بالناطق عن أي شخص يتكلم الحسين؟ الحسين يتكلم أو يتكلم رسول الله «الساكت عن الحق شيطان أخرس»[1] يعني أولئك الذين كانوا في زمانه يعني شريح القاضي يعني زيد ابن أرقم، كل كلماتهم نزاع مع بني أمية فقط لنعرف من هو معاوية ومن هو يزيد، والذين جاؤوا من بعدهم أناس زهاد طيبين مثل يوسف عليه السلام يسلطون على خزائن الأرض فلم تدنوا أنفسهم على ذرة منها عجيب هذا الخاقاني لا يرى حكامنا كل واحد منهم يوسف ولا يرى علماءنا كيف يوضحون للناس.

واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله يقول أحلوا حرام الله، ما سمعناهم أحلوا خمراً وحرموا حلالاً ماسمعنا هذه الواضحات التي نتكلم فيها نحن حتى نبتعد عن ثقل الدعوة وثقل الرسالة، ما وجدنا وأنا أحق من غيَّر الحسين يغير الحسين يرى نفسه يجب عليه أن يغير، ومن يدعي أنه يمثل حسيناً كعالم يدعي ولاية وفقاهة

١ـ تفسير الكاشف ٢ : ٢٠٨.

ويدعي و..وخطيباً يدعي أنه سائر مسالك الحسين يجب عليه أن يغير لا يجب عليه أن يكون صامتاً، إلهي إنك لتشهد إنها حجة في رقاب الناس، إلهي إنك لتشهد إني ما اخترعت كلمة ولا جئت بكلمة من نفسي، أي كلمة يا إلهي ويا سيدي ويا مولاي هي غير صحيحة فأهدني إلى الرشاد، وأي كلمة صحيحة فقد ألقيتها في أعناق المجتمع، لأني أجد علماء ساكتين عن تفسير ما جاء في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، فأؤكد وأقول كلام واضح لا نخدع النفس به، وعلينا أن نبتعد حتى لا نعرف الحق بالرجال وقد قال رسول الله وهو سيد الأولين والآخرين «إعرفوا الحق تعرفوا أهله» أيها الناس إعرفوا الحق بالحق لا بالرجال ولا تسحبوا الحق لأقدام الرجال، وقد قال علي عليه السلام كلمته الخالدة ونحن ندعي من شيعة علي: «الحق لا يعرف بالرجال إعرف الحق تعرف أهله»[1].

وقال صلى الله عليه وآله : «من أفضل الجهاد كلمة حق أو كلمة عدل» على اختلاف الروايات «عند سلطان جائر»[2]، هكذا هم العظماء أُسُود في مقابل الطواغيت، يخاطب الطاغوت وهو يعيش على حساب دمه، نحن في بيوتنا نُسر الطرف الثاني سرا في أذنه خوفا من أن

١ـ روضة الواعظين ١ : ٣١.

٢ـ عوالي اللئالي ١ : ٤٣٢ ، ١٣١ ؛ إرشاد القلوب للديلمي ١ : ٩٨.

يسمع الحائط، أبيننا وبين هؤلاء الذين يتكلم عنهم رسول الله إن من أعظم الجهاد كلمة حق أو كلمة عدل عند سلطان جائر أم نحن ندعو الناس إلى المذلة والهوان، ونترك تعليمهم يعيشون جُهالاً ونتمسك بعواصم العلم، تمسك بعواصم العلم شهر شهرين حتى ست وثمان شسهور وإذهب إلى القرى إلى الفقراء في محرمها وصفرها ورمضانها، لو أن العلماء انتشروا في القرى والأرياف الشيعية وندع الآخرين أن طاعة الحاكم واجبة ولو كان فاسقا جائرا نترك السنة بما هم عليه، نحن ندعي مسايرة لعلي هذا الإمام الصادق مع جلالة قدره كان ينزل إلى القرى والأرياف، وهؤلاء الأئمة كانوا ينزلون وهكذا لولا هذا ما أخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، أنحن كذلك فلا نخرج أمة من جهل ولا نتكلم عن فيء وظلامة أمة كيف تسرق ثرواتها، والناس تُشير إلينا بالبنان انظروا إلى القديس الفلاني ملك كيف يسير على وجه الأرض.

قال من أعظم الجهاد كلمة عدل أو حق عند سلطان جائر، لكن وصل بهذه الأمة الحال أن يكون الصمت عن الظالمين زهدا حتى أصبحنا مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله مصداق لأي شيء أصبحنا مصداقاً نرسم خُطى الأنبياء، أصبحنا مصداقاً نرسم خُطى العظماء، أصبحنا مصداقاً نرسم خُطى حسين عليه السلام، الذي ندعي الولاء له والمحبة له بشعارات من هنا وهناك ضيعنا منهج الحسين

بها، الحسين منهجه واضح نجعل كلام الحسين ونشرح كلام الحسين ونسير على طبق ما قال الحسين، أما نأتي بغايات أخرى لا ربط لها بما قام به الحسين نعتبرها شعيرة وشعائر ونُصر عليها ونَحرف أذهان الناس عن واقع قام به الحسين عليه السلام، إلهي هذه حجة كررتها وأكررها، حتى أصبحنا مصداقاً لمن أصبحنا مصداقاً؟ لهذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله كيف بكم يخاطب هذه الأمة ونحن من مصاديق هذه الأمة كيف بكم إذا رأيتم المنكر ولم تغيروه فقالوا له يا رسول الله أكائن ذلك نرى المنكر ولا نغير اكائن ذلك يا رسول الله قال أعظم من ذلك، أنتم ليس فقط هذا الانحدار تتوصلون إليه بل أكثر من هذا في ظلماتكم وتنسبون أنفسكم إلينا وإلى الله تعالى، كيف بكم إذا رأيتم المنكر ولم تغيروه فقالوا يا رسول الله أكائن ذلك قال أعظم من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً، الهوية منتهية يرى المنكر معروفاً هذا هو المسلم يعني نصبح نحن ونحن ندعي أننا من أتباع رسول الله وأتباع الحسين ومن أتباع العظماء ومن أتباع إبراهيم، كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً منكر أمة تراه معروف، والمعروف منكر هكذا تصل بنا الحالة، مع أن هذه الأمور فطريات يعني تنسلخ الفطرة ياليتها انسلخت الفطرة وانتهت، قالوا أكائن ذلك يا رسول الله قال أعظم من ذلك بعد أعظم من هذا المعروف منكر والمنكر معروف، لا

أشد من ذلك تصلون إليه كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، قلنا المنكر ما كان صلاة لأنها كانت موجودة في زمان الحسين المنكر ما كان شرب خمر، ما هو المنكر أن نسمي الظلم عدلا وأن نأمر بالظلم أن نسمي المذلة كرامة وقدسا وزهدا ونأمر به، إذا أمرتم بالمنكر الآن من يتكلم أين تذهب ثروات المسلمين ولماذا يتاماهم وأراملهم يأنون في أكواخهم، هذا معروف بلا شك ولا ريب هذا يقول به الحسين أصبح منكرا ومن يتكلم به خارج من الدين ويتكلم سياسة ويتكلم انحرافاً، والساكتون عن مثل هذا قديسين زهاد، الله سبحانه وتعالى وأنبيائه صفوف واقفة ينتظروا أن هؤلاء ينتقلون إلى الآخرة ليستقبلونهم سلاماً سلاماً أدخلوا الجنة من سبعة أبوابها، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر فلننظر إلى أنفسنا لا نخدع أنفسنا هل نحن هكذا أم لا أصبحنا نأمر بالمنكر، من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين ليس بمسلم، أصبحنا من يتكلم كلمة في حق في مقابل باطل أو في عدل في مقابل ظلم، دجال سياسي منحرف خارج عن الدين والساكت الزاهد التقي كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، هذه الأمة يتكلم عنها رسول الله صلى الله عليه وآله يقينا مشت في هذا الطريق وأصبحت من مصاديق هذا الواقع، وبالأخص إذا كان الظهور لإمام العدل لحجة الله في أرضه الذي ينهي دجل الدجالين ومكر الماكرين ورجال الدين الصامتين المتلاعبين وغيرهم من

حكام المسلمين، إذا ظهر وبالأخص إذا كان الظهور قريبا فنحن يقينا من مصاديق هذه الآية لأن بعده لا تكون الأمور بهذه الكيفية، الوضوح سيكون تاما ومن يرتكب الجريمة سيرتكبها باسم الجريمة بعد ذلك لأنه لا غطاء ولا تمويه ولا يمكن أن يبقى مثل هؤلاء الجهلة الخوارج من الوهابيين أو الذين ينسبون أنفسهم إلى السلفيين ومن علماءنا وغير علماءنا الذين يسمون الباطل حقاً.

فإذن نسأل أنفسنا آخر المطاف الذي تصل إليه هذه الأمة كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر نأمر الناس بالصمت ونسميه حقا نأمر الناس بالسكوت عن الدجالين، نأمر الناس بالسكوت عن أين ذهبت ثروات المسلمين، لماذا المسلمون يعيشون ذلاً لماذا الأرامل تئن لماذا اليتامى لا أحد يسمع أنينهم ولا ينظر إلى دمعتهم، لماذا نتظاهر بتسبيحنا وزهدنا في المساجد والحسينيات ونحن صامتون، لماذا نتظاهر بالتقوى والإيمان ولا أريد أن أقول بتسبيحاتنا وبطول لحانا وما شاكل هذه الأمور هذا هو الواقع والوقت قد انتهى والحديث طويل، اللهم إنك لتعلم الضمائر تظاهرنا بتقوى ودجل أو ما تظاهرنا أنت المحاسب عليها الهي وسيدي ومولاي هذه حجة أردت الناس أن يرجعوا إلى كلمات حسين عليه السلام وأن يتأملوا في كلمات صدرت من عظماء ولا نذهب من هنا وهناك لتضيع حقائق قام من أجلها الحسين عليه السلام حقائق جاء بها آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله

حقائق ساقت إلى الربذة حقائق ساقت إلى أن قتل الأولياء تركناها جميعاً ورحنا لنصوغ من هنا وهناك نسيجاً عجيباً غريباً وتركنا حقاً واضحاً يا ليته ليس بواضح كان الأنبياء يقابلون فراعنة يرتكب الجريمة باسم الجريمة الآن لا نرتكب الجريمة باسم الزهد والتقوى وننتظر الجنان بسبعة أبوابها والحمد لله رب العالمين.

هل كان الحسين عليه السلام ساكتاً عن جرائم معاوية بن أبي سفيان؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب سيرة الحسين عليه السلام التي هي بلا شك ولا ريب سيرة علي وسيرة محمد عليهما السلام بل وهي سيرة جميع الأنبياء والمرسلين هذا ما لا يتردد فيه مؤمن آمن بأن بعد الأنبياء أوصياء رسل يشرحون رسالات ربهم ويطبقوها تطبيقاً سليماً.

فإذن نقول يجب أن نعرف المنهج لرسول الله صلى الله عليه وآله بأبعاد هذه الشريعة لا من أفعال الرجال علماء كانوا أو صحابة بل بمن هم رُسام شرع الله حقاً وهم أوصياء الرسل الذين نحن بصدد التكلم عن واحد من هؤلاء العظماء وهو الحسين عليه السلام.

ولذا أقول مرة ثانية أنا لا أتكلم في رحاب الحسين عليه السلام ذوقاً لنفسي أو لزيد أو عمرو ولا أسمي عملاً شعيرة من شعائر الإسلام إلا ما نطق الحسين عليه السلام فكان كلاماً له، دعاءاً له سيرة ومنهجاً له وعلى السامع أن يرجع إلى نفسه و ضميره وما يتوقعه من حساب يوم الحساب أيحاكمه الله ويسألهعن سيرة محمد صلى الله عليه وآله وسيرة

أوصياءه بالحق علي والحسن والحسين عليهم السلام إلى آخر الأولياء أو يسأله كيف كانت سيرة الأولياء أو كيف كانت سيرة الصحابة الصحابة أو علماء، الصحابي الجليل والعالم الجليل من سلك مسالك الأولياء ومن خرج عن مسالك الأولياء لا قيمة له سُميٌّ بعالم أو صحابي، ولذا أقول مؤكداً ما تقدم من الكلام أن على الناس أن يعودوا إلى رسائل جرت بين الإمام الحسين عليه السلام ومعاوية بن أبي سفيان حيث راح فيها الإمام الحسين عليه السلام ليقول لهذا الطاغية الماكر، ماذا يقول له مداهنات مجاملات على حساب الدين صمت عن ظالم ومظلوم وصمت عن تفسير آية بتبع الهوى، هكذا كان يتكلم الحسين ويلبس كل ذلك لباس التقية؟ نرى ماذا قال الحسين عثم على المنصف أن يرجع بنفسه وما يحتمل من سؤال يوم السؤال يوم الحساب، هل ما نحن فيه يناسب سيرة هؤلاء العظماءأو لا، فإن وجدأن علماءنا بما هم عليه من سيرة يرسمون بها خطى شرع الله بما رسمها الحسين عليه السلام فهم وربهم يوم الحساب، وإن وجدوا أن تعتيماً وتلاعباً و تمويهاً وتفسيراً بتبع الهوى للتخلص من الشريعة وثقلها قد حصل فعلينا أن نعود مرة ثانية لصراط الله المستقيم، ماذا قال الإمام الحسين عليه السلام لهذا الطاغية ما قالها لرئيس شرطة وما قالها لزيد أو عمرو يخاطب إمبراطوراً طاغيةً مجرما أنا لماذا أؤكد؟لنخرج منغفلة لأن ما نحن فيه أصبح شريعة مسلّمة

المتكلم على خلافها خارج من الدين، أنا أقول هكذا قال الحسين والرسول وعلي عليهما السلام من قَبِل ذلك فليقبله ومن وجده افتراءا على هؤلاء العظماء فليسمني مفترياً، ومن وجده حقا عليه أن يتنبه ولا يلقى ربه بسيرة عالم أو صحابي تاركا سيرة الحسين عليه السلام وهو مسرور أنه لطم على الحسين وبكى.

ماذا يقول الحسين عليه السلام لهذا الطاغية «ألست القاتل حجر بن عدي»[1] مرت علينا هذه لكن لأنها تمر مرور الكرام في خطاباتنا وكلماتنا قلتها سابقا وأؤكدها الآن حتى ترسخ في الأذهان ويرجع الناس إلى ضمائرهم وحسابهم، يخاطب معاوية من يخاطب معاوية؟ من ندعي نحن أنا نسير بسيرته ونلطم عليه ونبكي «ألست القاتل حجر بن عدي».

إذن الحسين عليه السلام يتكلم عن قتل وقع من حاكم هل وجدنا عالما حبس شخص أو أعدم شخص أو ظلم شخص فتكلم وقال أيها الحاكمون الظالمون قفوا حدكم لماذا تسجنون وتقتلون وتتهمون وترتكبون كذا وكذا فلنرجع إلى أنفسنا ماذا يقول له «والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم» فإذن حسين ينكر الظلم وما ترفّع عن الظلم ليقول أنا رجل فقيه عظيم مجتهد كذا

١ـ تفسير نور الثقلين ١ : ٦٤٢، ح ٢٥١.

كذا أتكلم عن صلاة وصوم لأن العالم فوق الحق و الباطل وفوق العدل والظلم، الحسين عليه السلام يتكلم عن ظلامة بشر، ألست القاتل حجر بن عدي والمصلين العابدين من هم هؤلاء المصلون العابدون؟ الذين كانوا ينكرون الظلم.

فإذن حجر وأصحابه المصلون العُباد الناسكون ما جعلهم عُباداً ناسكين لأنهم يتكلمون في شك بين الثلاثة والأربعة، ولا جعلهم كذلك لأنهم كتبوا رسالة عملية وأعطوها للناس فقط وتركوا ظالماً ومظلوماً، الذين كانوا ينكرون الظلم هذا الذي اليوم نسميه سياسة يعني بحكمنا اليوم الذي ندعي فيه الزهد والقداسة من يتكلم عن ظالم ومظلوم و يقول لحاكم قف حدك أيها المجرم عن ظلم الناس وعن نهب أموالها هذا نسميه اليوم سياسة والشخص المتكلم فيه يتكلم فيما لا يعنيه فهو منحرف سياسي.

فإذن الحسين كان منحرفاً سياسياً بنظر وقاموس هؤلاء، فإذن حجر بنعدي وأصحابه البرررة الأطهار الذين قتلهم معاوية في مرجعذراء كل هؤلاء على قواميسنا وحساباتنا وفهمنا للشريعة لو رجعنا إلى ضمائرنا لأنهم ينقدون الظالم الذين كانوا ينكرون الظلم هؤلاء كانوا ينكرون الظلم الحسين عليه السلام ما مدحهم لتسبيحاتهم ولا مدحهم لأمر آخر مدحهم الذين كانوا ينكرون الظلم فإذن فصلاتهم كانت تدفعهم لينكروا ظلما، وليقولوا للحاكم قف عن

نهب أموال الناس، ولا تفسر الآيات والروايات بتبع الهوى أيها الجائر الطاغوت الدجال هكذا كان هؤلاء ولذا مدحوا، ما مدحوا لصمت الذين كانوا ينكرون الظلم والحسين عليه السلام هو القائل لمعاوية «أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح»[1] نحن اليوم ما وجدنا فقيهاً يقول لحاكم لماذا قتلت فلاناً لماذا بعّدت الفقيه الفلاني لماذا جعلت فلاناً يعيش في الإقامة الجبرية لماذا افتريت على العلماء والمراجع كذا وكذا، هؤلاء كلهم بعلمائهم وعظمائهم والشعب المظلوم وزيد وعمرو وفلان وفلان كلهم لا قيمة لهم لكن إذا جاء الكلام عن الحاكم صار فقيها فكيف ينقد إنساناً فقيهاً أما البقية فكلهم لا قيمة لهم أبداً.

حسين عليه السلام قدوة لنا وندعي نحن أن الحسين قدوتنا، الحسين قدوتنا في أي شيء؟ الحسين إن كان قدوة لنا،هذا هو حسيننا الذي يخاطب طاغية امبراطوراً عظيماً في الدنيا يخاطبه ويقول له أنت مجرم وأنت قاتل أوجدنا أحدا يخاطب أحدا لا بهذه اللهجة ويقول له لماذا بعّدت فلاناً لماذا نهبت فلانا لماذا الأكواخ تأن فيها الناس ظلماً وعدواناً لماذا تعيشون في القصور أيها الحكام والناس تأن من فقرها وليس لها حتى قرص شعير تأكله أوجدنا ذلك؟

١ـ اختيار معرفة الرجال: ٤٩.

الساكت الذي وصفه الرسول بأنه شيطان أخرس سميناه زاهداً تقياً وتركنا سيرة حسين عليه السلام: ألست من سلط زياداً على العراقيين يقطع أيدي المسلمين.

فإذن كان يتكلم الحسين عن التعذيب الذي يجري في السجون عن التعذيب الذي يجري في حق المجتمع هل وجدنا عالماً فقيهاً مجتهداً مرجعاً يوماً من الأيام قال لماذا تعذبون الناس في السجون؟ كلا العالم فوق هذا، العالم قالب قدسي فكيف يتنزل إلى هذا المستوى ليقول لحاكم لماذا في السجون تُعذب أحداً هذا ليس من شأنه حتى نرى الشأنيات التي خلقناها وافتريناها ومع كل ذلك ياليتنا نقول إلهي وسيدي ومولاي نحن مقصرون نحن نخاف من الحاكم وأنت أرحم الراحمين نحن لسنا حسيناً نحن لسنا العباس عليه السلام نحن لسنا زينب فاغفر لنا ذنوبنا واغفر لنا ما نحن فيه من الهوان والذل والسكوت عن الظالمين ! لا نقول هذا يا إلهي وسيدي ومولاي هؤلاء القديسون هؤلاء الذين يرسمون لنا مناهج أنبياءك وأوصياء الرسل كيف يرسموها لنا؟ بصمتهم عجيب هذا الرسم «ألست من سلط زياد ابن أبيه على العراقيين» حتى نرى ماذا كان يتكلم الحسين؟ نأتي في كل سنة في عاشوراء نجعل غايات للإمام الحسين لاربط لها بغاياته وندَّعيها غاية ونحرف الشريعة عن مسالك الحسين عليه السلام: «ألست من سلط زياداً يا معاوية على العراقيين

يقطع أيدي المسلمين».

فإذن كان يتكلم الحسين عليه السلام عن عذاب الناس في سجونها على عذاب الناس حينما يقبض عليها «يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل»[1].

هكذا كان يتكلم الحسين يفصّل تفاصيل التعذيب الذي يرتكبه هؤلاء الظلَمة، ما وجدت أنا في كل حياتي ما وجدت يوماً من الأيام عالماً على صعيد مرجعية على صعيد مدرسٍ على صعيد خطيب مشهور أن يقول للمجتمع أو يخاطب حاكما أو يقول أيها الناس هؤلاء الناس يعيشون فقرا هؤلاء الناس يعيشون ذلا هؤلاء الناس يعذبون في سجونهم باتهامات وافتراءات وهؤلاء الناس يقال لهم أنهم مفسدون في الأرض وهؤلاء الناس يطبّق عليهم أنهم محاربون لله والرسول أنا ما وجدت !، فكيف مع كل هذا ندعي أننا من أتباع الحسين عليه السلام.

ألست يا معاوية من كتب إلى ابن سمية وهو زياد بن أبيه ألست، ألست من كتب إلى ابن سمية، يكذب الحاكم كذبه في أي شيء؟ كذبه في نسبة نسبٍ افتراها فمثل من يكذب حاكماً في نسبة نسب افتراها لا يكذبه في تأويل آية بتبع الهوى؟ أيتركه في

١ـ اختيار معرفة الرجال: ٤٩.

تغيير سُنة وبدعة وهو القائل ألا ترون البدع؟ هل وجدنا عالماً يتكلم بمثل هذا الكلام؟ «في قتل الحضرميين ومثّل بهم بأمركم» وكم من إنسان عذب وشوه وكم من إنسان ارتكب به ما ارتكب وسلّم جسداً هامداً بعد يوم ويومين إلى أهله فما وجدنا عالماً قال لم هذا؟.

فهناك أيها الإخوة والأخوات من رجال الله من الأنبياء وأوصياءهم الكرام ومن مثل أبي ذر ومالك ومن مثل هؤلاء الذين يتكلم الإمام عنهم عليهم السلام كانوا هكذا عظماء أسُود في مقابل الطواغيت، أقول إننا انحرفنا عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وبدلنا وغيرنا فجعلنا الباطل حقاً والحق باطلاً وها هو الحسين عليه السلام القائل على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله ... ثم لم يغير بقول ولا فعل كان حقيقاً على الله أن يدخله مدخله»(1) وقد مرت هذه الأمور أؤكدها حتى لا تضيعوا حتى يتذكرها الإنسان إن كان يريد أن يلقى ربه أنه يحاسبه هو بنفسه يوم القيامة إذا أخذونا إلى الحساب.

لا يقول لنا القائل أين الذين اتبعتموهم أين الذين فسروا لكم كتاب الله أين الذين خدعوكم؟ هذه الكلمات القرآن صريح بها

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٨١.

يؤخذ الإنسان ولو أتى بخمسين دليل وبرهان يخادع نفسه ويريد أن يخادع ربه كبراءنا علماءنا صحابة رسول الله زيد وعمرو والسموات والأرضين والشيطان خدعنا، هذه كلها أباطيل لا يقبلها رب العالمين يحاسبنا فُرادى على أعمالنا ويقول أعطيتكم عقلا وقلت لكم بعقولكم لا تقلدوا أحدا في معتقد ولا في سيرة و اجعلوا سيرة الأوصياء والأنبياء والصالحين والأبرار قدوة لكم وسيروا ولا تأتوني بعالم ولا صحابي لم تكن سيرته سيرة هؤلاء العظماء .

والحسين عليه السلام هو المتكلم عن الفيئ واستئثار الحاكم بالفيء: فإذن ما تكلم الحسين عليه السلام فقط عن سجون فيها عذاب وما تكلم الحسين عليه السلام مظلوم قتل ولا عن تقيتعدى عليه الظالمين تجاوز كل هذا ثم راح ليتكلم عن الفيء هذا أيضاً خط أحمر عندنا نحن ما وجدنا عالماً يوماً من الأيام في دروسه في حوزته في كلامه في منبره في أي مكان صعد المنبر فقال: أيها الناس هكذا هي أموال النفط هكذا هي أموال الغاز هكذا هي أموال المعادن هكذا هي أموال الزراعة و...أين تذهب الأموال أيها الحكام؟ ما سمعنا أبدا وهذا خط أحمر لا يجوز أن يتكلم عنه أحد وكل من تكلم به فاسق دجال خارج عن الدين يتدخل فيما لا يعنيه رجل سياسي عميل زنديق هكذا نحن وهذا هو الحسين عليه السلام يتكلم عن الفيء

ويخاطب الحاكم ويخاطب الأمة ماذا يصنع بالفيء أي بثروات المسلمين واعتبر ذلك فسادا وسمى من يسميه الناس بأمير المؤمنين شيطاناً.

الناس كأمة إسلامية تسمي يزيد وتسمي معاوية بأمير المؤمنين الحسين ماذا سماهم؟ سماهم شياطين، فمن اعتبرهم الناس أولي الأمر ومن اعتبرهم الناس قادة ومن اعتبرهم الناس وسماهم بأمير المؤمنين هذا اسمهم عند الناس، عند الحسين عليه السلام كان اسمهم شياطين، فلننظر إلى أنفسنا هل حكامنا يطلق عليهم بأمير المؤمنين، يطلق عليهم تحت أي عنوان يطلق عليهم ولي يطلق عليهم أي شيء أو يطلق عليهم ما أطلقه الحسين عليه السلام؟ هذه كلها حقائق يجب أن نرجع إليها يجب أن نحاسب أنفسنا يجب أن نرجع إلى سيرة الحسين ونجعل سيرة الحسين وسيرة علي وسيرة الأبرار منهجا نسيرعليه لا زيد ولا عمرو ولا العالم والصحابي الفلاني ضاعت الأمة حينما تركت منهج علي عليه السلام وجعلت منهج الصحابة منهجا تلقى به ربها ونحن أيضاً ضعنا عندما تركنا منهج علي ومنهج حسين ومنهج حسنٍ ومنهج الصادق عليه السلام جميعاً تركنا منهجهم ورجنا لنقيس الشريعة ونرسمها بخطى الرجال تاركينخطى الأولياء وأوصياء الرسل هذه سيرة الحسين.

وهذه هي سيرة علي عونحن لا نتردد أن سيرة علي عليه السلام هي

سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة رسول الله هي سيرة الحسن وسيرة الحسن هي سيرة الحسين، ليست هناك من سير متعددة لكن التطبيق بحسب الزمان والمكان يختلف وها هو علي عليه السلام وهو القائل «وما أخذ الله على العلماء» حينما يقول: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر»[1] حينما جاءته الأمة لتبايع هكذا قال علي عليه السلام.

وهذا من ندعي أنه إمامنا، ما معنى إمامنا؟ يعني نبكي عليه فقط لأنه ضربه ابن ملجم أو إمامنا أي نسير على منهجه علماً وعملاً، ماذا قال علي عليه السلام؟ «وما أخذ الله على العلماء»

ماذا أخذ الله على العلماء أن يسكتوا؟

أخذ الله على العلماء أن يقولوا فقط هذا الشك بين الإثنين والثلاثة وهذه الرسالة العملية خذوها؟

ماذا أخذ الله على العلماء حتى نرى الذي أخذه الله على العلماء بمقالة علي عليه السلام ما هو والذي أخذه الله على العلماء بما رسمته الحوزات ما هو؟

هذا الذي ندعي بأننا نضحي كل شيء من أجله ونحن لا نسير على سيرته لا علما ولا عملا كيف نضحي كل شيء من أجله؟

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٤٨، الخطبة الشقشقية.

«وما أخذ الله على العلماء ان لا يقاروا» أن لا يسكتوا أن لا يداهنوا أن لا يداجوا ولا يخدعوا أمة قال أن لا يقاروا أي لا يسكتوا وكلمة كظة المراد منها: لغة امتلاء مفرط يحصل من الأكل يسمى بالتخمة، على العلماء أن لا يسكتوا عن تخمة ظالم ينهب البشر ينهبها ينهب فيئها و ثرواتها وغازها ونفطها ونحن ندعي أننا قديسون مشغولين بصلاتنا وصومنا القديس من دافع عن ظلامة مظلوم، أن لا يقاروا يعني لا يسكتوا لا يداهنوا على كظة يعني على العالم أن لا يرى الحاكم قد نهب الناس فوصل في نهبه إلى التخمة من باب الكناية، أكل وأكل من ثروات الناس حتى أصبح منهوماً متخوماً أن لا يسكتوا عن نهمة حاكم ينهب البشر أن لا يسكتوا الإمام يأمر بالكلام على من تسميهم الأمة بالحكام ويسميهم الحسين بالشياطين، أن يقول القائل أي العالم يا أيها الحاكم السارق يا أيها الحاكم الناهب لأموال هذه الأمة قف حدك وأمشي على الصراط المستقيم حتى نحاسبك على كل درهم سرقته من أموال بيت المسلمين.

وهذا هو علي عليه السلام الذي ندعي الانتساب إليه ماذا يقول يخاطب ابن عمه الذي ولّاه أموال البصرة كان عبدالله بن عباس أو عبيدالله بن عباس على اختلاف الروايات يكتب إليه كتاباً على أنه عليك أن تقدم إليَّ إلى الكوفة وأحاسبك على كل درهم فإذا

وجدت تخلفاً عن درهم أقمت عليك حد الله فلما سمع بذلك فرَّ إلى اليمن لأنه يعرف من هو علي، أهكذا هم علماءنا مع وكلاءهم؟

أنا لا أعاتب قوما اعتبروا يزيدا أمير للمؤمنين، أنا لا أعاتب قوما اعتبروا الحكام نوابا للأنبياء والمرسلين هؤلاء لا نعاتبهم ولا نجادلهم، نعاتب من يدعون أنهم يمثلون علياً وحسيناً ويمثلون الأوصياء عليهم السلام، من يمثلهم هذا سبيلهم يهدد برسالة يكتبها إلى ابن عمه حبر الأمة أو غيره يخاطبه قائلاً إذا جئتني ووجدت درهما واحدا ناقصاً من أموال بيت المسلمين الذي هو حق اليتيم والفقير والأرملة أقمت عليك حد الله تعالى وابن عمه ماذا يصنع؟ يكتب إليه رسالة مداهنة ويأتي آمنا، أبداً يفر إلى اليمن لأنه يعرف علياً عليه السلام حتى استشهاد علي عليه السلام.

«أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب» : والسغب هو الجوع والعطش الشديد، الجوع الشديد للمظلوم عبر عنه بالسغب، يقول كيف يكون المؤمن مؤمنا ويرى تخمة لحاكم ولا يتكلم ويرى جوعا وعطشا لمظلوم ولا يتكلم فهو دجال وليس بعالم كما يدعي.

لماذا نحرّف منهج الأنبياء وسيرة الحسين عليه السلام وما قام من أجله لغايات من هنا أو هناك؟

هذا هو علي عليه السلام وهذا هو الحسين عليه السلام لو جئنا بهم اليوم

ووجدهم المجتمع يتكلمون هكذا عن ظالم ومظلوم وعن ظالم كيف قتل أمة ماذا يقول لهم ماذا يسميهم هذا المجتمع لو لم يعرف أنهم الحسين وعلي؟ يقيناً يقول هؤلاء منحرفون سياسيون دجالون يتكلمون فيما لا يعنيهم لأن الزهاد من علماءنا ليسوا كذلك. هذا هو علي وهذا هو حسين عليهما السلام هل كانا سياسيين منحرفين أم كانا يطلبان بحقوق أمة مظلومة مضطهدة ويتكلمان عن قاتل مجرم يقتل أولياء الله أم كانا الحسين عليه السلام وعلي عليه السلام يعيشان حياة هذه الأمة ومأساتها؟ كانوا يعيشون حياة هذه الأمة ما كان حزنهم كما يتصور المتصور أنه نزاع بين بني أمية أو نزاع أو بين علي و زيد على حكم و كرسي؟ لا أي قيمة لهذا الحكم والكرسي الذي يعبر عنه علي أنه عفطة عنز.

إذن نقول إن هؤلاء العظماء ومن نحن في رحابه وهو الحسين عليه السلام كانوا يعيشون مأساة هذه الأمة حيث لا يعلو أحد على الحق أو العدل وعلى الفقير والمسكين والأرملة الذي تركنا هذا كله وإدعينا أن العالم فوق هذه المستويات عالم فوق الحق عالم فوق العدل وعالم فوق الظالم وعالم فوق المظلوم وهل لا سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرة علي عليه السلام والحسين عليه السلام أولى بالإتباع من سيرة من يدعى أنه من الزهاد من صحابة أو علماء الذين لا يتكلمون لا عن ظالم ولا مظلوم، فأنتم أيها السامعون وربكم وضميركم

ومعرفتكم بشرع الله تعالى، هذا ما كان عليّ من الله تعالى وفي رقبتي إن كان باطلاً فالله هو المحاسب على بطلانه وإن كان حقاً أقمت به حجة ليوم الحساب حتى أخلص من عذاب ربي لأني وجدت منهج رسول الله وعلي وحسين عليهم السلام متروك، السنة والعامة قدسوا الصحابة وتركوا دين الله ونحن قدسنا علماء فتركنا دين الله.

والآن لنذهب معاً إلى موطن ومشهد آخر من مشاهد النور، من مشاهد الحق في مقابل الظلمة والباطل ثم نحاسب أنفسنا بعيدين عن زيد وعمر ونحاسب الضمير الإنساني أنحن كذلك أم لسنا كذلك، نقرأ سيرة لنرى كيف كان يفكر الظالمون للتخلص من أولياء الله هل كان يشغل معاوية شاغل أن الحسين عليه السلام في حوزته يدرّس استصحاباً، هل كان يشغل ذهن معاوية بجبروته وطغيانه وهيمنته وملكه حسين عليه السلام لأنه في حوزته يتكلم عن شروط الصلاة والصيام ومبطلها كذا، كلا هذا لا يضر أحداً بل يسخر معاوية ويقول هذا ابن عمي الحسين عليه السلام انظروا إلى هذاالعالم الجليل.

فلنرى كيف كان يفكر الظالمون للتخلصمن أولياء الله تعالى الصالحون إن وجدوا أن السّم سبيلاً للقضاء عليهم جعلوا السم واسطة، كما جعل معاوية السم واسطة للتخلص من الإمام الحسن عليه السلام، ومالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه ولعل كان هناك المئات

والآلاف الذين قتلهم معاوية وأضراب معاوية من هذا الطريقفإن وجدوا السم سيبل للقضاء عليهم استخدموه وإن وجدوا القتل سبيلاً للتخلص منهم استخدموه لكن رب إنسان يكون قتله سبباً لمشكلة، لثورة، لقيام طائفة ،لحركة و الحاكم إن كان جاهلاً كيزيد قد يقدم بجهله ولا ينظر إلى العواقب، لكن إذا كان كأمثال معاوية وغيره من الدُهاة المكرة هؤلاء يأتي ليرى أن القتل أو السم أو أو...أو أي طريق أو التهجير، أبو ذر هجّر من بلاده، مالك الأشتر هُجّر من بلاده وأُخذ به من بلاد إلى بلاد إذلالاً وهكذا هم الحاكمون أو القتل، ولكن ربما يكون القتل قد يحدث مشكلة لسلطان.

لماذا يفعل الماكرون الحكام الجبابرة بأولياء الله هذا لأنهم يجزمون ولا يترددون أن أولياء الله لا يثنيهم عن عظيم غاياتهم تهديد، هذا يجزمون به أن أولياء الله هؤلاء العظماء التهديد لا يخيفهم، كما قال الإمام الحسين عليه السلام للحر «أبالموت تخوفني»[1] هذا مهزلة أن يخوف طاغوت مؤمناً بالموت وهو يراه شهادة للقرب إلى الله تعالى وهذه مهزلة في تاريخ البشرية أن يهدد طاغوت مؤمنالأن المؤمن يفكر ليله ونهاره في قرب الله تعالى وأي

١ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٤ : ٩٦.

سبيل هو سبيل الرشاد والقرب الأكثر و الأحسن فهذه بشارة تكون للمؤمن .

فالطواغيت يجزمون ان أولياء الله لا يثنيهم عن غاياتهم تهديد ولا ترغيب لأنهم ليسوا بجبناء ليخافوا طاغوتاً بتهديده بل يرون ذلك بشارة وليسوا من أبناء الدنيا ليتعاملوا عليها بمال أو سلطان وكيف يخافوا هؤلاء العظماء طاغوتاً وهم يرون خير سبيل للمعارج والقرب وجوار النبيين هي الشهادة التي يتمناها الواحد منهم ليله ونهاره ولذا راح معاوية هذا الطاغية الماكر ليعيش ليله ونهاره من بعد ما دس السم للإمام الحسن عليه السلام راح ليفكر في القضاء على الحسين عليه السلام لأنه ثورة ما يأتي إليه آتٍ ويسأله إلا يبين شرعا وينقد ظالماً هذا يجعل الطواغيت يخافون ليلهم ونهارهم من وجود مؤمن ولو كان قد فر إلى الغابات، ولأن معاوية ما وجد منفذا من بيت الحسين عليه السلام ينفذ منه كما حصل ذلك المنفذ في بيت الحسن عليه السلام بواسطة زوجته راح ليفكر في الحسين عليه السلام ليله ونهاره ليأمن عرشا من بعده يريده لشاب تافه ساقط وهو يزيد، وهو يعلم أن الأمة مع وجود حسين لا ترى يزيدا أميرا للمؤمنين ولهذا يخاف يريد أن يقضي على الحسين في زمانه حتى إذا جاء دور يزيد كانت المسألة أهون فالإمام زين العابدين بمنظار العامة ليس حسيناً لكن أكرر وأقول بمنظار العامة الجاهلة ليس حسيناً وإلا فالأئمة

كلكهم أئمة يرسمون شرع الله ولا نفضّل أحدا على أحد إلا بدليل قاطع .

ليأمن عرشاً من بعده يريده لشاب جاهل ساقط تافه قد لا تراه الأمة مع وجود الحسين عليه السلام أميرا للمؤمنين وبالأخص حينما راح ليفكر في حسم الأمور مع الحسين عليه السلام حينما وجد في رسائله شدة وحينما سمع عنه عندما حج بيت الله قبل سنة، ماذا قال و كيف تكلم الحسين عليه السلام مع الناس وبالأخص من بعد ما وجد شدة في تلك الرسائل التي جاءته من الإمام الحسين التي كتبها إليه ولمس منه أنه إن حدث أمر فالحسين عليه السلام لا يبايع يزيد أبدا هذا لمسه وجزم به هذا الطاغوت، فبعث عندها معاوية إلى مروان بن الحكم وقال له أشرعلي في الحسين عليه السلام، فقال له مروان أرى أن تخرجه معك إلى الشام يعني إصنع به ما صنع من قبلك بأولياء الله انظر ماذا صنع قبلك بأولياء الله كأبي ذر لما وجده الحاكمون خطرا عليهم في الحجاز أبعدوه إلى الشام، الشام أمة مع كل الأسف لا أقول إلى يومنا هذا لا أدري لكن أقول أمة كانت على عهد معاوية لا تفرق بين الناقة والجمل كما يقول عنها معاوية، فمثل هؤلاء العظماء إذا صاروا في الشام وتحت النظر وفي الإقامة الجبرية قطعناهم عن المجتمع فقال له مروان: «وتقطعه عن أهل العراق»[1] والحجاز لأنه

١ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٤ : ٨٢.

كان قد بلغ معاوية أن رجالاً من الشام والحجاز يبعثون إليه رسلهم ويكاتبون الحسين عليه السلام يدعونه للخروج ضد النظام القائم.

فإذن دعوة الناس للحسين لإسقاط النظام الأموي ماكان فقط في عهد يزيد بل كان في عهد معاوية سكوت الحسين في زمن معاوية لست بصدد بيانه أجل هكذا كان يفكر معاوية وأولياءه الظالمين بالنسبة إلى رجال الله المتقين ونجد هذه الخطة في كل زمان إذا يأس الحاكم الظالم من قتل وتشويه وسم رجل عظيم يجده في طريقه مبيناً موضحاً مدافعاً عن أمة يأخذ به من بلاد إلى بلاد ويبعده حتى لا يسمع أحد صوته كما صنع ذلك من قبل مع أبي ذر وحجر بن عدي ومالك الأشتر و أصحابه الصالحين، الوقت قد انتهى وسنكمل البحث في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

ماذا قال الإمام الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم؟

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام حسين الكرامة والإبى حسين العلم والعدل في مقابل الجهل والظلم لنرى ماذا جرى بين الإمام الحسين عليه السلام ومروان بن الحكم بعد هلاك الطاغية معاوية بن أبي سفيان، وإباء الحسين عليه السلام من أن يبايع حيث قال مخاطباً لمروان بن الحكم: «إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة»[1] أنا لا أريد أن أتوقف طويلاً في فقرات هذا الكلام لكن فقط أطرح تساؤلات في المقام:

هل يظن المسلم الذي ينسب نفسه إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله هل يظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله رئيس قبيلة يتعصب لأهل بيته ويجعل الصلاة على آل بيته شرطاً في صحة الصلاة، هل يتصور المسلم أن الرسول صلى الله عليه وآله حينما يقول هؤلاء أهل بيتي، أضف إلى ذلك أحاديث كثيرة لست بصدد بيانها تتكلم عن أهل البيت عليهم السلام وتتكلم عن العترة كحديث الثقلين وأحاديث كثيرة أخرى هل

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٥.

ينظر هذا المسلم المنتسب بحسب دعواه إلى سنة رسول الله إلى نبي يدعوا إلى أهل بيته دعوى قبلية، هل أن محمد بن عبد الله الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، النبي الذي هو سيد الكون ومعجزة عالم الإمكان والنبي الذي هو يشفع يوم الشفاعة والجزاء حتى لأولي العزم من الرسل، هل هذا شيخ عشيرة وقبيلة تدفعه العواطف والأحاسيس إلى أهل بيته ليجعلهم على الناس ثم أقول وقبل الحساب ليرجعوا إلى أنفسهم إن رجعوا أفادوا أنفسهم وإن لم يرجعوا لم يضروا لا زيدا ولا عمرو وزمن قطع الرقاب قد انتهى، فعلى المسلم المدعي محبة أهل البيت ويحب الحسين عليه السلام أنا لا أخاطب ناصبيا ولا أخاطب وهابيا هؤلاء يصلحهم الله يوم الجزاء لكن أقول حينما يقول الحسين عليه السلام إنا أهل بيت النبوة، يعني يريد أن يقولإن محمدا شيخ عشيرة العرب ونحن قبيلته و مشيخة العشائرة تختار رجلا من العشيرة أقرب الناس إلى شيخ العشيرة، هكذا يتكلم حسين عليه السلام؟ «إنّا أهل بيت النبوة» أم أنها يتكلم عن بيتوتة نبوية بما لهذا الواقع من مقام بما لهذا الواقع من أمر لا ربط له بالقبليات، وإلا فلو كان محمد صلى الله عليه وآله يتكلم ويدافع ويريد أن يجعل أهل بيته كأي حاكم أو أي رئيس قبيلة هذا لا أظنه أن يكون نبيا ولا أظنه أن يكون سيدا للكائنات .

فإذن هي بيتوتة نبوة وليست بيتوتة عادية «إنا أهل بيت النبوة

ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله» أريد أن أقول أيها الإنسان المسلم الذي تدعي الاستسلام إلى الحق كفى متابعة للحكام وأذنباهم من وعاظ السلاطين.

إرجع إلى رشدك وعقلك وتأمل في الكلمات التي تتكلم عن أهل بيت النبوة، تأمل في كلمات صدرت من صادقين لا تشك أنت في صدقهم، أنا لا أتكلم في إنسان تافه يأتي على الفضائيات ويقول إنّ يزيد كان أميرا للمؤمنين وقد اختاره المسلمون وأن حسيناً قام على إمام زمانه على أمير المؤمنين مثل هذا التافه وإن سمّاه المسلمون بماسموه هذا ساقط ولا ينزل الإنسان بعقله و شرف دينه ولا كرامته إلى مثل هؤلاء، لكن أخاطب الأمة الإسلامية إن حسينا عليه السلام حينما يقول إنا أهل بيت النبوة يقينا لا يقصد كل من انتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، ممن انتسب إلى رسول الله الكثير من قريش وكانوا مشركين والكثير من أهله ينتسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فإذن يتكلم عن بيتوتة نبوية «وإنا أهل البيت النبوة ومعدن الرسالة» يجب على المسلم أن يتأمل ما المراد من كون هؤلاء معدناً للرسالة، «ومختلف الملائكة بنا فتح الله» ما المراد منها «وبنا يختم» ، السُني لا يكذّب حسيناً السُني يحب حسيناً بما هو سُني.

أقول على المسلم أن يتأمل في إنسان يراه صادقا «وبنا يختم

ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلنٌ بالفسق ومثلي لا يبايع مثله» ، إلى أن قال: «إنّا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام» يعني اعتبر الإسلام قد ودعه المسلمون أشرنا سابقاً على أن الحسين عليه السلام يريد أن يقول ضُرب الإسلام بمحتواه فوقف علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام وامتنعا من بيعة تحت عنوان الإسلام وتمثيل الشريعة حتى أتم الحجة ووجد المسلمين يسمون هذا إسلاماً فبايع لحرية الرأي لا بايع متنزلاً عن مواريث النبوة كذلك الحسين عليه السلام يقول نحن وصلنا بقول القائل بأن يزيد أميراً للمؤمنين وصلنا إلى أن نقول وعلى الإسلام السلام يعني انتهى الإسلام بمحتواه وإطاره رئيس الفاسقين، شارب الخمر، تافه، هذا الإنسان اعتبرته هذه الأمة أميراً للمؤمنين إن كان أمير المؤمنين يزيد.

فإذن المؤمنون نعرفهم بأميرهم، الأمة التي قبلت يزيد وما جاء على شاكلته من بعده، هذه الأمة التي سمت ما سماه الحسين شيطاناً اتبعوا طاعة الشيطان من سماه الحسين شيطانا ومن كان على شاكلته من عبر عنه الإمام الحسين ومثلي لا يبايع مثله ومن عبّر عنه الإمام الحسين بأنه وعلى الإسلام السلام إن كان هذا أميرا للمؤمنين هذا أميرهم فمن هم المؤمنين فعلى الناس أن يعرفوا أن المؤمنين الذين اعتبروا يزيدا أميراً عليهم فأيّ مؤمنين هؤلاء؟ «وعلى الإسلام السلام إذ ابتليت الأمة براع مثل يزيد» : البلاء تارة بلاء المؤمنين

وتارة ليس من بلاء المؤمنين، بل بلاء عام، المؤمن قد يمرض وغير المؤمن قد يمرض المؤمن قد يعيش فقرا وغير المؤمن قد يعيش فقرا ليس من خواص المؤمنين ربما إنسان في الصين يعيش فقراً، في الهند يعيش فقراً.

هناك بلاء إيمان الإنسان المؤمن بمعارفه قياماً ضد الجهل والظلمات وبعزمه ثباتاً من أجل تحقيق الحق يتواجه مع الظالمين لا مخرج من ذلك ، وجه لوجه، هذا بلاء المؤمنين والمؤمن مبتلى هذا معناه على أن الله يبتليه بصبره يبتليه بعزمه يبتليه ببيانه للحق يبتليه بتضحياته من أجل تحقيقالحق علماً وعدلاً، هكذا يبتلى المؤمنون، الحسين عليه السلام يقول إذا ابتليت الأمة أي بلاء هل هو بلاء الإيمان؟ نقول كلا بلاء أمة سمت تافها ساقطا فاسقا شاربا للخمر أميرا المؤمنين فهذا البلاء من هذا النوع على أن هذه الأمة كل ما يأتيهافهو من يدها كل ما يحصل لها من ذل من هوان وجهل وتدهور و.. فكله ليس قضاء وقدرا إلهي هي إرادة شعب أرادت الأشرار حكاما وياليتها عبدتهم أوأطاعتهم كما أطاع أهل مصر القدامى الفراعنة، أطاعتهم وادعت أن هؤلاء أمراء للمؤمنين ممثليين للأنبياء فإذن إذا ابتليت الأمة فهو ليس ببلاء طيب إنما هو بلاء أمة انسلخت من هويتها إذا ابتليت براع مثل يزيد.

أيها الإخوة والأخوات ونحن نعيش حياة الأبرار نريد أن نرى

أن حسيناً عليه السلام من وفاة أبيه علي عليه السلام وهو يعيش تحت سلطان طاغية كمعاوية كيف كانت الأجواء وكيف كان الواقع آنذاك؟

فإذن مع سيرنا و كلامنا عن الإمام الحسين عليه السلام خطبة كلاماً إرشاداً قولاً وفعلاً أيضاً نريد أن نشهد بعض الملامح والحقائق التاريخية التي كان يعيشها الحسين عليه السلام في عهد بني أمية، لنرى أنه حينما كان يخاطب معاوية ويقول ألست القاتل فلاناً وفلان حينما يتكلم بمثل هذا الكلام ويخاطب الولاة كوالي المدينة على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمة بوالٍ أو أمير أو حاكم كيزيد نريد أن نرى ما هي الأجواء التي كان يعيشها الأبرار العظماء في ظل مثل هذه الأنظمة، نقرأ مشهداً من مشاهد هذا الواقع حتى نرى كيف بعظم بعض الرجال ثبت التشيع ليومنا هذا، ضحى من أجله عظماء، وسالت دماء من أجل هذا ارتكب الظالمون ما ارتكبوا والأمة صامتة، صمت هذه الأمة سبب استيلاء الأشرار على الأخيار هذا الذي أراده الحسين عليه السلام أن تخرج منه الأمة، هذا الذي أراده الأبرار على طول التأريخأن تعيش الأمم يقظة عرفان ، يقظةعلم وعزما لتحقيق عدل، نقرأ مشهدا من هذه المشاهد حتى إذا قرأنا تاريخ الحسين نرى أن الحسين في أي ظروف وأجواء كان يعيش وكيف قدم الأبرار أنفسهم ضحايا من أجل الحق.

قام المغيرة بن شعبة، وهذا أحد المكرة الدهاة الذين سلطهم

معاوية على الكوفة بعد مقتل علي عليه السلام ، قام المغيرة بن شعبة يوماً من الأيام خطيبا في مسجد الكوفة وهو والٍ عليها آنذاك من قبل معاوية، صعد المنبر هذا المنبر الذي أراده الرسول صلى الله عليه وآله أن يكون مخرجا للناس من الظلمات إلى النور هذا المنبر الذي أراده الله تعالى وسيلة لوصول المعارف والحق إلى الأمم ودعوة إلى العدل، كيف استخدمه الولاة، قام المغيرة فذم علياً عليه السلام وأخذ ينال من علي عليه السلام بكل ما يتمكن.

هاهنا يجب على المسلم أن يتوقف لحظة وينظر أن ما تقوله الشيعة صحيح أو باطل الشيعة تدعي بأن هناك حديثاً متفقاً عليه وهو «بأن حب علي إيمان وبغضه نفاق»[1]، وهو حديث متفق عليه بين المسلمين ليس شيء أخرجه الشيعة وكذبه السنة حديث متفق عليه بين الجميع، الذي كان يصعد المنبر كالمغيرة صحابي هذا الرجل ويشتم ويلعن علياً وينال من علي عليه السلام أهذا لاختلاف في الإجتهاد و الرأي؟ لأن المغيرة ومعاوية كانا يران على أن سبيل الخدمة أوسبيل الرشاد والخدمة في الإسلام هو من هذا الطريق وعلي عليه السلام كان يراها من ذاك الطريق فلاختلاف في الاجتهاد والرأي لا يُحدث أي مشكلة و يبقى الود على ما هو عليه وإنما هذا

١ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٣٥، ح ٢؛ المناقب للخوارزمي: ٢٨٤، ح ٢٧٩.

رجل صالح يرى الإسلام من طريق وهذا يرى الإسلام من طريق آخر، الذي يرى الإسلام من طريق هل يصعد المنبر فيلعن علياً، الذي يلعن عليا هل يحب عليا أو يبغض عليا؟ يقينا من يشتم علياً لابد وأن يرى علياً مبطلاً ولو للخداع فكيف بعد كل ذلك نقول إن هؤلاء صحابة أجلاء عظماء، يقاتل معاوية، عليا في صفين وتقتل عشرات الآلاف ويأتي الدجالون ويقولون ما كان بينهما اختلاف وإنما هو اختلاف في الاجتهاد والرأي وكل واحد منهما كان يريد خدمة الإسلام، يتحاربان ويتقاتلان وكل واحد منهما لا يبغض الآخر، أي نسيج بين الحق والباطل يكون بهذا المستوى وتقبله الأمة.

فإذن وقفات يجب علينا أن نتوقف فيها ونتأمل حتى لا يخدع الإنسان نفسه وأخاطب المسلمين اليوم الذي نحن على مستوى يختلف عن المستوى السابق وأن المسلم اليوم ليس في محيط لا يسمع العالم يسمعه بواسطة الإنترنت ويسمعه بواسطة أمور أخرى، فذم علياً عليه السلام ونال منه ومدح عثمان وترحم عليه فقام إليه حجر بن عدي الكندي رضوان الله عليه وصاح بصوت عالٍ سمعه كل من كان في المسجد وخارجه «فأنكر على المغيرة وذمه ثم ذم تأخير المغيرة لعطايا الناس وحقوقهم».

فإذن خاطب المغيرة على أنه تحت أي عنوان وتحت أي

كلام تشتم علياً وتلعن علياً وشيعته ثم لم يتكلم فقط لنزاع أو كلام بين علي ومعاوية وإن كان علي هو رأس الحق ومظهر الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وراح ليتكلم حجر بن عدي عن تأخير المغيرة لعطايا الناس وحقوقها.

فإذن كان العظماء كالحسين عليه السلام وكحجر يتكلمون عن ظلامة المجتمع يتكلمون عن نهب أموال المسلمين وهذا هو الخط الأحمر الذي لا يجب أن يتكلم عنه أحد، «فذم تأخير المغيرة لعطايا الناس وحقوقهم وقام اكثر من ثلاثين ممن كان في المسجد يصدّقون حجرا وينكرون على المغيرة ويقولون صدق والله حجرمر لنا بأرزاقنا فلا نفع لنا في كلامك».

فإذن هؤلاء العظماء ما كانوا يتكلمون فقط عن جهة عقائدية وإنما دافعوا عن علي لأنهم رأوا في علي الحق رأوا في علي بيان الشريعة ثم راحوا ليتكلموا عن ظالم ومظلوم وحقوق شعب وفقرهم، أوجدنا أحدا يتكلم هكذا أبدا من جاء وقال إن العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني يتكلم عن حقوق شعب وظلامتهم فليأتنا به، فنزل المغيرة من المنبر وصلّى ودخل قصر الإمارة ودخل معه جمهور الأمراء، حشدة الفسق والجريمة التي تحف بالظالمين دخلت معه فقالوا له علام تركت الرجل، أي يحركونه على حجر بن عدي، يجترء عليك في سلطانك ما قالوا له يجترء على الله يجترء

على توحيد ويبدل آية بل يجترء على سلطانك.

فإذن محور كلام أبناء العامة ليومنا هذا مُنصَبّ على أنه يجب أن يؤيدوا السلطان كأن السلطان هو كل شيء في كل الأمور، يجترء عليك في سلطانك ويشق عصا المسلمين، أي عصا؟ أبقول حجر لا تشتم عليا شق عصا المسلمين؟ أبقول حجر لماذا يعيش الناس فقرا فاعطهم حقهم من بيت مال المسلمين هل هذا شق عصا المسلمين؟ يعني يجب أن تكون أموال المسلمين كلها ينهبها الحاكم ويذل المجتمع كله حتى تصير وحدة المسلمين؟! أهكذا هي الوحدة بذلّ المسلمين وفقرهم وشتم الأبرار والعظماء منهم كعلي عليه السلام تكون الوحدة بين المسلمين هذه هي الوحدة التي دعى إليها وعاظ السلاطين ١٤قرناً، فقال لهم المغيرة إني قد اقترب أجلي، كان شيخا كبيرا المغيرة آنذاك لكن الطمع في الدنيا يسوقه إلى مثل هذه الأمور وضعف عملي ولا أحب أن أبتدء أهل هذا المصر بقتل خيارهم وسفك دماءهم.

فإذن كان يعتبر بأن هؤلاء خيار الناس ليس شقا لعصا المسلمين هؤلاء من يريدون وحدة المسلمين تحت راية العلم والعدل، فعلى المسلم السني أن يفكر ويتأمل نحن نتكلم إن وجدنا نقداً من هنا أو هناك ما توقفنا عنه إن وجدنا تلاعباً من هنا أوهناك لا نتوقف عنه، لا يفرّق الحال عندي أني أنقد خطأ إن كان عند

الخاصة أو العامة ؟

وبعد أن هلك المغيرة ولّى معاوية الكوفة زياد بن أبيه ولما أخذ ينال من علي عليه السلام ويشتم ويلعن عليا عليه السلام على منابر المسلمين، هذا الذي حبه إيمان وبغضه نفاق يُشتم على منابر المسلمين ونأتي ونقول لو كان عمل الحكام مخالفاً للشرع لما سكت عنهم الصحابة والتابعون، نجعل الصحابة والتابعين منهاجاً للشرع يرسمون شرع الله ونحن نراهم يسكتون عن شتم علي، على الأقل أنتم تعترفون اليوم أنه من الخلفاء الراشدين نحن لا نقول أكثر من ذلك.

فإذن من هو من الخلفاء الراشدين شتم وشتم من هو من الصحابة كحجر بن عدي وهؤلاء هم من الصحابة شتموا ولُعنوا وأعدموا وهؤلاء ساكتون ماذا تسمون أنتم هذا؟ تُسمونه تقية تُسمونه نفاقا؟ ولما أخذ ينال في خطبته من علي عليه السلام يشتم ويلعن عارضه أيضاً حجر بن عدي، هكذا رجال تقف أمام الباطل، فكتب زياد إلى معاوية في أمر حجر وأصحابه، هم الذين سماهم المغيرة بخيار الناس، هؤلاء يؤخذون إلى مرج عذراء وتضرب أعناقهم، فكتب معاوية لزياد: أن شدّهم في سلاسل الحديد واحملهم إليّ، حتى إذا قرأنا تأريخ الحسين عليه السلام نقرأ تأريخاً كان يعيش فيه، لأن الكثير من الناس يتصورون أن هذا العمل كله الحسين قام لأن يزيد كان شاربا للخمر، لا الحسين كان مخالفاً لهذا المنهج والأبرار

كانوا مخالفين لمثل هذا المنهج، فقبض زياد على حجر وعلى أصحابه فأودعهم السجن ثم بعث بهم إلى معاوية وعندما وصلوا إلى مرج عذراء أمر معاوية بضرب أعناقهم، والمسلمين كلهم يسمعونه لكن لا تتكلموا على أمير المؤمنين لماذا لا نتكلم على معاوية؟ لأنه صحابي ! جيد علي عليه السلام صحابي أو من الصين؟ لا علي أيضاً صحابي، حجر بن عدي صحابي أو من الهند ؟ صحابي .

إذن لماذا الصحابي إذا صار حاكما يجب أن لا نتكلم عليه والصحابي إذا كان غير حاكم يشتم ويلعن وتضرب عنقه؟ عجيب غريب هذا الكلام، وهذا الذي نشاهده اليوم يتلاعب به المتلاعبون، الرجل إذا صار متسلطاً لا يجوز أن يتكلم عليه المتكلم أما الفقيه إذا لم يكن متسلطاً يبعّد من بلاد إلى بلاد ويتهم ويسجن ويقتل ويسم، هذا لا مانع منه، نقول هذا فقيه وهذا فقيه لماذا الفقيه الذي يكون متسلطاً لا يجوز الكلام عليه والفقيه الذي لا يكون متسلط يجوز أن يتهم بكل تهمة، نفس النسيج الذي نسجه أبناء العامة بخداع أنفسهم نسجناه لأنفسنا.

إذن هذا واحد من الأبرار وهو حجر بن عدي رضوان الله تعالى عليه وأنا أخاطب الشيعة هنا لماذا بأوهام وخرافات أن فلان على الجبل في المنطقة الفلانية لا يعرف لا أصله ولا نسبه فرضناه من آل الرسول صلى الله عليه وآله أنحن نعبد بيوتات؟ أنحن نقدس بيوتات؟ أم

نقدس علماً وعملاً وتقوى؟ وإذا احترمنا أهل البيت احترمنا عصمة وخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله، حجر بن عدي لا يسمع الإنسان كلاما له في المحافل الشيعية والآن سنتكلم عن رجل آخر لعل الشيعي ما سمع حتى بإسمه.

وقبض على صيفي بن فسيل وهو من رؤساء الشيعة ومن أصحاب حجر بن عدي فقال له زياد يا عدو الله، يخاطب الأبرار والأخيار هكذا يا عدو الله، ما تقول في أبي تراب؟ قال ما أعرف أبا تراب، قال زياد أما تعرف علي بن أبيطالب قال بلى أعرفه، عرف صيفي على أنه جاء بكلمة أبي تراب للإهانة وما جاء بها احتراما ولعلها افتعلت واخترعها المخترعون لا أدري ونحن لا نريد أن ندخل في هذا، لكن حينما جاء بها ما أراد أن يأتي بكلمة تكون مدعاة لاحترام.

قال بلى أعرفه قال زياد ذلك هو أبو تراب، قال صيفي كلا ذاك أبو الحسن والحسين عليهما السلام فقال لصيفي صاحب الشرطة، هؤلاء المتملقون في أطراف كل دجال، يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول هوأبو الحسن، قال صيفي حتى يرى الشيعي كيف حفظ التشيّع حتى يرى الشيعي بأي رجال عظماء يقفون أمام جلادهم بهذه العبائر فقال صيفي وإن كذب الأمير تريد أن أكذب؟ وأشهد له على باطل فقال زياد وهذا أيضاً مع ذنبك، يعني

ذنوبك كثيرة وهذا ذنب فوق ذنب، ثم قال زياد علي بالعصا فأوتي بها فقال اضربوا عاقته بالعصا حتى يلصق بالأرض، فضرب صيفي رضوان الله عليه حتى لصق بالأرض، ثم قال زياد لزمرته وجلاوزته اقلعوا عنه أي اتركوه الآن بعد هذا الضرب الشديد، ثم سأل صيفي ثانية ماذا تقول الآن في علي قال صيفي رضوان الله تعالى عليه والله لو شرحتني بالمواسي والمُدى ما قلت إلا الذي سمعت مني يا زياد فقال له زياد لتلعننه أي علي أو لأضربن عنقك فقال له صيفي إذن تضربها والله قبل ذلك، هكذا رجال بهم ثبت التشيع، هكذا رجال عظماء سالت دماءهم حتى وصل إلينا التشيع فلا نذل الشيعة بالصمت ولا نضيّع شريعة رسول الله بعدم البيان ولا نضيع هذه الأمة ذليلة بيد الحكام ساكتين عن العدل الذي هؤلاء سالت دماءهم من أجله، قال زياد أوقروه حديدا والقوه في السجن ثم بعث به مع حجر بن عدي و قتل الرجل في مرج عذراء مع حجر بن عدي هكذا هم شيعة علي، هكذا هم العظماء هكذا هم الذين سلكوا مسالك أوصياء الرسل ضد الطواغيت وضد المجرمين.

وسنقرأ إن شاء الله في كل ليلة عن مشهد من هذه المشاهد حتى يفهم و يعرف الشيعي أن الحسين عليه السلام ما كان يعيش في زمن سهل، في زمن كان من الممكن أن يتلكم المتكلم بحق، كان هكذا يُصنع بمن يتهم ولو بالتهمة والظنة بأنه من أتباع علي عليه السلام

وشيعته وإذ بالحسين عليه السلام يقول ويخاطب هذا الطاغوت أولست القاتل فلان أولست المستأثر بالفيء.

وفي مشهد آخر من مشاهد النور والإيمان لسيرة الصادقين المتجلية بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، ونحن نقرأ أن الحسين عليه السلام يخاطب أهل العراق قائلاً قد أتتني كتبكم وقدمتعليّ رسلكم ببيعتكم وأنكم لا تُسلّموني ولا تخذلوني فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، لا إستعطاف ولا أي كلمة مذلة ولا أي كلمة أخرى، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم فقط هذه العبارة، إنسان واقع بمشكلة محاط بجيش مقدم على خطرعظيم وحكومة طاغية مجرمة يخاطب أهل العراق بهذا الخطاب فإن أتممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي عليه السلام، الحسين بن علي عليه السلام يخاطب أهل العراق وهم لا يعرفونه كأن إنساناً يخاطب أهل الصين ؟ لا يحتاج أن يقول وأنا الحسين بن علي عليه السلام، هو واقف في موقف في الطريق قبل الحصار يخاطب الذين يمرون به من العراق أو من أهل العراق أو في القرى التي مر بها فيقول لهم وأنا الحسين بن علي عليه السلام وابن فاطمة، ولعله كان يخاطب أيضاً بعض الوفود التي كانت تأتي، فأنا الحسين بن علي: أرجو التوجه حتى نتأمل بالكلمات إنسان القادم يعرفه تماما هذا هو الحسين بن علي هذا هو الإنسان الذي كتب إليه رسالة يقول له أقدم يابن

رسول الله، الإنسان الذي جاء ويعرف هذا الشخص أنه الحسين بن علي ما معنى قول الإمام الحسين عليه السلام فأنا الحسين بن علي فلنتأمل في الكلمات؟.

رسول يبعثه الحسين لعل الناس لا تعرفه فيقول أنا مسلم بن عقيل بن عم الحسين وعقيل أخو علي عليه السلام من باب الفرض، لكن من جاء للحسين وكان قد بايعه على أن يقف معه كيف يقول له الحسين عليه السلام فإذن أنا الحسين وكفى به مقاماً عظيماً ثم بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، يريد أن يقول مع كوني أنا الحسين عليه السلام وأنا ابن علي وبن فاطمة سيدة نساء العالمين وبن رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الكون كله معجزة الكون في عالم الإمكان، أنا هذا الشخص نفسي مع أنفسكم، حتى لا يقول قائل يوماً من الأيام الحروب تطحن الناس طحناً وعلى الناس أن يرجعوا إلى تاريخ الأمم، حروب قامت وتقوم والكثير منا عشناها بأنفسنا، الحسين يقول أنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله نفسي مع أنفسكم هذه كلها أنا لم أحسب لها حساب، أنا أريد إنساناً أن يكون نفسه مع نفوس الناس أنا مقدم على خطر نفسي مع أنفسكم! ماذا يعني هذا؟ فليراجع الإنسان المسلم سنياً كان أو شيعياً، كيف الأمراء والقادة والحكام دفعوا بأبناء الناس أفواجاً إلى محارق الموت وقتلت العشرات والملايين من الناس في الحروب، حروب

مرت تحت عناوين متعددة حتى راح لينسبها البعض بحروب الإسلام والكفر وما شاكل هذا والقادة محفوظون وأبناءهم والعلماء وأصحاب الفتاوى محفوظون ويلقون بأبناء الناس أفواجاً أفواجاً في محارق الموت، فعلى الإنسان أن يتأمل في كلمات الحسين يقول أنا مع كل هذه الحقائق مع كلهذا الواقع أنا نفسي مع أنفسكمهل القادة نفوسهم مع نفوس المجتمع أم راحت ملايين الناس لتجزر مع حروب تافهة؟ وسنتم الحديث غدا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

ما هي كلمات الإمام الحسين عليه السلام لأهل العراق في طريقه إلى كربلاء؟

قد وصل بنا البحث إلى كلمات مرت من الإمام الحسين عليه السلام حينما كان يخاطب الكثيرمن أهل العراق سواء وفوداً كانت قادمة عليه في الطريق أو في القرى والأرياف التي كان يمر بها وهو يقول مخاطباً القوم أنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع أنفسكم) نحن سنعود إلى هذا المقال لكن من أجل أن نعيش واقع حياة الأنبياء والأولياء الكرام حتى لا نعيش تقديساً للرجال بدلاً من واقع حياة عاشها هؤلاء العظماء، ونحن نقرأ التاريخ إذ بنا نمر على مقالة مشهورة لعلي عليه السلام يقول فيها «كنا إذا احمرت الحدق وحمي الوطيس لذنا برسول الله صلى الله عليه وآله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه».

أكرر وأقول نحن كمسلمين نحن كشيعة أتباع آل البيت عليهم السلام فلنجعل سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسيرة الأئمة الأطهار، وإن كان أبناء العامة لا يرتضون لأنفسهم أن يتبعوا سيرة أوصياء الرسل، فليقرءوا التاريخ لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي أراده الله أسوة للمسلمين ليجعلوه

أسوة يقتدون به ثم لينظروا أن الذين جاؤوا من بعده من الحكام هل ساروا بهذا المسير، هل كانوا في ثباتهم وحروبهم يرسمون خطى الرسول صلى الله عليه وآله فإن وجدوهم كذلك فعلى العين والرأس فليقدموا على ربهم بهؤلاء الرجال الذين وجدوهم يرسمون خطى الرسول صلى الله عليه وآله وإن تركنا القوم الذين قدّسوا الحكام وقالوا تجب طاعة الحكام ولو كانوا فاسقين جائرين ظالمين يضربون ظهور الناس ويأكلون أموالهم، فالذي يصل إلى هذا المنحدر من الخطاب لا أظن أنه يكون محلا للعتب فهؤلاء نطوي عنهم صفحا، ولنأت إلى أنفسنا المدعين مشايعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وللحسين والحسن عليه السلام للأئمة الأطهار عليهم السلام فنقرأ بدقة وإمعان ماذا يقول بطل الأبطال، ماذا يقول فارس الأمة الإسلامية باتفاق الجميع صاحب حروب رسول الله صلى الله عليه وآله في كل معاركه يقول «كنّا إذا احمرت الحدق وحمي الوطيس لذنا برسول الله صلى الله عليه وآله » الذي تلوذ به الأبطال يقينا هو أمام الجيش، الذي تلوذ به الأبطال، من هم الأبطال ؟ علي عليه السلام يعترف ويقول نحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله إذا اشتدت المعركة من يلوذ به علي عليه السلام أهو يختبئ في بيته، من يلوذ به علي عليه السلام يقينا قد لاذ به بقية الصحابة يقينا هذا الإنسان العظيم الذي يقول عنه علي عليه السلام كنا إذا احمرت الحدق وحمي الوطيس لذنا برسول الله، ثم يقول فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، هل

نحن هذا الإنسان الذي جعله الله أسوة لنا وأراد منا أن نقيس زيدا وعمراً عالما كان أو صحابيا بهذه السيرة العطرة سيرة الأبطال والرجال هل قسنا علماءنا و هل قسنا صحابة الرسول صلى الله عليه وآله بهذا الواقع العظيم فمن قاسهم و وجدهم هم هكذا في الحروب فعلى العين والرأس هو وربّه يوم الحساب، فإن نظر الناظر إليهم ووجد حروباً قريبة ليست ببعيدة والبعيدة فليقرأها أما من عاشها نتكلم عنها حروب أكلت الأخضر واليابس وطحنت العباد والبلاد وانتهت بعد سنوات، وإذ بالكل يعيشون سلاما لم يخدش من أحد حتى ظِفر لا من القادة ولا من الأبناء والحاشية ولا من الأصحاب بل دفع بأبناء الناس إلى محارق الموت ومن بعد سنين تحدث المعجزة الكبرى تقتل فيها الملايين ويعيش هؤلاء.

ثم لنقرأ حدثاً آخر قال علي عليه السلام أيضاً: «إذا اشتدت الحرب قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تقدم يا علي تقدم يا حمزة ويا فلان وفلان من بني هاشم» إذا حمي الوطيس كان الرسول صلى الله عليه وآله درعاً يقي المسلمين حتى علياً، وإذا كانت الحرب لا تحتاج إلى هذا المقام وهذه الشدة جعل أهل بيته درعا يحفظ بهم المسلمين، وما قال أنا سيد الأولين والآخرين يجب أن أعيش في خيمة بعيداً حتى لايحدث حدث وتنتهي الرسالة هويعلم أن رسالة يريدها اللهيحفظ أصحابها ولو أراد الله له شهادة في أي يوم من الأيام هو يتلقاها

بكل بشرى هكذا هم الأولياء تقدم يا علي ويا حمزة ولنقرأ تأريخ هؤلاء العظماء، نحن إن جئنا إلى كربلاء التي نقيمها في كل سنة ونبتعد عن حوادث وكلمات قد تخدش خواطر زيد أوعمرو فلنسأل عن كثير ممن استشهدوا في كربلاء الكثير منهم فوق الثمانين والتسعين من عمره، الكثير منهم ما قالوا الواجب ساقط عنا، فإبن التسعين والثمانين يقاتل في كربلاء، وفي صفين لحربها عمار بن ياسر وهو بلغ التسعين من عمره الشريف وأمثال عمار كثيرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير منهم كان فوق السبعين وفوق الثمانين وكانوا يقاتلونكل يوم في صفين، لأن قوة الإيمان تعطي عزيمة تجعل الشيخ الكبير أقوى من الشاب بإيمانه وثباته، هكذا كانوا هؤلاء العظماء في صفين هكذا كانوا في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله ولنأتي إلى علي عليه السلام بطل الأبطال الذي هو في مقدمة جيوش رسول الله في غزواته وحروبه فلندع ذلك، ولنأتي إليه وهو أميرا للمؤمنين وعادة الأمير يجلس في قصره ويبعث أبناء الناس للموت والقتال ويبعث بهم إذا وجد لنفسه قوة في المشرق والمغرب للغزوات، هكذا عرفنا أمراء المؤمنين على طول التأريخ والشاك فليراجع حياة المسلمين وحياة من سمّاهم المسلمون بأمراء المؤمنين، هل وجدنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير علي عليه السلام في معركة أحد هؤلاء؟ من وجد أحدا فليذكره لنا لعلنا كنا غافلين عن ذلك لا

أظن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بسيرته التي ذكرناها الآن وبعد علي عليه السلام، وبعد الإمام الحسن عليه السلام في فترته القليلة لا أظن أن التأريخ يحدثنا عن شخص سُمي بأمير المؤمنين وصار وراء الجبهات ولو بمسافات، لا أتصور ذلك فضلا عن أنه يخرج إلى القتال أو يكون في مقدماتها.

نأتي إلى الجمل: دخل علي عليه السلام معركة الجمل واقفا في القلب وكلٌ من الإمام الحسن والحسين في الميمنة والميسرة وبنو هاشم مقسمون فيها ثم أعطى الراية ولده محمد بن الحنفية وقال له تقدم يا بني فانتظره هُنيئة ثم بعث إليه يا بني تقدم مرة أخرى فبعث إليه محمد بن الحنفية قائلاً يا أبتاه والله إني أتقدّم على جبال من حديد فالقوم مستميتون فامهلني هنيئة حتى أجد طريقا للتقدم، بعد لحظة صبر عليه بعث إليه مرة ثانية تقدم يا محمد، فوجده قد أبطأ وبعث إليه ثالثا تقدم يا محمد، ولو على الأسنة ولو على جبال من الحديد، يقدّم من؟ يقدم زيدا من الصين؟ يقدم ولده للموت ويقول له تقدم للموت هكذا كان علي عليه السلام، هل كنا في حروبنا التي انقضت على الملايين من الناس هل كنا كزيد أوعمرو هل أصحاب الفتاوى هل كانوا هكذا وهم يدّعون أنها حرب إسلام وكفر فليتقدموا فيها شهداء ويقووا عزائم الجيش، تقدم علي عليه السلام بنفسه ودعى أصحابه هلموا إلي فأخذ الراية الخضراء وتقدم،

وتقدم معه مالك الأشتر وعمار حتى وصل إلى محمد فأخذ منه الراية العظمى وتقدم علي بنفسه نحو الجمل وصاح بأصحابه بكتبيته الخضراء ما لم تعقروا الجمل لا ينهزم القوم وهذا التأريخ شاهد على أنه ما قصد الجمل أحد إلا قُتل لأن القوم كانوا مستميتين، بهذه الحالة ومحمد يخبر أباه أنه يتقدم على جبال من حديد وصل إليها مالك ومعه بعض أصحاب علي عليه السلام فعقروا الجمل وعلي عليه السلام يتقدم هكذا من يرى الحرب هي العز والقرب والشهادة إن سقط فيها وإلا فقد قام بوظيفته فكيف ما وجدنا هكذا حربا نتقدم بها إلى الله سبحانه وتعالى شهداء نعيش في جوار النبيين لماذا أحببنا جوار النبيين لابن الفلاح وإبن الكاسب ولأولاد الناس تقدموا إلى الموت فإن الشهادة عز وفي جوار النبيين إن كانت كذلك فلمَ نقدم غيرنا إليها.

الإيثار أيها الإخوة والأخوات أنا أؤثر غيري في لقمة عيش، أنا أؤثر غيري في ماء ومشرب ومكسب لكن لا أؤثر أحدا على الشهادة أتقدم إليها حتى ألقى ربي مغفوراً لي، هكذا هم العظماء هكذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله، فلنجعل رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حقيقة ولنجعل عليا و الحسن والحسين عليهم السلام أسوة حقيقة الذي نقيم السنة كلها من أجله حقيقة لا نكذب على أنفسنا، فإن وجدنا الصحابة والعلماء والحكام هم هكذا فعلى العين والرأس فلنكن تحت

أقدامهم لتقدّمهم وعز الإسلام وإن وجدناهم ليسوا كذلك فلنخرج من تقديس الرجال على حساب الدين.

هكذا كان علي عليه السلام في صفين والشاك فليراجع صفين وكيف دخلها علي مقدماً نفسه وأبناءه إليها هكذا من يعتقد بأمر، هكذا من يعتقد إن سقط فهو لا يسقط إلا وهو في الجنان، ثم وجدنا صفين وما أدراك ما صفين طحنت رجال المسلمين فليراجعها الإنسان بنفسه ليرى كيف كان يتقدمها علي عليه السلام وكيف كان فيها الحسن والحسين عليهما السلام وكيف كان في كل يوممالكها وعمارها وحجر بن عديها وعدي بن حاتم وكلهم من خُلّص أصحاب علي عليه السلام ما قال أريد هؤلاء أن يحفظهم الله تعالى لا قال عن نفسه ذلك ولا عن هؤلاء العظماء الأبرار فكانوا في كل يوم يعيشون هذه الحرب بكل قسوتها، هكذا كانت صفينولست بصدد أن أنقل حوادث صفين حتى وصلت في أواخر أيامها أن بعث الإمام علي عليه السلام وقد دخل المغرب أو كاد أن يدخل بعث إلى مالك الأشتر لا توقف الحرب ليلاً أيضاً فامتثل مالك وسميت تلك الليلة بليلة الهرير ثم قال له أريد منك عند الصباح أن تكون في المكان الفلاني وقال كلمته المعروفة المشهورة وعند الصباح يحمد القوم السرى، فما أصبح الصباح إلا وعلي والحسين والحسن والأبرار والأطهار ومالك يلتقيان في ذلك المكان يقاتلان حتى الصباح، حتى لا نخدع أنفسنا

كفى تقديساً للرجال على حساب دين الله فلما صار الصباح، حرب استمرت صباحاً ودخل الليل وهم مستمرون ما أوقفوها فلما أصبح الصباح أمر علي أصحابه بالهجوم على مقر الطاغية المجرم معاوية فانتدب لمعاوية ١١ صفاً كلهم عقل أنفسهم مستميتين يدافعون عن فرعون هذه الأمة تقدم إليها علي ومالك ومعهم هؤلاء العظماء وأخذوا يطحنون هؤلاء الجهال الجناة المجرمين طحنا حتى وصلوا إلى قبة معاوية ثم رفع معاوية بدهاء عمرو بن العاص القرآن المجيد على أن القرآن هو الحكم فخدع العراقيين، حرب ما كانت تحت أدوات كأدواتنا اليوم حرب حملتها السواعد بعزيمة الإيمان، أي إيمان هذا بعد أشهر من الحرب، تستمر الحرب يوماً كاملاً بليلها ويومها الثاني حتى أراد معاوية أن يفر لولا رفع المصاحف، هذا واقع نقوله بكل حرقة نقوله بكل ألم لا نريد أن ننقد زيدا أو عمراً وأي ثمر بنقد زيد أوعمرو نريد بهذا الكلام إصلاحاً لأنفسنا وإصلاحاً للأمة نريد من أنفسنا أن تكون مثل هذه الكلمات لا كلماتي أنا أريد من الناس من الشيعة أن يقرءوا تاريخ رسول الله وتأريخ الإمام علي عليه السلام فليقروءه هذا من ندعي نحن من شيعته، ثم ننظر أن مثل هؤلاء بما نحن فيه من العشق والهيام والولاء الذي ندعيهأهو عواطف تحمل جهلا أو هي عواطف تحمل علماً وتندفع بالعلم، ثم لينظروا إلى النهروان كيف وقف بها علي عليه السلام

هل جلس في بيته في الكوفة وبعث بأبناء الناس؟ كلا ما بعث بأبناء الناس فأقول وأكرر وأقول اللهم إن هذا ما عليّ من البيان اللهم إن كنت صادقا فيه فأوصله إلى الناس لعله يكون سببا للخروج من غفلة وإن كنت كاذبا وبدواع خاصة أريد أن أتكلم فأنت المنتقم من الكاذبين .

نعود إلى كلماتنا في الإمام الحسين عليه السلام ونحن في رحابه وندعي أنه قدوة لنا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «فأنا الحسين بن علي» حتى لا يقول فلان أنا العلامة الفلاني والعلامة الفلاني فوق أن يدخل معركة، أنا الآية الفلانية والآية الفلانية أكبر من أن يدخل معركة أنا آية أو علّامة بلغت الستين من عمري والشباب موجودون فليتقدموا وأنا أدعو لهم بالفوز في الجنان.

لا ابن الستين ولا ابن السبعين ولا ابن التسعين مادام يتمكن أن يكون في الجيش يجب عليه أن يكون عليه في الجيش ما عندنا جيش نظامي عالمي يدخل من الثمانية عشر ويخرج منه بالثلاثين، إن وجبت وجبت على الجميع، هذا الواقع الذي حملت سواعد الأبرار فيه كساعد عمار بن التسعين وحبيب وبرير نقرأ عن حبيب ونقرأعن برير لكن إذا جاء الأمر إلينا نقول نحن عجزة، هذا واقع أمر على الأمة أن ترجع إلى واقعها، ما نعيشه اليوم من الذل والهوان يرجع إلى أمرين لا ثالث لهماجهل وعدم دعوة إلى عدل هذه

الأمة رُبّيت هكذا لا حركة فيها نحو المعارف لتخرج من جهلها ولا دعوة فيها إلى العدل لتخرج من ذلها، فاجتمع الجهل مع الذل فحققنا أمة إسلامية ذليلة يسخر منها الجميع، في كل العالم لا قيمة لا لسني ولا لشيعي.

فإذن يقول الإمام الحسين عليه السلام: «فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة».

فإذن يريد أن يقول أنا الحسين عليه السلام الذي الآن بعد أبي وجدي وأخي، أنا حجة الله على الأرض مطلقاً ما جلست في البيت وبعثت لكم زيدا أو عمروا إلى العراق ليخرجكم من مشكلة بل جئت بنفسي «نفسي مع أنفسكم» يعني إن حدث حرب فأنا أوله إن حدث خطر فأنا أوله «وأهلي مع أهليكم»[1] وإن كانت هناك أي جهة وأي مأساة تنال أعراضكم ونساءكم وبناتكم وأطفالكم فهذه نسائي و أهلي وأطفالي كلهم جئت بهم هكذا هو الصادق، هكذا هو الذي يرسم سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال في حقه علي عليه السلام: «اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه»[2] هكذا هو رسول الله فعلينا أن نعود مرة ثانية وثالثة أكرر علينا أن نرجع إلى

١ـ وقعة الطف: ١٧٢.

٢ـ مكارم الأخلاق: ١٨.

هذه السيرة العطرة ثم نجعل في الميزان الصحابة والعلماء، أيكونون في هذا الميزان أو في ميزان آخر؟ إن وجدناهم في هذا الميزان فلنستقبل بهم الله سبحانه وتعالى شافعين وإن وجدنا أن صحابيا أو أن عالما ليس في هذا الميزان فلنرجع إلى عقولنا مرة ثانية ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب.

فإذن هذا مشهداً من مشاهد هذا النور من مشاهد الإباء من مشاهد الشرف من مشاهد الكرامة التي هي تتقدم قبل غيرها إلى الموت إلى الشهادة والثبات لتكون أسوة هذا هو المشهد هذا هو المشهد الحسيني من أجل تحقيق الكرامة والشرف نحن نتكلم عن حسين الإباء، عن حسين الشرف والبطولات نحن نتكلم عن حسين العلم والعدل والقيم نحن نتكلم عن حسين الذي هو مظهر الأسماء والصفات الإلهية، حكمة وعدلاً، أنحن بعلماءنا على هذا المنهج أو لا؟ فإن كنا على هذا المنهج فالحمد لله رب العالمين، كل واحد وصاحبه وعالمه فليدخل معه إلى ساحة الحساب، وإن كنا لسنا كذلك فلنرجع إلى أنفسنا ولا نخدع النفس نحاسب بأنفسنا ولا يؤتى إلينا يوم الحساب لا بزيد ولا عمرو ولا صحابي ولا بعالم.

وكان ممن بعث زياد ابن أبيه إلى معاوية مع حجر بن عدي الكندي، وكان حجر بن عدي يسمى حجر الخير وأسانيد أبناء السنة والجماعة تؤيد ذلك ولم يختلف أحد في تقوى وعلم ونزاهة

وثبات حجر بن عدي، والروايات الواردة من رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه، هذا الإنسان العظيم، والسنة لهم خط أحمر بالنسبة إلى الصحابة معروف بأنه من تكلم على صحابي كفر ويثبت على أنه زنديق كافر يريد أن ينال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا الشخص أمن الصحابة أم هو ولد اليوم وجاء جبرئيل أو ميكائيل ونزلوا على وجه الأرض وقالوا اسمعوا إن رجلا ولد اليوم اسمه حجر هذا هو إنسان طيب، أم هو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ كيف تضرب عنق حجر وهو من صحابة رسول الله ولا يكون من ضرب عنقه إنساناً غير سليم، إن كان صحابة هذا أيضاً من الصحابة! علي عليه السلام من الصحابة ويلعن على منابر المسلمين لا مانع من ذلك، وحجر من الصحابة وتضرب عنقه مع ستة لا مانع من ذلك، لا أدري هل الصحابة يختلفون صحابي يجوز أن نسبّه وصحابي لا يجوز ؟ صحابي يجوز أن نقتله وصحابي لا يجوز؟ هذه كلها أسئلة على السني أن يجاوب ربه يوم الحساب.

وكان ممن بعث زياد بن أبيه إلى معاوية مع حجر بن عدي ١٤ رجلاً وقيل ٢٠ رجلاً كلهم مكبلون بالحديد بعثهم من العراق إلى الشام هكذا وفيهم صيفي بن فسيل فلما وصلوا الى الشام أمر معاوية أن يؤخذ بهم إلى مرج عذراء وهي درعا اليوم وبعث إليهم ثلاث نفر ليضربوا أعناقهم، فقالوا وصل هؤلاء إلى مرج

عذراء ووصل هؤلاء الثلاثة الذين بعثهم معاوية لضرب أعناق هؤلاء الأربعة عشر أو العشرين وصلوا مساء، فلما وصلوا أعلنوا أنهم مأمورون من قبل معاوية بضرب أعناقهم فقال حجر وهو مكبل بالحديد لهؤلاء الثلاثة دعونا حتى نصلي ركعتين فقالوا صلوا ركعتين فصلى حجر ركعتين خفيفتين يعني مسرعا فيها ثم قال لو لا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه يعني صليت ركعتين سريعتين لأني خفت أن أطيل فيهما فتظنوا إني خفت من الموت والسيف، لو لا أن تظنوا بي غير الذي أنا عليه لأحببت أن تكون أطول أي الركعتين مما كانا ثم قال ولأن لم يكن فيما مضى من الصلاة خير فما في هاتين من خير، قال تطويل صلاة الآن وصلاة بخشوع الآن والسيف على الرقاب إن كانت صلاتي في حياتي كانت لربي فهذه تنفعني أيضاً وإن كانت صلواتي الأولى سريعة ولاقيمة لها وكنت مشغولاً عن ربي فأنا أعلم أن هذه الصلاة أيضاً لا تفيدني، ثم قال لا تطلقوا عني حديداً يعني من بعد ما أقتل ولا تغسلوا عني دماً حتى ألاقي ربي غداً وأرى معاوية على الجادة هناك.

ثم قال لهم القائلون الثلاثة الذين جاؤوا من قبل معاوية إذا قدّموا أي واحد قالواله نضرب عنقكم بأمر معاوية إلا أن تشتم علياً وتلعنه وتتبرأ منه فإنك تطلق الآن هذا كان الشرط قبل ضرب عنق كل واحد منهم يقدم ثم يخبر بما قال معاوية، تلعن عليا وتتبرأمنه

فإن لعنته وتبرأت من علي أطلقنا صراحك الآن وإلا ضربنا عنقك وهذا موجود في كل التواريخ والسني يمرعليه مرور الكرام ويبقى عنده معاوية أمير المؤمنين يضرب الناس لعدم تبرّيهم ولعن علي ويسمعون وعلي من الصحابة لا شك في ذلك، لو أن شيعيا قال الصحابي الفلاني طويل أو قصير قالوا أنت كافر وتخرج من الدين ومعاوية يضرب أعناق الصحابة فلا مانع من ذلك ومعاوية يشتم الصحابة فلا مانع من ذلك، ومعاوية يجعل شرط حياة الصحابة الأجلاء أو الناس المؤمنين أن يلعنوا علياً ويتبرءوا منه وإلا يضرب أعناقهم ايضا لا مانع من ذلك، صحابي جليل اجتهد فأخطأ !عجيب هذه الأمةأهو غباء أو هوعدم دينأم واقعا هكذا يعنقدون لا أدري؟! أو لأنهم قلدوا وعاظ السلاطين فأصبحت شريعة هذه، فالكل أبى ذلك وقالوا جميعاً إن حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه فوالله ما نقول ما يسخط الرب.

فإذن كانوا متفقين على كلمة وكانوا عالمين أن معاوية سيخيرهم بين البراءة من علي وشتمه أو ضرب أعناقهم المستغرب هنا لما جاءوا ليضربوا عنق حجر قبل الجميع لأنه هو رئيس القوم قال أطلب طلبا قالوا وماذا تطلب يا حجر، أن تضربوا عنق ولدي قبلي وولده بن عشرين سنة، فاستغربوا منه أخوفا من الموت ولو لدقيقة يقدم ولده فقال يقينا أنتم تستغربون من هذا والله يعلم إن

ولدي هذا أحب علي من نفسي يعني ولد إيمان وتقوى، لماذا تقدمه ليضرب عنقه قبلك قال إني أخاف أن يضعف من بعدي ويتبرأ من علي عليه السلام أريد أن لا أغمض عيني وأتأكد أنه ثابت كما كان ثابتا لم يتغير فإن وجدته ثابتا الآن أمامي تضرب عنقه فأنا مطمئن وأما من بعدي فلا أدري وأنا أحبه فلا أريد له إلا الخير هكذا كان الأبرار يقدّمون أعناقهم للموت ولا يترددون وكيف كانوا يقدمون أولادهم ولو لضرب الأعناق حتى يطمئن، أنحن هكذا في مقابل الطواغيت؟أنحن في الحروب هكذا؟ هذا الرجل الذي يقدم اليوم ولده وهو ابن العشرين ويقول اضربوا عنقه قبلي كان في حروب رسول الله صلى الله عليه وآله قبل ذلك وكان في جميع حروب علي عليه السلام ما وجدناه صامتا وبقي مخالفاً لمعاوية حتى ضربت عنقه ما كان صامتا هذا الرجل كان يدافع عن الحق كان يقول أيها الناس أيها الحكام كفوا عن أكل أموال الناس كفوا عن ظلم الناس هكذا هو حجر هكذا هو الحسين.

وسنأتي ونقول إن شاء الله حينما وقف الفريقان في يوم العاشر من محرم هذه الكلمات التي تأتي بها الخطباء لإبكاء الناس أرجو التوجه فليبتعد عنها الناس نزاع بين بني هاشم وبين الصحابة ثم من يتقدم أولا ثم رضي بنوهاشم أن يتقدم الصحابة هذا كلام، كانت معركة واحدة لكن المعركة تبدأ ببطل فلما توقف الفريقان

ووقف عمر بن سعد وقال اشهدوا لي عند الأمير أني أول رامٍ رمى الحسين بن علي وجاءت السهام كأنها المطر قال الحسين عليه السلام تقدم يا ولدي يا علي فأول من تقدم للموت هو علي الأكبر وسنبين ذلك حتى يعلم الناس كيف هم الصادقون كيف يقدمون أبناءهم قبل أبناء الناس وكيف يقدمون أنفسهم وكيف رسول الله وهو سيد الأولين والآخرين وبه الرسالة الخاتمية كيف كان في ميادينها والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

من هم الذين قتلهم معاوية مع حجر بن عدي وكيف كان كلامهم وقوة إيمانهم؟

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد كنا نسير لنبين واقع حياة كان يعيشها الحسين عليه السلام، وواقع حياة كانت تعيشها هذه الأمة تحت حكام ظلمة ارتكبوا ما ارتكبوا باسم الدين، حتى إذا قرأنا تأريخ الحسين عليه السلام نكون قد عايشنا واقعا كان يعيشه الإمام الحسين عليه السلام ، وصلنا إلى ضرب أعناق هؤلاء الأبرار، الذين جعل معاوية شرط الحياة لهم أن يلعنوا علياً وأن يشتموا علياً وأن يتبرءوا من علي عليه السلام بصراحة من القول ومن دينه الذي كان يدين به ربه، من هم هؤلاء الجماعة؟ قلنا على رأسهم هو حجر بن عدي الكندي، ومن هؤلاء القوم ومع الأسف نقول الذين لم يسمع بأسماءهم حتى الكثيرمن الشيعة، وراحوا بتلقينات من هنا وهنا وبروح قبلية من هنا وهنا ظانيين محمداً صلى الله عليه وآله كما ظنه الكثير من أبناء العامة أنه كاد أن يكون شيخ عشيرة عربي، نحن أيضاً دخلنا بنفس هذا النفق، فرحنا لنكرم زيداً أوعمراً باعتبار أنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، في حين أن الأديان قامت على العلم والعمل والحق

والباطل وما شاكل هذه الأمور وماجاءت الأديان داعية إلى القبليات والنسب والحسب، لكنا عرب لا نتمكن أن نخرج من واقعنا عرب نعيش قبلية نفكر بحضارة قبلية، ونحن اليوم بعد آلاف السنين والحضارة الإسلامية لم تؤثر علينا.

العشيرة إذا توفي شيخها يأتون بالولد الأكبر ولو كان جاهلاً ولو كان غبيا و...، حتى ولو كان من البيت والأسرة من هو أعظم وأكثر منه معرفة يتركونه ويذهبون إلى الحضارة العربية، فأقول مع كل الأسف أنا نحن كشيعة نقدس زيدا وعمرو بإعتبار أنه من نسب رسول الله وكأن رسول الله شيخ عشيرة، ونذهب إلى الجبال وإلى زيد وعمرو والكثير منهم مجهول حتى نسبا نقدسهم ونحترمهم وقد تصل بنا الحالات أن نقصدهم وننذر لهم ونبني لهم أضرحة ونعمل ما نعمل، ونحن كشيعة ندعي أننا أتباع من؟ أتباع الرسول صلى الله عليه وآله أتباع سيد الكائنات معرفة أتباع سيد الكائنات عدلاً وحكمة أتباع إمام الحق المبين علي عليه السلام أتباع الحسن والحسين عليهما السلام، فالننظر إلى العبائر التي صدرت من هؤلاء العظماء هل صدرت لأهل بيتهم ؟ فإن صدرت لزينب لا لأنها بنت علي، صدرت لزينب العظمة إن صدرت بحق العباس لا لعباس بن علي عليه السلام صدرت لعباس العظمة، وإلا فالعبائر الموجودة في مالك فلننظر إليها كان لي لمالك كما كنت لرسول الله قال علي عليه السلام عقمت النساء أن يلدن

كمالك، على مثل مالك فلتبكِ البواكي، هكذا هو تعظيم هؤلاء لم يتكلم علي بدوافع القبلية والبيتية، أكرر وأقول أيها الشيعة أيها الموالون نحن إن اعتبرنا و كرمنا وعظمنا، كرّمنا عصمة وإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كرمنا عصمة وعظماً لفاطمة عليها السلام كرمنا عصمة وعظما للأئمة الإثني عشر، فلنخرج من متاهاتنا القبلية، قبلية عربية راسخة في أعماق ضمائرنا لا نتمكن أن نتخلص منها، ولذا أقول من المؤسف ونحن ندعي ما ندعي من الإسلام وما ندعي من مشايعة علي عليه السلام وإذ بنا لا نعرف حتى العظماء الذين قدموا دماءهم رخيصة في سبيل الحق في سبيل منهج علي ومحمد صلى الله عليه وآله.

والجماعة وهم حجر بن عدي والأرقم بن عبد الله الكندي وشريك بن شداد الحضرمي وصيفي بن فُسيل الشيباني الذي مر ذكره، وكريم بن عفيف الخثعمي، قبيصة ابن ضبيعة العبسي وعاصم بن عوف البجلي وورقاء بن سمي البجلي وكدان بن حيان العنزي وعبد الرحمن بن حسان العنزي ومحرز بن شهاب التميمي وعبدالله بن حوية التميمي وعتبة بن الأخنس ابن سعد ابن بكر، وهؤلاء الكثير منا لا نعرف حتى أسماءهم وماسمعنا بها ونبحث عن زيد وعمرو من المجاهيل لأنهم من نسب رسول الله فليكونوا من نسب رسول الله، هل كان رسول الله سيد عشيرة أو رحمة للعالمين، من كان في الصين أو في الهند ملتزماً بسيرة رسول الله لايقاس

بألف من ينتسب إليه نسبا إن لم يكن ملتزماً بشرع الله تعالى هكذا يجب أن نكون عرفاء هكذا يجب أن نقيّم الرجال بواقع ما قيَّمهم الله سبحانه وتعالى، هؤلاء العظماء الذين ضربت أعناقهم هم حجر ابن عدي وشريك ابن شداد الحضرمي يعني ماذا هؤلاء ضربت أعناقهم؟عذبوا في الكوفة وكانوا قبل ذلك معذبين مضطهدين يعيشون الخوف والرعب ثم جيء بهم مكبلين بالحديد في الطريق كله ثم عُرضت عليهم البراءة حتى يطلق سراحهم أوتضرب أعناقهم قدموا أنفسهم لضرب الأعناق حتى نعرف من هم هؤلاء العظماء.

حجر بن عدي والذين ضربت أعناقهم قلنا هم كانوا أربعة عشر وقيل كانوا عشرين تشفّع الكثير من أهل الشام لأنهم من بني عمومتهم وقبل الشفاعة واشترط معاوية أن لا يرجعوا إلى العراق لكن الذين ضربت أعناقهم هؤلاء : حجر بن عدي، شريك بن شداد الحضرمي، صيفي ابن فسيل الشيباني، قبيصة ابن ضبيعة العبسي، محرز ابن شهاب السعدي، كدان ابن حيان العنزي، عبد الرحمن بن حسان العنزي، همام ابن حجر ابن عدي، هؤلاء ضربت أعناقهم، اثنان من هؤلاء لما جاء السياف لضرب الأعناق وهما عبدالرحمن بن حسان العنزي وكريم الخثعمي ماذا قالوا لهؤلاء الذين جاؤوا لضرب أعناقهم، قالوا إبعثوا بنا إلى أمير المؤمنين لماذا

تضرب أعناقنا الآن أمير المؤمنين أي معاوية قال لكم على أن من تبرأ من علي ولعنه وشتمه وتبرأ من دين علي، و كأن علي من الملحدين والشيوعيين لا تضربوا عنقه وأطلقوا صراحه، اذهبوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل يعني علي عليه السلام مثل مقالة معاوية، نحن مع معاوية على نظر واحد في علي لكن لا نتكلم أمامكم لا نتبرأ ولا نشتم عليا نحن كل ما نريد أن نقول به سنقوله أمام معاوية وستجدون أن رأينا ورأي معاوية على شكل واحد فبعثوا مخبرا مسرعا إلى معاوية على أن هؤلاء القوم منهم اثنان هكذا يقولان أنضرب أعناقهم إن لم يتبرءوا قال لا ءاتوا بهمبعد ضرب أعناق هؤلاء إلي، فستأذنوا معاوية فيهما فأذن معاوية فلما دخلا على معاوية قال كريم الخثعمي الله الله يا معاوية ما راح مستذلاً ولا طالباً عفواً من معاوية ولا كما تكلم بكلمة موهمة نحن نقول بما يقول معاوية قال: فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى دار الآخرة الدائمة ثم مسؤول عما أردت من سفك دماءنا فأخذ يعظ معاوية، فقال له معاوية دع عنك هذا الكلام ما تقول في علي عالكلام عن الآخرة وهذه الكلمات والخرافات كلها أباطيل والرجل على ما كان عليه في الجاهلية ما تغير ولا تبدل ومن شك فليراجع كلمات علي عليه السلام حينما كان يبعث إلى معاوية برسائل هناك يجد ما يعتقد علي عليه السلام في معاوية، فقال معاوية ما تقول في

علي : قال أقول فيه قولك قال معاوية أتبرء من دين علي الذي يدين به الله فسكت الرجل فقام شمر بن عبد الله من بني قحافة فقال يا أمير المؤمنين استوهبنيه فوهبه له شريطة أن لا يدخل الكوفة أبداً، فهذا إذن ما غير كلاما ولا ذم عليا وإنما جاء ونصح معاوية بما تكلم به هكذا كان الثبات ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن حسان يا أخا ربيعة ما تقول في علي، قال عبدالرحمن دعني ولا تسلني فهو خير لك، رجل ضربت أعناق الجماعة أمامه حفرت قبورهم أولا وجيء بأكفانهم أمامهم ثم ضربت أعناقهم قد مر بهذا المشهد يعني يعرف أن السيف جاهز، قال دعني ولا تسلني فهو خير لك قال معاوية لا والله لا أدعك فقال عبد الرحمن أشهد أنه ويقصد علي عليه السلام الذي أراد معاوية أن يلعنه ويتبرأ منه ويشتم دينه، كان من الذاكرين لله تعالى الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس هذا هو علي إن سألتني عن علي فقال معاوية فما قولك إذن في عثمان قال هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق، هذا عثمان، قال له معاوية قتلت نفسك بكلامك، ماذا أجابه عبد الرحمن حتى نعرف رجالنا ولا نذهب لمتاهات بالنسب لننذر ونذهب ونقدس أمواتاً بالأوهام ولا ندري هل كانوا من التقات أم ما كانوا كذلك؟ ونحترم أحياء بهذا المنطلق القبلي، قال له معاوية قتلت نفسك فأجابه قائلاًعبد الرحمن له بل إياك قتلت،

يعني أنت قتلتني قتلة دنيوية منتهية وأنا قتلتك قتلة أبدية، وأي القتلتين أشر أنت تهددني بقتلة تنتهي وتزول وأنا أهددك بقتلة ربوبية إلهيةبسخط عظيم إلهي ذاك لا ينتهي تبقى تحت ذله وهوانه، فرده معاوية إلى زياد يعني رده مرة ثانية إلى الكوفة وأمره أي زياد أن يقتله شرقتلة فدفنه زياد حياً، حتى يعرف الشيعي أن هناك رجال دفنوا أحياء من أجل دينهم ثابتين لا مستخدمين لتقية تلاعباً ولا جبناء خائفين، هكذا عظماء بهم حفظ التاريخ الشيعي بهم حفظ الدين بهم حفظت الكرامة أنحن هكذا حفظنا دين الله تعالى ونحفظه.

ثم أقول وعلينا أن ننتبه هؤلاء الذين حدث التاريخ لنا بعض الحقائق كحجر بن عدي الذي يقول اضربوا عنق ابني أمامي، هذا من أين جاء إلينا، جاء إلينا من محل الإعدامات بقولنا اليوم، من مقر الإعدامات كم من حقيقة خفيت علينا و كم من كلام تبدل وغيّر بواسطة وعاظ السلاطين وبواسطة السيافة والمجرمين مع كل هذا ما تمكن التاريخ أن يكتم عظم هؤلاء الرجال حتى نفهم أنا إذا سمعنا أن حجر هكذا قال إذن مئة كلمة غيرهذه قالها أيضاً لكن خفيت علينا لأن الإعلام بيد الغير لأن هؤلاء سُلموا أجساداً هامدة من بعد ذلك عرف أهلهم ماذا صنع بهم، يعني حينما نقول قال حجر يعني هذا كلمة من مئة أو ألف كلمة قالها في الكوفة وقالها

في العراق وفي الحجاز وفي الطريق حينما جيء به إلى مرج عذراء وقالها في مرج عذراء وكررها لكنها خفيت وذهبت بكلها وتمامها فما بقيت إلا بعض الكلمات وهي تكفينا إذا كنا نساءاً ورجالاً أن نكون ثابتين أن نكون مقتدين بهؤلاء العظماء.

الإمام علي عليه السلام في وصيته لولديه الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وهي لنا لأن أؤلئك عظماء يخاطبهم ولا تبغيان الدنيا وإن بغتكما، فإذن الناس على نحوين أناس الدنيا لا تريدهم وهناك أناس الدنيا تريدهم وهم لا يريدونها هؤلاء هم العظماء الإنسان المطرود الذي لا مكانة ولا قيمة له نعم إيمانه وتقواه وكل شيء له قيمته لكن من هو العظيم؟الذي تريده الدنيا وهو لا يريدها، فالننظر إلى حجر كيف كانت مكانته في الكوفة: لما ولي الكوفة زياد بن أبيه بعد المغيرة بعث على حجر بن عدي وقال له تعلم يا حجر إني أعرفك، يقيناً يعرف حجراً وحجر كانت له مواقف واضحة لا يريد أن يقول إني أعرفك بمخالفتك للحاكم ولا يريد أن يقول إني أعرفك بأنك من المخالفين ومن الثابتين ومن أصحاب علي هذا كله لا يريد أن يقوله له، يريد أن يقول له أنا كزياد كنت شيعياً يوماً من الأيام وكنت من أصحاب علي يوماً من الأيام وكنا جميعاً كيدٍ واحدة ضد الظالمين وكل واحد منا يعرف أسرار الآخر لأن زياد كان يعتبر من الشيعة ولما أرسل إليه معاوية برسائل عدة ومناه الملك

والأموال رفض أن يكون مع معاوية وكتب إلى معاوية تلك الرسائل الشديدة: من أنت يابن آكلة الأكباد حتى أتردد بينك وبين علي هذا الإنسان الخائن بائع الضمير وهناك الكثير من الخونة إذا وجدوا الدنيا ينقلبون ويتبدلون، فيقول لهتعلم يا حجر أني أعرفك وكنت أنا وأنت على أمر يعني حب علي عليه السلام وأنه قد جاء غير ذلك يعني أنت تعلم أني غيرت وبدلت وانتقلت من حب علي إلى بغضه والارتباط بمعاوية وإني أشهدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة، يعني لو وجدت عليك منفذا يستوجب أن تقطر منك قطرة واحدة يعني لو تكلمت بكلمة أو فعلت فعلا أو قلت بمقال يستوجب أن أقطر منك قطرة واحدة فأنا لا أكتفي بقطرة سأسفك دمك كله، يعني ما يستوجب أن أسفك منه قطرة واحدة لا أتوقف أنا عندها سأسفك دمك كله وإني أشهدك الله ودائماً يشهدون الله تعالى على جرائمهم أن تقطر لي من دمك قطرة فأستفرغه كله، فإذنأنا هكذا إنسان يعني يفتخر، إن كان المغيرة يفعل و يشتم عليا ويحبس أنا لا أتوقف لا سجن ولا كذا أنا أضرب الرقاب : أملك عليك لسانك، يعني يجب أن تكون عالما صامتاً حتى يكون قديساً، واليسعك منزلك، هكذا يريدون الحكام من العالم بين منزله وبين مسجده و بين منزله وبين حسينيته لا يتكلم عن أي شيء يكون بيانا للحق ولا عن أي شيء يكون مرتبطاً بالعدل، هذه المنهجية هي منهجية

الطواغيت على طول التاريخ، نحن خوفا من الطواغيت قبلناها ثم لبّسناها لباس الزهد والتقوى، هذا كان وجه التخويف والآن بدأ بوجه الترغيب :وهذا سريري هو مجلسك، يعني أنت لا تجلس في أي مكان في المجلس بل سريري أنا هو مكانك من المجلس، حتى يفهم الناس أن حجر ما كان عادياً.

فإذن كان رجلاً عظيماً سكوته يكفي ليكون على سرير الوالي وهو الحاكم فلو كان يداهن كيف كان يعيش لو كان يريد أن يمد يدا ويبيع ربع دينه كيف كان يتمكن أن يعيش، ثم يقول له وحوائجك مقضية لدي، كل حاجة كل طلب من الآن أوقع لك تريد ملكا تريد مالا تريد أي شيء كله لك حاضر هكذا هم رجال الله، ثم قال له هذه الكلمات بهذه الطريقة من النصح أنا والله رأيتها بنفسي في حياتي لا أريد أن أقول حتى لا نجعل الحسين عليه السلام وسيلة لدعاية إلى زيد أو عمرو، لكن أقول هذا ما مرَّ علي بنفسي حينما كنت مع بعض العظماء وشاهدت الكلمات التي جرت واللهجة التي كانت من الطواغيت، وإياك وهذه السقطة، المطالبون بالحق وبالحرية والمظلمون والفقراء والمساكين، العلماء الذين يتكلمون عن آية بسلم و واقع وسلام أو عن سنة أو عن جهة مثبتة هؤلاء بلهجة هؤلاء الطواغيت هذا التعبير وهذا التعبير سمعته بأذني حينما خاطب البعض الوالد يعبر عن الناس الفقراء والمساكين بهذا

التعبير، وإياك وهذه السقطة وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك، يعبر عن المجتمع يعبر عن الفقراء يعبر عن المطالبين بحقوقهم يعبر ... بهذا التعبير وإياك وهذه السقطة إذنكل المجتمع بنظر الحكام سقطة.

هاهنا تساءل يطرح نفسه ونحن نجد عمار وما أدراك ما عمار، المدح الوارد في عمار لا يتردد فيه أحد، الوارد عن الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بالنسبة إلى عمار والوارد عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بالنسبة إلى عمار عمار رجل عظيم، هذا الإنسان العظيم حينما قتل كل من أمه وأبيه شهيدين في الجاهلية وأريد منه أن يتبرأ من محمد ودينه يعني يتبرأ من التوحيد ويكون مشركا يعني يتبرأ من سيد الكائنات صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فلما تبرأ وجاء بعد ذلك باكيا إلى الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه خائفا على دينه هل اعتبر قد ارتكب خطأ فغفر له، كلا الآية صريحة تؤيد منهج عمار لأنه منهج العقل، قتل لا يعود بثمر إلا أن يقتل الشخص في مثل هذا تأتي التقية يعني يأتي حكم العقل ويقول التقية إنما هي حكم عقلي، ما معنى التقية؟ يعني أنك أيها الإنسان إذا وقعت في موقع لا يمكن أن تثمر أي ثمر غير أن تضر نفسك أو تضر عرضك أو تضر أهلك أو تضر مالك أو تضر أخاك المسلم أنت قوي لا تمد إليك يد لكن هناك من المسلمين من يتضررون فاستعمل التقية، فهي حكم عقل ضرر لا نفع وراءه، ولذا جاءت الآية مرشدة إلى حكم

العقل: ﴿إِلاّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [1] حيث يحكم العقل والشرع عند الخطر بجواز دفع الضرر، لكن السؤال هاهنا يراد من عمار أن يتبرأ من محمد صلى الله عليه وآله ومحمد أعظم مكانة من علي عليه السلام وعلي عليه السلام مع عظم مقامه يقول أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله وفاطمة مع كل عظمها تقول أنا أمة علي عليه السلام، هكذا هم العظماء يعرف بعضهم بعضاً، لكن التساءل هاهنا الذي يطرح نفسه عمار يتبرأ من سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله ويقول إنه ليس موحداً بل مشركاً ويدعه القوم ويؤيد ويمدح على عمله ولا يذمه أحد، وعمار يبقى عظيماً عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى جعله مائزاً بين الحق والباطل إن اشتبه الناس في علي فلهم عمار كيف جعله مائزاً حينما قال: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية» [2]، جعله ميزاناً لمن أراد أن يوزن الأمور من هي الفئة الباغية ومن هي الفئة المحقة عمار مع علي فإذن هي الفئة المحقة قتله أهل الشام ومعاوية، فإذن معاوية رئيس الفئة الباغية هذا الرجل الذي هنا يستعمل التقية التي هي حكم العقل يُجعل ميزاناً به توزن الأمور، لكن التساءل الغريب هاهنا هؤلاء العظماء لم تدفعهم دوافع العصبيات ولا الجهل لولا أنه كان حكما شرعياً

١ـ سورة آل عمران، الآية ٢٨.

٢ـ دعائم الإسلام ١ : ٣٩٢.

لتبرءوا من علي ليخلصوا رقابهم لأن المسألة هكذا كانت إما أن تشتموا عليا وتتبرأوا من دينه فإن تبرأتم فالنجاة ولا ضرب للأعناق وإلا تضرب أعناقكم فليقولوها كما قالها عمار، ما هو الفرق بين المقامين؟ هنا محتمالات عدة لا أريد أن أشير إليها لأنا نخرج من البحث وهو أنا في رحاب الحسين لكن أشير إلى محتمل واحد في المقام لكي يعرف الناس الموازيين فإن عرف الناس الموزاين عاشوا في سُبل ربهم، ماهو الفارق؟

أرجو التوجه لأمر حتى نخرج من جهل، الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله الأمة قد تعرف الحق بالحق «الحق لا يعرف بالرجال إعرف الحق تعرف أهله»[1]، لكن هؤلاء الذين يعرفون الحق وبالحق يعرفون أهل الحق، هؤلاء لو شكلوا من الأمة بالمئة خمسة لكانوا كثيرين، فهؤلاء قلائل، أكثر الناس يريد ديناً سهلاً، يأخذ إمامته وتوحيده وأحكامه من العالم، يذهب إلى العالم ويقول له ما هو التوحيد ماهي النبوة ماهو كذا لا يريد أن يتعب نفسه ويضيع حياته في معرفة شرع الله تعالى.

فإذن أكثر الناس بعد وفاة رسول الله ما جاؤوا ليعرفوا كتاب الله وسنة نبيه جاؤوا ليعرفوه عن طريق الصحابة فصار كلام

١ـ روضة الواعظين ١ : ٣١.

الصحابة شرعاً وصمتهم شرعاً، ولذا قال القائل ما وجدنا الصحابة خالفوا حاكما ولو كانت مخالفته شرعا لخالفوه فإذن صمتهم دليل على أن الحاكم ولو كان ظالما جائرا يجب السكوت عليه لأن الصحابة سكتوا عن الظلمة والتابعين سكتوا، فصار منهجاً ولذا يكون الحساب شديدا عظيماً أنتم أيها الصحابة تجزمون وجزمتم ولا تترددون أنكم حملتوا رسالة للأجيال والناس تنظر لكم وأكثر الناس وهم بالمئة تسعين أو خمسة وتسعين لا يعرفون الشرع بما هو شرع ، يريدون الشرع من طريقكم تقولون بآية قالوا بها وما تقولون برواية قالوا بها يرون كلامكم شرعا و سكوتكم شرعا، ولذا كان الأمر على عاتق الصحابة يحاسبون حسابا عسيراً، وكذلك العلماء أنا قلت إن وجدت خطأ من هنا أو هناك أقوله وإن شاء الله لا نخشى إلا الله، نحن كشيعة اليوم نقدنا قوماً وابتلينا بمثله، نحن اليوم كشيعة أيضاً نفس المنهجية بلا زيادة ولا نقصان، الشيعي لا يريد أن يعرف كتاب الله ولا سنة رسوله ولا يريد أن يشايع عليا مشايعة علم ولا مشايعة سير وسلوك يريد كل شيء من توحيده ونبوته إلى فهم سيرة إلى أي شيء بفعل الرجال.

فإذن جعلنا العلماء وجهة حاكية عن الشرع فلما فعلنا هكذا رحنا الروايات الواردة التي أمرت بالتقليد جعلته في مكان معين وهي فروع الفروع ما جعلت لنا تقليداً في نبوة أو إمامة أو توحيد

أو نبوة لا تقليد في هذه الامور لكن الناس هم هكذا، الناس كمسلمين يرون الصحابة وجها لكتاب الله و وجها لسنة رسول الله ﷺ ونحن كشيعة كذلك نريد العلماء وجهاً لكتاب الله وسنة رسوله وجهاً حاكياً عن منهج المعصومين عليهم السلام، فلذاأقول وقف علي عليه السلام مع كل الأخطار والمشاكل ووقفت الصديقة فاطمة عليها السلام مع الف حساب وحساب لكل خطر حتى تقام الحجة على من أراد إلى ربه سبيلاً على أن هناك حدثاً تحقق بعد رسول الله ﷺ لا أقل هناك من صمت وأيد وهناك من خالف فمنعنده الدين مهم يسأل هناك خلاف واقع ولا نتمكن أن نخدع أنفسنا ونقول أن منهج الإمام علي الذي قال أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم وأما طريقة الشيخين فلا، نأتي ونصوغ لأنفسنا من أجل الخداع أنهم كانوا جميعاً على منهج واحد ولا خلاف بينهم وأنهم كانوا متحابين هذه صياغات نصوغها من أجل أن نخدع الناس، هناك منهجية ثنائية متحققة بلا شك ولاريب لماذا هؤلاء العظماء مع قلة الناصر ثبتوا ووقفوا بكل معنى الكلمة وما قال علي عليه السلام ولا قالت فاطمة عليها السلام نستعمل تقية ولا قال الكثير من الأبرار نستعمل تقية لأن بفعلهم ترسم الشريعة فإن استعملوا هاهنا التقية وما قدموا دماءهم شوهت الشريعة كما شوهت على أبناء العامة، جعلوا الصحابة شريعة فضاعت الشريعة عندهم، لأن المسلم هكذا يفكر أن بفعل الرجال ترسم الشريعة فإذن بصمتهم صار شرعا أن سلطة الحكام بما يفعلون هي شريعة،

وكذلك أقول إن العلماء يحملون ثقلاً عظيماً الناس عندنا كشيعة هم الناس عند أبناء العامة لا فرق في ذلك يريدون وجه الله بكتابه المجيد وبسنة نبيه العظيم وبمنهج علي ورسمه لشريعة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين، يريدون كل ذلك بوجه الرجال أي العلماء فلذا وقف من وقف وضحى بكل غال ونفيس وعرّض نفسه من علماءنا ولم يباليبكل خطر حتى الموت لنفسه ولأبناءه ولكل أحد حتى تقام الحجة لأنه لا سبيل للتقية هنا لأن بصمت العلماء عن باطل يجري بكل أنواعه تفسيراً أو إعداماً ترسم الشريعة أن هذه هي الشريعة فإذا كانت هذه هي الشريعة عرفها الناس كمسلمين شيعة أن هذه هي الشريعة بعد عقد أو عقدين أو أربعة صارت هذه شريعة، إما أن تقبل هذه الشريعة وتشوه الشريعة أو تخرج الناس من الدين، من لم يجد هذا شرعا للظلم والعدوان والفقر وماشاكله يخرج من الدين فتخرج الناس أفواجاً أفواجاً، بذمم من؟ بذمم الصامتين من العلماء، أو يقبلون هذا شراعا كما قبله أبناء العامة عن الصحابة شرعا فنحن الشيعة نقبله الذي يجري اليوم وهوقائم بكل معنى الكلمة يجري كحكم قائم يسمى بحكم شيعي هذا هو التشيع فإذن إما أن تقبله الناس شرعاً ويكون هذا الشرع كنسيج نُسج من قبل ذلك أو الناس لا ترى هذا شرعاً بالأخص اليوم لا أقوال اليوم الكثير من الناس قبلته شرعاً لكن بعد عشرين وثلاثين سنة سوف لا تقبله شرعاً فالناس أما تخرج من

الدين أو تتردد في العلماء. فلا نخدع النفس ونتلاعب تحت عناوين التقية في كل موطن وجد تقي من الأتقياء أن صمته وقوله يرسم شريعة يجب عليه أن يكون ناطقا حتى يبين واقع شرع الله و يقيم الحجة على الآخرين وفي مثل هذه المواطن تعرّض الرقاب إلى الخطر وتعرض النفوس إلى الخطر سماً أو قتلاً وإعداماً، وتقدم إليها رجال لعل قائل يقول يريدها وسيلة لزيد أو عمرو لا أريدها كذلك، أريدها منبها للمجتمع أن القوم جعلوا الصحابة فصار في أعناقهم لأن الناس ترى الدين بوجه الصحابة وشيعتنا ترى الناس بوجوه العلماء فصمتهم يعتبرونه شرعا فإما أن تحرف الشريعة لهذا الصمت أو تخرج الناس من الدين أفواجاً أفواجاً، هذا هو الذي ساق حجر بن عدي وساق شابا كهمام وساق هؤلاء الأبرار أن يقدموا رقابهم ولا يتنازلوا لأن بتنازلهم يرسم الشرع أن هذا هو الشرع وهناك أناس تنظر إلى وجوههم بعد علي عليه السلام أنهم يمثلون منهج علي فإن صمتوا كان شرعا وإن لعنوا كان شرعاً وإن تبرءوا وشتموا كان شرعاً فما أرادوا أن يجعلوا عملهم راسماً للشرع يحاسبون عليه يوم الحساب، وهناك من علماءنا جعلوا صمتهم شرعا وسوف يحاسبون عليه يوم الحساب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

ما معنى قول ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً؟ وهل نحن الآن نستطيع أن نكون في ركب الحسين عليه السلام؟

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام كنا نعيش واقع حياة لبعض الأبرار الذين كانوا في ذلك العهد ليعرف السامع أن الحسين عليه السلام كان يعيش في أي ظرف وتحت ظل أي نظام وقد وصلنا إلى هاهنا: على أن هؤلاء الأبرار كحجر بن عدي والذين كانوا معه قدموا رقابهم رخيصة من أجل الحق ومن أجل بيان واقع للأجيال القادمة طراً شيعة أو سنة كمسلمين على أن هناك منهج حق رسمه علي عليه السلام به شرحت حقائق التوحيد، به شرحت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا تقدموا وثبتوا وحينما خيروا بين الحياة والموت ببراءة من علي عليه السلام وشتم وذم له لم يستعملوا تقية ولم يداهنوا ولم يساقوا إلى الصمت فهاهنا تساءل ووقفة يجب أن نقفها، هؤلاء وهم يعيشون في محضر الحسين عليه السلام لأنه إمامهم وقائدهم آنذاك بعد الحسن وعلي عليهما السلام من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما الذي ساق هؤلاء لكي لا يستخدموا تقية في المقام، يشتموا ويلعنوا ويتبرءوا ثم يصبروا ويتربصوا لعل الطاغية كمعاوية يموت ولعلهم ينتقلون إلى

بلاد أخرى فيختفون ثم إن وجدوا فرصة فلماذا هذا الإصرار والعزم ولعل قائلاً يقول لمَ لم يستخدموا تقية ولم القوا بأنفسهم في التهلكة؟

أقول إن التقية ليست أمرا يستخدم في كل موطن ومكان، ففي كل موطن أصبح الرجل يرسم شريعة ولو بمنظار العامة من الناس في مثل هذه المواطن لا محل للتقية وإلا لو كانت التقية في كل ما يستوجب خطرا أو ضررا، لما حصلت مواجهة بين الأنبياء والطواغيت على طول التأريخ يستخدمون تقية وينتهي الأمر، فالذي جعل الأنبياء دائما وجها لوجه مع الطواغيت أين ابراهيم عليه السلام من التقية؟ وأين موسى عليه السلام من التقية؟هذا منهج عقلي ما جاء به الإسلام، وهذه منهجية شرع الحق والسلام من زمن آدم عليه السلام إلى زمن الخاتم إلى قيام الساعة فلو كان الصمت شريعة أو كانت الشريعة شريعة على كل حال لما تواجه الأبرار ولا الأنبياء ولا أوصياءهم الكرام ليعيشوا وجها لوجه مع الطواغيت ويعرضوا أنفسهم إلى الخطر.

وثانيا أقول: لو كان ما هو على عاتق العلماء والأنبياء والأوصياء بيان استصحاب ونجاسة وطهارة وبيان شرط لصلاة أو حج، هل أن مثل هذا البيان يسوق إلى مواجهات؟ نقول كلا، فهذه الكوكبة الطاهرة التي كانت تعيش العرفان للحق، عرفان واقع

وجزم ويقين وقطع، أي أنه ليس بعرفان اجتهاد واستنباط لحكم لأنهم يعيشون في محضر الحسين عليه السلام و من عاش في محضر معصوم لا يستنبط ولا يجتهد، هؤلاء عرفوا سيرة الحق من سيرة الحسين عليه السلام سؤالاً وشهوداً حينما يكتب إلى طاغوت، ألست القاتل فلان وألست ...، هذه رسالة واحدة وصلت إلينا لكنها كانت رسائل كثيرة أخفاها التاريخ، فهي منهجية نبوية من رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين عليهما السلام.

وثالثاً إن هؤلاء علموا أن بنطقهم يكون رسماً للشريعة وبصمتهم يكون رسماً للشريعة، شرع يرسم بهم كما يرسم بالحسين عليه السلام، وساقه هذا الموقف بكلمة هيهات منا الذلة إلى ما وصل إليه الحسين عليه السلام، فهو ثبات وكانوا قادرين أن يصمتوا، اشترطت عليهم شرائط فلم يقبلوها فقدموا رقابهم إلى الموت، فعلينا أن نتأمل فيما أقول فإن وجدتموه حقاً على أن الإنسان إذا كان راسماً لشرع صحابي كان والشيعة وجدوا العلماء رساما للشرع فصمتهم يرسم شرعا وبيانهم يرسم شرعاً فإذن على عاتقهم مسؤولية أمة إن انحرفت وعلى عاتقهم تشويه شرع إن انحرف و ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1] فإن وجد

١ـ سورة الرعد، الآية ١١.

الناس ما أقوله باطلاً فهم وربهم وإن وجدوا ما أقوله حقاً علينا أن نبحث عن أسباب مذلة هذه الأمة بدلاً أن نبحث عن سبب مذلة الأمة وجهلها وبعيداً عن القاء اللوم على الآخرين، من أسبابها الحكام وعدم البيان من العلماء وعدم احساس الفرد المسلم الشيعي بأنه مسؤول أن يعرف شرع الله وأن يعرف الحق حتى يعرف رجال الحق وأقول ثانية: هلا كان هؤلاء الأبرار الذين كانوا في زمن الحسين عليه السلام ومن قبل ذلك كانوا في زمن الامام علي والامام الحسن عليه السلام ولعل البعض منهم عاش زمن النبوة والتشريع، فهؤلاء بلا شك يعرفون الشرع وكيفية تطبيقه فلو وجدوا التقية دليلاً ومعذّراً للخلاص لخلصوا رقابهم ليس هناك من إنسان يحب أن يعيش السلاسل والحديد ولا الرعب في السجون ولا ضرب الأعناق، يقيناً كل إنسان يحب الأمان والرفاه والراحة ويحب أن يعيش مع أولاده وبناته وزوجته بعيدا عن الأخطاء فلماذا تركوا الجاه والمقام والعائلة وما استخدموا تقية فكانوا رسام شرع فعرفوا ان موقفهم بين يدي ربهم عظيم فاما أن يقوموا اليوم بتقديم رقابهم ويعيشوا يوم القيامة في أمن وأمان، وإن لم يقدموها حوسبوا على ذلك يوم الحساب فدار أمرهم بين أمرين كما قال العباس عليه السلام حينما بعث إليه الشمر على أنك أنت وإخوتك في أمن وأمان، قال امان الله خير من امان بن مرجانة، وكان قادرا أن يتلاعب لو كان

من المتلاعبين.

فمن يأتي التأييد من الائمة على أنه من المتقين، تنظر الشيعة إليه على أنه يرسم شرع الله فهؤلاء في الكوفة وغيرهم في مصر، كان الناس يرونهم لتأييد إمام أنهم يرسمون شرع الله تعالى فما أرادوا أن يشوهوا ويتلاعبوا بشريعة فتكون مشوهة تعطى إلى الناس.

فإذن وجد هؤلاء أنفسهم رسام شريعة ينظر إليهم الشيعة فإن داهنوا واستخدموا الشريعة في غير مواطنها ضاعت الشريعة فعاش الناس جهلا وربما خرجوا من دين الله ونحن نرى كم من إنسان خرج من الدين لجريمة ارتكبها الحجاج، وكم من إنسان خرج من دين الله لتلاعب على طول التأريخ حصل من حاكم أو قاض أو عالم، وإلى يومنا هذا كم من إنسان خرج من دين الله حينما استخدم الدين استخداماً غير سليم بواسطة من يدعون انتساباً إلى الرسول والأئمة الأطهار.

هذا ما كان من تأكيد وتنبيه، فإن أحب الناس أن يتأملوا فذاك أمر يرجع إليهم لأن طلاب الحقيقة الذين هم مصداق لقول رسول الله «اعرفوا الحق تعرفوا أهله» هؤلاء قلائل من البشر، فالذين يريدون الحق بما هو حق ويكونون مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وآله إعرفوا الحق تعرفوا أهله هؤلاء قلائل من البشرأنا أعرف أن هذا

تكرار لكنه تأكيد لأمة عاشت حضارة وتراها شريعة فالذين يريدون الحق بما هو حق ويكونون مصداقاً لقول الرسول ﷺ اعرفوا الحق تعرفوا أهله وإن الحق لا يعرف بالرجال كما قال علي عليه السلام هؤلاء قلائل من البشر لأن البشر من عادتهم سنة كانوا أو شيعة يقولون لو كان هذا حقا لما سكت عنه الصحابي الفلاني وهل من المعقول أن يسكت ويداهن وينافق صحابي؟ كلا فإذن هذا هو شرع الله والشيعة كذلك ساروا على نفس المنهج، هذا أمر جار على الواقع لو كان باطلاً لتكلم العلماء فسكوتهم دليل على شرعيته فأقول هذا ما علي من الله تعالى ثم ننتقل إلى موطن آخر.

قال الإمام الحسين عليه السلام في رسالة كتبها وهو متوجه إلى العراق من مكة المكرمة كتبها إلى أخيه محمد بن الحنفية وسائر بني هاشم ورد فيها «بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم» فإذن رسالة موجهة إلى كبير بني هاشم بعد الحسين عليه السلام وهو أخوه محمد ولا أريد بالكبر كبر العظم فالإمام السجاد عليه السلام هو كبر العظم بعد الحسين عليه السلام لكن أريد أن أقول كمشيخة بعد الحسين عليه السلام تنظر الناس إلى محمد بن الحنفية، ماذا قال في هذه الرسالة؟ «أما بعد، فإن من لحق بي استشهد» أول فقرة يجب أن نتأمل فيها إن الحسين عليه السلام ما منّا أحدا بحكم وولاية ونصر وما شاكل هذه الأمور بل كلام صريح قاطع

جازم «أما بعد، فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام»[1]: هناك نقاط ونحن نريد أن نستنطق الكلمات ولا نريد أن نطلب من أحد ونحن الآن في خطى الحسين عليه السلام دمعة أو تحريك أحاسيس، نعم للدمعة مكانها وسأتكلم عن ذلك ولا أتردد في ذلك وفي تعزية الحسين مقام عظيم ولا أتردد في ذلك ومن يخالف هذه الأمور لابد وأن يكون منحرفاً عن الجادة وإن كانت لي تأملات في بعض ما يدعى من الشعائر لكن أريد أن أقول إن منهجية بحثي هي منهجية التوقف عند الكلمات.

«من لحق بي استشهد»: تحت أي ضابطة علمي يتكلم الحسين عليه السلام قاطعاً جازماً على أن من لحق به استشهد أهو خبر من الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وآله وصله بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله أو وصله بواسطة أبيه علي عليه السلام؟ أهو علم غيب لولاية إمامة؟ أهو حدس ومعرفة وتخمين لمتقٍ لا يخطأ في حدسه؟ أهو غيب يمكن أن يحصل عليه من كان معصوماً بإلهام إلهي نحن لا نريد أن نقول أن بعد الرسول هناك رسالة، كلا هذا لا يدعيه أحد لكن كما وأنه تحصل النفوس لجهة من الإلهامات كأم موسى أو غير ذلك فيمكن

١ـ كامل الزيارات: ٧٥، ح ١٥ .

أن يحصل العظماء الذين لا يقاسون بأم موسى عليه السلام، هذا البحث كله بما يحتمل لهذه الفقرة من سبب لهذا القطع سنتكلم عنها في محل آخر على أنه ما هو مستند هذا الجزم كيف تكلم الحسين عليه السلام بهذا الجزم القاطع، كلام قاطع جازم لاشك ولا ريب فيه، هذا كلام حتى ليس في موطن التغيير كلام قاطع جازم لا شك ولا ريب فيه فما هو مستند هذا القطع الذي هو ليس من النفي والإثبات بل من أم الكتاب الثابت الذي أشار إليه في مقام آخر: «خط الموت على ولدآدم كمخط القلادة على جيد الفتاة»[1] فإذن هو خط قلم من الحق تعالى لا مفر منه لست بصدد بيان هذا الأمر نذهب إلى الفقرة الثانية وسنتكلم عن هذا إن شاء الله، ما هي الفقرة الثانية؟ تقول ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح، هنا الامام الحسين عليه السلام يتكلم عن الفتح، هو سائر وقد أخبر أنه مستشهد ومن يكونوا معه فهو ليس فتحا كفتح مكة هو استشهاد بلا شك ولا ريب فعن أي فتح يتكلم؟ هنا محتملات عدة نشير إليها شيئاً بعد شيء مدققين في المقام.

١ـ أنا نتأمل إلى الكلمة نفسها من لم يلحق بي لم يبلغ الفتح، هذا النفي أي نفي هو حتى نعرف أنه يتكلم عن نفي الفتح مطلقا أو نفي مرتبة من الفتح، تارة نقول من باب التقريب الذهني :لا صلاة

١ـ بحار الأنوار ٤٤ : ٣٦٦.

إلا بطهور، يعرف كل أحد على أن الشيء يصبح بحكم العدم إذا فقد شرطا، فالصلاة لو فقدت شرطا كالساترية أو القبلة كانت باطلة، فواضح أن النفي هو نفي للجنس وكقول الشخص لا رجل في الدار فلا يمكن أن يقول هذه الكلمة ثم نأتي ونرى رجلين مثلا في الدار، فلابد وأن يكون نفيا للجنس، وتارة يكون النفي ليس متوجها على الماهية والحقيقة والجنس بما هو وإنما يراد منه نفي المرتبة فمثلاً: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»[1] هاهنا اتفق الأعلام جميعاً على أنه لا يراد النفي يعني من كان جاراً للمسجد ولا عذر له وما كان المسجد يصلي فيه بعض الأشرار وإن تلبسوا بلباس الدين، يرى صاحب المسجد مؤمناً عادلاً فالشرائط مجتمعة، حتى في مثل هذا يعني مع كون الشرائط مجتمعة لكنه يصلي في بيته، اتفق الأعلام أن صلاته ليست باطلة.

فإذن ما المراد من أنه من كان في جوار المسجد ولم يصلي في المسجد نقول المراد هنا نفي المرتبة يعني لا صلاة بما تستحق من ثواب بقممه من الله تعالى فلو أن الله جعل للمصلين الذين يأتون بالصلاة بتمامها وكمالها إذا صلوها في المسجد إن فرضنا أن لها من الثواب مائة درجة سيكون لها من الثواب في البيت خمسين

١ـ عوالي اللئالي ١ : ٣٠٦.

درجة مثلا من باب التقريب الذهني ولا نريد أن نحدد، فهنا ليس نفيا للجنس وإنما هو نفي للمرتبة يعني نفي المرتبة الرفيعة، أي نفي للقمم، فإن نزلت الصلاة عن قممها فربما أعطاه الله من الدرجة ستين او سبعين درجة، فهاهنا حينما يقول الإمام الحسين عليه السلام مخاطباً بني هاشم من لم يلحق بي لم يبلغ الفتح هذا النفي يعني عدم بلوغ الفتح هل هو نفي للجنس، يعني اعلموا يا بني هاشم هذه فرصة لا تذهب من أيديكم هناك فتحا عظيما لا تحصلوا عليه بواسطة أي عبادة ولا يحصل هذا الفتح العظيم لكم إلا من هذا الطريق فإن جئتم حصلتم على الفتح وإن لم تأتوا لا تحصلوا على الفتح فإن غفر لكم ربكم يوم القيامة فبلطفهو وإن عاقبكم فبعدله، وهذا يقال له نفي الجنس، فإنه من التحق بهذا الركب حصل على الفتح ومن لم يلتحق بهذا الركب لا يحصل على الفتح، فلا يخدع الشخص نفسه بنسب ولا بأي شيء آخر، فصار المعنى يدور بين الإيجاب أي الفتح باللحوق بهذا الركب وعدم الفتح بعدم اللحوق بهذا الركب هذا المفهوم الأول وبحسب الظاهر من تأمل في الكلام لأنه صادر من معصوم ليس صادرا من زيد ولا عمرو، الإمام يقول على أنكم يا بني هاشم إن التحقتم بهذا الركب حصلتم على الفتح والا لا تبلغوا في الفتح ابداً ومطلقاً وإذا كان نفياً خرجوا من عدل وخرجوا من تكليف وواجب فصاروا في محط وعداد

المحاسبين للخروج من العدل فإن جاءت الرحمة والغفران الإلهي والصفح فذاك أمر إلهي وهو وعباده ورحمته التي وسعت وإلا لكانوا مستحقين للعقاب فهذا هو الاحتمال الأول حينما يدور الامر بين النفي والإثبات والوجود والعدم بمعنى أن النفي نفي للجنس.

٢ـ الاحتمال الثاني :أن المراد من النفي هو نفي المرتبة كما قلنا لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد يعني إن كنتم طلاب حقيقة تريدون سبيل ربكم والقرب إليه فاعلموا إنه لا قرب لله تعالى بعد دعوة معصوم وأنتم عنها تتخاذلون، فصلاة وصوم وحج وأي عمل لا تبلغون به هذا الفتح بهذه المرتبة فهي بيان للمرتبة يعني إن كان الفتح بهذا الركب له عند الله مائة درجة فاعلموا لو لو أبقاكم الله أحقاباً ودهوراً وأنتم ساجدون راكعون لا تبلغون هذا الفتح و هذه المرتبة فيكون بيانا للمرتبة، فهل سياق الكلام وظاهر الخطاب على أنه بيان لنفي الجنس أو المرتبة؟ أقول الظاهر من الخطاب أنه لنفي الجنس لا للمرتبة، فلعل قائلاً يقول هل أنه من المعقول أن يأتي نصراني شاب كوهب وجون ويلتحق بهذا الركب العظيم وعثماني كان يعتبر من المؤيدين لعثمان فيما يدعى من حق ويلتحق بهذا الركب ويتخلف عن ركب النبل والعظم أمثال بني هاشم نقول نعم ونعم ونعم، إذا دخلنا في نفق القبليات وجئنا لنعطي عظما وعدم عظم للقبيلة نقول كلا، من المستحيل أن يخاطب

الإمام الحسين عليه السلام بني هاشم ويتخلف منهم متخلف هذا منظار قبلي ويستذوقه الناس وإن جئنا لنجد أبناء أنبياء تخلفوا عن أنبياء وزوجات أنبياء تخلفن عن أنبياء وأصحاب أنبياء تخلفوا و.... وجدنا زوجة فرعون تلتحق بركب العظم ووجدنا سحرة يلتحقون بركب العظم عرفنا أنه ليس هناك من تقييم للنساء والرجال أو الإنسانية بقبلية ولون وما شاكل هذه الأمور القيم عند الله تعالى وهو يوفق من يعرف أنه أهلا لهذا العظم، أقول إن بني هاشم الذين ثبت وجودهم في ركب الحسين عليه السلام مع ما بعث إليهم من رسائل وهم عالمون وتأخر في مكة ليقيم الحجة لو جئنا وحسبنا العدد لوجدناهم قلائل لا يمثلون طائفة فإذن لاشك ولاريب بأن من بني هاشم من تخلف، لاأريد أن أقول أنه زيد أو عمرو أقول إن بني هاشم أقيمت عليهم الحجة كبقية الأمة الإسلامية وبقية الشيعة وتمت في حقهم وأن الخطاب بظاهره هوخطاب بين الوجود والعدم فكان الكثير منهم من المتخلفين هذا الاحتمال الأول في المقام.

٣ـ الاحتمال الثاني في المقام ويجب أن نتأمل فيه حتى نعرف ما المراد من الفتح، وأقول لست مدعيا معرفة لما أراد الحسين عليه السلام نحن دون ذلك ولسنا أهلا أن ندعي بل نقول نحتمل، حتى لا يتصور متصور أن زيدا بمثل هذه الاحتمالات يحكي مقالة قصدها

الحسين عليه السلام أنا دون ذلك ولا أدعي مثل هذه الكلمات، بل أقول هذا ما يمكن أن أتوصل إليه من فهم وقصوري وحجبي لفهم عظيم من العظماء على أني هكذا أتصور في الأمر أما ما هو بعد هذا الكلام بغاياته فيحتاج أن نسمعه من معصوم.

الاحتمال الثاني حينما قال ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح إن الخطابات من أرباب الرحمة، هؤلاء أرباب رحمة هؤلاء لم يحقدوا يوماً على أحد، حينما خاطب الإمام الحسين عليه السلام في مساء ليلة العاشر من المحرم : هذا الليل فاتخذوه جملا، لا حقد بل تنزل عن حقه الشخصي، يعني ان كان هناك حقا شخصيا ترونه لي في رقابكم أو تظنون أني أعاتبكم يوم الحساب لخذلانكم إيايّ فلست ذلك الرجل، لا رجل حقد ولا رجل محاسبات ونحن عشنا مع عظماء وجدناهم وهم يقولون بكل اطمئنان الهي نحن قد غفرنا لكل من تعدى علينا بدون استثناء فإن كانت الناس العاديين هكذا نفوس تغفر لكل من تعدى عليها بدون استثناء الا لخصوصية في زيد أو عمرو، فالحسين عليه السلام اولى بها، فهؤلاء العظماء أرباب الرحمة ومظاهر اللطف الإلهي وإن توجهت خطابتهم لبني هاشم لحبهم إليهم وأنهم لا خصوصية لهم بشخص، الحسين عليه السلام كما يحب الخير لبني هاشم يحب الخير لإنسان في الصين والهند على حد سواء لكنه يرى هؤلاء أولى لأنهم عرفوه وعاشوا معه فكيف

يفقدوا كرامة وعظماً، فإذن بيان من الإمام الحسين عليه السلام يحكي أمورا الأمر الاول الذي يحكيه هذا الخطاب هل يريد أن يقول الإمام الحسين عليه السلام مقيداً الخطاب بشهادة «من لحق بي منكم استشهد» أو خطاب يعم البشرية؟

هنا نقطة جدا دقيقة، من لحق بي منكم يا بني هاشم او جعلهم واسطة لبيان البشرية إلى قيام الساعة أنا أرى في خطاب الحسين عليه السلام عمومية للبشرية وإن جعل الخطاب لبني هاشم، يعني من لحق بي منكم يعني من نطق بالحق في مثل هذه الظلمات وثبت عليها ولم يجعل التقية من المداهنات وسيلة للهروب من التكليف فكان لسان حق وصدق يبين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وكان قيام حق لإقامة عدلٍ، لا شك ولا ريب أن مصيره الشهادة، كيف تقول ذلك؟ أقول نحن لا نتردد في روايات وردت «ما منا إلا مقتول أو مسموم»[1] شريعة بواقع علمها المخرج من الظلمات وبواقع قسطها الذي خلقت البشرية من أجله، الكون كله بالقسط والعدل قائم فيريد الحسين عليه السلام أن يقول من لحق بي منكم استشهد يعني من صفا وخلص لله تعالى ومن احدى مصاديق ساحات الخلوص هي كربلاء سيكون شديدا وليس هذا خاصا بكم لتنالوا

١ـ كفاية الأثر: ١٦٠.

هذا الشرف الرفيع الله لطفه ورحمته بحال العباد لا يخصصها زمان ولا مكان فمن كان في زمان الحسين عليه السلام يعيش لطف الله تعالى ومن كان اليوم يعيش لطف الله تعالى ومن عاش قبل القرون يعيش لطف الله تعالى ومن سيأتي سيعيش لطف الله تعالى جود الله تعالى لا يخصصه الزمان ولا المكان ولا يقيده قيد وليس مختصا ببني هاشم، الله ليس أبا لبني هاشم الله رب الكون، مسيرة البيان لا الصمت، مسيرة الثبات والرجولة في مقابل الباطل من لحق بي منكم أيها البشر استشهد يعني يأبى الله أن لا يكون الثابت على دينه يلقى ربه بدون شهادة وهذه رحمة الله الواسعة بحالعباده الصالحين فالحسين عليه السلام يريدنا أن نخرج من غفلة ولا نقول يا ليتنا كنا معكم ليس هناك معية خصصت بيوم كربلاء يوم كربلاء من تجليات هذا العظم وهذا المكان وهذا الشرف العظيم وهذا الفتح العظيم لكن كرم الله وجوده على عباده المخلصين جود لا يحدده الزمان والمكان ولا تحدده قبيلة لكي يكون مختصا ببني هاشم ولا يحدده عرب ولا أعاجم جود الله ولطفه لعباده المخلصين ويأبى الله أن يلقى هؤلاء ربهم الا الشهادة وركب الحسين عليه السلام لا يحدده كربلاء ولا يحدده زمان معين، ركب الحسين عليه السلام ركب الشرف ركب الكمال والنور والعدل، من لحق بالحسين عليه السلام استشهد لا مفر من ذلك وهذا قضاء الله، من لحق بركب الحسين وكان عارفا غير

جاهل وكان شجاعا غير جبان وكان راسما محققا بواقع الأمر مسيرة العظماء من سيد الكائنات إلى بقية الرسل راسما لها مبينا لها بصدق لا بكذب لا بأماني وادعاءات من كان في ركب الحسين عليه السلام هو اليوم في ركب الحسين عليه السلام ومن كان في ركب الحسين عليه السلام هو غدا في ركب الحسين عليه السلام وهو في القرون الماضية كان في ركب الحسين عليه السلام، فيجب علينا أن نعرف ما هو ركب الحسين؟ ركب العلم والشهادة و الكمال والشرف والعلم وركب هيهات منا الذلة، يقول الحسين عليه السلام يا شيعتيان كنتم حقا شيعة فأنتم في ركبي دائما وعلى طول التأريخ، ركب الحسين ركب شهادة؟ لأن أقرب وسيلة للقاء الله هي الشهادة والله هو الجواد الكريم فكيف يريد أحدا أن يكون متمنيا في ركب الحسين عليه السلام ولا يجعله الله في ركب الحسين عليه السلام، من المستحيل أن يجد الله تعالى نية صادقة بعقل منشرح وصدر يسع مفاهيم الإسلام يريد أن يلقى ربه لقاء سرور وعظم أن يجعله الله تعالى بعيدا عن سيوف الأشرار والظالمين، هذه الرقاب التي تخلص لربها صدقا هي في ركب الحسين عليه السلام اليوم وغدا ومن المستحيل أن لا تكون لها الشهادة وسأبين هذا وأفصله أكثر حتى نقف عند الكلمات ونستنطقها ماذا يقول الحسين عليه السلام من لحق بي منكم استشهد يعني يا بني هاشم في كربلاء؟ يعني من لحق بي منكم بالواقع لا بالأماني والجهل ولا

بمحبة وادعاءات للتشيع استشهد بلا شك ولا ريب هذا قضاء الله تعالى وقدره والقلم الذي خط كما قال الإمام الحسين عليه السلام خط الموت على ولد آدم هذا القلم الذي خطه الله تعالى لا يمكن أن يتخلف منه أحد وسنبين ذلك وسنوضحه اكثر والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

هل كلام الإمام الحسين عليه السلام من لم يلحق بي لم يبلغ الفتح يشمل بني هاشم فقط؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام قد وعدنا أن نستنطق الكلمات بعيدا عن التسارع لنتأمل فيها وقد وصل بنا البحث إلى رسالة بعثها الإمام الحسين عليه السلام إلى بني هاشم حيث ورد فيها أما بعد «فإنه من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح» وكنا نتكلم عن الاحتمالات في معنى كلمة الفتح وقد مر الاحتمال الأول وأشرنا إلى الاحتمال الثاني، والآن نحاول البيان والتفصيل في هذا الاحتمال، الإمام الحسين عليه السلام يقول من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح، علينا أن نتأمل هل أن ركب الحسين عليه السلام فقط من يلحق به يستشهد ومن لم يلحق به لم يبلغ الفتح أم أن ركب حسن عليه السلام كان من قبل كذلك؟ وكذلك هو ركب علي عليه السلام وكذلك هو ركب من هو سيدهم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، هل للحسين عليه السلام ركب خاص به أم هو ركب واحد هي قافلة الأبرار تسير طالبة ربها تسيرعاشقة تسيرعارفة أي ركب يتكلم عنه الحسين عليه السلام؟

لاشك ولا ريب أن من تصور أن الحسين عليه السلام بركب يختلف عن ركب الإمام الحسن عليه السلام حتى راح ليقول قائل على أني حسني ولست بحسيني، فإن نبعت عن أمور لغايات نحن لا نريد أن نفسر الغايات لكن إن نبعت عن قصد للكلمات بأن هناك متصوراً يتصور بأن للحسين عليه السلام ركبا هو ركب الثورة و الجهاد وأن للحسن ركبا هو ركب السلم فهو جاهل، فإذا كان الركب ركبا واحدا من آدم عليه السلام إلى الخاتم إلى قيام الساعة، ركب حقٍ له خصوصياته وركب باطلٍ له خصوصياته وركب الحق لا يتعدد ولا يتبعض وكذلك ركب الباطل لكن لابد وأن نتأمل في أمر.

دائما إن جاءت الكلمات لتسم لنا المتقين وسمت من هم في القمة في التقوى، ولذا من يتأمل في صفات المتقين الواردة عن الإمام علي عليه السلام أو الواردة في الكتاب المجيد أو الواردة في أي موطن من المواطن آية أو رواية يستغرب عن أي متقنٍ يتكلمون مثل هذه الأوصاف لا نجدها في أحد فإذن عن أي فرد يتكلمون؟ لابد وأن نتنبه على أن الأوصاف الواردة في المنافقين ترسم ذلك المنحدر بكل سواده وظلماته وللنفاق مراتب وللكفر مراتب، كذلك للإيمان مراتب كلام يحكي ركباً أي ركب هذا؟ أركب إيمان بـ(٨٠) درجة؟ نقول الحسين عليه السلام يتكلم فوق ذلك أركب إيمان بـ(٩٠) درجة؟ نقول الحسين عليه السلام يتكلم فوق ذلك، يتكلم

عن ركب إيمان هو وصل إلى مرحلة قطع السبل تماما مع الدنيا بكل شؤونها، دنيا لها مال ولها جاه ولها أبناء ونساء ولها أحباب، جاء الناظر لينظر إليها، إني في ركب الحسين عليه السلام لابد وأن أقطع السبل مع الأحبة لابد وأن أقطع السبل مع الأمن والأمان لابد وأن أقطع السبل مع كل أمر لأصبح حقيقة سالكاً مسالك ربي.

فإذن حينما يقول الإمام الحسين عليه السلام من لحق بي منكم استشهد أكرر لا يريد أن يخاطب بني هاشم ولا خصوصية لبني هاشم لأن الحسين عليه السلام حسين الإنسانية والرب رب العالمين جميعاً فليس الله بأب لأحد وليس الحسين يشفق ويحب أهل بيته متناسيا الأمة الإسلامية أو البشرية، هؤلاء لا يخصصون بتخصيص فإذا كانوا هكذا لا القيادة قيادة خاصة ولا الرب رباً لقوم كما ظن اليهود أنهم شعب الله المختار، إذا كان الأمر هكذا.

فإذن نريدأن نقول الحسين عليه السلام يريد أن يخرجنا من غفلة، يقول من لحق بهذا الركب هو ركب حسني ركب محمدي علوي ركب من آدم إلى الخاتم ركب الأبرار في مقابل الأشرار، من ركب في هذاالمركب أومن سار في هذا الركب فهذا الركب لا يقيده زمان ولا يحدده مكان ولا يكون بكيفية هو ركب من لحق به استشهد.

لعل قائلاً يقول كم من تقي وكم من مؤمن يعيش على وجه

الأرض ولم يستشهد؟ نقول لا نريد أن نخدش في هذه الصفة للقوم في زيد أوعمرو لكن نريد أن نقول من خلص تماماً يأبى الله تعالى له إلا الشهادة، إيمان بـ «٧٠» وإيمان بـ «٨٠» قد لا تكتب له الشهادة إيمان بالمائة مائة خلص فقطع الروابط وانتهت كل القيم الدنيوية فصار يعيش عشقاً وهياماً للقاء ربه هذا العشق والهيام بواقع الأمر الذي يصدقه الفعل قبل القول لا كما نقول نحن في منابرنا أو نجلس في هنا أوهناك ونقول يا ليتنا كنا معكم أي في ركب الحسين في كربلاء ونحن نعيش جهلاً أمثل هذه الأماني هل هي أماني حق و نحن نعيش حبا للدنيا ونحن نعيش مداهنات وجعل التقية في غير مواطنها وهلم جرا أهذا من الحق في القول أو من الأباطيل؟هذه تمنيات أو أباطيل، نعم الإنسان المؤمن المعتقد بربه يتمنى الخير هذا لا نشك فيه، لكن التمني شيء والسير والسلوك شيء آخر، أنا لا أتردد أن من عرف الحسين ومن كان شيعيا يحب الحسين ويتمنى أنه يكون في كربلاء أنا لا أريد أن أكذب أمة كما وان المسلمين قاطبة يحبون محمدا صلى الله عليه وآله ويتمنون أنهم كانوا في زمانه وفي ركبه، لكن أنا للتمنيات من واقع أمرعلى وجه الأرض، ركب الحسين ركب العلم ركب الصدق والسلام والشرف والشجاعة والإبى فيريد أن يقول الحسين عليه السلام من لحق بي ولا يريد أن يخصص الركب بنفسه يعني بركب الإباء والشرف والكرامة

وهو ركب الرسول محمد صلى الله عليه وآله قبل أن يكون ركبا حسينيا من لحق بي منكم يا بني هاشم وقلنا بني هاشم محل خطاب وخطاب العظماء لا يحدد بزيد أو عمرو، حسين الإبى كما يحب الخير لبني هاشم يحبه لأهلالصين و يحبه لمن كان في زمانه شرقا وغربا ولكل إنسان إلى قيام الساعة لكن ربما يكون الخطاب موجهاً لقوم، فإن خاطب رسول الله أهل مكة والمدينة ليس معناه أن خطابه مختص بأهل مكة والمدينة وإن خاطب الحسين عليه السلام بني هاشم فليس معناه على أنه يريد الخير فقط لبني هاشم، لكن يريد أن يقول أنتم تعرفون و إن غيركم قد يجهل أنتم تعرفون واقعا وإمامة فلا تذهبوا بخداع لنسل بأن تجعلوا النسب بديلاً عن هذا الفوز والفتح .

إن الحسين عليه السلام بل و إن كل بارّ ومتقٍ على وجه الأرض مطلقاً نبياً كان وصي نبي كان أو كان من المتقين الحقيقيين كعمار ومالك وسلمان وهؤلاء العظماء وغيرهم من الأولين إلى قيام الساعة هؤلاء قلوبهم تقطر محبة لخروج الناس من الظلمات إلى النور يريدون الناس أن يعيشوا عدلا ولا يعيشوا ذلاً وهواناً بيد الحكام وأذنابهم من وعاظ السلاطين يوجهون لهم دينهم إذا كانوا هكذا فإذن من لحق بي، صارت مسألة عامة قلنا لم تقيدها كربلاء بمكانها ولا بزمانها إذا صارت عنوانا عاماً أي من لحق بهذا الركب بيانا للحق

في مقابل الباطل والجهل ودعوة للعدل في مقابل الظلم والظالمين فهو استشهد بلا شك ولا ريب، وهذا من المستحيل بتبع رحمة الله ولطفه أن يسير سالك سبل الحسين ولا يلقى حتفه شهيدا هذا من المستحيل وهذا هو قضاء الله لكل مؤمن ومؤمنة خلص لله إخلاصاً حقيقياً لا أماني ولا ادعاءات وسار بهذه المسالك سيرا واقعياً لا ادعاءاً إذا سار بهذا السير سير العلم، النور في مقابل الظلمات والعدل في مقابل الظلم لابد وأن يتواجه وجهاً لوجه في مقابل الطواغيت ومع أذنابهم من العلماء الماكرين الدجالين المتلاعبين ومن كان هكذا قد خط القلم بلا شك ولا ريب أن هذا الطريق طريق شهادة، رحمة من الله تعالى وواقعاً لا مخلص منه فالحسين ﵇ يشير إلى هذا الواقع، إذا عرفنا هذا الأمر من بعد ما بيناه في المحاضرة المتقدمة وجئنا لنأكده ونشرحه في هذه المحاضرة نقول:

إن صفة هؤلاء أي أصحاب الفتح يجب أن نتأملها: هي سير نحو شهادة لا ريب فيها الفتح لمن؟ لمن يسيرون في ركب الحسين من سار في ركب الحسين أو في ركب أي نبي لابد وأن يكون مصيره الشهادة لأن الله يأبى له دون ذلك ولا أريد أن أقول على أن البقية الذين يموتون لا بهذا السبيل لا دين عندهم حاشا لله ليسوا بمتقين التقوى بمراتب وهذه الأمور بحسب الإصطلاح

تسمى تشكيكية كما أن الوجود بمراتب قوية وضعيفة والنور بمراتب قوية وضعيفة والعلم كذلك، كذلك التقوى و الإيمان بمراتب والحسين عليه السلام يتكلم عن قممها في مواطن الخلوص ومن أخلص لله أبى الله لقاءه إلا شهيداً هذا أولا، فإذن الأولأن من صفات هؤلاء أصحاب الفتح أنهم لابد وأن يتصفوا بالشهادة لأن سيرهم معين ومن سار هذا السير لا طريق ثالث إلا الموت شهادة لقرب الله تعالى.

الأمر الثاني الذي يجب أن نلتفت إليه إن هؤلاء العظماء فتحهم فتح شهادة وعظم للخلوص ثانياً إنهم قد أبى الله تعالى كما وأنه قد أبى لطفا و جوداً منه أن لا يكتبهم مع الشهداء وأن لا يسوقهم نحو الشهادة قد أبى الله تعالى لهم إلا المعرفة هؤلاء ينظرون إلى الآيات والروايات لا بحجاب فبصائر هؤلاء حديد ترى الحق بما هو حق لم يشبه شوائب الظلمات من ريب و شك وعدم فهم وهؤلاء يشخصون مواطن الفعل فاختاروا كربلاء لأنهم ما وجدوا أحسن منها لقاءً لله تعالى وهكذا هو الإنسان اليوم هو في ركب الحسين إن كان محقا، يوفقه الله تعالى أن يشهد الحقائق كما هي ليصير عارفالأن الشهادة للمخلصين لا تكون للجاهلين وركب الأنبياء هو ركب علم ونور فلا يكون في ركبهم من هو دون ذلك، إنهم شهود للحقيقة في مواطن المعارف والتطبيق، لعل قائلاً يقول

هناك من كتبت له الشهادة وهو دون ذلككالحر نقول أولئك ارتكبوا كبائر من الإثم حينما عملوا ما عملوا من أخذ الركب العظيم ركب النور إلى أرض قاحلة، إلى قطع ماء إلى رعب لأولياء الله فأول مرحلة من هؤلاء إنما هي تكفير وكفارة ذنب ثم يذهبون ليكونوا في عداد الشهداء وللشهداء مراتب، فليس في كربلاء مكان الحسين كمكان زيد وعمرو وكلهم في ساحة واحدة استشهدوا وكذلك هي صفينها لو أن الإمام علي عليه السلام مستشهد في صفين أيقاس بزيد أو عمرو ليس الأمر كذلك وكذلك عمار إذن هذه مراتب، إنهم شهود للحقيقة كلامنا عن القمم وللبقية مراتب، فهم شهود للحقيقة في مواطن المعارف والتطبيق لبصائر كانت محل لطف إلهي بأن رأى الواحد منهم على الرغم من مخالفة عامة الناس، إنسان في بعض الأحيان حينما يجد عامة الناس يخالفون أمرا ويذهب إلى العلماء ويوجهون أمرا يصاب بشك وترديد، كيف يكون حقا ركب الحسين عليه السلام وعامة علماء المسلمين على خلافه؟ كيف يكون حقا وليس إلقاء للنفس في التهلكة وعامة الناس بما هم ناس يخالفون ذلك؟ وقد قال القائل بأن الإجماع قائم بأن مخالفة الحاكم خلاف الشرع! هذه الهالة من الخلاف تجعل الإنسان يعيش ترددا لكن نجد في موطن آخر يقول عمار (رضوان الله تعالى عليه) في يوم هزيمة للعراقيين في مقابل أهل الشام والله

لو هزمونا إلى أن أوصلونا إلى سعيفات هجر لما ازددت يقينا أنّا على الحق وأنهم على الباطل، ما جعل المقياس كثرة وقلة، حق مبين يراه ويسير إليه.

فإذن نقول فهؤلاء ببصائرهم كانوا محل لطف إلهي بأن رأى الواحد منهم على الرغم من مخالفة عامة الناس بما فيهم العلماء بما فيهم الصحابة كل هذه ما كانت حجابا أمامهوجدو حسين النور فالتحق بركبه، إنهم على خلاف مخالفة الناس عامة فهم يعرفون أنهم على الحق المبين فما أخذتهم في الله لومة لائم لا من عشيرة ولا من قريب ولا من صديقهذه هي صفتهم الثانية.

ماهي صفتهم الثالثة لهذا الفتح المبين؟ هذا فتح مبين فتح عرفان في مقابل باطل لم تأخذهم فيه لومة لائم، سيروسلوك مع الحسين عليه السلام الصفة الثالثة: أن الله تعالى يكرم هؤلاء العظماء بأن يجعلهم شهداء على أممهم بل على الخلائق يوم الحساب يؤتى بالناس ويؤتى بزيد فيقول القائل كذبت لأن الحياة ما كانت تجري إلا مع الكذب و يؤتى بالعالم فيقول عملت بالتقية أو داهنت لأنه الحياة ما كانت يمكن أن تجري بدون هذه الأعمال وهذا يأتي بمبرر وآخر بمبرر ويؤتى بزيد ويقال له لم عشت جهلاً فاتبعت العلماء جاهلاً لم تعرف دينك بنفسك فيأتي بمبررات فيؤتى بهذا الشخص في مقابل الجاهل المدعي بمبررات يؤتى بهذا عالماً وفي

مقابل الجبان يؤتى بهذا شجاعا وفي مقابل المداهن يؤتى بهذا صادقا وفي مقابل المؤوّل بتبع الهوى للآيات والروايات والتقية يؤتى بهذا كذلك وهلم جرا، وهذا عظم لا عظم وراءه أن يكون الإنسان المؤمن كما يستشهد الله تعالى بأنبياءه حجة على البشرية يأتي بعمار حجة على البشرية ومالك وسلمان وجون حجة على البشرية جون الذي كان بمنظار الناس في دار الدنيا عبداً لأبي ذر يؤتى به يوم القيامة حجة أمام البشر لأكابر العلماء الذين يشار إليهم بالبنان، يؤتى بهم أذلاء، العالم الفلاني والحبر الفلاني والشخصية الفلانية أذلاء تقام عليهم الحجة بجون لاقيمة لهم أبداً ومطلقاً يؤتى بكثير من أبناء بني هاشم يساقون أذلاء خاطبكم الإمام المبين فتخاذلتم وهذا جون حجة عليكم فهو أبيض الوجه وأنتم جئتم بوجوه سوداءالله ليس عنده زيد ولا عمرو هاهنا تميزنا القبليات والأسماء والألوان فتعطينا شرفا هذا أبيض الوجه وذاك أسود الوجه يوم القيامة نجد جون يقف شاهداً وشهيداً على البشرية ويؤتى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويؤتى ببني هاشم أذلاء لا قيمة لهم ويكون جون شاهداً عليهم جميعاً أنه ما نافق وما تلاعب فيجدون أنفسهم كانوا جاهلين.

فإذن نقول إنه سيصبح كل واحد من هؤلاء الأبرار الذين أشار الحسين عليه السلام قائلاً من لم يلحق بي لم يدرك الفتح من جملة

الفتح أنه يكون شاهدا على عظماء كانوا في الدنيا يكون شاهدا عليهم ويدخلون النار بشهادته، يعني يجعله الله يستشهد به على الخلائق هذا الإنسان مع ضعفه كجون وماكانت الناس تنظر إليه عرف الحق وثبت للحق ما تلاعب وأنتم تلاعبتم بالحق ظانين أن ربكم هو أب لبني هاشم أو لزيد أو عمرو وظننتم أن الرسول صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ نبي العروبة.

فإذن استنطاق الكلمات يجب علينا أن نتوقف عندها و نستنطقها، ولا نريد أن نقرأ ترتيلاً أو تجويداً ولا نريد أن نأتي بحسن صوت وإلا لكان الخوارج من أقرب المقربين ولكانوا قراء القرآن على طول التأريخ الذين يعيشون حياتهم يجوّدون في الكلمات ويلحون بها ويعطونها نبرات لكانوا من أقرب المقربين فليست الكلمات والقراءات هو واقع أمر لا نخدع النفس، هذا يدفع بنا إلى التأمل في كلمات الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ لنخرج من قيد الزمان والمكان لنعيش الرحمة الإلهية واللطف الإلهي بحال العباد، خطاب حسين عَلَيْهِالسَّلَامُ خطاب رحمة وليس خطابا مختصا بزمان ولا مكان وعندها سنرى أن الرسالة تحكي واقعا بما له من تنبيه لأي شيء لملاكات وعللوغاية لتكون بيانا لمن أخلص لله تعالى، من أن السالك مسالك الأبرار كالإمام الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ مصيره الشهادة وكيف يتمنى عبد على ربه بصدق تُكلله الأفعال، تؤيده الأفعال والله

يمسك جوده فلا يكتب له شهادة وهو الفتح الذي من لم يلحق بهذا الركب لايبلغه لكي لا يتمنى أحد هذا المشهد بالأماني قائلاً ياليتنا كنا معكم ويظن أنه لأنه ليس معهم فإذن الله لم يتلطف عليه ولم يخلقه في ذلك الزمان الزمان لا خصوصية له في لقاء الله ولطف الله ورحمته عامة فهي لكل الأزمان لا خصوصية لزمن أبدا، هذا ما كان مرتبطاً بالاحتمال الثاني.

الاحتمال الثالث أن نقول: إن الظاهر من كلمة الفتح: الفتح هكذا جاء من لحق بي منكم استشهد و من لم يلحق بي لم يدرك الفتح يمكن أن نقول أن الفتح هو صفة هذه الشهادة دائما الفتح هو صفة من ؟ صفة فعل يحدث في الخارج، فتح مكة صفة أمرحدث في الخارج، الحسين عليه السلام يريد أن يقول كم من بار وتقي ونبي عظيم ومتقنٍ مر في التاريخ ففتحونسي فتحه لما له من آثاروكم من إنسان كالحكام والجبابرة والمتمكنين فتحوا فأقاموا دولا لعلها استمرت القرن والقرنين ثم أصبحت نسيا منسياً لعل التاريخ نسي حتى ذكرها ونحن لا ندري كم من أمم مرت نسي التاريخ حتى أسمائهم لاندري من هم؟ ربما عرفنا أمما مروا هنا وهناك لكن الكثير من الأمم نسيناهم ورب فتح حقيقي كفتح مكة بكل عِظمه وما حمل كان في هذا الركب من هو من المنافقين ومن إنقلب على الأعقاب لكن هذا الركب هو ركب خلوص ما توجه يمينا ولا

شمالاركب خلوص تقدم للقاء ربي فهو ركب عظيم إذا كان هكذا.

فإذن يجب علينا أن ننظر أن الفتح لعله صفة لنفس الشهادة، كيف يكون الفتح صفة لشهادة قوم سقطوا ضحايا في كربلاء نقول ليس من المستغرب أن الحسين عليه السلام يريد أن يقول يابني هاشم إن هذه الشهادة فتح عظيم ستكون سببا للثوار وليقظة أمة من غفلة وستسقط إمبراطوريات وستجعل جبابرة إلى قيام الساعة أو إلى ظهور الحجة ـ عجل الله تعالى ظهوره الشريف ـ وهم في قصورهم يرتعبون منها وكل هذا الثواب العظيم وكل ما تحمل هذه الشهادة من قيم ستفقدونها يا بني هاشم.

فإذن أرجو التوجه لعل الفتح صفة للشهادة نفسها بهذا الاحتمال الثالث فإذن نقول إن الظاهرمن كلمة الفتح الواردة في هذه الرسالة أنها صفة لنفس هذه الشهادة التي خطّها الله بالقلم حينما أشار الحسين عليه السلام أنها خطت بالقلم هذه الشهادة، هذه الشهادة ليست من نسيج ومن كيفيات بقية الشهادات، هذه شهادة تحمل فتحا فكونوا أهلا لها قد خطها الله تعالى بالقلم ولا مخلص منها لمن لحق بهذا الركب الحسيني لأنها شهادة من نوع خاص مرت الكثير من الشهادات للأبرار لكنها شهادة من نوع خاص قد وصفها الحسين عليه السلام بالفتح الشهادة لا توصف بالفتح لكن الحسين

وصف شهادته بالفتح بمعنى أن الفتح يعود لنفس هذه الشهادة، يعني هذه الشهادة هي فتحكيف تكون فتح؟ ومن لم يلحق بهذا الركب لا ينال هذا الشرف العظيم لكن كيف نفسر الشهادة نفسها التي هي استشهاد صاحبها وقتله بالفتح فهل يراد به الفتح الأخروي من احتمالاتها أن يقول القائل أن الشهادة فتح وهذه ليست من خصوصيات شهادة كربلاء كل شهادة هي فتح في دار الأخرة فإذن لا يمكن أن نفسرها بهذا التفسير ونقول أن الحسين يقول إنها شهادة ورائها فتح أي أن الله سبحانه وتعالى يدخل صحابها الجنان كل من استشهد في سبيل ربه على طول التاريخ كان بهذا الحكم أن الله سبحانه وتعالى لا يضيع له أمراً وأن الله سبحانه يجعله مع المقربين ومع الابرار.

فإذن هذه الشهادة لا تريد أن تحكي فتحاً أخروي وقرباً إلهياً تريد أن تحكي فتحا في دار الدنيا، نقول هذه يراد منها فتحاً في دار الدنيا، هل يراد به الفتح الأخروى بما يترتب عليه من القرب والثواب؟ نقول هذا نعم من المحتملات لأنه من واقع الأمر أن الله سبحانه وتعالى أعدَّ للشهداء والأبرار مكاناً عظيماً لكن هذه ليست خصوصية هو يقول من لحق بهذا الركب كلام عن شهادة هذا الركب فإذا كانت صفة لهذا الركب ولشهادة هذا الركب لابد وأن ننظر أي فتح هذا حتى تكون مائزا عن بقية الشهادات التي هي

بشكل واحد للأبرار يوم الحساب ولجنانهم وقرب ربهم، لكن نقول إن الظاهرمن الحديث أو من الرسالة الشريفة أن هذه الشهادة نفسها تحمل الفتح بغض النظر عما يترتب عليها عند الله تعالى من القرب والجنان حيث أن هذه الشهادة كانت أكبر وأعظم من أي نصر وفتح كم من نصر وفتح ذهب بعد سنة أو سنتين لأنها راحت ولو من بعد حين لتُسقط إمبراطورية أموية حيث راح الكثير من السائرين ضد الحكم الأموي ليحملوا شعار يا لثارات الحسين فحدثت ثورات حينما حصل بعض الوعي وإن استغلها الماكرون كبني العباس فجعلوا رايتهم تحمل عنوان يالثارات الحسين وأسقطوا هذه الإمبراطورية تحت عنوان يالثارات الحسين فقد يستغلها البعض لكنها هي في الحقيقة ثورة وفتح هزت إمبراطوريات ولولا جهل الأمة أن استغلها الماكرون لجاءوا إلى رجالها الحقيقيون وأقيمت دولة الحق.

وأيضاً ما حصل من ثورة المختار رضوان الله عليه وهنا أشير على أن المختار قام بأمر عظيم وإن بعض الناس لتردد هنا أو هناك لكلمات تقال أوتنسب عليهم أن يبتعدوا عنها المختار قام بأمر عظيم ولو كان طالبا للدنيا لأبقاه الله تعالى فلما تمت وظيفته وما كان على عاتقه، الله سبحانه وتعالى ما أراد له الدنيا وأبناء الدنيا يعطيهم الله سبيلهم في الدنيا وأما ظاهر ابتعاده عن الإمام زين

العابدين ما أراد أن يجعله في مرمى بني أميه وأن يبعد المسألة.

فإذن لست بصدد بيان هذا الأمرلكني أعتقد أن قيامه وثورته كانت ثورة حق ضد الباطل ثأراً للحسين عليه السلام، وما حصل أيضاً من ثورة المختار رضوان الله عليه وحركة التوابين أي ثورة وأي شهادة هذه؟ شهادة دعت إلى ثورات وإذلال طواغيت كعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وكثير من هؤلاء المجرمين فهي شهادة أحدثت وعياً وروح ثورة في أمة وأنه ليس كما يقال أن الثورة ضد الظالمين شقا لعصا المسلمين وخروجاً من الدين وإلقاءً للنفس في التهلكة خرج الناس من هذا الجهل ومن هذا النسيج الذي صاغه وعاظ السلاطين و إلى اليوم يصوغونه إلى اليوم يخرج الواحد منهم لا مختش ولا مبالٍ بالأمة كلها قام الإجماع أن نسكت عن الحكام والحال كم من فتح على طول التاريخ قد نسي وثورة الحسين عليه السلام بشهادته ما زالت قائمة ليومنا هذا يستلهم منها الثوار والأحرار وهي ما زالت ترعب الطواغيت وهم في قصورهم على الرغم مما حصل في هذه الثورة من تحريف عن مبادئ الحسين عليه السلام: مع كونها حرفت وخرجت عن غاياتها لشعارات من هنا وهناك أدعيت أنها هي الشعارات المرادة مع كل هذا الضرب من الأعداء ومن الشيعة أنفسهم لأسس هذه الثورة لتحرف بقصد أو بلا قصد عن غاياتها وهي النور في مقابل الظلمة والعدل في مقابل

الظلم مع كل هذا بقيت فتحا تهز عروش الطواغيت، فأقول وهي مازالت ترعب الطواغيت وهم في قصورهم على الرغم مما حصل لهذه الثورة، ثورة الإنسانية ثورة العلم والعدل والشرف على الرغم مما حصل لها من تحريف بقصد أم بغير قصد، أما الكثير من وعاظ السلاطين على طول التأريخ يحاولون بكل قوة أن يدعوا أن الحسين قام لأجل الدنيا وأنه قام على إمام زمانه أولئك قلنا طوينا عنهم صفحاً لكن الحسين و الشيعة مع الأسف الكثير من الشيعة لجهل أو لأمور من وراء الكواليس تريد تحريف هذه الثورة ليرتاح عالم من ثقل تكليف ولتتوجه أمور أخرى لا أريد أن أدخل في تفاصيلها والإنسان العاقل عليه أن يتثبت ويتأمل، فأقول مع كل هذا التحريف من الداخل والخارج ومن جهل أصبنا به نسينا الغاية التي قام لأجلها الحسين الذي بينها هو بنفسه ولا يحتاج أن يبينها زيد أو خطيب مع كل هذا بقيت ثورة وبقيت قيام الإخراج البشرية من الظلمات إلى النور ومن الذل والجهل والهوان إلى كرامة القسط.

الاحتمال الثالث في المقام أن يقال لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بني هاشم، وأرجو التوجه إذا قلنا هذا احتمال ثالث واحتمال رابع وخامس واحتمال سادس من باب الفرض والتقدير لانريد أن نقول إذن تلك لم تكن صحيحة، يمكن أن تكون كلها صحيحة ويمكن أن تكون هناك احتمالات يأتي بها

بعض الناس بعقولهم الرفيعة بخلوصهم يشاهدون حسيناً عليه السلام بما قصد اكثر مما نتكلم.

فإذن لا مانعة جمع في مثل هذه المحتمالات، لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بني هاشم ملفتا أنظارهم، أرجو التوجه نحن في غفلة أراد أن يشير إلى بني هاشم ملفتا أنظارهم لا تخدعوا أنفسكم بكثرة صلاة وزهوعلم وشرف نسب أو حسب هذا يغش نفسه بعلم وذاك يغش نفسه بحسب حيث أن عبدالله بن عباس كان يسمى بحبر الأمة أي عالمها ولعل الكثير من بني هاشم و إلى يومنا هذا يظنون أن محمدا صلى الله عليه وآله محمد معجزة عالم الإمكان محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين وهو نبي الإنسانية، محمد صلى الله عليه وآله الذي صفّت الملائكة والأنبياء وراءه في معراجه محمد صلى الله عليه وآله الذي هو مظهر أسماء الله تعالى محمد صلى الله عليه وآله الذي هو رحمة الله المطلقة هذا العظم بكله نسجنا له نسيجا فراح الواحد منا ظاناً أن محمدا شيخ عشيرة وأن كل من كان من نسب محمد صلى الله عليه وآله له خصوصية معينة، أيها الناس لا أريد أن أخدع أحدا اخرجوا من هذا الجهل، ولعل الكثير من بني هاشم كما نشاهد ذلك وليومنا هذا يظن محمدا صلى الله عليه وآله شيخ عشيرة وهم أبناءه لا ينظرون إلى آية ترشد إلى حق بأنه لا اعتبار لنسب إنما تحاسب الناس على أعمالها وعظيم عقل وعلم وخلوص وهذا ابن آدم عليه السلام وابن نوح قد اعتبرهم الله لا

ربط لهما بنبيين وهما في النار وهناك زوجات أنبياء في النار وهناك زوج فرعون في أعلى عليين عند الله تعالى، فعلينا أن نتأمل في مثل هذه الأمور ونتأمل في روايات متواترة تقول حكاية عن الرسول ﷺ نبي الإنسانية قد قال ﷺ: «لا تأتوني بأنسابكم»[1] أراد الحسين عليه السلام أن يلفت الأنظار إلى أن فتح القمم للمعارج نحو الحق بما للعروج من اللانهايات ليس كما تتوهمون يا بني هاشم وأنتم عن نصرة الحق متخلفون فإن كان زيد أو عمرو لابتعاده وجهله لايعرف إماماً مبيناً أنتم تعرفون فلا تصوغوا لأنفسكم قربا بصلاة أوحج تلبون لبيك اللهم لبيك والإمام المبين يتحرك ويترك مكة المكرمة قاصدا العراق فمن تخلف عن إمام مبين لا تفيده صلاة ولا يفيده حج لأنه ينبأ عن جهل وسنتم الحديث لبيان اكثر لنخرج عن غفلة والصلاة على محمد وآله الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

١ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٥٢.

تكملة الاحتمالات في معنى الفتح

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام قد وصل بنا البحث إلى رسالة كتبها الى بني هاشم احتملنا فيها بعض الاحتمالات بالنسبة إلى كلمة الفتح وقد وصلنا إلى الاحتمال الثالث في المقام:فنقول لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بني هاشم ملفتا أنظارهم أن لا تخدعوا أنفسكم بكثرة صلاة وزهو علم وشرف حسب و نسب ولعل الكثير من بني هاشم أراد الحسين عليه السلام أن يلفت أنظارهم أن فتح القمم نحو الحق تعالى بما للعروج من اللانهايات وقد أشرت كرارا في مواطن عدة للعروج اللامتناهي.

المراد من اللانهايات أن المؤمن الحقيقي الذي عرف الله بأنه الوجود اللامتناهي في فيضه وفي وجوده وأسماءه وصفاته وأن الكائنات طرا تعرج إليه قاصدة إياه فإذن هو المبدأ اللامتناهي وهو الغاية اللامتناهية وسير المتناهي إلى اللامتناهي لا يقف عند حد، فالذين يعرجون إلى الله تعالى عارفين إياه ليسوا كالذين قد ساقهم طمع جنان لعمل، أولئك عظماء ماعبدوا الله لينالوا أمرا عبدوا الله لأنهم عرفوا الله فعرفانهم ساقهم إلى هذا العروج، ساقهم عشاقا

لطلب نور لامتناه هذه الحركة نحو الغاية اللامتناهية لا تقف عند حد لا عند برزخ ولا تقف بعد القيامة والحساب تتغير جنانهم بمقدرتهم العقلية والعلمية وزكاة نفوسهم وسعة عقولهم وهكذا تتغير الجنان بتبع عظم مكانتهم.

فإذن لا أريد أن أتوغل في هذا الكلام لكنه لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يخرج بني هاشم، بل البشرية مطلقا لأنهم واسطة لوصول الخطاب إلى الأخرين أراد أن يقول إنكم في معرض هبوب لطف عظيم فاجعلوا أنفسكم في معرض هذا الهبوب واللطف العظيم بفتح لا متناهٍ حتى لا تتوقف أنظاركم ولا تتوقف أبصاركم حتى لجنان فإن الإنسان العاشق ربه الذي يريد نفسه لله لا أنه يريد من الله جناناً أولئك عظماء وإن الله تعالى قد بشرني وبشر هؤلاء أيضاً الذين يكونون في ركبي لهذا الخلوص وقطع جميع الحبائل بشّرهم بهذا العروج اللامتناهي ولحبي لكم أريدكم أن تكونوا أهلا لهذا العروج، أن فتح القمم العوالي للمعارج نحو الحق تعالى بما للعروج من لانهايات ليس كما تتوهمون يا بني هاشم وأنتم عن نصرة أولياءه تتخاذلون، هاهنا هي المغالطات ومزالق الأقدام عالم بعلمه راح ليظن قربا وعربي بعروبته ظن أن محمدا صلى الله عليه وآله شيخ عشيرة للعرب راح ليعيش غلطا وخطأ وكذلك هم بنو هاشم لعل الكثير منهم في زمن الحسين عليه السلام ظن

رسول الله جداً فإذن لهم عند الله مكانة ولذا أقولها من باب الحب لبني هاشم اليوم لا تدخلوا في هذا النفق والأخطاء لا تظنوا لأنكم أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وأنكم تربطكم رابطة من طريق فاطمة عليها السلام أو علي عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله، لا رابطة بين الله تعالى وأحد وهذه الآيات والروايات واضحة في المقام، فلا تتوهموا فسبيل الحق إنما هو عن طريق الإمام المبين، عن طريق الإنسان الكامل الذي جعله الله تعلى حجة على العباد إنساً وجنا بل وملائكة لا عروج إلى الله إلا بواسطة الإنسان الكامل وبواسطة الإنسان المبين، الملائكة بكلهم وبتمامهم أجمعين لو أنهم تخلفوا عن الإمام المبين حينما أمروا بالسجود إليه لكانوا كالشيطان من الذين يكونون في سلك الرجيم في سلك المطرودين من رحمة الله، فإذا كانت الملائكة تطرد إذا لم تكن مطيعة طالبة ربها من طريق الإمام المبين فلا تقعوا في خطأ يا بني هاشم وهذا الخطأ مع كل الأسف نعيشه جميعاً عرباً عجماً جناً إنساً وهلم جرا، فسبيل الحق هو الإمام المبين أي أن حقيقة الشرع إنما هي باتباع إمام مبين لا بفعل و ولا عبادة ولا بعلم ورب عبادة أيها الناس أو حجكان في وقت نداء الإمام المبين إثماً وباطلاً وليس قرباً لاشك ولا ريب أن الذين كانوا يصيحون لبيك اللهم لبيك والإمام المبين قد ودع مكة المكرمة قاصدا العراق لا شك أنهم مأثمون ومتخلفون وأنهم جاهلون ولا ربط لهم بشرع الله لا يتقرب

الإنسان بواسطة طواف بالبيت وهو يعيش تحت حكومة جائرة وسلطان طاغية يسميه بأمير المؤمنين هذا من الجهل هذا من الخلط بين المقاييس فصلاة وقت النداء باطلة وحج وقت النداء باطلو كل عمل بلا إستثناء وقت النداء باطل، هذا الذي جعل الناس يدخلون في الأنفاق في وقت نداء المعصوم هو نداء الله تعالى و كيف يكون المتخلف عن نداء الله متقرباً إليه هذا من المستحيل، وكذلك كان عباد اليل أصحاب الجباه السود أعني الخوارج ومن هو على شاكلتهم ليومنا هذا الذين يظنون أن الذي يقومون به يوجب لهم الفتح فهؤلاء جهال، فلا نخدع النفس أيها الناس لا يُقبل أي عمل إلا عن طريق إمام مبين ولذا كان الأنبياء واسطة تشريع إلى الله ومن تقدم طالبا قرب اللهمن غير الأنبياء كان كإبليس و كذلك من طِلب الله بعد محمد صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ من غير أئمة الهدى من غيرأوصياء رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وطريق فاطمة سيدة نساء العالمين كان جاهلاً وكان من أهل النار إلا أن تشمله الشفاعة والرحمة الإلهية بعفو عن أخطاءه، فكيف بنا والعياذ بالله إذا سمينا الأشرار بأمراء المؤمنين التخلف يكفي أن نكون من الضالين فكيف بنا إذا سمينا الفراعنة بأمراء المؤمنين، نقدم على الله كاذبين.

فارأد الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ أن يبين لبني هاشم ليخرجوا من غفلة هم فيها واقعون دفعت بهم للوقوع في هذه الشبهة ما دفع بكثير من

الناس حينما ظنوا أن التلبس بفعل يكون سادّا مسد الواقع، الفعل يقيم بقيمه لا قيمة لأي فعل أبدا ولو كان الفعل مفيدا لأفاد إبليس ستة آلاف سنة من العبادة، فالحسين عليه السلام أراد أن يشير أنه لا قرب في جنب الله تعالى إلا من طريق الله وطريق الله يرسمه أولياء الله تعالى لا غير، فأي قيمة لحج والحجاج مجتمعون ينادون لبيك اللهم لبيك بأزاء حق متروك وجهل ساتر للنور وظلمة قائمة ونداء إمام مبين متروك تركوا نصرته هكذا نحن نغالط النفس فأراد الحسين عليه السلام أن يقول لبني هاشم قبل غيرهم لو عبدتم الله ليلا ونهاراً وبقيتم الأحقاب والدهور في دار الدنيا قائمين صائمين حاجين لما كان ذلك بمنجٍ لكم وأنتم تتركون نصرة أولياء الله.

فإذن أراد الحسين عليه السلام أن يقول إن الفتح الحقيقي بفتح لصاحبه تُفتح أبواب السماوات فإذا فُتحت لكم كنتم حقا من الفاتحين ولا فتح إلا من طريق إمام مبين وإلا لما كان الأنبياء واسطة للتشريع ولما كان الأوصياء ومن هم الأوصياء؟ خمسة أولي العزم البقية بآلافهم وبعشرات آلافهم كلهم أوصياء أنبياء، فمن طِلب الله من غير الأنبياء وأوصياء الرسل ومن جملتهم بلا شك ولا ريب ومن أنكر أنكر سننا إلهية وخدع نفسه بمتابعة الحكام والدجالين من وعاظ السلاطين، من طلب الله من غير الأنبياء وأوصياءهم كان يطلب الله في الظلمات يريد في الظلمة نورا، إن

الفتح الحقيقي إنما هو من طريق الإمام المبين ولا مبلغ لذلك إلا عن طريق الإنسان الكامل الذي جعله الله حجة على العالمين ومن تخلف عنه حتى لو جاء بأعمال الثقلين لا يبلغ الفتح لأنه يسير في ظلمة يسير على غير هدى لأن العمل يقيم ببعد المعرفة وعظيم العلم وزكاة النفس وسعة العقل والعاقل لا يسمي الفراعنة أمراء للمؤمنين وركعة من عارف لا تعادلها أعمال الثقلين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ضربة علي عليه السلام لعمرو يوم الخندق «إن ضربة علي لعمرو تعادل عمل الثقلين إلى قيام الساعة» هكذا تقيّم الأعمال بالمعارف أعمال تجاوزت ٦٠٠٠ سنة ما عدها الله كشعرة في ميزان وضربة علي تعادل عمل الثقلين ليوم القيامة.

فإذن من لم يطع هؤلاء العظماء لم يطع حسيناً فليسمى نفسه أخاً لحسين عليه السلام فليعتبر نفسه ابن عم لرسول الله صلى الله عليه وآله وعالماً وصحابياً يعيش ظلمة بجهله المركب.

الاحتمال السابع في كلمات العظماء وأعني الحسين عليه السلام من كلمة الفتح نقول لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير الى فتح أحب أن يكون بنوهاشم وهم عشيرته أهلا لذلك الفتح العظيم لا بما توهموه من حسب أونسب أو علم وما شاكل هذه الأمور وذلك الفتح المشار إليه في الحديثهو فتح ما حصل لأحد في العالمين إلا لنوادر من البشر أي يريد أن يقول عليه السلام أن الذين معي من الأنصار

على الرغم من أن الدنيا أعلنت الحرب ضدهموهم على علم ويقين أن مصيرهم الموت فهم أناس قد اجتمعت كلمة الدنيا على ضدهم فما خدشت من يقينهم شيء ولا من عزمهم أمر فماضعف عزمهم لقيام أبناء الدنيا شعبا وحكومة ضدهم ولا أصيبوا بشائبة في معرفة ويقين فلم يثنهم كل ذلك عن لقاء ربهم وجزمهم على أنهم على الحق وأن الامة الإسلامية بعربها وعجمها و ببني هاشمها وبغيرهم على الباطل إذا لم يكونوا في هذا الركب ركب الحق ركب الإمام المبين، فإنهم أي هؤلاء الأنصار وإن خالف مسيرتهم أبناء الدنيا على كثرتهم فلم يدفع بهم إلى شبهة أو ضعفكما كان عمار وهو يقول: «لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق وأنهم على الباطل»[1] لأنه ما عرف الحق بالرجال بل عرف الحق وبالحق عرف رجال الحق، فلو وجد عليا وحده والدنيا بكلها بسنتها وبمسلميها وبنصاراها وبيهودها وبكل من هو على وجه الأرض يقول إن عليا على الخطأ لما تردد عمار أنهم خاطئون وأن عليا هو الإمام المبين، فهؤلاء يا بني هاشم الركب الذين هم معي أصحاب اليقين الذين لم تتغير آراءهم بكثرة الناس وبحرب الدنيا إعلانا لهم الحرب فأراد أن يقول عليه السلام أن أصحابي كلهم كذلك أي أنهم من

١ـ الاختصاص: ١٣.

أصحاب البصائرفي حين أنهم قد ابتعد عنهم الصديق والقريب وخذلهم كل أحد وراح آخرون جهلا ليقول قائلهم لا تشقوا عصا المسلمين أو لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومع الأسف أن أقول إن بعض المقربين أن بعض قريش أو بني هاشم لجهلهم راحوا لينصحوا حسيناً عليه السلام وهذه هي المهذلة ليأتي إنسان لينصح وصي نبي معصوم.

أراد أن يقول الحسين عليه السلام لبني هاشم إن هؤلاء قوم على الرغم من إعلان الدنيا حربا ضدهم وظنهم أنهم من الخاطئين ما تغيروا وما تبدلوا فكونوا منهم يا بني هاشم، ومن هو يحب الخير لأهله لابد وأن يكون بهذا المنطلق لأنه ما دعاهم ليقول لهم انصروني لعلنا ننتصر وندفع شرا من لحق بي منكم استشهد.

فإذن ما دعاهم ليغير موازنة في معركة الموازنة ما كانت لتتغير لو التحق من في المدينة بكلهم وبتمامهم لكانت جيوش بني أمية أكثر منهم فإذن ما كان تغيرا لموازنة في معركة، كان حبا لأهل بيت أراد لهم الفتح المبين وسيأتي إن شاء الله إن تذكرنا شرحاً لما قاله الحسين عليه السلام: «ما رأيت أصحاباً كاصحابي» ولذا قد ورد في بعض الأحاديث على أن هؤلاء العظماء من بعد ما اختبر الحسين عليه السلام نياتهم ووجدهم بكل صدق ويقين مع إعلان الدنيا الحرب ضدهم وابتعاد الأهل والأصدقاء عنهم وتخاذلهم لأن

هؤلاء كما هو الحسين عليه السلام لهم أهل أين أهل هؤلاء؟ فإذن الدين حضروا من الحسين كما خذل الحسين عليه السلام حتى من بني هاشم هؤلاء أيضاً خذلوا من أهلهم، لو كان كل واحد جاء بعشرة لكانوا سبعمائة مثلاً ولذا وردت الأحاديث في هذا المقام أن هؤلاء حصلوا على أمر لعله نادرا ما يكون لأحد، ماهو هذا الأمر؟ الله سبحانه وتعالى يقول في يوم المحشر لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد : في ساحة المحشر حينما يظهر الله باسم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حينما يظهر الله سبحانه وتعالى بمظاهر الجبروت والعظمة وتذهب الغشاوات فيكون الناس يعيشون بصيرة من حديد يشاهدون الحقائق بكلها هؤلاء لهم من العظم بأن كشف لهم على ما ورد في بعض الروايات عن بصيرتهم فشاهدوا منازلهم في الجنان وهذا مقام عظيم ما كان ليحصل إلا لأنها انقطعت الروابط مطلقا فلما قطعوا السُبل وانقطعت جميع روابطهم مع الدنيا مع جاهها ومقامها وأهلها وأمنها ونسائها والأولاد والبنين ووجدهم الله صادقين ليسوا مترددين كشف الله عن بصائرهم فكان فتحا مبينا فتحت أبواب السماوات لهم وهم في دار الدنيا.

الاحتمال الخامس في كلمات العظماء ونعني الحسين عليه السلام: أن يقال أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بشرى قد حصل عليها

هـؤلاء العظمـاء وهـي أن الله تعالـى بعـد أن قـبل هـؤلاء العظمـاء لأنفسهم الذل والهوان بدلا من الراحة والأمان وقد عادتهم أبناء الدنـيا بكلهـم وبـتمامهم وبعـد أن خـذلهم الأصـدقاء بـل راحـوا لينصحوا هؤلاء لعله أراد أن يقول إن الله قد اختار لهم يوماً وهو يوم الفتح، الدنيا بكلها وبتمامها منذ جاء آدم عليه السلام الى الخاتم وهي تبشر بيوم عظيم تبشربيوم عدل سيقام على وجه الأرض سيختار الله تعالى لهذا اليوم رجالاً اختبر ضمائرهم نساء اختبر الله ضمائرهن أناس يختبرون لهذا اليوم العظيمأي لعدل الله ولظهور العدل على وجه الله قد اختار الله في الأزل أناساً رجالاً ونساءً قد اختارهم لإقامة هذا العدل العظيم فلعل الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بني هاشم ويخرجهم من غفلة وجهل أن هناك يوماً لهذا العالم سيكون يوم العدل الإلهي يوم الحق قبل الحق في دار الآخرة يا بني هاشم إن هناك فتحاً عظيماً هو غاية بعثة الأنبياء هو من بشرت به الأنبياء طراً هو يوم أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله قائلاً لو لم يبق من الدنيا إلى يوم واحد لأطال الله ذلك اليوم حتى يخرج مهدي آل محمد عجل الله تعالى فرجه الذي هو غاية بعثة الأنبياء ليحقق عدل الله على وجهالأرض ليقول للمتقدمين والمتأخرين وليقول لجميع الخلائق أن الله كان قادراً على تحقيق عدل لكنه أراده بإرادة بشرية أراده بعزم بشري أراده بهدي بشري جهاداً في سبيل الله للوصول إلى

الحق فلما وجد أهل الدنيا ليسوا أهلا ليسيروا مسالك ربهم وإن ادعى الكثير منهم إيماناً وارتباطاً، سنة وشيعة نصارى ويهود وغيرذلك الكل يدعي وأكثر البشر يدعون ارتباطاً بالله لكن الحق ليس كذلك فيا بني هاشم ويا أيها الناس كونوا من المخلصين حقا فإن الله تعالى يريد ليوم خلاص البشرية من ذلها وجهلها عدلا يقيمه في دار الدنيا ليثبت أن ما جاءت أن ما جاءت به الأنبياء طرا كان حقا كان نورا كان عدلا لكن الناس كانوا عن آيات ربهم غافلين معرضين فيا بني هاشم وأراد أن يلمح لأنه لا تصريح إلا لمن أخلص لربه فأراد أن يلمح لهم بفتح عظيم هو فتح يأتي في هذه الدنيا يحيي له الله رجالاً ونساءمن زمن آدم إلى زمن الخاتم إلى زمن الظهور، إن هؤلاء من أهل هذا الفتح لأن الله تعالى يأبى أن لا يجعل القرآن متحققاً مشروحاً مطبقاً بعيداً عن الإدعاء، القرآن فيه أن عيسى أحيا نفوساً القرآن فيه أن الله يحيي نفوسا قبل إحيائها في يوم الحساب فلابد وأن يكون هناك إحياء لبعض النفوس في زمن الدعوة و في زمن العدل على يد مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله فلابد وأن تحيى بعض النفوس لتكون نفوساً طاهرة لا نفوساً بحكم ظاهري يؤتى بها إلى إمارة وهناك من كانوا أمراء من قبل الأنبياء و الأوصياء اخطئوا أو ارتكبوا جريمة لأن الحكم كان على الظاهر فلعله كان يريد أن يبشرهم أنهم لو جاءوا لكانوا من

أصحاب هذا الفتح المبين.

فإذن نقول لعل الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشير إلى بشرى قد حصل عليها هؤلاء العظماء ملمحا إليها وهي أن الله تعالى بعد أن قبل هؤلاء لأنفسهم الذل والهوان وقد عادتهم الدنيا بكلها إن الله قد اختارهم ليوم فتح عظيم حيث أنهم سيصبحون من أقطاب دولة الحق والعدل الإلهي لأنها لا تقام فقط بالمتقين من الأحياء عند الظهور بل تؤيد بالملائكة الكرام وبنبي من أنبياء أولي العزم أعني عيسى عليه السلام وبعض الأولياء الباطنين الموجودين دائما على وجه الأرض ولا تخلو منهم الأرض أبداً ومطلقاً كالخضر أو غيره من الأوتاد لأنها حكومة عدل لا يكون فيها الدعاة بما هم دعاة بما لهم من الظاهر يحملها دعاة يقيمون العدل حقاً بنفوس طاهرة عالمة عارفة مطيعة لا تتردد لأوامر مولاها، فهذا الفتح الذي هو انتصار حيث أنه غاية بعثة الأنبياء يقول الإمام الحسين عليه السلام من لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح أي هذا الفتح اي شهود حق وعدل تتمناه وتمنته الخلائق منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة يتمنون كونهم في هذه الأيام حتى الذين يأتون من بعد الحجة يتمنون أنهم كانوا في زمانه، فكونوا من أهل هذا الحق.

الاحتمال السادس: لعل الحسين عليه السلام أراد أن يشير الى فتح عرفاني عظيم بما له من الأثر في عالم الدنيا إلى قيام الساعة وبما له

من الأثرفي عالم البرزخ والقيامة وبما له من الأثر في العروج وفتح أبواب السماوات في كل العوالم التي تتغير وتتغير، الله تعالى جعل لهؤلاء خصوصية أن جميع الأبواب في كل مراحل عالمنا وعوالم أخرى تتبدل السماوات والأرضين لهؤلاء عزهم وسبلهم وخصوصيتهم فكونوا يا بني هاشم من هذا الفتح العظيم، فهو فتح أبواب القيم والقمم لفتح المورد العظيم الذي أشار إليه الإمام علي عليه السلام حينما قال «آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد»[1] لأنه طريق إلى الله والطريق إلى الله غير متناهٍ فأراد أن يشير ويلمح لبني هاشم ولنا ولأمثالنا كونوا من أهل هذا الطريق وأنتم يا بني هاشم لقربكم منصوت الحق وهذا النداء فأنتم أولى بهذا الفتح وبهذا السلوك والعروج إلى ربكم وقد لبى هذا النداء نصراني وآخرأسود وأبيض وآخرعربي أو أعجمي حيث كان من أنصار الحسين طوائف مختلفة وسنتم الحديث في المحاضرة القادمة إن شاء الله تعالى والحمدلله رب العالمين .

الاحتمال السابع: أنه اراد أن يشير أنكم تظنون بانكم بعدم الالتحاق بي وان جعل الخطاب لبني هاشم اراد الامة الاسلامية انكم تظنون بانكم بالتخاذل والابتعاد انكم ستعيشون من بعدي عزا

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٤٨٠، كلمة رقم ٧٥.

وتحفظون دنيا فاعلموا ان من تخلف عن هذا الركب فاما ان تعيشوا كرامة وشرفا والا فاعلموا انكم ستعيشون اذلاء خاسئين في الدنيا والآخرة وهذا هو الخسران المبين.

علمت الامة بعد ذلك أن هناك سداً منيعاً كان امام هؤلاء الطغاة من بني امية فلما هدف اللسان الناطق بالحق المدافع عن الكتاب والسنة والشعب اصحبت بني امية لا تتوقف عند امر هان عليهم هدم الكعبة واستبيحت المدينة ثلاثة ايام بنساءها وببناتها واي مدينة اخرى استبيحت لا ندري، تستباح المدن ويلبس العمل لباس الدين.

وهاهنا يجب الالتفات ان بني هاشم كانوا عشيرة لكن من نصر الحسين عليه السلام منهم كانوا قلائل وقد وردت الاحاديث رادعة عن قيم الجاهلية لكن ابت الناس الا دفاعا عن امرأة نبي ودفاعاً عن نسب محمد صلى الله عليه وآله سيد الكائنات ومعجزة عالم الامكان ليس بينه وبين احد من نسب يقرب الى الله تعالى، محمد يقرب اليه العلم والتقوى والمعارف فهو ليس شيخ عشيرة عربي والله ليس أبا لاحد هو سلطان السماوات والبقية كلهم عبيد فعلينا ان نخرج من جهل عربا كنا، سادة كما نقول علينا أن لا ندخل في هذه المتاهات.

الان ومن بعد ما انتهينا من هذا الامر ننتقل حديثاً كخاتمة «إن

الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[1] لكن خاتمة للبحث نقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أيها الناس ليس بين الله وبين أحد نسب ولا أمر يؤتيه به خيراً ويصرف عنه شراً إلا العمل ألا يدعين مدع ولا يتمنين متمني ولا ينجي إلا عمل الا مع رحمة ولو عصيت لهويت اللهم هل بلغت» الايات تأتي بالبيان وسيرتهم تأتي بالبيان ونحن متمسكون بكلامنا اجل هذه هي مسالك الربوبية وتربية رسالات السماء ليخرج الناس من ضنك الجاهلية والقبلية هذا سبيل الله من قبله قبل رشدا من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن سيرة العظماء ومن ظن جهلاً على أنه لنسب ولعربي فهو يعيش اخطاء فعليه ان يعيش في غفلة، الحديث المشهور نذكرة الرسول صلى الله عليه وآله باتفاق المسلمين قال: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» يتكلم عن مصباح لا مصباح غيره.

هاهنا يتساءل الانسان ويتأمل لماذا يقول الرسول الحسين مصباح الهدي الافضل أن يقول الحسين شمس الهداية وليس مصباح، حتى نعرف المصباح متى يستخدم في الليل ام في النهار ليقول لا شمس ولا نجوم وسفينة النجاة، هي سفينة نوح من تخلف عنها غرق وهوى وسنبين ذلك انشاء الله والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤ : ٥١، ح ١٣٣ .

أمثلة على تحريف الشريعة بيد المتلاعبين والمنافقين

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام مقتبسين منه أنواراً تشرح رسالات السماء بياناً وتطبيقاً وصل بنا الحديث إلى حديث مشهورعن الرسول صلى الله عليه وآله لا يتردد فيه متردد من المسلمين سنة وشيعة وهو أنه قال صلى الله عليه وآله: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[1]: وقد وعدنا أن نتوقف عند الكلمات مستنطقين إياها معالمها التي قد نتوصل إلى بعض أبعادها وقلنا إن من حق الكلمة لو نظرنا إليها نظرة بدائية أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله إن الحسين شمس الهداية فكيف يمكن أن نتصور مقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله تروي حسيناً عليه السلام بوصفه أنه مصباح هدىً.

هاهنا سنشير إلى ذلك لكن مقدمة وقبل الدخول في شرح هذا الحديث لابد وأن نشير إلى مطلب تقدم ووعدنا ببيانه وهو أن الإمام الحسين عليه السلام تحت أي قاعدة علمية يقول: «من لحق بي منكم استشهد» قطع وجزم بشهادة كما تقدم في الحديث السابق وقد

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤: ٥١، ح ١٣٣.

وعدنا بشرح هذا لكن أقول قد مر بيان هذا المعنى في بحوث ترتبط بعلم الإمامة وشرحت ذلك شرحا مفصلاً هناك ولما كنا لا نريد أن نتكلم عن إمامة وعلم وما شاكل عن هذه الأمور وإنما جئنا لنتكلم في رحاب الحسين عليه السلام عن موقف وقيام حق في مقابلباطل فلذا لا أريد أن أدخل في بيان علم الإمامة أنه مستند فقط وفقط إلى ما ورد من رسول الله صلى الله عليه وآله كشفا للغيب أو أنه يرجع لعلم الإمامة أو يرجع للولاية المطلقة أو يرجع إلى أي عنوان من العناوين لا نريد أن ندخل في هذه الأمور شرحناها ومن أحب فليرجع إليها.

المطلب الثاني الذي أريد أن أؤكده مرة ثانية على أن العالم والصحابي يتضاعف حكمه ويتضاعف ما يجب عليه إذا كانت الحكومة القائمة تعمل الأعمال باسم شرع الله تعالى فرب حكمٍ لا ينسب نفسه لشرائع السماء يكون العالم مكلفاً في البيان مرشداً وهادياً إلى الحق والتكليف لا يسقط لأن العالم إنما أراده الله ليكون مَعلَم رشاد إلى الناس ليخرجوا من ظلمة وغفلة إلى النور والعلم.

فإذن العالم من اسمه معلوم على أنه يريد منه الله سبحانه وتعالى أن يبين علماً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويريد منه أن يكون لسان صدق يتكلم عن مظلوم في مقابل ظالم هذا هو

حكمه العام الذي لا يتغير في أي زمان ومكان ولا باعتبار أي نظام وحكم وإن كان قد يشتد الحكم أو يكون في موطن آخر أقل تكليفاً ووجوباً ولكنه لا يسقط أساساً باختلاف الزمان والمكان لكن الذي أريد أن أؤكده مرة ثانية لما تقدم على أن الصحابة تحملوا عظيماً من المسؤولية بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأن الأمة وجدت الشريعة مرتسمة بأقوال وأفعال الصحابة وهاهي الأمة اليوم كأتباع أهل البيت من أتّبع مسيرة علي عليه السلام من أتبع الأوصياء بعد الرسل عليهم السلام هؤلاء أيضاً ينظرون إلى الفقهاء والعلماء على أنهم رسام شرع صمتهم شرع وكلامهم شرع فإذا كان الحكم القائم يحكم باسم الدين تضاعف تكليفهم فصار الواجب أشدوصار صمتهم خيانة وتحريفاً وتشويها للشريعة.

فهذا إذن يكون مضاعفاً من الحكم و التكليف على كل فقيه لا يتمكن أن يتخلص من أمر ويوجه أمراً على أنه يعيش تقية وعدم تكليف إذا حكم الحاكم باسم الدين صار التكليف إلزامياً فعلى كل فقيه أن يبين ويخرج من حدود بيان رسالة عمليه لا تتجاوز أمورا لاتصطدم مع الحكام كان عليه أن يبين شرع الله.

بعد هذه المقدمة المرتبطة بحديثنا السابق نأتي ونقول إن

الرسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إن الحسين مصباح الهدى»[1] إن تأملنا بكلمات العظماء وصلنا إلى المراد ولو بقدر ما أن المصباح لا يستخدم والشمس طالعة فلا محل لإستخدام المصباح في النهار فيجب أن نلتفت على أن الحديث يروي غيبا ويكشف واقعأمة من بعد (٥٠) سنة تعيش ظلمة تامة لا شمس لتهتدي بها ولا أنجم ومصابيح سماوية متعددة في ظلمة لياليها تتمكن أن تستفيد منها لتخرج من هذه الظلمة الدامسة فالرسول صلى الله عليه وآله يروي حال هذه الأمة على أنها تصل إلى مرحلة من الظلمات في فهمها لشرع الله علماً حقا في مقابل باطل وفي تطبيقها عدلا إلى مرحلة من الخلط والتشويه أنها تعيش ظلمة ليالٍ دامسة في مثل هذه الليالي الدامسة التي لا شمس فيها ولا أنجم ولا مصابيح فيها ولا أي شيء فيها يكون سببا لهدي لم يبق لها إلا مصباح وهو الحسين عليه السلام.

فإذن أرجو التوجهلم يكن الحديث واصفا الحسين بالمصباح وصفه بمصباح أمة تعيش في الظلمات، أكرر العبارة الحسين شمس هداية لكن أمة وصلت بجهلها وضياعها ووصلت بتسمية الفراعنة أمراء للمؤمنين و وصلت في تدهورها إلى ما وصلت إليه هذه الأمة ما بقي لها إلا مصباح.

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤: ٥١، ح ١٣٣.

فإذن الكلام عن الحسين عليه السلام بلحاظ واقع حال أمة أصبحت تعيش محض الجاهلية، في مثل هذه الظروف يقيناً لا يكون الحسين شمس هداية وقد سبق الحسين عليه السلام سيد الكائنات عاش أربعين سنة قبل البعثة وما رآه الناس حتى مصباحاً، فلا نستغرب من الحديث لا يأتي أحد كمحمد صلى الله عليه وآله نور الهداية وشمس الكون بتمامها معجزة عالم الإمكان عاش أربعين سنة بين أمة جاهلية ما وجدته حتى مصباحاً، الرسول صلى الله عليه وآله يريد أن يقول أن هذه الأمة على الأقل هناك من يرى حسيناً مصباحاً فليس منقصة في الحسين عليه السلام وإنما هو بيان حال أمة يُبكى عليها.

الحسين شمس الهداية الحسين نور الله وتجليات أسماء الله تعالى علماً وعدلاً وحكمة، فكيف يكون مصباحاً؟

أقول من قبل ذلك كان سيد الكائنات حتى ليس بمصباح في الأمة الجاهلية التي عاشت معه أربعين سنة ثم ازدادت غياً و راحت لتنكر كل شيء حتى صدق سيد الكائنات حينما دعاهم إلى الحق بعد الأربعين، فإذن ما وجدوا فيه نورا قبل الأربعين وحينما دعاهم إلى النور وجدوه والعياذ بالله مجنوناً كذاباً منحرفاً ساحراً.

فإذن إن وجدنا محمداً صلى الله عليه وآله سيد الكائنات قبل الأربعين ما وجدوا منه أمراً إلا وصفاً أنه الصادق الأمين فما وجدوا حكمة و ما وجدوا معارف وما وجدوا... ونحن نعتقد إن البعثة كانت كدعوة

إلى رسالات السماء في الأربعين وإلا فمحمد صلى الله عليه وآله وهو معجزة عالم الإمكان كان قبل ذلك نبيا وكان قبل ذلك إماما مبينا وكان قبل ذلك ولياً مطلقا وهلم جرا.

فإذن لا نستغرب من الكلمات، حينما الرسول صلى الله عليه وآله يصف الحسين عليه السلام بمصباح يحكي جهل أمة ويحكي ضلالة أمة وانحرافها.

إذا عرفنا هذه المقدمة نقولنحن قلنا دائما لا نريد أن ندخل أمرا ونحن نعيش بعيدين عن واقع خارجي وحينما تكلمنا عن الحسين عليه السلام بينا مشاهد من حياة و واقع عاشها الحسين عليه السلام في زمن بني أمية وما كانوا يرتكبون حتى يعرف القارئ والسامع في أي ظرف من الظروف كان يعيش الإمام الحسين عليه السلام وما يسميه المسلمون بنظام إسلامي كيف كان متدهوراً بعيدا حتى عن الإنسانية فضلاً عن الإسلام هكذا نحن نريد أن نعرف الحقائق ولذا أقول لابد من تمهيد مقدمات لمعرفة الحقائق الكلام عن مصباحٍ في ظلمة واقع أمة قبل أن نأتي إلى السفينة ونجاتها، نحن قلنا إن هناك مرحلتان مرتا، مرحلة انقلاب في السقيفة ضربت المحتوى وأبقت الإطار ومرحلة تجاوز وطغيان على كل القيمبضرب المحتوى والإطار معا في عهد بني أمية بروزا وظهوراً لأفعال يزيد وما ارتكبه معاوية لجعل شاب تافه على هذه الأمة هذا عرفناه، لكن

ادعينا أمرا على أن الأمة عاشت باطلاً وجهلاً عاشت جوراً نسفت الشريعة بكل أبعادها فلا حق في مقابل باطل ولا عدل في مقابل ظلم هذا ما ادعيناه وقلناه، لابد من أمثلة تقربنا إلى هذا الواقع لعل هناك من يقول شيخنا ما هذه الإدعاءات كيف تدعي في حق أمة وهي خير أمة وتقول ما بقي لها أمر نسفت كل حقائقها علماً وعملاً نضرب أمثلة لمن شاء إلى ربه سبيلاً وما راح ليقدس الرجال على حساب الدين وشريعة رب العالمين:نضرب أمثلة للتلاعب بالقيم أو لتلبيس الباطل لباس الحق أو لما قال علي عليه السلام كلمة حق يراد بها باطل:

١ـ في صفين بعد مقتل عشرات الآلاف من الرجال وما يترتب على الحروب من تدهور وإفساد وإذ ببني أمية ترفع المصاحف كأن القرآن نزل في ذاك اليوم معركة طالت واستمرت أين كانوا من رفع المصاحف؟

فإذن لضعف في موقف عسكري رفعت المصاحف فسماها علي عليه السلام كلمة حق يراد بها باطل وهذه الأمة ضاعت بين كلمةحق يراد بها باطل لجهلها وضاعت هذه الأمة بين الحق والباطل أي الباطل المتلبس بلباس الحق وضاعت و.. نضرب أمثلة لأنه بدون مثال والقرآن كله أمثله وقصص يحكي لنا حقائق مرت على الأمم.

٢ـ في بعض الأحيان يكون الباطل معلنا وضرر الباطل المعلن

لا يكون عميقاً وشديداً ومن جملة هذا الباطل المعلن إنكار الصانع، ولذا ما وفّقت أي أمة ولا تمكن أن يسود أي عالم جاء لينكر إلحاداً الصانع تماماً، مرت أدوار وجاء زنادقة ودهريون أنكروا الصانع كانوا فرادى لا قيمة لهم مهما حاولوا على طول التأريخ ما كسبوا أرضية يوماً من الأيام قط وجاء الملحدون في زماننا هذا كالشيوعيين العقائدين وأعلنوها ثورة ضد التوحيد انهاروا بانهيار سيوفهم الدموية وانتهوا وصاروا لعنة لكل أحد.

فإذن نقول كل انحراف وكل باطل مكشوف لا يكون خطره شديد ولذا حينما يتجاوز الأمر من الباطل الصريح بالمائة مائة إلى باطل بقدر قد يجد من يصغي إليه كإبقاء الصانع وإنكار الربوبية ولذا الشرك حصل له من يسمع إليه لأنه أقل بطلاناً من إنكار الصانع ولذا راح مشركوا قريش ليقولوا بصراحة من القول لتقربنا إلى الله زلفا ما أنكروا صانعا ماكانوا كالشيوعيين فإذن الباطل إذا لبسولو قميصاً لا قميصاً وإزاراً وجبّة تامة من الباطل يؤثر، إذا جاء الباطل لينكر صانع سقط بيومين لماذا يسقط بيومين؟ لأنه ثورة ضد العقل والفطرة وكل ثائر ضد العقل والفطرة والعلم الصريح الواقع يحكم على نفسه بالفناء والهلاك ولذا ماسادوا أبدالكن لما يأتي الباطل ويمتزج شيئاً ما مع الحق الصانع لا ننكره نحن إذن ماذا تقولون؟ نقول إن هناك أصناماً وأرباباً هي المدبرة أمراً مثل هذه

الكلمات إنما هي تسمع ومثل هذه الكلمات التي هي مزج بين الحق والباطل قد يستمع إليه الكثير، فإذا جاء الباطل متلبساً بلباس الحق كان أكثر قبولاً وهذه هي فعلة المنافقين.

فلذا أقول الذين أنكروا التوحيد أو الذين قالوا بالشرك كانوا أقل خطرا من الذين جاءوا ليتأملوا في آية أو رواية ليعطوها معنىً لمصالحهم ولغاياتهم، فالمنافقون هم الخطر الأكبر على معالم التوحيد مطلقاً والمنافقون دائما سيوفهم هم الجهال يجد دابة جميلة، هؤلاء هم الوسيلة التي يركبها المنافقون، يقرأ، يتكلم، جباه سود، لحى طوال وأمثال هذه الأمور فتجده ملكا يسير على الأرض إذا نظر إليه المنافق عاش فرحاً أنه وجد سيفاً يقضي على كل الحقائق بواسطته ولذا راح النفاق ليقول لنا نحن لا ننكر توحيداً ولا ندعي إشراكاً بالله وكيف نشرك بالله والآيات واضحة ونحن مسلمون.

فإذن ماذ تقدمون لنا بطبق من ذهب؟ نقدم لكم شاباً أمرد، أنتم تريدون ربا من الصعب على عقولكم أن تدرك رباً أي وجوداً محضاً لا متناهياً أزلياً طرد العدم هذه كلمات صعبة تحتاج إلى معرفة تحتاج إلى عقل وإلى برهان و تحتاج زكاة نفس وعلم نحن لا نتعبكم نحن نأتي بكم بشاب أمرد هو ربكم، فالمنافقون بواسطة الجهال دخلوا لنسف الشرائع وأبقوها والناس عاشت السرور أنها مع

الشرع تعيش، ماذا قال المنافقون؟ الله لا نُنكره كصانع ولا ندعي ولا نقبل صنمية فنحن موحدون لا نخالف نصا بكتاب لكن من الصعب على الناس أن يدركوا دليل الصديقين ومن الصعب على الناس أن يقيموا براهين فلماذا لا نجد ربنا واقفا يوم الحشر جميلاً أمرداً بهذا الضرب بإنزال الحقائق من واقع شهود الصديقين معرفة أو من رفيع مقام العقل دليلاً وبرهاناً إلى مرتبة الحس كالحيوانات هو ما تستريح إليه نفوس الجهال، هكذا دخل المنافقون لتلبيس الباطل لباس الحق مستخدمين الجهال كخوارج النهروان وأضرابهم إلى يومنا هذا كالوهابيين وأضرابهم الكثير من هذا النمط، نضرب أمثلة أخرى حتى لا يستغرب الإنسان ويقول كيف يمكن هذا، والأمثلة كثيرة كثيرة.

١ـ المثال الثاني في النبوة: نحن مسلمون نبينا بلا شك هو محمد صلى الله عليه وآله سيد الأولين والآخرين لا نتردد فيه ولا نبدل له قولاً وننكر له كتاباً هذا النبي العظيم الذي تقرون به معترفين به ماذا تجدونه صدقا معارف فليكن نبيا لكنه قد يهجر، نحن لا نتردد في نبوة محمد صلى الله عليه وآله لكن قد يهجر ونحن لا نتردد في عظم محمد صلى الله عليه وآله لكنه قد يبقى ليله متردداً تأخر الوحي لعله نزل على سقف آخر، نبي متردد مضطرب إذا تأخر الوحي يوماً من الأيام راح خوفاً على أنه قد يكون الله قد غضب عليه أو لعل الله ما وجده أهلاً أووجد

من المسلمين من دخل إلى ساحة الإسلام من هو أكثر منه قابلية وفهما وعزما وغيرة على الدين هكذا قد يتكلم المتكلمون، هو محمد ﷺ ولا نتردد فيه وكيف نتردد في محمد سيد الأولين والآخرين نبي الإسلام لكن هذا النبي حينما نزل عليه الوحي خلط بين نداء الرحمن ونداء الشيطان فنزل خائفا من الجبل ذاهباً إلى خديجة وهي الصديقة فلما وجدت زوجها مضطرباً بهذه الحالة سألته وجدته خائفاً أسمع ساحراً أو دجالاً أسمع صوت شيطان اسمع صوت رحمان هذا النبي يخلط الرجل فأعانته رضوان الله عليها فاستعان بها فسرّ سروراً عظيماً أكدت له ما تقول بابن عمها نوفل فنزل محمد ﷺ سيد الكون حتى عن سائر الناس العاديين وعن الأنبياء العاديين ما سمعنا بنبي خاطبه اللهفكان بهذه المهزلة لكن نبي الإسلام وسيد الكائنات كان بهذه المهزلة هكذا تضرب أسس التوحيد هكذا تضرب قيم النبوة.

هذا الرجل العظيم أتعترفون بمعراج له؟ نعم كيف لا نعترف وهو محمد صاحب المعراج والإسراء لا نتردد أنه يقينا عُرج به إلى السماء هناك منكم من يدعي على أنه عُرج بروحه لعله عُرج بروحه لا القول الأحسن عُرج بنفسه، يعترفون بمعراج لرسول الله ﷺ ويقولون لا نتردد في العروج وهو صلى بالملائكة والأنبياء وراح صعد وجاوز سدرة المنتهى وقف جبرائيل دون ذلك فأخذ الرسول

صلى الله عليه وآله يصعد في بحور النور ويتوغل فيها، أخذ ما أخذ من ربه أوحى إليه ما أوحى نزل فرأى موسى عليه السلام رأى موسى فقال له ما عندك يامحمد ما قال له الكلام كله ما جرى بينه وبين الله من أحكام ومن شؤون ومن إسلام فنظر إليه موسى نظرة تأمل ناصحا إياه يا محمد أنت لا تعرف الناس بعدك ما عايش مرارة الناس لو ترجع إلى ربك وتبين له على أن الناس لا طاقة لها بكذا صلاة تأمل قليلاً ما فوجد كلام موسى كلاماً صحيحاً رجع إلى ربه لماذا؟ الله ما كان على الأرض ليعيش هذا الواقع لكن موسى عاشه فالله لم ينزل على الأرض الله لم يلمس القضية لمساً خارجياً واقعياً عاش الله هذا الواقع العلمي وهي مقدرة البشر بعلمه الأزلي أما ككونه يلمسه لمساً موسى لمس هذا الواقع الله ما لمسه، راح محمد صلى الله عليه وآله مرة ثانية راجعا إلى الله قال محمد صلى الله عليه وآله لربه لربما ما قدرتوا الأمور هذا ليس من عندي من عند موسى ماذا يقول قال موسى عليه السلام يقول على أن الناس لا قابلية ولا استعداد لها بهكذا صلاة، ومرة أخرى نصحه موسى ذهب ورجع حتى وصلت الصلاة إلى الصلاة الخمسة في أعدادها أمثل هذا محمد ومثل هذا موسى يبين أمرا لربه لمن هو فوقه مكانة كمحمد صلى الله عليه وآله، لا هذا هو رب الذي يجهل واقع الأرض ولا هذا هو سيد الكائنات الذي يستعين بموسى هكذا تضرب أسس النبوة فإذا ضربت أسس التوحيد والنبوة أنها تهجر تارة

وتنسى أخرى وتغفل في موطن ثالث وتخطئ في رابع وهكذا نبوة تخلط بين نداء الرحمن ونداء الشيطان ولا تعرف مقام ربها بل تحتاج إلى موسى في معرفة الله وتجد الله مخطئاً ترجع وتذهب وتأتي إذا ضرب هذا العظم بقدسيته تمكن آخرون أن ينالوا منه حيث ما يشاءون هذا ما ابتليت به الأمة نقولها وقلوبنا تقطر دماً نقولها ونحن نعيش الحزن على أمة صدقت حتى مثل هذه التفاهات من الأقوال راحت لتعيش انحداراً بالنسبة إلى ربها وجدته بأحاسيسها لا بعقلها و وجدانها وفطرتها وجدته شابا أمرد، نزل الله من المدرك العقلي والشهود للصديقين إلى أن يكون محسوساً من عالم الإمكان جوهرا وعرضا ونزل محمد صلى الله عليه وآله سيد الكائنات معجزة عالم الإمكان عن النبوة إلى أن كان يهجر ونزل أن يخلط بين نداء الرحمن ونداء الشيطان وماسمعنا أن نبيا هكذاوقع في خلط ونزل هذا الرجل العظيم معجزة عالم الإمكان أن يشك في مقدرة ربه في تشخيص المقادير حكما للبشرية مستعينا بموسى عليه السلام مصدقا مؤيدا موسى في مقابل ربه ما بقينا إلا أن نقول وإن يوماً من الأيام كان محمدا صلى الله عليه وآله يسير فنزل الله فقبض عليه قبضة قوية فصرعه وأراد منه شيئاً كما قالت اليهود بالنسبة إلى بهض الأنبياء، مابقي لنا شيء ما ادعيناه هكذا مع كل الأسف نحن نعيش جهلا لماذا نعيش هكذا؟حينما يختلط الحق بالباطل حينما نقيم الرجال

ونقبل منهم كلمة غير معقولة ناسين مقام الربوبية ناسين مقام الصانع تعالى ناسين مقام عظم النبوة لمحمد صلى الله عليه وآله، القدسية للرجال تجعل غشاوة نصبح نخلط ونقبل مكتوباً ولو ينزل بنا إلى الحضيض.

٢ـ أنا أضرب أمثله حتى نعيش واقعا حتى نعيش بياناً لهذا الحديث الشريف كيف يتكلم سيد الكائنات صلى الله عليه وآله ويَسم الحسين عليه السلام مصباح الهدى، وهو شمس الهداية فإذن مصباح هدى لأمة عاشت ظلمة دامسة، المثال الثالث :يأتي المتكلم ويقول لا نتردد فيما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في المرحلة الثانية أو الثالثة بعد التوحيد والنبوة «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] نحن لا ننكر أبداً في أي موطن وجدتمونا أنكرنا مثل هذا الواقع نحن لا نتردد لكن الإمامة المراد بها هي سياسة حكم ونظام وليست خلافة ربانية لمواريث النبوة، كأن محمداً صلى الله عليه وآله جاء فوجد العرب أذلاء فأراد لهم عزا فشكل للعرب حكومة وسلمها للسياسين، محمد صلى الله عليه وآله سيد الكون محمد الرحمة للعالمين أيوصف بهذا الوصف.

إذن هي أمر سياسي وليست إمامة إلهية هذا على خلاف بقية سنن الله تعالى أم لا؟يحاول البعض أن ينكر ويحاول البعض أن يجعلها قضية خاصة برسول الله صلى الله عليه وآله، الخلافة أو الإمامة لرسول الله

١ـ كمال الدين وتمام النعمة ٢ : ٤٠٩، ح ٩.

نزلت من كونها خلافة لمواريث النبوة صارت خلافة في أمر وحكم سياسي لحكومة هكذا نزل مستواها يا ليتها نزلت إلى مستوى الحكم، والحكم يحتاج إلى علم و إلى عدل، فقالوا لا نحتاج إلى علم ولو بالوراثة ولا نحتاج إلى عدل ولو كان الحاكم فاسقا جائرا فهو أمير المؤمنين وعلى الناس أن يطيعوه ومن تخلف عنه قام إجماع المسلمين أن نكون مع إمامنا ضد الإنسان المؤمن ونضربه بيد من حديد حتى يتأدب كل مؤمن أن لا يتكلم في مقابل أمير المؤمنين، أليس هذا هدما لأركان الدين؟ أليس هذا سحقاً للموازين؟ ولهذا قلنا حينما الحسين عليه السلام قال: «وعلى الإسلام السلام حينما ابتليت الأمة براع مثل يزيد» ، إمامته فقدت عصمة وفقدت كونها إمامة لمواريث النبوة لأن الذي ترثه ترث نبوة، ترث نبوة لرسول الله، بعد هذا هل توقفنا عند كونها سياسية تريد بيان علم وتحقيق عدل؟ كلا بل بالمواريث ولو جاهل فاسق وجائر ومجرم لا مانع من ذلك هكذا تنسفت الشريعة ولذا قلنا نسفت ببعدين بمحتواها الداخلي وببعدها بإطارها ياليتها نسفت فأنكرت، لو أنكرت لحصل تنبيه من البعض من بعض الغافلين أن هجمة حصلت على دين الله، ما نسفت تحت راية الشرك ولا الإلحاد نسفت تحت راية المنافقين الذين لبَّسوا الباطل لباس الدين، وهذه هي المشكلة الكبرى في كل زمان وكل مكان ضربت اليهودية من

هذا الطريق وضربت النصرانية و جميع الأديان من هذا الطريق، ما ضربها ملحد، الملحد يده لا تدخل في كنيسة ولا في بيع ولا في حسينية ولا في مسجد الذي تدخل يده ويتمكن أن يصعد المنبر و يهزه ويجعل الأبرار تحت قدميه ساحقا إياهم هم هؤلاء.

فإذن أقول هكذا كانت الأمور هناك روايات تتكلم عن الجماعة وأنه لا يجوز شق عصا المسلمين.

٣ـ من هم الجماعة: الجماعة هم جماعة الحكم وأعوان السلطان، لا جماعة العلم ولا جماعة التقوى ولا جماعة الإيمان ولا... الجماعة التي أراد رسول الله أن يتكلم عنهم ولا تشق صفوفهم هم جماعة الحكام من تأمل سيجد أن الجماعة المقصودة على طول التأريخ بما فسرها المفسرون أنهم جماعة الحكم هكذا تلاعب المتلاعبون فما أبقوا شيئاً يمكن أن ينسفوه إلا نسفوه، ماذا تقولون بالسنة النبوية هل هي عدل القرآن وعدل كلام الله تعالى أم لا؟ قالوا لا نتردد على أن السنة النبوية هي عدل الكتاب وهي شارحة للكتاب لكنا ماذا نصنع أمة قد تجهل وتخلط بين الكتاب والسنة نمنعها عقدين ثلاثة او عشرة من الأزمنة حتى يترسخ القرآن نحن نريد كتاب الله وهو مقدم على السنة، هل الله يقاس بمحمد صلى الله عليه وآله؟ كلا، الله رب محمد صلى الله عليه وآله ومحمد صلى الله عليه وآله عبد الله تعالى، هذه السنة ماذا تقولون بها لاقيمة لها؟ لا كيف تكون السنة

لا قيمة لها لكن ماذا نصنع و نحن نغار على كتاب الله ونخاف من جهل الجهال أن يخلطوا بين الكتاب والسنة فأيّها الناس عليكم أن تتركوا فعلاً سنة محمد ومن جاءنا بحديث عن رسول الله يؤدب ونقف معه موقفا شديدا فتركت السنة تحت أي عنوان؟ هل تركت السنة تحت غطاء الإلحاد؟ كلا هل تركت تحت غطاء الشرك عاد مرة ثانية ليقول من هو هذا محمد اتركوا سنته؟ كلا لا دخل شيوعي ليمنع سنة ولا جاء مشرك ليحيي شركا بهجوم على سنة سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله، منعت تحت لفيف من القول سليم لطيف جميل يقولون نخاف، و غيرة على الإسلام تركنا السنة، نخاف أيها الناس نحن نعيش غيرة على كتاب الله ونخاف من سنة رسول الله أن تختلط بكتاب الله فإذا تركت السنة وما شرح الكتاب أضاع الكتاب معها أم لا؟ فإذن نسف الكتاب والسنة معا تحت عنوان المحبة والغيرة على كتاب الله هكذا يتمكن أن يتلاعب المتلاعبون هكذا يمكن أن نجعل الباطل حقاً وهكذا نتمكن أن نأتي بكلمة ونريد بها باطل، والكلام كثير طويل لوجئنا إلى الشورى لوجدنا كيف تلاعب بها المتلاعبون، الله صريح في كتابه يقول وأمرهم شورى بينهم الشورى شورى المسلمين صارت شورى الأنصار والمهاجرين ثم صارت شورى للمهاجرين فقط، ومن يتردد فليراجع ليرى كيف تلاعب المتلاعبون بالشورى

وكيف تلاعب المتلاعبون بالجماعة وكيف تلاعب المتلاعبون من المبدأ الصانع تعالى بأنه شابا أمرد إلى أمور أخرى وسنشير إلى ذلك أكثر فأكثر وعلى الناس أن ترجع إلى ربها وتحاسب نفسها وتبتعد من تقديس الرجال وأن هناك يوماً سيندم كل إنسان قدس على حساب كتاب الله صحابيا أو عالما أو زوجةنبي والحمد لله رب العالمين.

ما معنى المصباح في قول الرسول صلى الله عليه وآله إن الحسين مصباح الهدى؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات نعيش في رحاب الإمام الحسين عليه السلام والحديث المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى الحسين عليه السلام وهو «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»(١).

لكن أستميحكم عذراً قبل ذلك لأقرأ على مسامعكم بعض الأبيات من قصيدة نظمتها في الإمام الحسين عليه السلام لعلها تروي حال هذه الأمة بما يناسب المقام:

فأخاطب الحسين عليه السلام قائلاً:

يا راسم الدرب لركب الأباة ... نحن على نهجك يا بن الهداة
يا صرخة فوق عروش الطغاة ... يا ثورة الحق على المحدثات
لم تنسك الأيام يبن البتول ... ولم يدانيك ظلام الأفول
فأنت فوق الأفق يابن الفحول ... وفوق طيش لسهام العذول

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤: ٥١، ح ١٣٣.

أنت سلام فوق سفر الدهور		أنـت هديـر فـوق جـور القـصور
أنـت نـسيم فـوق مـاء الـبحور		أنـت قـضاء فـوق زحـف الشرور
يـبن الهـداة الغـر يـبن الكـرام		قـد لعـبت بالـدين أيـدي اللـئام
وعـاد باسـم الحـق جنـد الظـلام		وأودع الــسجن دعــاة الــسلام
لـو جئـت ذا اليـوم لقـال الشقاء		هــذا كـفـور أيــن مـنه القـضاء
ولاستبيحت منك باسم السماء		والحـق يـا مـولاي حتـى الـدماء
زمانــنا هــذا زمــان عجـيب		فــيه حمــاة الــشاة فهـد وذيـب
وفـيه للعلـياء شـمر خطـيب		فيالعمـري كـل شـيء مـريب
وعـود كـذبٍ كبريق السراب		وعـيش ذل فـوق ربـع الخـراب
سـبائك التبـر لـشيخ وشـاب		ومن أبى فالسيف مسك الخطاب
قـد ألـبس الـشك لبـاس اليقين		وصـيّر الكفـر إلـى النـاس ديـن
وقـيل بعـد المكـر للغافلـين		هــذا سـبيل الحـق والـسالكين

هذاياسيدي ومولاي هو واقع حياتنا اليوم لم تتغير عنه هذه الأمة عن ماكانت عليه في زمانك يا سيدي ويا مولاي وإنما اختلف الزمان والمكان ولم يتغير أمر من تشويه وتضليل وألقاب وعناوين كبيرة صامتة لم تتكلم عن أمر وآخرون يلعبون حيثما يشاءون.

فنعود مرة ثانية إلى ما كنا عليه بإشارة موجزة ببعض الأمثلة التي هي نهر من بحر للتلاعب بالقيم لرسالات السماء التي حصلت

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، قد تقدمت الإشارة إلى نماذج منها في المحاضرة السابقة ولا أريد أن أكثر من الأمثلة فإن من شاء إلى ربه سبيلاً بعيداً روح الجدل والمغالطات وتقديس الرجال والنساء على حساب الدينهو سيجدإن كان بحَّاثة إن كان غيوراً على الإسلام سيجد أمثلة لا تعد ولا تحصى من التلاعب الذي حصل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله.

وعلى هذا نقول إنما قاله الإمام الحسين عليه السلام: إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، ببعض هذه الأمثلة نعرف أن الحسين عليه السلام ماذا كان يقصد من هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:قلنا إن الأمة ما أنكرت توحيداً ورجعت إلى شرك وقلنا إن الأمة ما جاءت لتقول لا حاجة لنا بسنة رسول الله وأن الأمة ماجاءت لتقول يوماً من الأيام على أن بعض السور أو الآيات يجب أن تحذف كل هذا ما حصل والحسين عليه السلام يقول على أن الأمة وصلت إلى التدهور التام وشرحنا لهذا الحديث يثبت غيبا أشار إليه الرسول صلى الله عليه وآله من تدهور هذه الأمة، فأردنا أن نضرب أمثلة حتى يتوجه الإنسان أننا لا نتكلم شعرا وأننا لا نتكلم أوهاماً أردنا أن نلفت النظر لمن يريد أن يحقق ويدقق على أن هكذا واقع قد حصلفي ضمن عقود من الزمن لم تتجاوز الخمسين عاماً فمن أراد بنفسه بدون أن يذهب ذليلاً مقيداً

عقله وفطرته ومسلّماً دينه للرجال ليبحث عن القرآن المجيد ومايمكن أن تؤدي إليه الآيات الشريفة والسنة النبوية ومايستفاد منها أفاد نفسه، ومن تدرع للجدل عن قوم مضوا ليدافع عنهم نحن لا نريد ولانستعطف من أحد أن يؤيد كلمة قلناها جئنا بواقع أمر مَن قبله فليقبل ومن لم يقبل يضر نفسه وليبقى مجادلاً مرت هذه الأمة تجادل عن حكام ظلمة (١٤٠٠) سنة فليضف إلى ذلك ألف آخر، لنعرف أن أي معروف أضيع وأي منكر كان سائداً في المجتمع الإسلامي تحت غطاء من التوجيهات و التأويلات أضف إلى ذلك الظلم والجور إن جئنا لننظرإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تلاعب بها المتلاعبون لوجدنا بابا واسعا لو جئنا لننظرإلى كتاب الله كيف فسر بتبع الهوى لوجدنا أمراً عظيماً، لكن أضف إلى كل ذلك الجور الذي كان سائدا على هذا المجتمع طيلة هذه القرون أضف إلى ذلك الظلم والجور الذي كان قائماً حتى أصبحت شريعة تنسج له الكثير من الأحاديث على أنه على الناس أن تصبر وتتحمل وأن لا تتكلم وأن الإجماع قائم على الصمت ولو لا أن الصمت شريعة لما صمت الأصحاب و التابعون وماشاكل هذا النسيج العجيب الغريب الذي أذل الأمة فجعلها مستسلمة للذل والهوان، وأذل الأمة فجعلها مستسلمة لتفسير كتاب الله وسنة نبيه من قبل وعاظ السلاطين فعاشت جهلا وذلاً فجمعت بين الجهل

والذل معاً.

حتى راح الحاكم وهو يسمى بأمير المؤمنين ليعطي لشاعر يمتدحه آلاف الدراهم أو الدنانير ثم يعطيه جارية لترد عنه وحشة في ليالي أنسه وطربه ليستعيد الشاعر قواه مرة ثانية لينشد أمير المؤمنين بقصيدة جديدة آملا منه آلافا أخرى من الأموال وبدلامن الجارية عشرة لأنه يصبح من المقربين المخلصين وهذا ما شاهدته الأمة، هذا لم ندعه نحن على خلفاء بني أمية ولا بني العباس هذا ما شاهدته الأمة وكانت صامتة فإذن هذا شرع الله.

ثم جاء مع الأسف أعوان السلاطين ليخدعوا هذه الأمة قائلين لو لا أن الصمت عن الحاكم كان شرعاً لما صمت عن ذلك أولئك العظماء من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهكذا راحت لتنسج مثل هذه الكلمات وتلبّس دين حتى أصبح بعد كل هذا النسيج على أن الساكت عن الحق الذي وصفه الرسول صلى الله عليه وآله بأنه شيطان أخرسأصبح الشياطين بهذا الوصف زهاد هذه الأمة هكذا تبدلت القيم، أصبح الساكت عن الحق الذي وصفه الرسول بالشيطان الأخرس أصبح هذا الوصف وصف زهادنا مع كل الأسف.

نريد نحن أن نخرج من ذل نعيشه لماذا هذه الأمة الإسلامية التي يجب أن تسود البشرية علما و عدلا وحكمة ومعرفة لماذا

تعيش هذا التدهور والجهل لهذا الجهل والتدهور أسباب، هذه الأسباب يجب أن يبحث عنها لنرى ماهي الأسباب التي جعلت المسلم ذليلاً جاهلاً يتقبل المذلة من الحكام، يتقبل الخرافات يعيش ليله ونهاره تحت منابر وعاظ السلاطين يسمع الخرافات ويراها بديهية في خرافاتها لكن يستسلم لها لنسيجها ولأنها أصبحت شريعة، لعل كلمة تخرج إنساناً من غفلة وهذا يكفي لإنسان على أنه كان سببا لهدي إنسان ولو واحد من ملايين البشر، بعد الإشارة إلى هذه المأساة التي أوصلت الأمة إلى ما أوصلتها إليه جهلا وذلا نعود لنستنطق الكلمات الصادرة من سيد الكائنات رسول صلى الله عليه وآله حيث يقول: ولو فعلنا ذلك لما ضحك علينا المتلاعبين ووعاظ السلاطين لو استنطقنا الكلمات والآيات وعشنا سيرة العظماء التي هي ثورة ضد الجهل والظلم والاضطهاد والبؤس لما عشنا هذا الجهل والذل والهوان.

فإذن من جملة هذه الكلمات التي نريد أن نستنطقها ونحن في رحاب الحسين عليه السلام قول الرسول صلى الله عليه وآله «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[(١)] من تأمل في هذا الحديث الشريف وجد الرسول صلى الله عليه وآله ينظر ومن وراء الغيب حزيناً وهو يرى الأمة تعيش

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤: ٥١، ح ١٣٣.

الظلمات التي كدرت فطرة وحجبت عقلاً عن شهود معالم الشرع فأصبح بمنظارها الباطل حقاً والجور عدلاً، فهي ظلمة أشد من ظلمة ليالي الجاهلية لماذا؟ قلنا أن الجاهلية قد توجد فيها فطرة سليمة قد يوجد فيها عقل سليم أما إذا ضربت موازين العقل تحت نبرات سماوية بحسب ظاهرها وضربت الفطرة فيصبح الإنسان حينها يخلط بين الموازين وهذا ما حدث لهذه الأمة.

ثم يجد المتأمل أن الكلام من الرسول صلى الله عليه وآله عن مصباح واحد: ماذا يقول الرسول صلى الله عليه وآله: إن الحسين مصباح الهدى.

فإذن الرسول صلى الله عليه وآله يتكلم عن مصباح واحد وقد تقدم الكلام، ما تكلم عن شمس لأنه يتكلم عن ظلمة أمة فيها مصباح وهذا المصباح واحد لأنه قال إن الحسين مصباح الهدى ما قال أن هناك مصابيح وأن من هذه المصابيح مصباح حسين عليه السلام، يجد المتأمل أن الكلام عن مصباح واحد وأنه لا مصابيح أخرى فضلاً عن وجود شمس.

فإذن لاشمس ولا مصابيح إلا مصباح واحد في هذه الظلمة، وهذا المصباح لا يشاهد نوره كما سيأتي في تفسير الآية التي تتكلم عن النور والمشكاة سنشير هناك بأكثر مما نشير إليه في هذه الليلة وهذا المصباح لا يشاهد نوره كما سيأتي بيانه إلا من كان

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[1] يعني هذا المصباح واقع في مكان لا يتمكن كل إنسان أن يشهده ويراه بما يحمل من نور إلا أن يكون طاهراً زكياً يريد الحق فالله يهديه إلى ذلك الحق إن وجده أهلاً لذلك في مثل هذه الظلمات بأن كان يمتلك يقظة ضمير وسلامة عقل لأنه تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

والآن نأتي لنستنطق الكلمات ومن الكلمات الواردة في هذا الحديث كلمة المصباح: إن من الواقع المعلوم الذي لا ريب فيه أن المصباح لا يستخدم في النهار والشمس مشرقة إذن الحديث يتكلم عن ظلمة، الشمس المشرقة ما هي هذه الشمس حتى نرى أن الرسول يتكلم عن مصباح في ليل والشمس ليست موجودة، الشمس هي شمس نور الكتاب المجيد، الشمس هي شمس سنة النبي الكريم صلى الله عليه وآله، هذه هي الشمس وهي الثقل الأكبر في هذا الحديث هذه ليست موجودة، لعل قائلاً يقول كيف ليست موجود السنة موجودة والكتاب موجود الكتاب المفسر بتبع الهوى للحكام والسنة التي هجرت ثم أعطيت بأيدي أناس معينين كتبوها تحت ظل بني أمية أي سنة هذه؟ وماذا حذف منها وأي شيء تلاعب به

١ـ سورة النور، الآية ٣٥.

المتلاعبون؟ فعلينا أن نلتفت حتى لا نمر على الكلمات مرور غافلين فالشمس الذي يشير إليها الحديث الشريف هي شمس هداية شرع الإسلام بكتابه وسنته وسيرة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، هذه الثلاثة كلها أضيعت فسيرته فسرت بتبع الهوى وسنته منعت لتقع بأيدي قوم كبني أمية يأتون برجال معينين وكأن الأمة لا رجال فيها، لورجعنا إلى السنة لوجدناها قال أبو هريرة وقال فلان وقالت فلانة أين هذه الأمة لماذا فارس ميدانها كأبي هريرة أليس في الأمة فارس آخر؟أليس لرسول الله نساءغير المرأة المعينة، لا نساء لرسول الله ولا نساء للأنصار والمهاجرين ولا نساء لبني هاشم ولا حديث عن خديجة ولا حديث عن أي امرأة أخرى أهكذا تكون سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فعلى الأمة أن تتأمل أين ذهبت هذه الأمة الإسلامية بكلها وتمامها ثم يؤتى بنسيج من الخرافات بأن زيدا طلب من رسول الله أن لا ينسى والبقية ما طلبوا من رسول الله فهم أصيبوا بالنسيان وفلان ما نسيى، مثل هذا النسيج أيمكن أن يقبله عاقل؟ قبلته هذه الأمة كما أن أبا هريرة طلب من رسول الله أن لا ينسى يقينا هذا يدفع بالأنصار والمهاجرين أن يطلبوا من رسول الله أن لا ينسى ولماذا هذا يطلب والبقية لا يطلبون وهذا خير كثير مثل هذه الكلمات مع كل الأسف تمر ولا يتأمل فيها أحد .

فإذن إن الحسين مصباح الهدى المصباح يستخدم في ليل

يشير الرسول فيه إلى ليل ظلمات هذه الأمة فلا يرون مصباحاً وقد أشرت بالنسبة إلى رسول الله وهوسيد الكائنات ماكان مصباحاً حتى ماكان بقدر مصباح في الجاهلية لأهل الجاهلية هكذا حينما تنطمس الفطرة ويحجب العقل، اين النور أين الشمس إذنالشمس هي كتاب الله وسنة رسول الله والشمس هي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه الأمة ليومنا هذا وكل إنسان قبل أن يهاجم غيره عليه أن يرجع بنفسه هل إتبع ليرى ما هي سيرة رسول الله حقا ثم ليطبقها على الرجال؟ هل هو بنفسه راح ليقرأ هذه السنة بما هي هي ويقرأ كتاب الله؟ هذه كلها متروكة وكل شيء يريده المسلم من العلماء، نحن لا نريد أن نخدش من كرامة العلماء هناك من العلماء هم من رجال الله لكن الأكثرية ليست كذلك، إذن الحديث الشريف يتكلم عن ظلمةلأنه يتكلم عن مصباح في ليل وعندها يجد المتأمل أن هذا الحديث الشريف يروي واقعا كانيجري في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، أرجو التوجه إلى أمر آخر نستفيده من هذا الحديث: حينما يأتي الرسول صلى الله عليه وآله هذا الحديث ما قاله الرسول في سنة (٦١) من الهجرة قاله في زمنه وماجعله كوصية للحسين يعطى إليه في سنة (٦٠) أو (٦١) من الهجرة هذا كلام إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، قاله رسول الله بمشهد ومرأى من الأمة الإسلامية، كيف يطلق مثل هذا الحديث.

هنا يجب علينا أن نتأمل أن رسول الله يتكلم مع أمته ويقول: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»[١] نحن نمر عليه مرور الكرام بركة أن الرسول هكذا قال، لولا أنه كان يتكلم كرارا وتكراراً عن انحراف هذه الأمة وعما ستقع فيه من الظلمات وتدهور في فهم كتاب وسنة وسيرة وذل وهوان تصل حالتها كالذين كانوا في عهد نوح عليه السلام لا منجي لهم إلا تلك السفينة، كل هذا الواقع يطوى عنه الصفح.

إخواني أخواتي يجب علينا أن نتأمل في واقع الكلمات لنرى أن الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»: من حقه أن يقول له القائل: يا رسول الله الامة الإسلامية كلها مصباح هدى وكلها سفينة نجاة لكن ما قال قائل ولا حدّث التأريخ أن قائلاً خاطب الرسول بهذه المقالة لماذا ما حدث التاريخ بذلك؟ لأن الرسول صلى الله عليه وآله كان في زمانه يتكلم و يكرر ويكرر أن الأمة ستنحرف وأن الأمة سوف تعيش غباءً وأن الأمة ستستسلم للفراعنة وأن هنالك دجالين سيأتون لإذلال الأمة باسم الدين وأنها ستستسلم للفراعنة وأن وأن ..... كل هذا يطوى، ما سمعنا حديثاً يوماً من الأيام بأن هناك من قال ما هو الداعي لكي يقول الرسول صلى الله عليه وآله إن

١ـ مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ٤: ٥١، ح ١٣٣.

الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة ما هو الداعي؟ لماذا تطوى هذه الحقائق يجب علينا أن نرجع إلى عقلنا وفطرتنا و وجداننا، لنرى لماذا الرسول صلى الله عليه وآله يتكلم بهذا الكلام الدال على تدهور حال هذه الأمة التي تحتاج إلى مصباح وسفينة.

فإذن كانت حياة الرسول كلها كلمات تحكي تدهورأمة يريد أن يؤكد لهاعلى أنها إن أرادت النجاة فلا شمس، ما معنى لا شمس؟ هل أن القرآن ليس موجود؟ لا موجود لكنه مهجور و هل هناك لا سنة لا السنة موجودة لكنمتلاعب بها هل أن لا سيرة؟ السيرة موجودة ولكن مفسرة بتبع الهوى فإذن الشمس منتهية لماذا هذه الأمة تطوي عن هذه الحقائق صفحاً ولا تأتي لتبين لنا حقاً وواقعاً أنه تحت أي ظروف وأي واقع راح الرسول صلى الله عليه وآله ليتكلم بمثل هذا الكلام؟ لماذا لا يتكلمون كل ذلك خوفاً أن يقول القائل فإذن الرسول صلى الله عليه وآله كان يرى تلاعباً وإذا كان يرى تلاعباً فهناك إستفهام عن حال الصحابة و التابعين، هذا التعتيم الإعلامي كله والتضليل والتشويه كله من أجل أن يحفظوا رجالاً على حساب الدين، العاقل يسأل من نفسه لو أن الرسول تكلم عن أحد ذريته الذين سيأتون بعد ألف سنة لما كان مدعاة للاستغراب، يتكلم عن حسين عليه السلام الموجود الآن حتى لو فرضناه طفلا الآن، هذا الحسين الموجود يقيناً بحسب العقل وبحسب كل شيء على أنه في زمانه

الكثير من الصحابة موجودون والكثيرمن التابعون، هذا واقع فكيف يتكلم رسول الله بهذا المنطلق عن الحسين عليه السلام، ولماذا يتكلم في حديث آخر قائلاً: «إن الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا» لماذا لا تسأل الأمة ما معنى هذا الحديث؟ أمير المؤمنين موجود أي إمامة هذه؟ يزيد أمير المؤمنين ومعاوية أمير المؤمنين، وهكذا، مفصّلاً قياماً وقعوداً يعني ثورة وعدم ثورة ولا يراد من القعود صمت تلاعب كما هو صمت بعض العلماء ولست بصدد شرح هذا الحديث لأنا في حديث آخر.

فإذن أؤكد لو رجعنا إلى عقولنا وابتعدنا عن تقديس الرجال وجئنا لنستنطق الكلمة ثم ننظر إليها بعمق، أنها كيف قيلت وتحت أي ظروف و واقع تكلم بها الرسول، فإذن الرسول صلى الله عليه وآله لمن أراد أن ينظر بدقة بعيداً عن الجدل والمغالطات يجد الرسول صلى الله عليه وآله ما تكلم بمثل هذه الكلمات إلا وهوبعشرات المرات فوق المنبر ولخطابات وأحاديث متعددة كان يحكي انحراف هذه الأمة وتدهورها كان يريد لهذه الأمة أن تخرج من تلاعبها، يريد أن يبين أن من بعدي سيحصل تلاعب من الصحابة ومن التابعين فمن شاء إلى ربه سبيلاً عليه أن يتمسك بالحسين عليه السلام،هذا كله لا كلام عنه وما وجدنا أحداً يوماً من الأيام جاء وقال أنا نريد أن نرى الدواعي التي دعت لمثل هذا الحديث ولمثل الحديث الآخر إن

الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا، ثم يجد المتأمل في الحديث ثانية أن الحديث لم يبشر هذه الأمة بخير، كأن قائلاً يقول الحمد لله رب العالمين أمة ضاعت أي ضاع ثقلها الأكبر وهو الكتاب المجيد بما له من الشرح والتفسير وهي السنة النبوية بما لها من التطبيق وهي سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمله الخارجي لكن الحمد لله الرسول بشر وقال إن الحسين مصباح الهدى يعني غفلة تمر على هذه الأمة ولها حسينها، حسينها سيكون مصباحاً وسفينة نجاة، نأتي إلى هذا المصباح حتى نعيش واقع أمر، هذا المصباح حينما دعى إلى حق وأمر بمعروف ونهى عن منكر وقال إني أريد أن أطلب وأن أدعو إلى الإصلاح في أمة جدي كم كان له من ناصر؟ حتى نرى كم استضاء بهذا المصباح؟ فوجئنا بأن الذين أعانوا يعني شاهدوا نور هذا المصباح وجاءوا يستضيئون بنوره هم قلائل لا يتجاوزون المئة من أمة تامة، هذا أي مصباح استفاد من نوره المسلمون.

فإذن المسلمون ما استفادوا من هذا النور لأن هذا المصباح بما له من العلم وبما له من سفينة نجاة تخرج من الهلكة ما خرجت من الهلكة من هذه الأمة بكلها وبتمامها إلا عدد هو دون المئة.

فإذن هاهنا يجب أن نتأمل مرة ثانية هل أن الحديث الشريف بشر أمة بعد الغفلة والجهل بوجود مصباح ستستفيد منه تخرج

بنوره من ظلمة وتخرج بسفينته من ذل وعار وهوان تحت وطأة الظالمين؟ كلا لماذا كلا، لأن الحسين عليه السلام وهو المصباح وهو السفينة حينما ثارعلى الجهل وثارعلى الظلم والاضطهاد هل نصرته الأمة؟ ما نصرته الأمة.

فإذن هذا الحديث ما كان يبشر هذه الأمة بشيء كان فقط إقامة حجة على هذه الأمة، على أن الأمة ستسحق بكل قيمها ولها الحسين إن شاءت وواقع الأمر يظهر أن الأمة ما شاءت وإلا لو شاءت لما كان أنصار الحسين عليه السلام بهذا العدد، هذه كلها تأملات لمن أراد أن يخرج مما هو فيه .

ثم يجد المتأمل أن الحديث لم يبشر الأمة بخير لوجود هذا المصباح لأنها ما استفادت من هذا المصباح لتخرج من جهلها بنوره وما استفادت من هذه السفينة لتركب معها لتخرج من هلاكها ولهذا فقدت دنياها وآخرتها.

فإذن هذا الحديث لا يخدع شخص نفسه ويقول الحمد لله غفلة أخرج هذه الأمة الحسين بمصباحه وبسفينته فأخرجها إلى العلم أخرجها إلى العز أبدا ما أخرجها، أخرج أفراد قلائل أقيمت الحجة على الأمة ليوم الحساب وكانت سببا للتنبيه والخروج من الغفلة لبعض الناس كالتوابين، كالمختار هؤلاء قلائل وراحت الأمة مرة أخرى لتستسلم إلى بني أميه أو بني العباس، وبالجملة التعبير

في الحديث الشريف بالمصباح فيه سر عظيم على كل إنسان أن يتأمل فيه بدقة ليجد أن هذا المصباح أين شمسه؟ ولماذا لم يتكلم المسلمون عن دواعي هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله !.

نأتي الآن إلى كلمة المصباح هو السراج وكلما يستضاء به وهو مشتق من إسم الصبح، كأنه يكون بديلاً عن إسم الصبح حينما تذهب الشمس يكون المصباح بديلاً عن الصبح فهو آلة إضاءة إن غابت الشمس أي شمس إن غابت يكون هذا المصباح بديلاً عنها؟ هي الحقيقة المحمدية بكل ما جاء به من عظم كتاباً وسنة وسيرة، فالأمة لم تعش نهاراً ولا صباحاً ولا ليل ذي أنجم كثيرة ساطعة بل انكدرت جميع هذه الأنجم، لعل قائلاً يقول هناك من دعى إلى حق وقام بثورة ضد بني أمية مثل من؟ ككل من قام على بني أمية ومن هؤلاءعبد الله بن الزبير حتى راح يوسم بقديس وزاهد وتقي هذه الأمة، هذا التلاعب والخداع يكذبه حديث رسول الله: «إن الحسين مصباح الهدى» لو كان يرى الرسول صلى الله عليه وآله في نهضة بن الزبير خيراً وأنها ليست نابعة لطلب زعامة وأنها افتراء ودجل لماذا لم يأتي به في الحديث فيقول إن الحسين وبن الزبير مصباحان لهذه الأمة، فقوله إن الحسين مصباح الهدى لمن شاء إلى ربه سبيلاً بعيداً عن التعصبات والجاهليات والمغالطات لوجد أن هذا الحديث ينسف كل مدع كان يدعي أنه يريد القيام للحق ويحكي

ضمائرمن قاموا ضد بني أمية غير الحسين عليه السلام أنهم ماقاموا إلا لمصالحهم الشخصية نزاعا على الكراسي، هناك تأمل آخريجب أن ننظر إليه: هلا كان هناك من الرجال ما يمكنوا أن يكونوا مصباحاً، يعني الأمة ما بقي فيها رجل يحمل روح التقى والإيمان ؟ نقول لا نريد أن ننكر ذلك وحاشا لله المتقون على أنحاء وأقسام منهم من كان يعيش السجون ومنهم من كان يعيش الإضطهاد يفر من بلاد إلى أخرى ومنهم من كان لا يعرفه الناس فلا يكون مصباحاً كم من تقي وتقي لا مكانة له اجتماعية، الذي يمكن أن يكون مصباحاً للهداية الرسول يتكلم عنه، عبدالله بن الزبير يمكن أن يكون مصباحاً للهداية لأنه كان معروفاً بن فلان له ارتباط بنسب رسول الله له مكانته فيمكن أن يكون مصباحاً فما اعتبره الرسول مصباحاً فهذا ليس بدليل على أن الأمة كانت خالية من مصباح ومن أناس أتقياء، لكن الذي يكون مصباحاً من تنظر إليه الناس هو الذي يمكن أن تستفيد منه الناس ويمكن أن تثق به وتعرفه الناس والسجون كان مملوءة من كثير من الناس، سطوة بني أمية ودجل الدجالين من العلماء الذين هم من أعوان البلاط نسفتهم نسفا فأصبحوا ملوثين بإدعاءات الإعلام هذا ما تمكن منه بني أمية بالنسبة إلى الحسين عليه السلام فبقي مصباحاً، لا يتصور متصور إني أريد أن أتهم الأمة بكلها وبتمامها أنها خالية من التقوى الكثير من الناس

لعلهم كانوا من المتقين لكن نحن عشنا في زمن ووجدنا كيف الإعلام يصير الباطل حقا وكيف الإعلام قادر، أكابر العلماء والفقهاء أن ينسب إليهم نسباً لا تنسب إلى سقطات في الشوارع، لأن العظيم إذا بقي على كرامته ونظرت إليه الناس نظرة قدس قد تسبب شكا في حكم فلابد وأن تأتي هالة الإعلام بكل قوتها وتصب على ذلك الرجل ويتهم كشآبيب المطر هو وحاشيته حتى لا تبقى له كرامة فمن لم تبق له كرامة لهالة الإعلام والتعتيم هذا لا يبقى مصباح حتى ولو كان في واقع الأمر هو نور هذا ما ابتليت به الأمة، بنوأميه كانت قادرة أن تعدم أنواراً كحجر بني عدي وتقبل الأمة آنذاك لا اليوم وتقول أن هؤلاء كانوا منحرفين كانوا شاقين لعصا المسلمين و ظالمين للأمة ولأمير المؤمنين وكانوا أناس شواذ ومعقدين وخارجين عن الدين لكن مهما كان بنوأميه ما كانوا قادرين أن يطفئوا نور آل محمد صلى الله عليه وآله تماما بقيت الأمة تعتقد بها ولذا الروايات الواردة تقول أن الناس قلوبها كانت مع الحسين وسيوفها مع بني أميه.

فإذن الناس كانت تعرف ولعل كثير من الناس ما كانوا بهذه الكيفية سأبين هذا وأقف عنده لأقول مع الأسف أن للإعلام المتلبس بلباس الدين من القوة والمقدرة، كان قادرا وهو اليوم قادر، أعاظم العلماء والزهاد أن يلبسهم ألبسة وأن يتهمهم باتهامات

وعشنا هذا الواقع بأنفسنا وشاهدنا كيف الإعلام نال من عظماء و أتقياء ومن علماء فطاحل لا يقاس بهم زيد أو عمرو ممن تصدر حكما، لكن الأمة تعيش غافلة لا تعلم والحمد لله رب العالمين.

ما هو الارتباط بين الحسين مصباح وقوله تعالى ﴿مثله كمشكاة﴾ ؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الحسين عليه السلام وفي الحديث المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة قلنا إن هذا الحديث عند التأمل يروي واقع أمة كان ينظر إليها الرسول صلى الله عليه وآله من وراء الغيب وجدها لم تعش نهارا ولا ليلا ذا قمر أو ذا أنجم كثيرة بل وجده ليلاً قد انكدرت فيه النجوم واختفى القمر وما بقي لهذه الأمة لجهلها وانطماس فطرتها وحجب عقلها أصبحت لا ترى حقاً، ولا عدلاً امتزجت واختلطت الأمور عليها ولذا أشار الرسول صلى الله عليه وآله في هذا الحديث على أن الحسين عليه السلام في هذه الظلمات مصباح هذه الأمة وسفينة نجاتها ثم نأتي لنشير إلى أنه بعد المعرفة للحق بواسطة هذا المصباح لأن الكثير من الأمة كأهل الحجاز واليمن وكأهل العراق ولعل قوما آخرين كانوا لا يترددون في حسين الهداية والحق وبالأخص في مقابل شاب تافه كيزيد لكن نريد أن نقول إن الحديث الشريف يريد أن يقول إن من شاهد نور هذا المصباح على الرغم من هذه الظلمة التامة لا

تكفيه المشاهدة لهذا النور فالقلوب كانت معه فإذن كانت تشاهد حقا لا يكون العلم بما هو علم منجٍ إلا بركوب هذه السفينة لذا فرّع الرسول صلى الله عليه وآله ليبين أن العلم وحده والمعرفة بما هي هي من الشخص أو معرفة شخص بشخص أنه هو المصباح لا تكفي للخروج من هذه الظلمة .

فإذن لابد من ركوب هذه السفينة لابد من معرفة نوح عليه السلام ومجرد المعرفة بأن نوح عليه السلام هو رجل الحق لا يكفي للنجاة ما لم يركب الإنسان في سفينة نوح فكذلك ها هنا يريد أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله إنها ظلمة المنجي نورعلم لكن نور العلم بدون إرادة وعزم وتضحية لا يكون مثمراً لأحد فلا تخدعوا أنفسكم بالمعرفة أوالولاء والحب كما نجد اليوم الكثير من الناس محبين لأهل البيتسواء كانوا يقبلون العصمة أو منكرين لها فظنوا أن الحب معناه أنه يحب أهل البيت ولم يعرف ويتأمل أن المراد من حب الله هو السير والسلوك إلى الله تعالى، كذلك المراد من حب محمد صلى الله عليه وآله السير والسلوك إليه علماً وعملاً حتى يكون الحب له مصداقية و له واقع يثبته كذلك حب أهل البيت ليس أمرا نتلفظ به أو محبة مندفعة من أحاسيس سمعنا روايات تلاعبنا بها فظننا أن حبنا لآل البيت يكون مجزياً، وذلك لأن المعرفة للنور بما هي هي لا تكون مجزية بل لابد من ركوب لهذه السفينة وإلا الكثير من الناس كما

قلنا في مثل العراق واليمن والحجاز ما كانوا يخلطون وما كانوا بهذا الغباء ليخلطوا بين علي ومعاوية أو بين الحسن والحسين وبني أمية .

لعل قائلاً يقول كيف لا يكون العلم مجزياً وها هو الكتاب المجيد صريح في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (١) فإذن العلم يوجب خشية، وإذا كان هؤلاء يعرفون حسيناً عليه السلام بما له من نور فيقيناً كانوا يعيشون خشية.

هاهنا من جملة ما يقع فيه الناس في المطبات خلطاً بين فهمهم للحقائق، الآية الشريفة لا تريد أن تقول إن العلم علة للخشية، إبليس كان عالماً والكثير من الناس علماء وعقلاء يفهمون وليسوا بأغبياء.

فإذن يجب أن نلتفت حتى لا نقع في مطبات وأخطاء ليس معنى هذه الآية أن العلم علة للخشية بل تريد أن تشيرالآية أن شرط الخشية هو العلم لأن الجاهل لا يعرف ليخشى ربه.

فإذن فرق بين أن نتصور بأن الرجل الفلاني عالم فقيه مجتهد علامة فيلسوف فإذن هو يعيش قرباً من ربه لعل كل هذه سار كل حياته طالبا للدنيا وجد العلم وسيلة للشرف والاحترام فما كانت

١ـ سورة فاطر، الآية ٢٨ .

نفسه وقلبه تعيش هذا الواقع العلمي جعل العلم جسراً للوصول إلى الغايات فإذن نقول العلم شرط للخشية، وإذاكان العلم هكذا أي أنه شرط للخشية معناه أن الجاهل بما هو جاهل لا يخشى ربه، لعل قائلاً يقول هل الذين يخشون الله هم العلماء والفقهاء فقط؟ لا أريد أن أقول ذلك أريد أن أقول إن الفطرة هي واقع العلم وإن العقل هو واقع العلم بما يأتي من المزيد يكون رقياً وكمالاً، من عاش فطرة عاش قرباً من عاش سلامة عقل عاش قربا ورب بدوي يعيش في البادية فطرة وسلامة عقل هو أقرب إلى الله من أعظم العظماء وأعلم العلماء لأن هذا بعقله وفطرته طلب رباً وذلك طلب العلم لدنياه فانخدش العقل والفطرة معاً فكان يعيش عماءلأن الدنيا أعمته بحبها وزعاماتها فنسي كل شيء.

ولذا ورد عن الإمام العسكري عليه السلام: «فأما من كان من الفقهاء» [1] ما قال الإمام عليه السلام إن مجرد العلم أيها الناس إذا وجدتم إنساناً يعتبر فقيهاً عالماً فسلموا دينكم إليه لأنه العلم علة للخشية وللقرب ما قال هكذا «صائناً» فإذن الفقاهة ثابتة من كان من الفقهاء مجرد الفقاهة أي مجرد العلم ما اعتبره ربطا وصلة وأن الإنسان مأمور باتباع من كان فقيهاً قال: «فأما من كان من الفقهاء صائناً

١ـ التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ٢٢٩، ح ١٤٣.

أين؟ في مواطن استنباط الحكم الشرعي أي في الأحكام الشرعية وليس الراد عليهم في العقليات ليس الراد عليهم في تفسير ولا في تشخيص مصداق، المورد معين وخاص وهو استنباط الحكم الشرعي في فروع الفروع أعطيناه عمومية لكل جهة الراد عليهم في السياسة والحكم وكذا وكذا ثم رحنا لننسج نسيجاً آخر على أنه من اتصف بالفقاهة كانت كلها لوازم ذاته.

لعل قائلاً يقول شيخنا هذه الرواية سندها ضعيف؟ نقول نحن لم ندعي أن سندها قويا لكن فلينظر الناظر هل قبلها العلماء على طول التأريخ وعملوا بها وجعلوها من مستندات كلماتهم أم لا والعمل برواية يكون جابرا لا لو كانت غير معتبرة لماذا يستدل بها، وجودها في كتب الأصحاب وفي الكتب المعتبرة يدل على جبر سندها، موافقتها للعقل يدل على أنهم رأوها صحيحة، ونحن لا ننسى أن جور الزمان بالنسبة إلى تراثنا عمل عملاً لا يوصف بوصف، وعاظ السلاطين ما أبقوا بقية إلا وأفتوا بها هذه كتب ضلال تهاجم الكتب الشيعة و تحرق بكلها وتمامها على طول التأريخ فالكثير من الروايات فقدت أسانيدها لكن العلماء كانوا يرونها ويعتقدون بصحتها وإن فقدت السند، لأنها احرقت كراراً وتكراراً، ولذا الكثير من فقهائنا قالوا إن هذه الكتب كالأربعة وغيرها التي اعتبرها الشيعة أسانيد لهم هذه اعتبروها وجزموا

بهالمثل هذه الحوادث، كذلك يؤيد ما نقول واقع أمرتشير إليه الآية الشريفة الناهية عن متابعة العلماء بلا تحقيق وبدون لحاظ شرائط حيث أن العدالة لابد وأن تُحرز ولذا قال تعالى: ﴿اتخذوا﴾ يتكلم عن اليهود والنصارى، هل يريد فقط أن يروي لنا قصصا؟ كل قضية يتكلم بها القرآن ليحكي لنا ويروي حالة الأمم السابقة أوتلاعب علماء دين من اليهود أوالنصارى يريد لنا أن نكون واعين حتى لا ندخل في هذا المطب ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [1] هل عبدوهم كلا ما سمعنا أن الراهب الفلاني والقس الفلاني رب لي، أبداً ما حصل هذا بل اعتبروهم أرباباً أي قلدوهم بلا عقل وبلا تدبر، سلموا رقابهم إليهم بدون أن ينظروا إلى صواب وعدم صواب وتركوا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وأمثال رسول الله صلى الله عليه وآله من الكلمات الحقة التي يقيناً وردت عن موسى وعيسى عليهما السلام ، اعرفوا الحق تعرفوا أهله لما جهلنا الحق سلمنا الرقاب للرجال ولا ننسى واقع أمر تغافلنا عنه، ما هو هذا الواقع؟ فليرجع الشيعي ليرى لما حصلت الغيبة كم من أكابرمن علماء الشيعة تلاعب ففسق من قبل الإمام، لما نصب سمانا ونصب زيدا أو عمرو و ترك الكثير من أكابر علماء الشيعة ما تثبتوا ولا تورعوا

١ـ سورة التوبة، الآية ٣١.

لدين راحوا لينقدوا وراحوا ليتكلموا والكثير منهم الأموال التي كانت بأيديهم التي كان عليهم أن يوصلوها للإمام عليه السلام لعبوا بها وأكلوها هذا هو واقع البشر لا العلم يحدث عصمة ولا الصحبة تحدث عصمة ولا لأن فلان من نسب رسول الله يحدث عصمة ولا لأن فلانة زوجة نبي توجب عصمة هذه هي تعاليم دين الله لنا، لكن نأبى أن نأخذ تعاليم دين الله ونعمل أعمالاً غير سليمة ونتوقع من الله القرب بواسطتها .

الآن وبعد هذه المسالك التربوية التي نريد بها أن نخرج من غفلة نأتي إلى أمر مهم في المقام وأرجو التأمل في هذا الأمر المهم، نحن قرأنا حديثا عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يقول: إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة وفي مورد آخر تأتي روايات أهل البيت عليهم السلام صريحة وواضحة لتقول: «إن الحسن والحسين مصباحان» و «إن فاطمة عليها السلام هي مشكاة هذا المصباح وهي زجاجة هذا المصباح» ونقرأ آية في المقام ماذا تقول الآية؟ حتى لا تكون كل رواية نقرأها بنفسها تاركين آية و رواية أخرىهذه لا تعطي معانيها إلا إذا ربطنا بعضها ببعض كما و أنه لا يجوز لعاقل ولا يجوز لفقيه أن يأخذ بعام ويترك خاص أن يأخذ بمطلق ويترك مقيد، أيضاً لابد أن ننظر إلى الروايات ونجعمها لنرى ماذا يخرج منها.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ

فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ﴾ ثم تأتي الآيات إلى أن نصل إلى قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [1] هذه الآيات أنا لا أريد أن أدخل في تفاصيلها لأنا لا نعيش تفسيراً لكتاب الله تعالى لكن نريد أن نتكلم عن شأن يرتبط بالحسين عليه السلام.

فإذن آية شريفة وآيات تتكلم عن نورالله تعالى الله نور السماوات والأرض فإذن هناك نور عام، هو نور الله النافذ في السماوات والأرض رحمته المطلقة، فيضه، إخراجه للممكنات من كتم العدم أي شيء وأي تعبير فلنعبر، نور الله ظاهر بنفسه مظهر لغيره أيضاً هذا واقع الحق سبحانه وتعالى ذاتا وصفة وتجلياً، الله تعالى في هذه الآية الشريفة ما جاء ليتكلم عن الخلائق وبما تحمل من كونها آيات دالة على الله تعالى ظاهر فيها نوره، الله نور السموات والأرض ترك النور العام الذي هو ساطع على الكون كله مخرجا له من كتم العدم إلى دائرة الوجود راح ليتكلم عن نور خاص وهو نوره الخاص ولطفه لعباده المخلصين، مثل نوره هذا ماصار نوراً عاماً للكون هذا صار نوراً خاصاً، مثل نوره كمشكاة والمشكاة توضع في بيت، ولهذا وردت الآيات في بيوت أذن الله

١ـ سورة النور، الآية ٣٥.

أن ترفع حتى لا يقول القائل المراد من هذه المشكاة وهذا المصباح بعض الأنجم السماوية ليس الأمر كذلك الآيات يفسر بعضها بعضا يتكلم الله سبحانه وتعالى عن نور خاص، نور لطفه بعباده المتقين المخلصين.

المشكاة مكان في الحائط يوضع فيه المصباح، يعبر عنه في اللغة العربية بالكوة، هذا المحل الذي كان يجعل كنافذة غير نافذة على الخارج كأنها نافذة هذا المكان الخاص كان يجعل في البيوت سابقا في مكان معين حتى إذا جعل فيه المصباح يكون نوره متشعشعاً في كل الغرفة فينظر الناظر كأن مهندساً ينظر، الناس بعرفها وبعقلها، لعل كان لها أناس أخصائيين ينظرون أن المصباح في أي جهة يجب أن يكون حتى يكون ذلك النور مفيدا لكل الغرفة أو الصالة، كمشكاة وهي الظرف المكاني فيها مصباح، والمصباح يستفاد منه نورا، هل المصباح متروك هكذا، من أجل أن لا يضربه الريح و من أجل أن يتضاعف نوره يجعل في زجاجة شفافة رقيقة تعكس نوره أكثر و تمنع الشيء الخارجي كالريح من أن يطفأ هذا النور حتى نرى كيف قالت الروايات بأن المشكاة والزجاجة هي فاطمة سلام الله عليها، لنرى ما هو وجه الشبه بين هذا المحل وهذه الكوة و كيف جاء الأئمة عليهم السلام ليقولوا مَثَلُ فاطمة في واقعها بالنسبة إلى هذه الأمة كمشكاة ومثل فاطمة في واقعها

بالنسبة إلى هذه الأمة كزجاجة مصباح تمنع الأمور التي تسبب إطفاء هذا النور وتعطي للنور تلألأً خاصا كأنه كوكب دري يصبح وهاهنا كأن الروايات تريد أن تشير إلى واقع أشارت إليه الأئمة في كثير من المواطن وسرها المستودع فيها يعني هناك سر عظيم في سيدة نساء العالمين التي يقبّل يدها سيد الكون، التي هي أول جندي في ركاب الإمامة ما استعملت تقية ولا توجيهاً ولا مداهنة لها خطاب سنشير إليه ولكل من يرى أنه ملاق ربه فليقرأ خطابها في المسجد النبوي ماذا قالت في هذا الخطاب العظيم سنشير إلى بعضه لكن نريد أن نقرب مطلباً، ما هو وجه الشبه بين الزجاجة وفاطمة؟ وما هو وجه الشبه بين الكوة (المشكاة) وفاطمة حتى نرى وجه الشبهو كيف نأتي بآية ورواية ترتبط ببعضها البعض حيث تشير الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن المشكاة والزجاجة هي فاطمة وأن المصباح هو الحسن والحسين عليهما السلام.

فإذن إن جاء في موطن أن المصباح هو الحسين عليه السلام جاء في موطن آخر أيضاً أن الحسن هو مصباح لكن لخصوصية زمان معين أشير بالمصباح إلى الحسين عليه السلام فلا يظن أحدا أن الحسين عليه السلام أفضل من الحسن عليه السلام.

ها هنا قال البعض على أن المراد في الكلام هو القلب أن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة: الله نور السماوات والأرض

ثم يتكلم عن مشكاة فيها مصباح يتكلم عن القلب ولا يراد القلب بما هو قلب وإن كان القلب الجسدي هو قوام البدن يراد القلب العقلي الذي هو القوام الإنساني، نحن لا نريد أن نقول إن الآيات ليس لها أبعاد الآيات لها أعماق هذا يفهم منها قلبا جسديا وذاك يفهم منها قلباً معنوياً عقلياً، ولذا راح البعض ليقول إن المراد من هذه الآية هي العين، أنا لا أريد أن أدخل في هذه التفاصيل لكن أريد أن أشير أن هناك تفاسير من المفسيرين المتأخرين قالوا إن المراد هي العين وبما لها من شبكية وبما لها من انعكاس نور وغيرها من الأمور الأخرى أنا لا أريد أن أنازع أحدا وأقول هذا ليس مراداً، قد يكون القلب مرادا وقد تكون العين مراد وقد تكون معاني أخرى مرادة، لكن في بيوت أذن الله أن ترفع هو كلام عن نورمعتقد ولطف إلهي وهذا المعنى هو الأقرب حتى ولو جاءت تلك المعاني لا تكون بهذا الرقي من المعنى المتناسب مع الآيات.

فإذن تلك المعاني فلتكن صحيحة والقرآن لنا أدلة أنه له بطون فليجد بطنا منه طبيب بطبه وبطنا منه فيلسوف بفلسفته وليجد بطنا منه عاقل بعقله، وليجد بطنا منه متأمل في آيات مجتمعة بعضها مع بعض ليرى أن هذا الكلام في ظهوره الأول في مثل هذه الأمورأو في نور إلهي هو نور الهداية على قلب طاهر زكي، هاهنا أولا يجب أن نلتفت أن المصباح أين يوضع؟ حتى يكون له من

الانعكاس الضوئي ما يناسب الغرفة أو المكان بجوانبه المختلفة حتى لا يضيع النور في جانب و يبقى جانب مظلم.

نقول إن المشكاة هي الكوة أي المكان الذي يوضع فيه المصباح لكن كيف تكون فاطمة عليها السلام مشكاةً وزجاجة، الآية الشريفة تتحدث عن النور الإلهي أولا الشامل لكل الكون الله نور السموات والأرض وهو نوره العام الساطع على هياكل الممكنات منيرا إياها مخرجا لها من كتم العدم، هذا هو المراد؟ نقول الآية أعرضت عن هذا فجعلت المثال في غير هذا وقالت مثل نوره كمشكاة لا يراد ذلك النور العام الساطع على الكون كأن الكون بكله بأزاء هذا النور الخاص وهو نور اللطف الإلهي الساطع على قلوب الأولياء كأن الكون كله بأزاء هذا يصبح لا نور، ولذا كان الإنسان مع جرمه الصغير ومع كل ما هو عليه ومع كونه من عالم الدنيا وليس من العوالم العليا سجدت له الملائكة، لكن الآية الشريفة بصدد بيان نور الهداية وهو لطف الله بعباده المؤمنين، نحن نعلم دائما أن المعاني الدقيقة لا يمكن أن تتحملها قوالب الكلمات مهما كانت الكلمة ومهما كانت الألفاظ فهي قاصرة أن تؤدي بعض المعاني بأعماقها ولهذا يؤتى بمثال ليكون مشيراً ملفتاً إليها، الله تعالى لا مثلية له لكنه يعطي أمثلة ليقرب إلى أمر.

فإذن نقول المعاني الدقيقة العقلية تقرب الأذهان بأمثلة حسية

حتى ننتقل انتقالة عقلية يعني لا نتوقف على الحس ونناقش فيه المحسوس يراد أن يكون سببا للانتقال إلى المعقول، وإلا الله تعالى لا مثل له لتكون هذه الأمثلة سببا للانتقال إليه بل المراد أنها تقرب إلى المراد من نوره سبحانه و تعالى، والمِثل هو النظير يعني زيد مثل عمرو في الطول والإنسانية مثلاً والكلام في المثل الذي بواسطته ننتقل من المحسوس إلى المعقول حتى لا نتصور القرآن يقول ليس كمثله شيء، فكيف هنا يقول مثل نوره؟ نقول هذا ليس مثل فإذن نحن نتكلم عن المَثل عن المقرب إلى المعقول إلى الأمر العقلي .

لعل قائلاً يقول أن المراد هاهنا التقريب بكونها مشكاة لأنها صلة بين النبوة والإمامة فمن هذه الجهة كانت مشكاة أي محل إلتقاء النبوة والإمامة فليكن من أحد المعاني هذا المعنى أنها لها هذا الواقع ويستفاد من الآية أن المصباح موضوع في بيت عبادة في بيوت أذن الله فإذن الله يريد أن يتكلم عن نور في بيوت أذن الله أن ترفع هاهنا في البيوت وقع خلاف ما المراد من البيوت؟ هل هي المساجد والكنائس والبيع؟ نقول إن كان المسجد مسجدا ربوبيا فليكن من هذه البيوت لكن الكثير من المساجد هي مساجد جهل ولو كان الرسول صلى الله عليه وآله موجوداً اليوم لاعتبرها الرسول مسجد ضرار، مسجد ضرار أحرقه الرسول ومساجد أخرى أحرقت في زمن

الإمام علي عليه السلام في زمن خلافته في العراق، فالمساجد لا تكون مرادة في هذه الآية.

فإذن أي بيوت رفعت لا فيها غشاء ولا غطاء ولا فيها جهل المساجد يدخلها العالم والجاهل، والمساجد قد تستغل للمآرب الدنيوية وقد استغلها الحكام في طول التأريخ فجعلوها مركزا لكل أعمالهم وتلاعبوا بالمساجد والحسينيات.

فإذن في بيوت أذن الله أن ترفع هذه البيوت لابد وأن تكون بيوتعصمة ونبوة حتى تكون نورا حتى لا تكون نوراً ممتزجاً بالشبهات والظلمات، إذا عرفنا هذه الأمور نأتي ونقول فالمصباح في غرفة في بيت عبادة، المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع هذا الرفع رفع معنوي عظيم في بيوت عبادة، ثم يهدي الله لنوره من يشاء فإذن ليست ذلك النور الذي هوعلى قدر أنفاس الخلائق، أرى حبة أجدها مصنوعة تدل على صانع وهلم جرا فالأدلة على الله على قدر أنفاس الخلائق وهاهنا لا نريد أدلة لإثبات صانع ولا نريد أدلة لإثبات علةها هنا نريد أدلة تعطي المؤمن قربا إلى ربه مؤمن مسَلم إلى ربه لا يريد أن يتوصل بآية رب بعض المؤمنين هم فوق هذه الأمور فطرتهم وعقلهم تكفي أن يجدوا الله قبل أن يجدوه في آية.

فإذن الكلام عن غرفة في بيت عبادة يهدي الله إليها من يشاء

إذن لو كان من في الأرض جميعاً يهتدون إلى هذه لما قال يهدي الله لنوره من يشاء إذن هي في غرفة لماذا وضعت في غرفة؟ لجور الزمان؟ لعل ذلك، أم أن الله يريد ليختبر عباده؟ لعل ذلك، دائما يجعل الله أولياءه فقراء وضعفاء ومضطهدين حتى أنه لا يقصدهم قاصد إلا لوجه الله، لو كان الولي ذا مال وجاه لقصده الناس لماله وجاهه وسلطانه، الله حكمته هكذا يريد أن يرى هل هذا الإنسان الذي منحه الله عقلا أيبصر أم لا؟ وإذا أبصر يذهب إلى الحق بما هو حق أو يذهب إلى الحق لأنه بواسطة هذا الحق يتمكن أن يكسب مالا أو جاها أو مقاما فالآية تشيرعلى أن هذا المصباح في بيوت من جاهد إليها توصل إليها، الله يهديه إليها يعني من جاهد جهادا صحيحا بصدق وواقع وطهر النفس وطلب من ربه أبى الله أن يكون هذا يمد يد السؤال وهو لا يعطف عليه وسنتكلم في الاحتمالات الواردة في هذه القضية بالنسبة إلى فاطمة عليها السلام في المحاضرة القادمة والحمد لله رب العالمين.

ما هي أهمية فاطمة عليها السلام ودورها في الإمامة؟

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام وفي الحديث المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، قلنا أن هناك روايات عدة تصف فاطمة عليها السلام بأنها المشكاة لهذا المصباح وتصفها أيضاً بأنها الزجاجة الدرّية التي بواسطتها يشرق نور هذا المصباح.

فإذن لابد من تأمل حتى لا نتكلم بكلمات بعيدة عن أرض الواقع تحكي هذا المقام نحن نتكلم بأمور قد تكون عامة بعيدة عن الأذهان ونقول في ضمنها من باب الفرض والتقدير إن فاطمة جوهرة ربطت الإمامة بالنبوة مثل هذا الكلام على صعيد فهم ودراية لغير إماميّ شيعيقد يمر عليها مرور الكرام لأنه لا يلمس منها على أرض الواقع شيئا.

فإذن نريد أن نأتي إلى واقع لنجدهذه المشكاة أي رابطة لها بمصباح في سنة واحد وستين من الهجرة يقوم بقيام يهز عالماً، أي رابطة بين حديث للرسول عن حسين عليه السلام وما قام به في عهد يزيد بن معاوية وفاطمة عليها السلام بما لها من موقف في زمن الرسول ومن بعده من وفاته إلى وفاتها حتى نرى كيف تكون حاضنةَ هذه

المشكاة لهذا النور وكيف تكون حافظة له من هبوب الرياح وكيف تكون سببا لتلألأه وانطلاقته وسطوعه على العالم.

فإذن هنا احتمالات عدة لوجه الشبه بين الصديقة الكبرى فاطمة والمشكاة والزجاجة نشير إلى بعضها حتى لا نمر على الكلمات مرور الكرام لكي يحصل الربط بين الروايات والآيات، آية تتكلم عن مشكاة ومصباح و روايات تتكلم عن مصباح ومشكاة وزجاجة لا يمكن أن ندرس ونستنطق كل كلمة بنفسها يجب أن نرى أي رابطة بين هذه الكلمات، كما بينا أن الكلام عن نور الهداية، وعن مصباح في ظلمات أمة كان نور هداية وكان سفينة نجاة، هذا المصباح، الآية الشريفة تبين أنه ليس من تلك الأمور التي يراه كل أحد، يهدي الله لنوره من يشاء حتى تكون الروابط متناسبة بعضها مع البعض لكي نرى على أن هناك مسالك يأخذ الله بأهلها وهم المتقون إلى معرفة هذه المسالك علماً وعملاً هذه المسالك الربوبية التي يأخذ الله بأيدي أولياءه المقربين إليها أين هي؟هل ينظرون إلى سماوات فيجدوها؟ ينظرون إلى الكتاب المجيد الذي هو النور الساطع فيجدوه؟ أو في السنة النبوية فيجدوا هذا النور؟ أم أنه في بيوت أذن الله أن ترفع؟ حسب الظاهر في بيوت أذن الله أن ترفع، يعني من جاء إلى القرآن بما هو قرآن خدع نفسه أنه فهم أمرا بدون واسطة الأنبياء، ومن جاء إلى القرآن

بما هو قرآن وأراد منهاج سلوك إلى ربه بعد المعرفة خدع نفسه أيضاً لأن هذا النور والمصباح في بيوت أذن الله أن ترفع، فيجب كل هذه الأمور يجب أن نتأملها بدقة وعقل حتى لا نتكلم بالذوق ونمر مرور الكرام عن آيات الكتاب المجيد.

ما هي مكانة هذه المشكاة من هذا البيت الربوبي؟ الآن عرفنا أن هناك بيتا ربوبيا فيه رجال لا تلهيهم أي قضية عن ربهم، هذا البيت الذي فيه مشكاة ومشكاة هذا البيت فاطمة عليها السلام، هذا البيت الذي فيه هذا المصباح من أجل أن يكون نور هذا المصباح ساطعا يحتاج إلى حافظ وهي تلك الكوكبة الدرّية أي الزجاجة التي من ورائها يتلألأ هذا النور وهو نور الإمامة، إذن هذه المشكاة لها مكانة من البيوت الربوبية وما لها من الأثر كزجاجة تدفع بالنور ليصبح كوكباً درياً يعني بنفسه ليس كوكباً درّياً، بنفسه نور لكن من أجل أن يتلألأ فيصبح كوكبا درّيا لابد وأن يكون في تلك الزجاجة، والمصباح مصباح لا يتوصل إلى شهود نوره إلا من كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يَهْدي اللهُ لُنورِهِ مَنْ يشاء﴾ ونحن نعلم إن كنا أهلاً لقراءة واقع شرع الله و لا يشاهد الله تعالى لأنه قلنا القرآن يفسر يعضه بعضا ولا يشاهدنور الله تعالى بهذه البيوت بما لها من واقع ربوبي إلا من كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [1] إذن مشيئة إلهية تدفع إلى شهود هذا المصباح الذي هو في هذه البيوت لا يكون ذلك لأن الله تعالى ليس له رغبات بل حقائق تكوين لا يكون ذلك إلا في حق من كانوا والذين جاهدوا فينا والجهاد معناه واضح هو جهد وبذل سعي عظيم علماً وعملاً فأيها المسلمون لا تخدعوا أنفسكم بمتابعة زيد وعمرو وبإرادة معرفة شرع بتركه في كل أشهره و سنوات العمر لكي نذهب ساعين لنسمع مسألة من زيد أوعمرو، هكذا لا تفهم الشريعة، نبذل في كل يوم ثمانية ساعات لدنيانا ونظيفها بمقدماتها ومؤخراتها عشرة ساعات على الأقل من أجل دنيانا ولا نجعل لأنفسنا ساعة في كل يوم ولو في يوم عطلة لديننا واذا تصورنا أننا نستطيع الوصول إلى الله تعالى بدون جهد ففي الواقع نخدع النفس.

فهو مصباح يكون لتلك الغايات لا يتوصل إليه أي إنسان إلا إذا بذل جهدا.هنا لابد من أمر لنلتفت إلى واقع: الله تعالى يشير هاهنا على أنه لابد من جهاد، أنه نور في بيوت أذن الله أن ترفع وهي بيوت محجوبة عن منظار الغافلين وأعين المعرضين والجاهلين لا يمكن أن تتوصل إلى هذه الحقائق، هذه الوصول إليها لابد وأن يكون وصولاً إلى تلك الحقيقة بدون طلب لجاه

١ـ سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

وبدون طلب لمال ولا سلطان، فلا يتوصل إلى الإنسان لهذا البيوت وتكون وسيلة لجاه ومال وسلطان لأنا قلنا إن النور في مقابل الظلمة ثورة ضد الجهل وأن العدل في مقابل الظلم ثورة ضد الطغيان فهذه البيوت محل هجمة على طول التأريخ من قبل المعتدين والعلماء الدجالون لا يخافون من شيء إلا من مثل هذه البيوت والحكام الظالمون الذين يستندون إلى فتيا هؤلاء لا يخافون إلا من ثورة تهزعروشهم وقصورهم فلا تطلب هذه البيوت من أجل جاه ولا مقام بل أكثر من ذلك ولا يطلبها طالب حقا إلا إذا قطع الروابط مع المال والجاه والمقام وضحّى كل غال ونفيس من أجل أن يتوصل إليها لأن المتوصل إليها يضرب بألف سهمفلابد وأن يحسب حسابا إن ضرب السهم مالا وجاها وسلطانا أغمض الطرف عنه ومن أراد الوصول إلى هذه البيوت بدون هذه الحقيقة كان غاشاً لنفسه.

هاهنا احتمالات في المراد من المشكاة وفي المراد من الزجاجة حتى نرى تناسب الزجاجة والمشكاة أي فاطمة عليها السلام مع النور أي نور الحسين ونور الإمامة ماهو التناسب:

١ـ إنه للإشارة إلى واقع أمر لا ينكر بما له من الأثر، ما هو هذا الواقع الذي تريد هذه الروايات أن تشير إليه أنه له الأثر على هذا النور الاحتمالات كثيرة هاهنا نذكر بعض هذه الاحتمالات ولعل عاقلاً ومتوغلاً في سبل ربه سيصل إلى احتمالات كثيرة أخرى،

نحن لاندعي حصرا، إنه لعله للإشارة إلى واقع أمر لا ينكر بما لهتكوينا بحسب الموروث عقلا وجسماً، هذا أحد الاحتمالات، اكرر لا يتمكن أي أحد أن ينكر ما للأم تكويناً من أثر على الإنسان عقلاً وجسماً وموروثاً ولعل ما للأم من الأثر الكوني على الأبناء أشد من الأثر الكوني عقلاً وجسماً وجميع الموروث لعله أكثر من الأب، لعل هذا من هذه المواطن على أن هذه الزجاجة بعظمها لها هذا الواقع التكويني.

٢ـ لعله للإشارة بما للأم من أثر عظيم تربية وإرشاداً وبما تحمل الأم بما هي هي بغض النظرعن الموروث، الأم العاقلة تربي تربية عقل وبرهان والأم العفيفة الطاهرة تربي بيتوتة عفة وكرامة والأم العالمة تربي تربية علم و إيمان، الأب مهما كان فهو يعيش في الخارج ولم يتناسب مع الطفل و أحاسيسه وعاطفته لعل الابن أو البنت يمكن أن يؤثر الأب عليهما بعقله وعلمه بعد ما يكون للعقل مجال، أما الأم فهي تسري في العروق بما أعطاها الله من لطف وعطف ورحمة فإن أصلحت أصلحت وإن أفسدت أفسدت ولذا أقول إن بعض الناس يقول لا حاجة للنساء بأن يصبحن متعلمات وكم من أجيال مرت وكانت النساء تعيش البلادة وتعيش الأمية وكأن هذا فخر، لا أدري كيف ينطق عاقل بمثل هذه الكلمات، الأم التي هي الحاضنة الأولى والمدرسة الأولى كيف

نريد منها أن تكون أمية و جاهلة وضعيفة هذه أمور لا تجتمع مع إنسان يتكلم بعقله وبما تحمل المرأة من عقل وعلم وإيمان مؤثر على نفس الطفل حتى قال الرسول ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[1] وما صدرت مثل هذه الكلمة أن الجنة تحت أقدام الآباء.

فلعل قائلاً يقول هذا الحديث منصرف إلى الخدمة يعني من خدم الأم لما قدمت دخل الجنة لا نقول هذا غير صحيح فليكن من هذا، من أبُر أمك من أبُر أمك من أبر امك في الرابعة جاء الكلام من الرسول ﷺ بر أباك لكن لماذا نقيد الحديث بقيود لعل المراد من هذا الحديث، كادت أن تكون الأم علة ليست مقتضيا وشرطا لعظم البيت، الأم الأم بعفتها عظم في البيت، الأم بعقلها وعلمها عظم في البيت.

فإذن لا مانع من أن نقول أن الحديث الشريف يؤيد هذا وأي أم أعظم من فاطمة عليها السلام مكانة مشكاة منها مكانا لهذا النور وحافظة لهذا النور، لعل قائلاً يقول شيخنا ما هذه الكلمات أقول سنأتي ونتكلم، نقول أن غفلة أصيبت بها الأمة وهي تعيش مأساة هذه الغفلة إلى يومنا هذا حينما ما انتبهت إلى خطابها في المسجد

١ـ مستدرك الوسائل ١٥ : ١٨٠ ، ح ١٧٩٣٣ .

النبوي وسأشير إلى ذلك، غفلة أمة عن عظيمة كون وعظيمة إنسانية، إن جئنا بقمة الرجال كان محمدا صلى الله عليه وآله وإن جئنا بقمة النساء كانت فاطمة عليها السلام، هذا العظم لأمة جاهلة لا تقيّم الأمور ولا تعرف الأمور راح ليكون خطاباً عادياً مروا عليه مرور الكرام جاءت تتكلم فراح القوم ليبكي الباكي منهم وقالوا ذكرتنا بصوت رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا الجهل تعيشه هذه الأمة، ما وجدوا في كلماتها بياناً لتوحيد ونبوة ومقاماً، وسنأتي لنتكلم عن هذا الحديث وهذه الأمور وما تكلمت به في خطبتيها في المسجد النبوي وخطبتها أمام نساء الأنصار والمهاجرين حتى نرى كيف كانت مشكاة وزجاجة حافظة درّية لواقع الإمامة من حسين وحسن وغيرهما عليهما السلام.

٣ـ ما لفاطمة عليها السلام من عظمٍ هو عظم نساء كانت بوحدها أمة، كما كان ابراهيم أمة أراد الله تعالى في آية المباهلة حينما قال و نساءنا ونساءكم ترك رسول الله نسائه و نساء الأنصار والمهاجرين وترك كل امرأة وأعطي لقب نساء الأمة إلى فاطمة فهي نساء الأمة الإسلامية إلى قيام الساعة هذا الواقع من تأمله وجد مكانة هذه المشكاة التي مرت عليها الأمم ومرعليها المسلمون تقديساً للرجال ما نظروا إليها بأي منظار لا بآياتها ولا بخطاباتها وبكلماتها، ما لفاطمة عليها السلام من عظم هو عظم نساء الأمة، أي نساء العدد؟ نقول كلا الإيمان بثقله العدد كان كثيرا لو كانت الأمور تقدر بأعدادها لما

أعطيت عنوان نسائنا أي نساء؟ نساء المسلمات لا نساء الإيمان، نساء المعارف فهي أمة كاملة تحكي واقع أمر ولذا كانت نساءً بكل معنى الكلمة، حيث جعلت الرسالة المحمدية هؤلاء الخمس أصحاب الكساء أي محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام جعلتهم كل المسلمين وإلا كان رسول الله صبحسب السير الطبيعي أن يأتي بهؤلاء وأن يأتي معهم ببعض الصحابة من المهاجرين أو الأنصار وبعض النساء، ما أدخل أحدا لأنهم ليسوا شركاء في هذه الدعوة وليس واحدا من هؤلاء قرآنا ناطقا هؤلاء ثقل دعوة هؤلاء قرآنها الناطق بياناً وعملاً، كل ذلك للإشارة إلى ضوء هذا المصباح، أين كان ضوء هذا المصباح؟ أين كان محل هذا المصباح وهي المشكاة حتى نجد محل فاطمة قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ومحل فاطمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، حتى نجد مكانة فاطمة عليها السلام في واقع الإسلام بعد الرسول الذي تجلى بمواقفها أي إمرأة عظيمة هذه تدخل المسجد النبوي والجماهير متجمهرة تخاطبهم وتبشرهم بالنار أي جسرة، مالك ابن نويرة تكلم كلمة فقتل وتعدي على عرضه في تلك الليلة وفاطمة لم تبالي بكل هذا الإجرام تَقدم على القوم في مكانهم وخاطبتهم بكل جرأة وبيان عما سوف يجري عليهم حتى لا يقول قائل نعيش تقيةإن تلبس الحكم بلباس الدين، أكرر هذه الأمور لإقامة الحجة حتى لا يقول فقيه وعالم نعيش تقية

في مقابل أخطاء ترتكب والحكم يدعي قانون دين وإسلام وشريعة، كل ذلك للإشارة إلى أن هذه المشكاة من هي؟ وكيف كانت حافظة لنور الإمامة بما وصفت بأنها الزجاجة الدّرية فليراجع الإنسان وليتأمل حتى يرى ما لفاطمة عليها السلام من مكانة كمشكاة ومكانة كزجاجة حافظة وبما لها من سخط هو سخط الله ورضاء هو رضاء الله، لم أدعه أنا بل موجود في أسانيد العامة الذين غضوا الطرف عنه فحجبتهم حواجب تقديس رجال عن واقع أمر سيشهدون وبالهعند الحساب، كيف أمة بكلها وبتمامها ما عبر الرسول أن رضاها رضى الله وأن سخطها سخط الله لأنه يعلم ما يجري وما هي عليه من واقع قرآن ناطق، تحكي واقع أمة منقلبة على الأعقاب فلذا أراد أن ينبه هذه الأمة وأراد أن ينبهها ولو بعد قرون، أيها الناس: كأن الرسول صلى الله عليه وآله هكذا يقول اعلموا أني لم أتكلم بمنطلق عاطفة وحاشا الرسول أن يكون عاطفيا بأحاسيسه رسول الإنسانية معجزة الكون لا يأتي ليعطي إبنته مقاما أراد أن يقول إن أردتم أن تعرفوا رضا الله تجدوه في رضا فاطمة و إن أردتم أن تجدوا غضب الله ونيران الله تجدونه في غضب فاطمة فهي مظهر أسماء الجلال والقهر الإلهي والجمال وإذا كان رضاها هكذا فهي راحت لتتكلم عن مكانة علي عليه السلام هذه حقائق مع كل الأسف سحقناها تحت الأقدام قروناً، كل ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله

لإلفات نظر أمة غافلة أمَرَها أن تخرج من غفلتها حتى تعرف أن هؤلاء الخمس شركاء شريعة في واقع هذه الرسالة بما لها من مواطن نزولها و لذا كانوا في آية المباهلة حين النزول وبما لها من بيان واقع رضا الله وغضبه على هذه الأمة وعلى رجالاتها حينما قال سخطها ورضاها وتطبيقاً لشرع الله حتى لا يخرج شرع الله بالإفراط والتفريط عن مناهجه بتبع الشهوات ولا يخرج عن واقع القطع واليقين باجتهادات الرجال، شرع الله خرج، الصحابة يقتل بعضهم بعضا ويأتي المفسر ويقول قتل بعضهم بعضا كلهم كان تقياً نقياً لكن كل واحد رأى تطبيق الشريعة بطريق مختلف.

يجب أن ترسم لنا الشريعة بواقع وقطع ويقين ليس اجتهاداً وظناً وتخميناً.

لعل قائلاً يقول كانت الرسالة واضحة لا تحتاج إلى فاطمة ولا إلى علي ولا حسن وحسين هذه مغالطات ومهاذل يمكن أن تطلى على الجهاللكن لا تطلى على عاقل كيف كانت الرسالة كما يدعون واضحة بهذه الكيفية والمسلمون كانوا يعيشون رفعة ومعرفة وهم يتنازعون على الكراسي في السقيفة، ومنهم يقيناً من الصحابة يقيناً من المسلمين والصحابة كلهم نور كما يدعون يبعث الخليفة الأول صاحبه لكي يقتل الرجل ويزني في زوجته أهكذا كانت واضحة الشريعة؟ المسلمون يختلفون في شوراها، المسلمون

يتقاتلون فيها وصفين طحنت ما طحنت منها كيف كانت الرسالة كما يدعي هؤلاء؟ فهي كانت اجتهادات، أيمكن أن يسلّم الله شريعة حديثة جديدة بيد رجال يعملون بالاجتهادات ونبرر أعمالهم بأنهم اجتهدوا فأخطأوا وماشاكل هذه الأمور، نحن ضعنا بتبع هذا الضياع.

بواقع ليس اجتهاداً وظناً وتخميناً لا كما يقول القائل خداعاً للبسطاء من الخلق على أن الصحابة وإن وقع بينهم ما وقع من الاختلاف في الرأي والحروب لكنهم جميعاً كانوا أتقياء وقد وجد كل واحد منهم خدمة الشرع من طريق وكيفية خاصة، نقول لهم: هَب لو فرضنا أن كلامكم صحيح لو من باب التنزل وفرض المحال ليس بمحال! هب أنا صدقنا لكم كلاما على أن القوم كانوا يعيشون طهرا وزكاة جميعاً لكن أولئك بررنا عملهم إجتهدوا وأخطأوا، وقالوا بأن الرسول صلى الله عليه وآله قال من اجتهد وأخطأ له أجر وكانوا كلهم أتقياء طيبين أبراراً بررنا عمل قوم بحسب ذوقنا والحساب عند الله وأدخلناهم جميعاً قاتلهم ومقتولهم جاهلهم وعالمهم، متجاوزهم والزاني منهم على أعراض الناس كلهم في الجنة لكن نحن كمسلمين جئنا اليوم بعدهم كيف نرى شريعة من وراء هذه الإجتهادات، اجتهادات رجال تحكي لنا واقع مراد لكتاب الله، نحن نريد كتاب الله كتابا صحيحا وكل واحد فسره

بتفسير وطبقه بتطبيق كيف نرى كتاب الله وسنة نبيه وسيرته العطرة إذا لم تكن بواسطة أناس يرسمونها بنحو القطع واليقين علماً وعملاً نحن أعطينا المجوز لهؤلاء القوم أن يدخلوا الجنة بظننا ونحن فرحون أنا ما نلنا من قداسة الصحابة وضِعنا نحن أهكذا يعمل العاقل؟ أيجوز لعاقل أن يأتي بمبررات ليصحح عمل قوم ليقول اجتهدوا وكلهم كانوا أتقياء، أيجوز لعاقل أن يقول هؤلاء كانوا كلهم يعيشون تقوى وإن أخطأ منهم المخطأ فهو اجتهاد وأنا كبشر جئت من بعدهم وليومنا هذا أنا أعيش أخطاء هؤلاء باجتهاداتهم كانوا أزكياء أنا الإنسان المسلم اليوم وقبل مئة سنة وقبل ألف سنة أضعت أم لا؟ أنا ضعت بضياع هذه الأعمال كيف يمكن لعاقل يأتي ويعطي مبررات لقوم وهو لا يدري الآن أنهيتبع أي سيرة، سيرة علي بن أبيطالب أم سيرة خال المسلمين المؤمنين معاوية بن أبي سفيان أي سيرة؟ علي يقول بمنهاج يختلف عن منهاج القوم شئنا أو أبينا وهؤلاء يقولون بمنهاج أتّبع أي الطريقين، الصحابة اختلفوا في كل الأمور تفسيراً وتطبيقاً.

فإذن أنا بتصحيحي لقوم أنا ضعت وظننت أني الحمدالله قدست رجالاً فما نلت من صحابة رسول الله أهكذا يصنع عاقل بنفسه مثل هذا الصنع هل من المعقول أن يترك الرسول ﷺ كتابه وسنته وسيرته لاجتهادات تكثّرها وتعددها وتجعل منها هالة وأموراً

لا يمكن أن نميز حقا من باطل فإن أصلحنا أيها الإخوة لتقديس الرجال ما حصل من الصحابة واعتبرناهم جميعاً كانوا أتقياء ضيعنا أنفسنا أيها الناس فهل العاقل يصلح بتفسيره وتأويله لتقديس الرجال عمل قوم ليعيش هو بنفسه ضلالة ؟ أم عليه أن يرجع لعقله وفطرته ليرى حاشا الله أن يترك الأمة بيد أمة مختلفين في الآراء والفهم والتطبيق لتضيع الأمة من بعدهم اجتهاداً وفهما متكثراً فلابد وأن يكون الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله كبقية الرسل كان يعود إلى تلك البيوت التي أشار إليها اللهفي بيوت أذن الله ومن ذهب إلى زيد وعمرو خدع نفسه.

٤ـ ما يتعلق بنا نحن كمسلمين لفهم الشريعة شهوداً لمشكاتها، أنا لا أريد أدخل كثيرا ما وأقول فاطمة كذا لها من الألقاب، نحن نريد أن نستفيد من فاطمة تكلم الكثير في هذا المجال نحن نريد أن نخرج من جهلنا بفاطمة نحن نريد أن نعرف شرع الله من فاطمة، ما يتعلق بفهمنا للشريعة شهودا لمشكاتها وزجاجة مصباحها لا بما يتعلق بمكانة فاطمة وما لها من العظم فذاك أمر لا نتردد فيه، فنقول كأن هذه الروايات الواصفة لفاطمة بالمشكاة والزجاجة لهذا المصباح والمصباح هو نور الإمامة تريد أن تقول إنكم أيها الناس لا تقدرون أن تنظروا إلى هذا النور لهذا المصباح بكل ما له من إضاءة مخرجة من الظلمات إلا بشهود محل هذه الزجاجة فإن

وجدتم الزجاجة أين كانت في البيت وكيف كانت كوكبا درّيا تلألأ منها وازداد نور هذا الضياء عرفتم قيام الحسين عليه السلام وإن لم تنظروا أولا وقبل كل شيء قبل قيام حسين إلى الزجاجة ومحلها من البيت وإلى نورها وتلألأها كيف كان سببا أي تلألأ هذه الكوكبة الدرية كيف كان سببا لإشراقة نور الإمامة لا تتمكنون أن تجدوا حسيناً واقفاً في كربلاءفمن أراد أن يرى حسيناً ثائراً في كربلا واقفا ضد الظلم والجهل والطغيان يجب أن يجد أولا فاطمة في قيامها، أي أنكم لا تقدرون أن تروا هذا وما لهذه الزجاجة من أثر على تلألأ و قوة انعكاس هذا المصباح وحفظا له من هبوب الرياح حتى لا يطفأ، فمن أراد معرفة ثورة الحسين بنوره غير منطفئ وجده في فاطمةفي موقفها بعد وفاة رسول صلى الله عليه وآله إلى وفاتها، ولا يمكن مشاهدة قوة هذاالنور في هذه الظلمة إلا بواسطة المشكاة بما لها من ظرف مكاني واقع في هذه البيوت الربوبية التي أذن الله أن ترفع.

فإذن يجب أن نذهب معاً لنرى الأسباب التي دعت لمواقف خاصة حصلت من قبل فاطمة عليها السلام، حتى لا نقول فاطمة كانت مع القوم تعيش وفاقا والقوم مع علي كانوا يعيشوا، من تأمل وجد مسلكين مختلفين مسلك لعلي عليه السلام ومن معه ومسلك للرجل الأول ومن كان معه، إما هذا خطأ أو هذا خطأ؟ أما نأتي ونصوغ لأنفسنا

ونضحك على أنفسنا أنهم كانوا إخوة! هذا الخداع وهذا الجهل والغباء يجب أن نخرج منه إما أن نصحح منهجا لهذا أو لهذا.

فإذن يجب أن نذهب لنرى الأسباب التي دعت لمواقف لفاطمة عليها السلام وما لهذه المواقف من بصمات ثابتة في صدر الإسلام مؤثرة على مجرى الأحداث من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله إلى وفاتها عليها السلام مخاطبة في أول مشهد من هذه المشاهد التي يجب أن ننظر إليها بدقة متأملين بعيدين عن تقديس الرجال حتى نرى إما فاطمة خاطئة أو هؤلاء القوم خاطئون أحدهما خاطئ بلا شك ولا ريب فلنتأمل إلى موقفها مخاطبة المهاجرين والأنصار وبقية المسلمين وعلى رأسهم أبي بكر قائلة بعد الحمد والثناء وهنا أشير إشارة لمن يريد أن يتأمل ويعرف بنفسه بعيدا عن سؤوال أصحاب اللحى الطوال الدجالين، قالت بعد الحمد والثناء وبيان علل التشريع ومطالب أخرى كثيرة لست بصدد بيانها هاهناراحت لتقول: أنتم عباد الله نُصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه وأمناء الله على أنفسكم وبلغاءه إلى الأمم فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ثم قالت عليها السلام فأنقذكم الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي بعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله أو نَجَم قرن للشيطان أوفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، ولنهاية الوقت نبدأ بالخطبة

في المحاضرة الثانية، ندعوا المسلمين أن يرجعوا من بعد الف وأربعمائة سنة إلى عقولهم لأن الله يحاسبهم بأنفسهم حتى لا يخدعوا أنفسكم بتقديس الرجال الذين أضاعوا الحياة من أجلهم والحمد لله رب العالمين.

ما المقصود من المشكاة والزجاجة في مقابل المصباح في الآية الشريفة؟

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وفي الحديث الشريف الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو أن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة قلنا هاهنا لابد وأن ننظر إلى الآيات المرتبطة بالحديث والروايات المبينة لهذه المشكاة والزجاجة فإن عشنا واقع حياة فاطمة عليها السلام وتأملنا بأحداث مرت في التأريخ الإسلامي بعيدين عن روح العصبيات الطائفية وتقديس الرجال على حساب الدين وجدنا بعقلنا وبدينا على أن هناك منهجين مختلفين لايمكن أن نغالط النفس سارت عليهما الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله منهج ما يسمى بأتباع السقيفة أو بأتباع الخلافة التي اعتبروها خلافة سياسية وحكم، وأتباع الأوصياء الذين وجدوا في علي عليه السلام قرآناً ناطقاً وكذلك في فاطمة والحسن والحسين أي وجدوا رسام شريعة يحفظونها من الإفراط والتفريط من الإجتهاد والرأي بجزم وقطع شارح لهذا الواقع فإذن نقرأ معا لمن شاء إلى ربه سبيلاً خطبة خطبتها الصديقة الطاهرة في المسجد النبوي بعيدة عن روح

المداهنات على حساب الدين، بعيدة عن روح ما يسمى بالتقية تلاعباً بالدين بعيدة عن كل شيء نقرأ معا لنرى ما هي وظيفة العالم والصحابي والمسلم ولنقرأ واقع شرع الله برسّامه: قالت عليها السلام في خطبتها بعد الحمد والثناء وبيان علل التشريع ومطالب أخرى كثيرة لست بصدد بيانها مخاطبة هذه الأمة وعلى رأسهم الخليفة الأول :

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه وحملة دينه ووحيه وأمناء الله على أنفسكم وبلغاءه إلى الأمم: هذه المشكلة الكبرى أن الصحابة كانوا حملة كتاب الله حملة وحي الله أمناء الله على أنفسهم وعلى الأمم فإن خانوا خانوا أمة خانوا شرعا وفي كل عصر وفي كل زمان على مذهب الإمامية الفقهاء حملة هذه الرسالة إلى أنفسهم وإلى الأمم فإن تلاعبوا وصمتوا عن عدوان معتدٍ يفعل الأفعال باسم الدين فهم بحكم هؤلاء القوم بلا خلاف ولا اثنينية.

«أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا واللتي وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله أو نَجَم قرن للشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها» وتعني الإمام علياً عليه السلام، «فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله قريباً من رسول الله سيداً في أولياء

الله مشمّراً ناصحاً مجداً كادحاً لا تأخذه في الله لومة لائم»[1].

ثم من بعد كلام طويل أنا لست بصدد قراءة الخطبة بكاملها بل اخترت ما يناسب مقامنا بياناً لمكانتها عليها السلام: ثم راحت لتخاطب هذه الأمة المنقلبة على الأعقاب، تخاطب في المسجد النبوي تخاطب المهاجرين والأنصار وعلى رأسهم أصحاب السقيفة: «وأنتم في رفاهية من العيش» هؤلاء الذين يدعى ما يدعى في حقهم هكذا قالت عنهم الصديقة فاطمة، أما الصديقة كانت صادقة أم هم صادقون فلا نخدع النفس أيها المسلمون، واحد منهما صادق أم أن الأمة بكلها صادقة طيبة هذا كلام لا يقبله الطفل اليوم، تخاطبهم في المسجد النبوي لكان من حقهم أن يقوم إليها القائم منهم ويقول ماذا تقولين يا بنت رسول الله ونحن الأسود الذين شاهدتنا في المعارك، «وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون بنا الدوائر»، فإذن ما كانوا في معاركها وحروبها وتعبها.

تضيف عليها السلام: «تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال وتفرون من القتال» من الذين فروا من القتال وجاء ثالثهم بعد ثلاثة أيام وما هو حكم الفرار من الزحف، «فلما

١ـ الاحتجاج ١ : ٩٧.

اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبياءه ومأوى أصفياءه ظهر فيكم حسكة النفاق» يعني كانت موجودة مبطونة فجاءت إلى العلن، «وسَمل جلباب الدين إلى قولها حتى قالت :وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة» : ما هي حجتهم التي بادروا بها إلى السقيفة وهاجموا بيت علي وأخذوا ما أخذوا من البيعة الناس بالقهر ومن خالفهم هاجموه وقتلوه ما هي حجتهم بأننا نخاف إن تأخرنا أن يحدث أمرأو تحدث الردة والمسلمون لا إمام لهم هذه هي الحجة هذه هي الحجة بنفسها حينما جاؤوا وأمروا بترك سنة رسول الله جاعلين أنفسهم غيارى على كتاب الله هكذا يتلاعب المتلاعبون «ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين» هذا خطاب للمسلمين بقادتهم «فهيهات منكم وكيف بكم وأنّا تؤفكون وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهره وأحكامه زاهره وأعلامه باهرة وزواجره لائحة وأوامره واضحة» ماذا فعل بالكتاب هؤلاء القوم «وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلاً» من بدل كتاب الله وشرع الله ورسوله بغيره بتبع الهوى ما هو حكمه؟ هذا حكمه «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين».

ثم راحت لتتكلم عن إخماد سنن النبي الصفي وما أصبح

يعيشه أهل البيت عليهم السلام، بيت النبوة تبين كيف عاش بعد وفاة رسول الله، كيف عشتم يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة سيد الكائنات كرامة جاء المسلمون من بعد ما استلموا حكما جاؤوا ليعرفوا دينهم منكم، قالت كلا لا تخدعوا بمثل هذه الكلمات من الدجالين «ونصبر منكم على مثل جزّ المدى ووخز السنان في الحشا» ثم من بعد ما شرحت عليها السلام الظلامة وما مر عليها من أمر بواسطة القوم وما مر من عدوان على أهل البيت راحت لتقول «فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم» فإذن لا خروج من هذا العذاب، هذا واقع أمر إما هي أم هم إما علي عليه السلام أم هؤلاء القوم، لا يخدع المسلم نفسه يقف يوم القيامة المسلم إما تحت راية أهل السقيفة أو تحت راية علي وأهل البيت لا ثالث لهاتين الرايتين ثم أشارت عليها السلام إلى انقلاب الأمة على الأعقاب قائلة «فتلك والله» إشارة إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وآله «فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى لامثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله جل ثناءه في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحانا ولقبله ما حل بأنبياء الله» هذه سنن الله بعد جميع الأنبياء هكذا حل بأوصياء الرسل أكرر وأخاطب المسلمين عليكم أن ترجعوا

وتتأملوا هل بعد نوح عليه السلام أقيمت دولة ربوبية؟ أين هي ما سمعنا عنها.

فإذن استلم الأمر أبناء الدنيا باسم الدين، وأين هي دولة الحق بعد موسى عليه السلام لأوصياءه؟ ما سمعناها بها فإذن استلم الأمر أبناء الدنيا باسم الدين، وأين هي بعد عيسى عليه السلام وهكذا هي سنة الله في خلقه بعد محمد صلى الله عليه وآله، وسأبين في نهاية هذه الخطبة العلة من ذلك، لماذا لا يسلط الله أنبياءه بمجرد أن تتم الدعوة يأخذ أنبياءه ولم يسلط من بعدهم الأوصياء بل يتسلط أبناء الدنيا سنبين الغاية من هذا: أن الدنيا لكونها دار اختيار واختبار لابد أن يسلط فيها غير رجال الله ليمتحن الله الأمم بواسطتهم «ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله حكمٌ فصل وقضاءٌ حتم» بمعنى أن هذه هي سنن الله لاختبار خلقه سنن الله لا تتبدل منذ جاء بآدم عليه السلام إلى الخاتم هي سنة واحدة في كل عصر وفي كل زمان بعد كل عظيم من الأنبياء تسلط من تسلط باسم الدين، «ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله حكم فصل وقضاء حتم وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين».

ألفت نظركم أن هذه الآية نزلت في يوم فرار القوم من الزحف، هذه الآية الشريفة التي تحكي سنن الله في أنبياءه وما

يرتكب من يرتكب من بعده نزلت في يوم فرار القوم من الزحف، فليرجعوا إليها إن أرادوا تخليص رقابهم من النارولم يجعلوا رقابهم لتعبر عليه الرجال ثم وجهت الخطاب إلى الناس قائلة «معاشر المسلمين المسرعة إلى القيل الباطل» ما مدحتهم «المغضية على الفعل القبيح الخاسر» هكذا وصفت الأمة الإسلامية ومن شاء وتردد في حديثها فلينظر إلى كلمات رسول الله بالنسبة إلى أمته «أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها».

ثم قالت عليها السلام: «كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم فأخذ بسمعكم وأبصاركم ولبئس ما تأوّلتم وساء ما به أشرتم وشر ما منه اعتضدتم لتجدن والله محمله ثقيلاً وغبه وبيلاً» متى تجدون النار الإلهية موقدة لكم «إذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه الضراء وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون وخسر هنالك المبطلون» نحن لا نريد أن نداهن على حساب دين اللهوندعي وحدة إسلامية ولا نريد أن نتلاعب بالكلمات نقول يجب على المسلم أن يعرف الحق من الباطل وهناك وحدة بشرية تجمع الجميع لأنه لا إكراه في الدين نحن لم نحمل حقداً على أحد لكن نحمل رسالة يجب أن تبين فإن كانت هناك جوامع الإنسانية تجمعنا تحت راية لا إكراه في الدين فكيف لا تجمعنا جوامع الإسلام بمقاسمه المشتركة مع المسلمين فنحن لا نريد أن

ندعي خروجاً من دين لكن نقول هناك دين مشوه متلاعب به يجب أن يعرفه المسلم، هذه هي الخطبة الأولى خطبتها أمام القوم في المسجد النبوي ولما مرضت عليها السلام دخلت عليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها فقلن لها كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله فحمدت الله وصلت على أبيها ثم قالت: «أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكن » يعني مبغضة، فإذن ما كانت قد بغضت الرجلين فقط بل الأمة الإسلامية بأجمعها فالأمة الإسلامية مبغوضة لفاطمة عليها السلام إلا ما ندر منها ولنأتي إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله في حق فاطمة عليها السلام حينما قال: رضا فاطمة رضا الله وسخطها سخط الله.

فإذن فاطمة كانت ساخطة على الأمة لا على الرجلين فقط ثم قرأت الآية الشريفة: ﴿أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ هذه لم يقرأها المسلم لماذا لم يقرأها حتى يرى إما بنت محمد صلى الله عليه وآله كاذبة في دعواها في حق هذه الأمة أو هذه الأمة انقلبت على الأعقاب كما انقلبت الأمم التي قبلها جميعاً وهي سنة الله ثم قالت: «وبعداً للقوم الظالمين ويحهم أنّى زحزحوها» أي مواريث النبوة «عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة» وتعني علياً عليه السلام « والدلالة ومهبط الروح الأمين والطبين بأمور الدنيا والدين» وتعني علياً عليه السلام وكلمة الطبين يعني الفطن الحاذق العارف بأمور الدنيا

والآخرة وأمورها ثم قالت: «ألا ذلك هو الخسران المبين» والحديث في هذه الخطبة الثانية التي خطبتها عليها السلام لنساء المهاجرين والأنصار طويل وكذلك ما جاء في خطبتها الأولى نحن ذكرنا منها بعض المقاطع، وعلى المسلمين أيضاً وراء الخطبتين أن يرجعوا لهذا الواقع التأريخي وهذه الخطب ليعرفوا الحق ولو بقدر ما على الرغم من هالة الإعلام والتعتيم والتضليل الذي حصل قبل فوات الأوان و تجلي الحق وهم مرغمون بواسطة مهدي آل محمد ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ ومن لم يكن في ذلك اليوم سيحشر يوم الحشر فإذن لا مفر فعلى المسلم أن يرجع بعقله بعيدا عن الأخذ من زيد أوعمرو فإن وجد ما نقوله حقا فليقدم على الله بحق ولا يقدم على الله تابعا للغير مقلداً وإن وجد باطلاً فليتكلم وليقول ما يقول أرجو التوجه والخطاب للمسلمين: النصارى قال قائلهم كيف لا نكون على الحق ونحن أكثر عددا من غيرنا من أتباع الرسلات السماوية فجعلوا الأكثرية مستنداً ودليلاً مثبتاً للحق وراح اليهود ليقولوا إن المسألة ليست بالعدد و نحن شعب الله المختار الذين فضلنا الله تعالى فخدعوا أنفسهم بطريق آخر وراح البوذيون ليقول قائلهم لو جمعتم الأديان جميعاً التي تدعي انتساباً غلى أنبياء الله لوجدتموهم جميعاً أقل منا عددا إن كان الدليل هكذا فليتدرع به المسلم السني ويقول كيف يكون الشيعة على حق ونحن أكثر عددانفس النسيج

ونفس الباطل الذي يستدل به كل مستدل .

نأتي إلى الاحتمال الرابع في المقام لنتأمل في المراد من المشكاة كمحل لهذا النور وزجاجة حافظة له وبما أودع إليها الرسول صلى الله عليه وآله من أسرار، هناك روايات تقول إنها تحمل أسراراً هي مستودع أسرار، وهناك روايات تقول أن لها صحيفة، بمجرد أن يسمع وعاظ السلاطين دجلا ومكرا من أجل أن يضحكوا على الأمة قالوا انظروا إلى الشيعة كيف ينسبون على أن فاطمة لها قرآن و الأمة تستريح إلى مثل هذا الدجل وهذا المكر الحمد لله فهمنا أن الشيعة ينكرون القرآن .

أخي أيها المسلم أنت اعتبر نفسكأن الشيعة ليس لهم منالوجود على وجه الأرض إلا عشر ة على وجه الأرضأنت انظر بعقلك ولا يضحك عليك هؤلاء إذن هناك صحيفة كانت مستند عمل وعلم ومنهج للأئمة عليهم السلام وهي ستكون كذلك بيد المهدي عج لإقامة العدل الإلهي علماً وعملاً على وجه الأرض أيضاً وبما لها أي لفاطمة عليها السلام من مواقف أشرنا إلى بعض منها في المسجد النبوي وفي مقابل نساء المهاجرين والأنصار لكن كأن هذه الروايات التي تشير إلى أنها عليها السلام مشكاة نور محمد صلى الله عليه وآله وزجاجة علم الأئمة عليهم السلام كأنها تريد أن تقول إن نور هذا المصباح لايمكن أن يشهد متلألأ منطلقاً منتشراً إلا من مشهد فاطمة عليها السلام أو من

طريقها عليها السلام كما وأن الروايات تريد أن تقول لايمكن أن تعرفوا كيف هذه الظلمة التي يتكلم عنها الحسين عليه السلام أهي ظلمة حدثت حينما جاء الشاب التافه كيزيد بحكومة موروثة؟ أم هي ظلمةأمة من يوم الوفاة عند السقيفة إلى أن استلم الحكم يزيد وكيف لو لم تكن الأمة تعيش جهلا وغباء وعدم معرفة مع وجود بعض الأصحاب يصبح يزيد أميرا للمؤمنين، فإذن مقدمات سببت علة فرضيت الأمة حتى بمثل هذه المتاهات.

فإذن يجب أن نذهب لنرى هذه الأسباب لا فقط في عهد يزيد ومعاوية بل يجب أننرى هذه الأسباب من زمن موقف فاطمة عليها السلام حتى نرى هذه المشكاة الحافظة لتلألأ هذا النورهذه الكوكبة الدرية ولكي نرى أن هذه المشكاة بوضعها ومكانها في واقع الإسلام ما لها من أثر إن لم نقرأ هذا التاريخ بكل دقة وإمعان بعيدين عن تقديس الرجال لا يمكن أن نشهد أمرا دعى إلى موقف في زمن الحسين عليه السلام وقد أشرت وكررت على أن موقف الحسين عليه السلام كان بعد موقف أمه وأبيه حينما ضرب المحتوى وأبقى القوم إطاراً فلما ضرب الإطار بعد المحتوى كانت الوقفة الثانية.

وهنا مواطن وحقائق لابد من التأمل فيها من جملة الأمور التي يجب على المسلم أن يتأمل فيها المسلم:

١ـ لماذا هوجم بيت فاطمة عليها السلام ؟ البيعة اختيارية هذا علي عليه السلام عندما بايعه المسلمون وما تخلف منهم إلا عشرة أو ثمانية ما جبر و هاجم من لم يبايع وهذا رسول الله في فتح مكة ما سمعنا أنه قال علي بالقوم من آمن آمن ومن لم يؤمن ويسلم اضربوا أعناقهم ما سمعنا، فعلى أصل الإسلام ما جبر الرسول قريشاً، كيف أجبر الخليفة الأول والثاني القوم والمسلمين على خلافته وهي ليست توحيداً ونبوة، على التوحيد والنبوة وشرائع السماء ما أجبر الرسول صلى الله عليه وآله مشركي قريش فلا ندري تحت أي ضابطة وقانون وتلاعب يجبر حتى مثل علي عليه السلام؟ فياليتهم أجبروا إعرابيا في بادية يدعون في حقه ردة أو يقولون إن لم يبايع لعله يتلاعب أما إجبارعلي فأي معنى له، أولا على المسلم أن يتأمل لماذا هوجم بيت فاطمة ولماذا جيئ بالحطب على البيت، ولست بصدد ما جرى أحرقوا الباب أو ما أحرقوه أسقطوا جنينا أو ما أسقطوه هذا المقدار يكفي لا نريد أن نتجاوز أكثر من ذلك، لا نريد أكثر مما هو ثابت عند الجميع، عدوان على البيت وأخذ الحطب إليه وقول الرجل قيل له إن فيه فاطمة أتحرق البيت وفيه فاطمة قال وإن أتحرق البيت وفيه الحسنان؟ قال وإن، إن لم يخرج علي أحرقنا البيت بمن فيه؟ ولو نعتبره تهديداً لا نقول أنه أراد وكان مصمماً على الحرق أمثل هذا الفعل أيمكن أن يكون عملاً سليماً علي عليه السلام لا يريد أن

يبايع القوم، لا حمل سلاحاً ولا أراد إطاحة لحكم لكن ما رآه عملاً سليماً، أي معنى لذلك؟ على المسلم أن يتأمل هذا الواقع.

٢ـ لماذا أنكر القوم إرث فاطمة وادعوا ما ادعوا من نسيج وقالوا نحن معاشر الأنبياء لا نورث؟

٣ـ لماذا أمرت فاطمة عليها السلام أن لا يصلي عليها القوم ولا يحضروا تشييعاً لها فدفنت سراً، هذه واقعة حدثت هذه ليست جارية في البيت؟ هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، هذه فاطمة بما لها عند رسول الله صلى الله عليه وآله هذه لم تعمل أعمالاً لأنها تريد بدوافع أن تنازع القوم سلطانا هناك واقع حدث لماذا منعتهم وما قبلت أن يحضروا صلاتا عليها وأمرت أن تدفن وقبرها مخفي ليومنا هذا لماذا؟ لو كانت جارية في الفتح أو جيء بها من الصين أو الهند لقلنا لا قيمة لخلافها من هذه؟ لكن هذه بنت محمد صلى الله عليه وآله وهذه عند الصغير والكبير إلا من يريد أن يخرج من الدين هي سيدة نساء العالمين، أسيدة نساء العالمين لا قيمة لفعلها وكأنها طفلة تعبث ولا أحد يسأل، بعد كل هذا، خفاء قبرو عدم رضاء بتشييع وغضب وروايات متواترة في أسانيد القوم أنها ماتت وهي غاضبة على القوم وروايات تقول أن رضاها رضا الله وسخطها سخط الله هذه لم تدفع المسلمين حتى إلى التأمل؟ أي مسلمون هؤلاء الذين لم تدفعهم حتى ليتأملوا في مثل هذه الكلمات، ولماذا رسول الله

يؤكد أن غضبها غضب الله وسخطها سخط الله أين تعيش فاطمة أكانت في سجن في الصين حينما توفي حتى يقول هؤلاء الذيين سجنوا بنتي في الصين الله يغضب لها وسينتقم منهم هذه بنت محمد بين أمة محمد لماذا يتكلم عن غضب لماذا يتكلم عن سخط؟ فإذن يعلم ويشهد أمته ماذا سترتكب.

٤ـ لماذا لم تختر التقية عليها السلام قلنا وبينا أن التقية ليست حكما في كل مكان وكل أمر لما كانت ترسم شرعا وجدت نفسها مكلفة فإذن التكليف ليس خاصا برجل أوامرأة، الصحابة كانوا مكلفين عن علي عليه السلام وفاطمة كانا مكلفين وفقهاءنا اليوم مكلفون أن يقفوا اليوم أمام الباطل ولا يجعلوا الباطل بلباس الدين وتخرج الناس أفواجاً أفواجاً من دين الله بأن هذا هو التشيع، وعلى المسلم أن يتأمل أيضاً:

٥ـ ما هي أسباب وفاتها وهي شابة؟

٦ـ ما معنى أخذ البيعة بالقهر من علي عليه السلام ؟

من بعد ما أشرنا إلى حاضنة هذا المصباح ومحل جعله نعود إلى حديث وهو كون الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة فنقول الآية الشريفة الواردة في الكتاب المجيد ماذا تقول؟ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة إلى قوله تعالى: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ

مَنْ يَشَاءُ﴾[1].

ثم يجب بعد تأملات في هذه الآية وفي المصباح وفي الروايات الواردة في فاطمة عليها السلام وما جاء من أحاديث مرت عليناأن نذهب مرة ثانية لننظر إلى فقرة ثانية في الحديث وهي سفينة النجاة: سفينة النجاة هي سفينة نوح عندما هلكت البشرية إلا من ركب فيها فيريد أن يقول الرسول صلى الله عليه وآله أن هذه الأمة هالكة لننظر ماهو سبب هلاك هذه الأمة، و لماذا يغضب الله على هذه الأمة عندما أغضبت بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و يهلكها وهي تعيش إمبراطورية الناس تفخر بالفتوحات ليومنا هذا والرسول صلى الله عليه وآله ما اعتبر هذا ابدا لماذا لم يعتبر هذا وهذه الهالة التي يصفق ويطبل لها الوهابيون والكثير حتى من المسلمين سنة وشيعة يفخرون أن الإسلام انتشر.

تأمل أيها المسلم أن الأديان السماوية ما جاءت يوماً لتنشر دينا بسيف، و لو كان سبيل نشر الأديان هو السيف فإندونيسيا الآن أكثر الناس إسلاماً ممن فتحوا بالسيف والنصرانية انتشرت وهي أكثر انتشاراً من الإسلام وما انتشرت بسيف.

فإذن هذه الهالة وهذه التلاعب لو جعلوا الإسلام ينتشر

١ـ سورة النور، الآية ٣٥.

بمعارفه و بحريته وقيمه وقممه وعلمه لانتشر وأخذ العالم كله لكن السيف الدموي أوقف نشر هذه الرسالة، ولنهاية الوقت نقول الحمد لله رب العالمين.

كيف وصف الرسول صلى الله عليه وآله الأمة بأنها هالكة وهي تعيش إمبراطورية عظمى؟

ونحن في رحاب الحسين عليه السلام والحديث الشريف الوارد عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو أن الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة، نسأل هل كان الحسين عليه السلام الذي أشار الرسول إليه بأنه مصباح الهدى لهذه الأمة لو شاءت هذه الأمة إلى ربها سبيلاً، مُخرجاً هذه الأمة من الضلالة إلى الهدى بنور العلم ومنقذاً إياها من الهلاك والغرق لحياة دنيوية كما كانت سفينة نوح، يعني لو أن الأمة جاءت بكلها وتمامها وأرادت منه أن يحقق عدلا وأن يحارب جورا لكان سفينة نجاة لها، هل فعلت الأمة ذلك؟ نقول كلا الأمة ما فعلت ذلك بل خذلته وما وقع من هذا الأمر شيء.

فإذن هو كان له أهليه أن يكون مصباحاً لهذه الأمة، كالقرآن المجيد ليس كتاب هداية للبشرية بل للمتقين، للعاملين به، فلو أن الأمة أرادت أن تخرج من ظلمتها إلى نور الهداية وأن تخرج من ذلها إلى العز لركبت في هذه السفينة.

ثم نأتي لنتأمل أمرا آخر هذا النور الذي اهتدى إليه البعض ثم

كان منبها ولو من بعد مصرعه الشريف واستشهاده لقوم آخرين أما الذين ركبوا في هذه السفينة ليكون نجاة لهم يوم الحساب هم عدد قليل لا يتجاوزون المائة شخص، هاهنا من بعد ما وجدنا أن الذين حقا استنارو بنور هذا العلم وركبوا هذه السفينة هم قلائل من البشر، بعد هذه المعرفة يجب على المتأمل أن يرى أنه ما كان بحسب الواقع الخارجي سفينة نجاة لهذه الأمة من هلاك ذلها وهوانها في دنياها لأنها ما كانت أهلا لكي تركب هذه السفينة، ما كانت أهلا لكي تسنير بنورعلم الحسين عليه السلام فإذن من تأمل يجد هذا الواقع وإنما يثبت الحديث الشريف كونه كان نورا مخرجا من الهلكة لو أرادت الأمة ذلك لو ركبت الأمة هذه السفينة، هذا غاية ما يمكن أن نستفيده من الحديث الشريف أن هناك عددا قليلاً ركبوا هذه السفينة فكانت لهم سفينة نجاة وإلا فالعنوان العام يتكلم كما يتكلم عن القرآن كما يتكلم عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه من تمسك به ومن سار بسيرته وعمل بكلماته.

بعد هذا الواقع نأتي لنرى كيف يصف الرسول صلى الله عليه وآله من ركب بهذه السفينة أنه يعيش النجاة ومن لم يركبها يعيش الهلاك، من استنار بهذا المصباح يعيش نور هداية وإلا يعيش ظلمة كيف يمكن أن نتعقل هذا ؟ هذه مسألة من مواطن مزالق الأقدام، كثيرا ما يغالط الناس أنفسهم خالطين بين الحق والباطل بأمور لا ربط لها

بدين الله أبدا على طول التأريخ، أؤكد كيف يمكن لعاقل أن يجد مصداقية لهذا الحديث الشريف وهو أن الحسين عليه السلام مصباح الهدى وأنه سفينة النجاة والأمة ما كانت تعيش تحت سلطان فارس ولا الرومان وما كانت الأمة تعيش تحت سلطان كفر أوإلحاد، الأمة تعيش إمبراطورية عظمى إسلامية فكيف يقول الرسول صلى الله عليه وآله هالكة وجاهلة وهي أمة تفخر بإمبراطوريتها التي راحت لتسير في شرق الأرض وغربها فإن لم تفتح الغرب الكثير من الدول الغربية آنذاك لضعفها كانت تدفع جزية، فإذن دولة عظمى فكيف ينطبق القول على أنها جاهلة وهالكة معا، عاشت في زمن الحسين عليه السلام إمبراطورية عظمى أموية، ثم ما وجدناها هالكة قتلت الحسين عليه السلام وما وجدناها هالكة بقيت إمبراطورية أموية ثم أصبحت اكبر منها إمبراطورية عباسية وهكذا وجدنا هذه الأمة تعيش فخرها وعزها إلى أن وصل الأمر إلى العثمانيين أيضاً وجدناها إمبراطورية عظمى تقابل الإمبراطوريات العالمية تهابها الأمم فما معنى هذا الحديث من الرسول صلى الله عليه وآله يتكلم عن أمة هالكة وجاهلة؟

من نظر إلى مظاهر الأمور بدون أن يتأمل في حقائقها عاش جهلا على جهل ومن تأمل سيجد أن المدح و الثناء و العظم ليس عظم جغرافيا مبسوطة على الأرض، ليس العظم عظم سلطان متمكن على الأرض، جاء الرسول صلى الله عليه وآله ووجد الرومان تحمل شعار

عيسى عليه السلام منتسبة إليه، لكان يجب أن يكون ذلك فخرا لأنه وجد أمة تنسب نفسها إلى أخ من أخوته وهو عيسى عليه السلام، الأنبياء إخوة، فما وجدها إلا ضلالة وطغيانا فهكذا يجب أن نتأمل في الأمور، إن كانت فارس تعيش عبادة نيرانٍ، الرومان ما كانت تعيش عبادة نيران كانت تعيش تحت راية عيسى عليه السلام، ثم إذا جئنا لننظر بدقة وإمعان سنجد أمة تامة في زمن ابراهيم عليه السلام ما اعتبرها كأغنام، اعتبر ابراهيم أمة، هكذا هو الاعتبار بمنظار ربوبي إلهي، ابراهيم أمة وأمة بكل عظمها و قياداتها وسلطانها ما اعتبرها الله لها قيمة.

فإذن يجب أن نتثبت في الأمور لنرى كيف نجد أمة هالكة وجاهلة أو كيف وجد رسول الله صلى الله عليه وآله أمة هالكة وجاهلة وهي تعيش إمبراطورية وما هلكت عاشت عباسية وعثمانية: الجواب يتضح إذا تأملنا في حقائق، إنه ما كان الفخر بنوح عليه السلام لأنه ساد الأرض حكماً وسلطاناً، كان نوح عليه السلام تسخر منه الأمة وتسمي الأمة أصحابة بالأراذل، هذا هو نوح فإنسان تسخر منه الأمة معتبرة إياه جاهلاً أو مجنوناً أو مختلاً وجمع تنظر إليهم الأمة أنهم أراذل هؤلاء أراد الله لهم نجاة وأهلك البشرية بتمامها، حتى لا نجعل المقاييس إمبراطوريات، الله لا قيمة لهذه الإمبراطوريات عنده، الله يريد علماً يسوق إلى عدل، إنه ما كان الفخر لنوح عليه السلام وتعظيم نوح عليه السلام لأنه ساد الأرض حكماً وسلطاناً وكيف ذلك والأمة تسخر منه

وتسمي أصحابه بالأراذل، وكذلك الأمر إذا نظرنا إلى ابراهيم عليه السلام اعتبره الله أمة، أين الأمة التي كانت تعيش في زمانه ما اعتبرها الله في ميزان عدلهتساوي ذرة، وهكذاننظر حتى نقيس الأمور بمقاييس إلهية وهكذا نجد الأمور، أمة إسلامية بتمامها فيها من النساء ما اعتبر أي امرأة من المسلمين وخاطب رسول الله نساءنا ونساءكم فاعتبر فاطمة هي الأمة بكلها من حيثنساء المسلمين، حتى لا نغالط النفس ونخدع النفس و نأتي بمقاييس دنيوية نلبسها لباس دين ونفخر بها يجب أن نأتي بمقاييس ربوبية حتى نرى أن المقياس الربوبي في ميزان عدل الله تعالى يوم الحساب كيف يكون، إبراهيم أمة ومن كان في زمانه مع كل عظمه ما اعتبره حتى حيواناً وفاطمة نساء هذه الأمة وما اعتبر أي امرأة بأزاء فاطمة لها كيان، هكذا تكون الحقائق وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى إبراهيم وما اعتبر النمرود والطواغيت بما لهم من سلطان وعدد أبدا وكأنهم لا وجود لهم لماذا؟ لأنهم لاثقل لهم في ميزان عدل الله تعالى.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى فرعون وسلطانه والفراعنة في زمن موسى عليه السلام وقد كان فرعون له مصر وله ما له من المكانة في الدنيا وإذ بطريد فارٍ خائف تكون له المكانة عند الله، أي مكانة؟ وجد فيه عقلا وعلما وحكمة.

فإذن القيم الإلهية تختلف من القيم الإنسانية اختلاف ما بين

السماء والأرض، اختلاف ما بين النور والظلمة، وجاء النبي محمد صلى الله عليه وآله ووجد إمبراطورية عظمى رومانية فما إعتبر لها قيمة أرسل لها رسالة كما أرسل إلى فارس كما أرسل إلى أي دولة من الدول فما قيمها وأعطاها خصوصية و اعتبرها سنداً لدعوته، بل اعتبرها دولة كباقي الدول خارجة عن موازيين الحق و العدل.

وهكذا دوّى صوت محمد صلى الله عليه وآله والدنيا بعربها وعجمها ضده الدنيا بكلها بأزاء إنسان لا قيمة لها محمد صلى الله عليه وآله لحظة نزول الوحي عليه السلام عليه وأنه أراده الله رسولاً للعالمين لا تقاس به البشرية، البشرية كلها لو جعلت بميزان وكان ذلك الميزان يختلف عن ميزان محمد صلى الله عليه وآله لكانت كلها لا قيمة لها أبداً.

فإذن لا تقيم الأمور بمثل هذه الكلمات محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم وفاته كان حاكماً على مدن مختلفة وما وجدناه جاء بإمبراطورية وحقق إمبراطورية، قرية تعيش علماً وعدلاً لا تقابلها الدنيا بما فيها وبفتوحاتها لأن الأمور لا تدور مدار هذه الهالة تدور مدار الحقائق، ولو كان الأمر يدور مدار الألقاب و العناوين فها هي اليوم الأمم المنتسبة إلى عيسى عليه السلام يسود سلطانها على الأرض أيمكن أن نعتبر هذا فخراً، و أن عيسى عليه السلام اليوم لأن العالم قوامه اليوم تحت راية عيسى عليه السلام كدول تنسب نفسها إلى الأديان نحن لا نتكلم عن

الصين ولا عن أي دولة شيوعية، الدول القائمة اليوم في العالم من كل أقطار العالم عزها وسلطانها عنوانه عيسوي، عنوانه نصراني ألمثل هذه النصرانية قيمة؟ لماذا لا تكون قيمة للنصرانية وتكون القيمة للامبراطورية الأموية الشاكلة واحدة الألقاب لا تبدل حقائق العناوين لا تبدل لو كان العنوان يعطي حقيقة لكان عنوان من ينتسبون اليوم في العالم كله وهم يسودون العالم ومتمكنين لكان عنواناً جميلاً على أن اليوم العالم يعيش انتساباً إلى روح الله عيسى عليه السلام.

نحن نعلم وكل عاقل يعلمأن مثل هذا الانتساب لا قيمة له ولا وزن لهكشعرة في ميزان لأنها ألقاب وعناوين لا قيمة لها فألقاب النصارى لا قيمة لها وألقابنا لها قيمة! التلاعب تلاعب وعدم القيم عدم القيم، من إنتسب إلى النصرانية على طول التاريخ لأنه كان غير محق فلا قيمة له ومن إنتسب إلى الإسلام سنيا أو شيعيا إذا لم يكن يعيش واقع عدل وعلم لا قيمة له، الألقاب لا تبدل العناوين أبداً ومطلقاً هذه المغالطات هي التي دخلت في مطباتها العرب فراح ليقول قائلهم كيف تتكلمون وانظروا إلى الفتوحات وانظروا كيف ساد العرب كأن محمداً صلى الله عليه وآله جاء لكي تسود العرب.

محمد صلى الله عليه وآله نبي الإنسانية الذي بعثه الله رحمة للعالمين هذا

النبي نبي العظمة، هذه الفتوحات التي حصلت لا ربط لها بمحمد صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه وبدين الإسلام ولا قيمة لها، لو كانت هكذا أمور متحققة لتحققت بعد عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ لتحققت بعد ابراهيم عَلَيْهِالسَّلَامُ وبعد نوح عَلَيْهِالسَّلَامُ وبعد موسى عَلَيْهِالسَّلَامُ ما وجدناها تحققت يوماً من الأيام ومن نسب نفسه إلى عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ أو إلى موسى أو إلى الأنبياء المتقدمين الذين لا نعرف بتأريخهم كلهم كانوا من هذا النمط، فهكذا هي أمة محمد صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِه ما هلكت لأنها جاعت، أو ضعفت بل هلك فيها العلم وهلكت فيها التقوى، هلك فيها الإيمان لما ساد السيف وصار بديلاً عن هذه الحقائق، الصحابة الذين كان يجب أن يبقى الواحد منهم لينتشر في الأرض علما وبيانا ونورا طحنتهم السيوف لفتوحات جغرافية لاقيمة لها أبدا فبدلا من أن يسود المسلم العالم بالعلم فيبعث هؤلاء دعاةً في العالم ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور رفعوا سيوفاً وهاجموا البشرية بها فمن كان حامل رسالة قتل وجاء جهال فازداد الجهل جهلاً في الأمة الإسلامية وهكذا نحن نشاهد تحت خداع وتلاعب حروباً صليبية مرت عنوانها عنوان دين وتقوى، الحروب الصليبية من أجل الدعوة إلى ديانة عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ وراح كذلك بنوأمية ليجمعوا المال والحسناوات وكذلك من تقدم عليهم راحوا بهذه الدوافع وهذه الغايات ليفتحوا ونحن فخورون فإن كان هذا فخراً فلتكن النصرانية اليوم فخراً ولتكن إسرائيل اليوم فخراً لأنها تنسب

نفسها إلى موسى عليه السلام الانتساب لا يبدل حقيقة، الأمة التي قبلت لأنفسها أن أمير المؤمنين فيها فليكن يصل إلى الحكم بالوراثة وليكن جاهلاً وليكن جائراً و....هذه الأمة بهذا الانحطاط العقلي والأخلاقي والمعرفي وبكل هذا الانحطاط أيمكن أن يكون من يعيش تحت هذه الراية يعيش عظماً، ولو كان الفخر بانبساط جغرافي على وجه الأرض فلتفخر المغول بجنغيز خان وليفخر التاتار بتيمور ولتفخر بعض الأمم بليلينا وإستالين.

أردتها منبهاً لأني أسمع كثيراً من هنا ومن هناك ومن بعض من يدعي المعرفة والحضارة ولا يقبل لنفسه اليوم أن يقوم أي شيء تحت راية السيف ويقبل ذلك ديكتاتوريا ويقول بذلك أنه همجية وأنه عدوان وأن الإنسان لابد و أن يعيش حراً بعقله يتوصل إلى ربه يقولها لكن إذا جاء إلى الفتوحات الإسلامية يفخر بها تناقض يفخر بأفعال صدرت من قوم سموها جهادا وراحوا ليندفعوا على البشرية ويأتوا بنساء الناس يبيعونها في الأسواق ويقسمونها تقسيماً، من هنا يفخر لكن لو سأله السائل أنت رجل مثقف دع عنك زيدا وعمرو من الجهال أتقبلها لنفسك هكذا أتقبل هذا حضارة ومعرفة أتقبل هذا دينا ألا تعتقد أن الدين لا إكراه؟ فيه يقول نعم نعم بمجرد أن يصل إلى مسألة الفتوحات من أجل الفخر يقول: لا نحن سدنا العالم الحمد لله رب العالمين، كيف

سدتم العالم سدناه بالسيف تناقضات يجب أن نخرج منها فالنرجع إلى رشدنا وإلى عقلنا الرايات التي نسبت نفسها إلى عيسى عليه السلام ما كانت عيسوية وكذلك التي نسبت نفسها إلى موسى عليه السلام ما كانت موسوية والرايات التي نسبت نفسها إلى محمد صلى الله عليه وآله ما كانت محمدية .

والآن نطرح تسائلاً وهو قد مر: قلنا إن القرآن شمس هداية وقلنا إن السنة النبوية الشارحة للكتاب شمس هداية وقلنا إن محمدا صلى الله عليه وآله شمس هداية وقلنا أن الحسين عليه السلام شمس هداية فكيف توصف هذه بمصابيح؟ ما وصفها فقط خبر جاء من رسول الله صلى الله عليه وآله يصف حسيناً عليه السلام بأنه مصباح هدىً بل القرآن أيضاً يصفها بهذا الوصف، في الآية الشريفة التي مرت علينا ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ [1] أيضاً يصفها بهذا الوصف، لماذا هذا الوصف؟

يجب أن نلتفت تماماً وبدقة حتى لا نخلط في الموازين، كإشارة وسأرجع إليها على أن القرآن شمس هداية للمتقين، رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرته شمس هداية للمتقين والحسين عليه السلام وفاطمة شمس هداية للمتقين، هؤلاء العظماء ليسوا شمسا لكل أحد، من يعيش في

١ـ سورة النور، الآية ٣٥.

أنفاق الظلمات أين هو من شهود شمس الهداية واكثر البشر يعيشون في أنفاق الظلمات فالقرآن وصفه الله تعالى بأنه هدى للمتقين فإذن هو شمس هداية لأولئك بعد هذه المقدمة نريد أن نرى لمَ والله أقدر القادرين لم ما جعل القرآن شمس هداية للبشر؟ ولم ما جعل محمدا صلى الله عليه وآله وهو سيد الكون كله لماذا ما جعله شمس هداية للبشر؟

هاهنا إن تأملنا سنجد الحقيقة واضحة لكن مقدمة لابد وأن نقول إن شمس الهداية لا يختلف فيها إثنان ولذا سوف لا يختلف إثنان إذا قال تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [1] بمجرد أن تذهب الحجب ستكون شمس الهداية واضحة، الناس منذ خلق الله آدم عليه السلام وليومنا هذا يعيشون اختلافاً في التوحيد وعدم التوحيد والناس هم أيضاً يعيشون اختلافاً في الأنبياء، فليس الاختلاف في الإمامة بدعاً في موازيين الله تعالى، الإمامة قائل يقول إنها عظمة عصمة تشرح كتاب الله بلا إفراط ولا تفريط ولا ظناً ولا اجتهاداً قطعاً ويقيناً وآخرون يقول هي إمامة ولو تكون إلى يزيد بن معاوية شارب الخمر هكذا بين القولين ما بين السماء والأرض من الاختلاف.

١ـ سورة غافر، الآية ١٦ .

ماذا نريد أن نقول بهذه المقدمات، نريد أن نقول حينما قال الله تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١) فإذن نور يحتاج إلى هداية خاصة من الله لمن يشاء أي لمن وجده أهلا لهذه المشيئة، ولماذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (٢) لم يا إلهي ما شئت أن تكون الناس أمة واحدة تعيش حياتها تحت نور شمس الهداية لأرحت الجميع؟ كيف يكون ذلك والدنيا دار اختبار واختيار وهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٣) فإذن أراد دنياً فيها آلاف الرايات من الظلمات ومن الانحراف ومن ..... وراية واحدة بيضاء ناصعة بين كل الرايات والظلمات أيبصرها الإنسان أو لا يبصرها لغشاوة عقل أو لاختلال فطرة هكذا هو الواقع الذي أراده الله تعالى بعد وضوح هذه المقدمات نأتي فنقول:

من تأمل في بعض الأمور سيجد الجواب واضحاً، لمَ كان الحسين عليه السلام مصباح هدى وما عبر عنه بأنه شمس هداية بل الرسول أيضاً هو كذلك بل القرآن أيضاً كذلك، فمن هذه الأمور والتأمل

١ـ سورة النور، الآية ٣٥.

٢ـ سورة هود، الآية ١١٨.

٣ـ سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

فيها تتضح الكثير من المطالب أنه لمَ لم نسمع بعد أولي العزم من الرسل قيام أنظمة ربانية على وجه الأرض، ما سمعنا أبدا، نهاية الأمر سمعنا بأمر واحد وهو سلطان سليمان عليه السلام ، هلا كان أولوا العزم من الرسل أولى من سليمان عليه السلام بإقامة هذه الدولة الإسلامية لأن دين الله هو دين الإسلام، الإسلامية العالمية، لمَ لم يجعل الطير في خدمة نوح عليه السلام والجن في خدمة آدم عليه السلام وهلم جرا، لمَ من تأمل سيجد إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يلفت أنظارنا أني لو أردت لكنت قادراً، لكن تأملوا في سلطان سليمان عليه السلام كيف كان الأمر من بعده وكيف كان الكل ينظر أن يموت سليمان ليعود إلى ما هو عليه، فما وجدنا هذا السلطان أخرج الجن والإنس من بعده إلى نور الهداية بل كانوا يتربصون الفرص لإرتكاب جرائم، هكذا إذا حمّل الدين على الرقاب وتسلط الدين بالسيف على الرقاب يخلق أمة منافقة ولا يدفع بأحد لكي يسير مجاهداً في سبل ربه إلى لقاءه والله يريد دينا نابعا من الباطن، يريد دينا تشع أنواره من القلوب ثم تدفع بصاحبها عاشقا إلى سبيل ربه، فلذا نقول: من تأمل سيجد على أن الله سبحانه وتعالى أراد للنفوس أن تسير سير هدىً بدوافع عقلها، بإرادتها، بعزمها، وبما شاكل هذه الأمور ولذا من تأمل في دعوة الأنبياء سيجدها دائمة مبشرين ومنذرين، ما وجدنا

آية تجاوزت هذا الحد، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [1]، ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [2] لكن ما حدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله تجاوز الحد، تجاوز حدود واقع الأنبياء بشارة ونذارة، تجاوز واقع شرائع السماء ولو كان الله يريد ذلك لحققه لنوح أو لموسى أو لعيسى عليهم السلام، لحققه لأنبياءه، لمَ يترك محمداً صلى الله عليه وآله ولم يحقق على يده دولة وإمبراطورية عظمى ليحققها زيدا أو عمرو، ما حققها على أيدي أولي العزم من الرسل، ينتظر رب الكون أن يحققه لها زيد أو عمرو؟ هذه مغالطات وتلاعب هذا فخر عربي بفتح ظنه كمالاً وجاء الآخرون تحت هذه الفكرة ليفخر أيضاً غير العربي بذلك: الحمد لله إنتشر الإسلام بواسطة القادة المهمين الذين راحوا ليجاهدوا في سبيل الله تعالى، مغالطات في مغالطات وفخر في فخر لا معنى له ولا قيمة له.

والآن نأتي لمزيد من المعرفة إن تأملنا بخطبة نريد أن نقرأها على مسامعكم من إمام المتقين يحكي لنا واقع الدنيا والمراد منها، هذه الخطبة العظيمة هي خطبته المسماة بالقاصعة التي يتعرض فيها عليه السلام لذم إبليس، ومن تأمل فيها وجد حقائق الأمور كلها مجموعة

١ـ سورة الغاشية، الآية ٢٢.

٢ـ سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

هاهنا، أما من قرأها قراءة لنبرات أو من أعرض عنها كأبناء العامة فنحن لا نتكلم عن معرض بدوافع طائفية أو عن شيعي يريد أن يسمع كلمة ليبكي أو لتحرك له أحاسيس، نحن نريد أن نستنطق الكلمات لنعرف قيماً وواقعاً بنيت عليه الدنيا من أجل الكمال، قال علي عليه السلام: «لو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الأنفاس عرفه لفعل»[1] الإمام علي عليه السلام يريد أن ينبهنا و يخرجنا من غفلة يريد أن يقول الإمام علي عليه السلام، وأنا لا أريد أن أشرح هذه الخطبة لكن من باب الفات النظر أقول يقول الإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة التي يذم فيها إبليس يقول لو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور لماذا يخلق آدم أدمة لا نور فيها، الله تعالى خلق الجن والإنس ليختبرهم أيعيشون عقلا أو لا يعيشون، إن كانوا يعيشون عقلا أبعقلهم يسيرون الكمال أو لا يسيرون فلذا جعل الأمور لهم بكيفية حتى يبذلوا جهدا للمعرفة، لو خلق آدم عليه السلام بأنوار تشع في الملكوت وأعطاه سلطانه عظيماً ومكنه من الرقاب أما تنقاد إليه الناس تماماً؟ لا يختلف اثنان، فإذن يقول الإمام عليه السلام لو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياءه ويبهر العقول رواءه وطيف

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٢٨٥ ، الخطبة القاصعة.

يأخذ الأنفاس عُرفه لفعل، يا أمير المؤمنين لمَ ما فعل؟ قال «ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة» فلا يكون الخضوع لله رب العالمين عرفانا وخشية تصير خضوعاً لهذا الأمر المحسوس، سلطان ونور وأمثال ذلك، كما أن الآن الكثير منا هكذا يتصور لو أنه يوماً من الأيام مرّ وقيل له أن هذا هو مهدي آل محمد ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ يظن الكثير منا كشيعة نحب أهل البيت عليهم السلام سيجد نوراً متشعشاً مرتبطاً بالسماء، وسيجد جمالاً يوسفيا بل لا يقاس بيوسف عليه السلام وسيجد وسيجد .... هكذا ندخل في الأوهام، لا كان علي عليه السلام هكذا ولا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وهو سيد الكائنات من قبله هكذا هؤلاء عظماء بعزائمهم، بعقولهم، بمعارفهم، بتضحياتهم هؤلاء ما قال يوماً من الأيام الحديث كون الله تعالى لغاية جعل يوسف عليه السلام جميل ذاك لا نتكلم فيه وكون الله تعالى لغاية جعل سلطانا سليمانيا ذاك لجهات خاصة ليس هو نمط الكون، وأنا سمعت هذا الحديث حتى من بعض الخطباء على المنابر يقول لا تتصوروا أن يوسف عليه السلام أجمل من غيره لو وجدتم محمدا صلى الله عليه وآله لوجدتم جمالاً عظيماً عجيباً غريباً، ظن أن الجمال الذي هو يوسف عليه السلام يجب أن يكون لإبراهيم أشد منه لأنه أفضل منه فإذن هو لرسول الله صلى الله عليه وآله أشد، لا تقاس الأمور ولا يتكلم الإنسان بمثل هذه الكلمات ولذا يقول: «ولو فعل» يعني لو جعل الله تعالى

آدم عليه السلام بهذه الكيفية نوراً متلألأ وسلطاناً عظيماً «لظلت له الأعناق خاضعة» هل هنا صار عندنا مزج في الخضوع إلى الله تعالى أو ما صار؟ من يجب أن يأتي إلى أولياء الله مضحياً كل شيء للوصول إلى ربه جاء لأولياءه لأن لهم سلطاناً، دخل في الشرك وهو لا يعلم، والله لا يريد من يأتي إليه يعيش خلط التوحيد والشرك، يريد من قصد أولياءه يقصدهم لذواتهم لأنه عرف علماً وعزماً وتقوى..... فطلب هذا ومن طلب هذا لا لأي جهة لا لأن النبي أو المؤمن ذا سلطان وكذا، فكر في المرحلة الثانية: لابد وأن أضحي، لا فقط ما جاء ليكتسب أمراً دنيوياً بل لابد أن أضحي ما لدي من جاه ومقام وشهرة، بل ونفس وعزيز وهلم جرا لأن مع هذا الشخص ليست إلا التضحيات، فيكون الفعل خلوصا إلى الله تعالى ولذا يقول ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة «ولخفت البلوى فيه على الملائكة» الملائكة بقوا مترددين لو أعطاه الله نورا متلألأ وسلطاناً لانقادت الملائكة بطبيعتها إليه من دون أن تتردد ولجاء إبليس ذليلاً خاضعاً يسجد إليه لأنه يسجد للسلطان ولذا نرى نحن وبكل وضوح كمثال :الناس تحضر عند الجبابرة والمتمكنين وهم قبل أيام يدبرون الكلمات ويصطنعونها كيف يتكلمون، وكيف يدخلون، ويدخلون وهم يرتعشون من الداخل كقلوب والأرجل ترتعش وهلم جرا، في صلاتهم بين يدي سلطان السماوات

والأرضين لا يقفون هكذا، لم يخضع لسلطان وجبار ويعرفونه في باطنه بأنه دجال وكذاب سارق نهب الدنيا بما فيها وحرّف ما حرف يقف بين يديه خاشعاً ذليلاً مرتعباً وفي صلاته لا يقف كذلك وسأوضح هذا أكثر فأكثر حتى يرى الله هل أنهم وجدوا سلطانا إلهيا جاءوا إليه يتوصلون إليه بواسطة طريد كموسى عليه السلام، بواسطة إنسان طريد من مكة إلى المدينة كمحمد صلى الله عليه وآله، بواسطة أناس صبّت الدنيا غضبها عليهم في كربلاء هل جاءوا ناصرين أم لا؟ والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

بيان لعظمة فاطمة عليها السلام وأنها المشكاة لمصباح الولاية الحسينية

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وما يتعلق بخروجه ضد الظلم والظالمين قلنا أن هناك أموراً وأحداثاً مرتبطة بهذا الحدث العظيم لا يمكن أن نمر عليها بدون أن نتوقف عندها حتى لا نعيش غفلة عن واقع حياة مقترنة ببعض الأحداث وببعض الأمور ومن المعلوم أن كل باحث عن حدث كحدث كربلاء مثلاً يريد أن يطل عليه كحدث في كربلاء يقيناً تخفى عليه الكثير من الأمور لأن هذا الحدث بما ترتّب عليه من آثار ما كان حصيلة لحظة و واقع متواجد لركب في كربلاء هناك علل ومقارنات يجب على الباحث أن يدرسها لاحقة وسابقة حتى يرى كيف يطل على واقع حدث وكذلك قلنا إن الروايات الشريفة تربط هذا المصباح وهو الحسين عليه السلام كنور لكي تهتدي به هذه الأمة، تربطه بزجاجة ومشكاة، هذه الزجاجة الحافظة لهذا النور حتى لا يطفأ وهذه المشكاة التي كانت ظرفاً ومحلاً لهذا المصباح الروايات تقول هي فاطمة عليها السلام فإذن لا يمكن أن نجد تلألأ

هذا المصباح ولا يمكن أن نجد كيف أشرق على البشرية إلا من خلال مشكاته وزجاجته، حتى نكون كما ندرس الأحداث بما يناسبها من مقارنات وأحداث ومجتمع وحكم لابد وأن نلحظه بما يناسبه آية ورواية حتى نكون رأيناه من جوانبه المختلفة واكتسبنا منه ما يمكن أن يكون علماً مثمراً في المقام.

والآن تيمناً نقرأ على مسامعكم أبياتاً نظمتها في حق فاطمة عليها السلام لنعيشها معرفة تقربنا هذه المعرفة، يعني من عرف فاطمة عليها السلام، تقربنا هذه المعرفة والمشكاة، تقربنا هذه الزجاجة الحافظة لعلوم الأئمة عليهم السلام، تقربنا من النبوة معرفة والإمامة فمن وجد فاطمة عليها السلام وجدان معرفة راح ليعرف النبوة معرفة صحيحة، والإمامة، لم خُطبتها في المسجد النبوي، هذه الخطبة العظيمة فيها معاني شرع الله فيها بيان ظلامة فيها بيان تلاعب أمراء تلاعبوا باسم الدين ونسفوا حتى نصوصه كالمواريث لغاياتهم ومقاصدهم هذه كلها يجب أن تكون بمنظار الإنسان المسلم الذي يعيش حرية في عقل، ولم يقيد وعقله ودينه بقيود الحضارات ومرضاةً للرجال والنساء، فبالتأمل في خطبها المختلفة تُكشف لنا حقائق الآن نقرأ أبياتاً ثم نأتي إلى محل كلامنا:

الشمس والقمر الوضاء قد كانا

من أراد أن يعرف فاطمة عرفها بكلمات رسول الله وهو

شمس الهداية قرن رضاها برضا الله وقرن غضبها بغضب الله، الإنسان المسلم يقيناً يتأمل هاهنا لماذا يتكلم الرسول صلى الله عليه وآله عن غضب لبنته ولماذا يتكلم الرسول صلى الله عليه وآله عن رضا لبنته لماذا يجلّها وإن كان أمراً واقعياً لكنه يريد إلفات نظر يقبل يدها، يستأذن حتى في الدخول على بيتها، كلما مر على بيتها يقول هؤلاء أهل بيتي، كل هذه أحداث وحقائق وكلمات من شمس الهداية النبوية تريد أن تبين مكانة لفاطمة بهايعرف الشرع من بعده، فمن عرف فاطمة في مواقعها وربطها بكلمات عن الرسول وبموافقة وببيان من علي عليه السلام سيجد الكثير من الحقائق متجلية أما الذين عاشوا رقّاً تقديساً للرجال فهؤلاء يقينا يحشرون يوم الحساب تحت راية من عبدوهم من دون الله تعالى.

الشمس والقمر الوضاء: الشمس هو رسول الله صلى الله عليه وآله الشمس الذي هوشمس لكل مسلم لا يتردد فيه، قلنا نحن إن الله تعالى جعل قرآنه هدىً للمتقين، وجعل المصابيح أو المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع وقال يهدي الله لها من يشاء، فرسول الله صلى الله عليه وآله هو شمس هداية لكل مسلم لأنه لا يكون مسلما وهو يتردد في مقالة رسول الله أو لا يريد أن يسمعها إرضاء للرجال، وقمرها من بعد ما ذهبت هذه الشمس كان علي عليه السلام فمن وجد شمس الهداية المحمدية ومن وجد بعد غيبتها قمرها وهو علي عوجد الحقائق جميعاً.

الشمس والقمر الوضاء قد كانا لفاطم فــي سما العرفان عنوانا

مـن أراد أن يعـرف فاطمـة عـرفها بكلمـات علـي وبكلمـات رسول الله ﷺ وبخطبها وبمواقفها و كلامها:

وفي غد سوف يبدو الحق فـي صحف

تتلـــى بــأصقاع حشر كان تبيانـــا

نحن لا نتردد على أن دار الدنيا مهما بلغت من الوضوح ومن السطوع وتجلى رجال الله فيها وعرفالبعض مكانتهم لكن البشر يبقى هوالبشر لايتمكن أن يرى تلك الحقائق و الجواهر العظيمة إلا يوم الحشر حينما تكون القيم لواقع العدل هناك نرى أبا ذر ومكانته وكيف يحسده الصغير والكبير وكيف تحسده الأمم على مواقفه ضحّى وغضب من أجل ربه هناك تتجلى الأمور فإذن إن كأبي ذر جهلناه فكيف لا نجهل علياً عليه السلام فكيف لا نجعل فاطمة أو محمداً ﷺ أو الأنبياء والمرسلين والأصياء الكرام.

وفـي غـد سـوف يـبدو الحـق

تتلـى بأصـقاع حـشر كـان تبـيانا

من بعد مـا طمست فـي ليل معضلة

أســفارها لــشقاء كـــان كـــتمانا

المشكلة الكبرى هي التعتيم والمشكلة الثانية هي جهل الأمم التي لا تشخص الحقائق مستسلمة للتعتيم ونحن وجدنا هذا كنا نستغرب كيف الحقائق تبدّل كيف الأمور تزيّف كيف يصبح الباطل حقا وكيف يصبح الحق باطلا كنا نستغرب حينما نقرأ التاريخ لكن لما عشناه في واقعه في حياتنا ولا أريد أن أشير إليه والعارف لا يعرّف، عشنا ظلمة وجهلاً وعدواناً وجدنا كيف الإعلام جعل الظلمة نوراً وكيف الإعلام جعل العدوان عدلاً ووجدنا كيف سكت رجال يعرفون الحق لمصالح وخوف لتلاعب، فكنا نستغرب كيف سكت أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عن تلاعب المتلاعبين وكنا نرى ذلك أمرا مستغرباً ثم نقول لأنفسنا أحيانا أمعقول ذلك فوجدنا أن السلطة والدنيا اذا جاءت تجعل الكثير من الأمور التي يتصورها الإنسان غير معقولة، أمن المعقول أن تسكت صحابة رسول الله ؟ وجدنا أنمن المعقول أن كبار العلماء والفقهاء سكتوا عن أباطيل لا يترددون فيها، وجدناهم كيف سكتوا وجدناهم كيف نافقوا وكيف بدلوا، فالإنسان لا يستغرب كنا نستغرب لكن من عاش الواقع يرى أن لا استغراب في الدنيا إذا جاءت القوة وصار المنطق منطق قوة في مقابل ضعف، كيف تتبدل الأمور وكيف تتلاعب الرجال والنساء.

من بعد ما طمست في ليل معضلة أسفارها لشقاء كـان كتمانـا

حيث الدنية هذا واقع الدنية أيها الإخوة هذا واقعها ومن لم يعشها ما عاش واقعاً.

حيث الدنية في وديانها ظلم تكاد تحجب للأهواء أركانـا

دنيا حجبتسيد الكائنات أياماً طوالاً وهي تحجبه ليومنا هذا عند الكثير من الأمم ما شاهدوا أنواراً والمسلمون الكثير منهم ما عرفوا محمدا وإلا فمن عرف محمداً كيف يقبل خليفة له يزيد بن معاوية أو كيف يقبل خليفة لمهدي آل محمد ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ ظالماً من الظلمة وما شاكل هؤلاء المتلبسين بلباس الدين.

حـيث الدنية فـي وديانها ظلم تـكاد تحجـب للأهواء أركانا

الأركان والأسس تضربها الدنيا.

بـها المعالم والآيات مشرقـة والعدل فـي ظلها قد كان بنيانا

هكذا كانت فاطمة نوراً عدلاً طمستها معالم الإعلام، طمستها ظلمات الأيام.

سر الوجود لغايات العلا أبـدا قـد انطوى فـي كـتاب كـان ميزانا

كـتاب جوهـرة الأكـوان فاطمـة بشرى لمن عاش ليل الجهل عرفانا

فراح يطرب من أنوارها فرحها ... يسعى لرضوان رب كان رحمانا
قد شاهد الحق في أوطانه قمما ... تروي أحاديث صدق كانا إيمانا
بشراك يا من رأيت الحق مرتسما ... في وجه شمس[1] سماها كان برهانا
تلك التي جاء في التنزيل أن لها ... مقام جمع لدى الرحمن مولانا

لست بصدد شرح هذه الأبيات لكن أردتها إشارة إلى مقامها العظيم، فمن أراد معرفة مشكاة وزجاجة مصباح آل محمد أعني فاطمة عليها السلام عرفها بمن ؟ بأقوالي أنا بأقوال خطيب وزيد أو عمرو؟ كلا فاطمة لا يعرفها إلا رسول الله صلى الله عليه وآله لا يعرفها إلا علي عليه السلام ولا يعرفها إلا أهل البيت، فمن أراد معرفتها عرفها بواسطة من هم أهل لعرفانها، عرفها بأقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان يقوم به من عمل كتقبيل يد واستئذان لدخول بيت، هذا البيت الذي كان رسول الله يستأذن للدخول عليه يحاط بالحطب ثم يقول القائل حينما قيل له إن في البيت فاطمة قال نحرق البيت ومن فيه، هكذا وصلت هذه الأمة في انحطاطها، حتى راح رسول الله صلى الله عليه وآله ليقول: لأنه يرى أبعاد الظلمات المطبقة على هذه الأمة قريبة، فاطمة بنته وهو يعلم أنها ستلتحق به في أقل من سنة ستة أشهر أو أقل من ذلك فكيف يتكلم

١ـ وهي فاطمة عليها السلام.

عن ظلامتها كيف يتكلم عن غضبها يتكلم عن غضبها وسخطها على أمة خرجت من دين الله «فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما آذاها»، «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني أو يغضبني ما يغضبها»، «وإن الله يغضب لغضبها»، «وإن رضاها رضا الله وغضبها غضب الله» هكذا الروايات الواردة عن رسول الله ﷺ لماذا هذه الأمة تقديساً للرجال بل تجاوزوا التقديس إلى عبادة الرجال لماذا هذه الأمة لم تتأمل يوماً لتقول ما هذه الكلمات التي سلّم بها الجميع حتى البخاري على كل إصراره على إنكار الحقائق سلمها و موجودة حتى في البخاري، لماذا هذا الإصرار من الرسول ﷺ بروايات متواترة كثيرة نقلتها العامة والخاصة يتكلم عن غضبها، ورضاها، لماذا؟ وأنها سيدة نساء العالمين، سيدة نساء العالمين أترتكب ما يخالف شرع الله؟ لو كان الناس يعيشون عرفانا وما عاشوا عبادة الدنيا لقالوا للرجل حينما إتهمها بالجهل وخاطبها بأنها لا تعرف حتى أحكام المواريث، لقالوا له قف حدك وتأدب أيها الرجل، فاطمة أعرف منك بكتاب الله إن كنت تدعي معرفة، أين أنت من فاطمة التي يقول سيد الكائنات في حقها «سيدة نساء العالمين» أيمدحها بدوافع العاطفة وهي جاهلة؟ لكن الأمة حينما استسلمت لمثل هذا الجهل صارمن بعد ذلك يزيد أميراً عليها، وأنها هي التي كان رسول الله ﷺ أشم منها رائحة الجنة، أيشم من

إنسانة جاهلة رائحة الجنة؟ أيشم من إنسانة تندفع بدوافع الجهل تطلب أموال المسلمين لنفسها ولأبناءها رائحة الجنة؟ هذه الأمة هكذا سقطت في ظلماتها حينما أحبت الدنيا.

فيجب أن نرى فاطمة بمنظار نبوي، بمنظار من طريق الأئمة الكرام حتى نتأمل بعد ذلك في خطبها وكلماتها وفيما قامت به في تأريخ طواه المسلمون في حياة رسول الله ومن بعدهخوفاً على الرجال، فاطمة نشاهدها بمنظار نبوي و نشاهدها بمنظار كتاب الله الذي جعلها الكوثر لا بمنظار من جاء من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ليجعل الحطب على الباب، لا بمنظار من جاء بدوافع الطغيان وبدوافع الجهل حينما وجد أمة جاهلة ليتهم فاطمة حتى بالجهل في أحكام المواريث.

و الآن وعدنا أن نتكلم عن خطبة عظيمة عظيمة فيها معالم الشرع وفيها الإبتعاد عن الغوايات والجهل والمفاخر راحت لتأتي قرونا تعيشها الناس زهواً، مفاخر أثرت حتى على بعض الفقهاء وقد سمعتهم بنفسي يفخر بفتوحات: كيف لا نقول بأن القوم خدموا الإسلام وهاهم قد نشروه، أسقطوا إمبراطورية فارسية وأرجعوا البلاد العربية وفتحوا إفريقيا وبلاد فارس وكأنه ما قرأ تأريخ الأمم أن أكثر الإمبراطوريات في العالم تبقى في أواخر أيامها كواقع كارتوني من بعيد، هي عجوز من الداخل تحتاج إلى هزة للسقوط

ولذا حينما جاء المغول أو التاتار ليضربوا عظيم إمبراطورية عباسية نفخوها نفخا فطارت، ألعظم فيهم؟ لا للعظم في المغول ولا لبسالة فيهم وجبن في العرب ولا لكثرة في مقابل قلة، بل لإمبراطورية عجوز من الداخل منتهية قد نخرتها الأباطيل ونخرها الجهل والعدوان والتشتت فهو هيكل مصاب بألف مرض، يمشي يدراه البعيد أنه إنسان يمشي وهو مصاب بألف مرضيحتاج أن يضربه الطفل فيقع، هكذا سقطت الإمبراطوريات بهذا الشكل في العالم سقطت إمبراطورية فارس لهذا الحكم تأتي البشرتسعى سعيها تصل إلى مرحلة تطمئن، تعيش الطغيان تعيش العدوان تعيش ... ثم تقف ثم يأتي البلاء الداخلي ينخرها نخرا، يضربها يضرب أسسها تأتي دولة أخرى فتتسلط عليها، هكذا هذه الأمة جاءت كونّها رسول الله عزائم إيمان لكي تنشر عدل الله والحق على وجه الأرض استغلها الظالمون لمقاصدهم الدنيوية ففتحوا وجعلوها إمبراطورية فأقول وأعود أيها الإنسان المسلم لا تفخر بالجهل المتلبس بلباس الدين، الله أقدر القادرين لا يترك البشرية و سنته واحدة، لا يترك البشرية بعد أنبياء أولي العزم فما سمعنا أن من بعد نوح عليه السلام ولا من بعد ابراهيم عليه السلام ولا من بعد عيسى عليه السلام و لا من بعد موسى عليه السلام وهؤلاء عظماء الخلق أولو العزم من الرسل ولا سمعنا من بعد (١٤٢٠) سنة أو اكثر من ذلك بكثير ما شهدنا ولاسمعنا أقيمت دول الحق

والعدل الربوبي على وجه الأرض، لماذا يترك الله أنبياءه الكرام ويترك العظماء من الخلق على طول التأريخ الذين إتبعوا الأنبياء فما وجدناهم أعانهم لتحقيق دولة وإمبراطورية إبراهيمية ولا نوحية ولا موسوية ولا عيسوية ويترك من هو أحق بالأمر وما كانابن المائتين بلكان ابن الثلاثة والستين بمجرد أن تمت الدعوة بشيرا ونذيراً وضربت الدعوة أركانها على وجه الأرض لكي لا يُطلب للدنيا أخذه لأنه لا يريد أن تطلب الناس عبدا من عبيده للدنيا لا لسلطان ولا لجاه يترك أنبياءه الكرام ويترك أولو العزم من الرسل ويترك صاحب الدعوة وهو سيد الكائنات ليقوم بنشرها على وجه الأرض إمبراطورية إسلامية، الخليفة الأول أو الثاني، أليس هذا من مهازل العقول، ليقوم من بعد ذلك بنو أميه ومن هم بنوأمية؟ شرذمة من الفسقة والمنافقين والدجالين والمجرمين أهكذا تقام الدول الربوبية؟ يترك نوحا ليقيمها الوليد ويترك إبراهيم ليقيمها معاوية ويترك موسى وعيسى ومحمداً عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ليقيمها المتوكل العباسي شارب الخمور!

متى تريد الأمة أن تخرج من جهلها ومن مفاخرها الدنيوية التي ألبست لباس الدين وراحت لتصدق وعاظ السلاطين ؟ أقرأ هذه الخطبة الشريفة العظيمة لمن أراد أن يقرأها بنفسها، فمن قرأها بتأمل عرف أن الله يريد دعوة حدودها «مبشرين ومنذرين» ثم

يأتي الحكم «لا إكراه في الدين» هذه حدود وإطار الدعوات ومن تجاوزها كان طالباً للدنيا باسم الدين.

و الآن أقول إنا قد وعدنا بالتكلم عن خطبة لعلي عليه السلام يتحدث فيها عن إبليس وقلنا أن المتأمل فيها سيجد قيماً وسننا إلهية يتمكن من خلالها أن يعرف الكثيرمن الحقائق في ميادين الاختبار الإلهي حتى لا يخدع بالمظاهر وكلمات الدجالين وكلمات أبناء الدنيا الذين ألبسوا مظاهر الدنيا لباس الدين حتى لا يخدع بالمظاهر ويلبس الدين ملابس دنيا خداعاً للنفس كالفتوحات التي حصلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ولأجل أن لا يقول القائل كيف تصف الروايات الحسين عليه السلام بالمصباح وهو شمس الهداية قلنا ونقول إن الله أراد مصابيح في بيوت أذن أن ترفع يبذل الباذل جهده من أجل الوصول إليها إن وجده الله أهلا لذلك ولو أراد الدنيا فيها شموس ساطعة لمكّن الأنبياء دائماً لمكّن العظماء دائماً لجعلها لا تخرج من يد آدم حتى الخاتم حتى قيام الساعة ليس الأمر هكذا وكيف يكون هكذا الأمر وهذا يتنافى مع الغاية التي خلق من أجلها الإنسان والغاية هي الاختبار والامتحان وأن يكون الإنسان مختاراً وأن يبذل جهده مضحيا من أجل الوصول بعظماء الخلق مطرودين يفرون من مكة إلى المدينة كرسول الله صلى الله عليه وآله، يبحث عن طريد لقريش في مكة أو في شعب أبي طالب، يبحث عن طريد لفرعون

في مدين او في شعاب الأرض يبحث عن طريد لبني اسرائيل والحكومات كالمسيح عليه السلام هكذا أراد الله معارفه بجهد علماً وعملاً فقد قلنا أن الله لو أراد أن يحسم النزاع، هناك كلمات نسمعها مكررات يستفيدوا منها الدجالون حينما يجدون جهالاً يضحكون عليهم، كيف يدعي الشيعة على أن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إمامة أي أوصياء للرسول صلى الله عليه وآله؟ هذا باطل وكذب لو كان حقاً كما يدعون لجاءت أسماء الأئمة واحدا بعد الآخر في القرآن المجيد فعدم وجود أسماءهم في القرآن المجيد أكبر دليل على كذب هؤلاء، ثم يسمعها الجاهل من أبناء السنة ويقول عجيب هذا العلم الذي ينزل علينا كشأبيب المطر وما عرف أن الدنيا مختبر للعقول نتوقف هاهنا لكي نتأملفي الغاية من الدنيا، كيف نتوقف؟ لو رجعنا إلى الإنجيل لوجدناه يتكلم عن أحمد، هل كان الله غير عالم بأن الذي سيأتي اسمه محمد، لماذا ما حدد أباه وأمه وزمانه ومكانه لماذا ما جاء بأمور لا تجعل أحدا يتردد في أمر؟ مادامت الدنيا دار اختبار لابد وأن يكون الوصول إلى الحقائق بعد بذل الجهد المتواصل علماً وعملاً فلذا أقول مثل هذه الأباطيل والشيطنة التي يخدعون بها الجهال من أبناء العامة أنه لو كان لوجدنا ذلك مكتوباً وكأنهم ما مروا على أمرين أساسيين و كيف يمر الجاهل على حقائق الأمور، الله سبحانه وتعالى الذي ما حسم النزاع في مرحلة التوحيد وهي

أساس الأسس، من لم يحسم النزاع في التوحيد أيحسمه في النبوة؟أو في الإمامة؟ كلا، لو كان سلطان ضعيفا لقلنا بسبب الضعف ما تمكن من الحسم، لكنه الله أقدر القادرين وإذا كان الله هو أقدر القادرين كان قادرا أن يجعل ملكا يصيح ما بين السماء والأرض فلا يبقى إثنان يترددان في التوحيد أو يظهر جنانه أو نيرانه أو ملائكته أو يظهر بأسماء الجلال والقهر والهيمنة والسلطان ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [1] هناك لم يتردد إثنان تتمة الكلام إن شاء الله ستأتي في المحاضرة القادمة والحمد لله رب العالمين.

١ـ سورة غافر، الآية ١٦.

شرح الخطبة القاصعة من كلمات الإمام علي عليه السلام

ونحن نعيش في رحاب الحسين عليه السلام وقد وصلنا إلى خطبة للإمام علي عليه السلام مسماة بالقاصعة سنشير إليها بنحو التنبيه والإشارة لمن أراد أن يتأمل فيها فليرجع إليها لكن من باب المنبه أرادنا أن نلفت أنظار الساعين في سبل ربهم حتى لا يجعلوا مفاخر دنيوية ألبسها قوم لباس دين فراحت الأمة لتفخر بها وليومنا هذا على أنه كيف لا يكون فلانٌ عظيماً وقد إنتشر الإسلام في زمانه وكيف لا يكون بنو أمية خدموا شرع الله وقد إتسع الإسلام في زمانهم وحصلت فتوحات، فجعلنا الفتح الجغرافي بديلاً عن فتح العلم والتقوى والإيمان والمعارف وألبسناه لباس دين وجئنا بالشوراع لنفخر به ونسينا على أنّا نتكلم عن رب العالمين لم نتكلم عن دولة حزبت أحزاباً تمكنت من إيصالها إلى الحكم أو ما تمكنت، لصراعات بينها و بين أقوام آخرين كلامنا عن سلطان السموات والأرض كلامنا عن جبار الكون وهو الله سبحانه وتعالى القادر أن يجعل أوليائه متسلطين إن شككنا في الأولياء سنة وشيعة نصارى ويهود في زيد أو عمرو لكنا قد اتفقنا في أولياء لا نتردد فيهم

كأولي العزم من الرسل فليس هناك من إنسان عرف الله ينكر أنبياء الله الكرام فهل راجع المسلم عقله يوماً من الأيام بعيداً عن زهو المفاخر جهلا ليقول لنفسه كيف ترك الله أولي العزم من الرسل وترك مائة وأربعة وعشرين ألف نبي بإستثناء سليمان وقد أشرنا إلى مسألة سليمان عليه السلام كيف ترك هؤلاء العظماء وكيف ترك صاحب الرسالة محمدا صلى الله عليه وآله ولم يجعله هو الذي ينشر هذه الدعوة ويبسطها على وجه الأرض، لو بسطت على يد محمد صلى الله عليه وآله لبسطت بسط عدل لا شك فيه وشرحت شرح علم بقطع ويقين لا باجتهاد وتخمين، أيها المسلم ارجع إلى عقلك كل الفتوحات أسسها كان في زمن الأول والثاني فلنفرض الزمنين عشر سنوات خمسة عشر سنة الخمسة عشر سنة نضيفها على (٦٣) لا يكون الإنسان يعيش عمرا واحدا هذا الزمن برجاله الموجودين ما جاء الرجل الأول ولا الثاني بأصحاب آخرين من الصين ولا من الهند، هم الأصحاب الذين كانوا في زمن رسول الله أغاب عن الله ذلك وما دفع محمداً صلى الله عليه وآله لهذه الفتوحات وما أبقاه عشر سنوات أخرى، هل غاب علماً عن الله لكي يجد ذلك في عزم رجال أقوى من محمد صلى الله عليه وآله لنشرها من ينشرها باليقين صاحب الرسالة ومن ينشرها بالعلم القطعي، أيدع الله الأمر لينشرها قوم آخرون باجتهادات وتخرصات أهكذا هو الفهم، هذا الجهل المتوغل في أعماق

ضمائرنا حينما إستسلمنا لوعاظ السلاطين والتعتيم الإعلامي فجئنا بمفاخر راحت لتؤثر حتى على بعض علماء الدين الذين لا ربط لهم بالدنيا ومساوئها لكن الإعلام ضخه يؤثر ولو على العارف، فأقول هاهنا على أي إنسان أن يقرأ هذه الخطبة العظيمة أعني خطبة القاصعة للإمام علي عليه السلام ثم لا يدخل في جهل ويقول مستسلماً بعقله وقيمه الإنسانية لدجالين جهلة لو كان حقا ما يدعيه الشيعة على أن بعد رسول الله يجب أن يكون أوصياء، هو لا ينكر على أن الأنبياء المتقدمين وأن سنن الله فيهم كان بعد كل نبي وصي هذا لا يتمكن أن يتردد فيه لأنه من مسلمات التوحيد أن الأنبياء ١٢٤٠٠٠ نبي كانوا أوصياء وشراح للأنبياء أي لأولي العزم من الرسل هذا لا يتردد فيه لكنه يتلاعب في مسألة محمد صلى الله عليه وآله وإلا لماذا يتلاعب لأن القوم من بعده جاءوا بدنيا هذه الدنيا أضاعت قيم الشرع، فيقول القائل منهم لو كان الشيعة صادقون فيما يدعون لوجدنا في القرآن أسماء الأئمة بنص صريح لا تبقي مجالاً للتردد والإثنينية في القول في المقام ونسي سنن الله تعالى في أنبياء متقدمين فمن حق النصراني أن يحتج بمثل هذا الجهل أيضاً هذا الجهل الإسلامي من حق النصراني أن يحتج ولعل الكثير منهم احتج بمثل هذا الاحتجاج وبمثل هذه البراهين التي لا قيمة لها لأنها ما عرفت الواقع من شرع الله من عرف الواقع من شرع الله فوجد

المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع و وجد على أنه ليس هناك من دين يقدم باليدين إلى زيد ما لم يسعى سعيه مجاهداً في سبيل الله علماً وعملاً للوصول إلى الحق، من لم يكن كذلك وقع في مثل هذه المهاذل والمغالطات فمن حق النصراني أن يقول لأنه نفس الدليل: لو كان كما تدعون أيها المسلمون على أن محمدكم العربي من الحجاز حقا هو أحمد الذي أراده الله وبشرت به الأنبياء وبشر به عيسى عليه السلام لوجدنا إسمه محمد لا أحمد ولوجدنا زمان ولادته وأمه وأباه حتى لا يختلف فيه إثنان فهذا الاختلاف دليل على أنه ليس هو وهكذا راحت بنو إسرائيل لتضرب دعوة عيسى عليه السلام بمثل هذه المنطلقات، الدليل للجهال نفس الدليل جاهل أو ماكر يضحك على جهلة هكذا ضربت النصرانية جاء بنو إسرائيل وقال قائلهم ما وجدنا هذا الإسم بأمه المعروفة بكذا وزمانه وكذا يشير موسى عليه السلام إليه فإذن ليس هو هذا الموعود الذي يأتي بل هو شخص آخر، إن جئنا أيها الإخوة سنجد استدلالات الجاهلين على شاكلة واحدة فقط متبدلة من زمان ومكان.

يقول السني لنفسه مفتخراً مستأنساً لا يتردد كيف يكون الشيعة على حق ونحن نشكل بالمائة ثمانين في المجتمع الإسلامي فجعل الأكثرية وإفتخر بها وأخذ المفاتيح من ربه للدخول في الجنة، ونسي أن من حق الصينين والوثنيين أن يستدلوا بنفس

الاستدلال فهم أكثر منا بل من الموحدين مطلقا إن جمعناهم وجمعنا الوثنيين في الهند لتجاوزوا العدد.

نقول أيها الناس أخرجوا من جهل، الدنيا دار اختبار ودار الاختبار لا تكون معالمها شمس هداية ساطعة تكون مصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع لمن جاهد في سبيل الله وشاءت له الحكمة الإلهية ذلك، لمن شاء إليه رب العالمين، تأكيداً لما أقول يجب أن نلتفتأن أساس الأسسهو التوحيد ليس هناك من شيء يسبق التوحيد في أصل المعتقد و الصانع وفي معرفة صفات الحق سبحانه وتعالى وفي جميع ما يرجع إلى الحق عدلاً وقضاءً وقدراً، والناس مختلفة فيها أصلاً وتفصيلاً، هناك ملحدون ينكرون أصل الصانع وهناك من قال بوجود الصانع وأنكر الأنبياء أوالربوبية وهناك من قال بالصانع وإختلف على أن الذي يشرح هذا الصانع و التوحيد ورسالات السماء هي اليهودية أو النصرانية أو الإسلام، لأن الدنيا دار اختبار فمن لم يحسم النزاع في مرتبة التوحيد لا في مرتبة صانعها ولا في مرتبة الربوبية ولا في مرتبة بيان الأسماء والصفات الإلهية ولا القضاء والقدر ولا الجبر والتفويض ولا...، كل معالم التوحيد هي جدال وصراع عقلي بين البشر من منكر لتوحيد إلى راض به مختلفٍ في مفاهيمه، أليس الله قادرا أن يظهر كما يظهر

يوم الحساب ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [١] الله الذي هو قادر أن يظهر لخلقه بجميع أسماءه وصفاته لطفاً وقهراً فلا يدع أحداً يتردد في توحيد ولا في معالم توحيد وأبعادها وماجعل ذلك وما صنعه ألعجزعن قدرة وبيانأو لاختبار لبشر؟ الله الذي هو قادر أن يجعل في كل آونة وأخرى ملكاً يصيح ما بين السماء والأرض يبين التوحيد ويظهر حقائق ومعالم التوحيد وترك ذلك والناس تتصارع في هذه المسألة الله القادر بإظهار ملائكته أوجنانه أونيرانه وغير ذلك الكثير الكثير أن يحسم النزاع في مسألة التوحيد مطلقاً وما حسمه ألعجز أو لعدم معرفة بيان أو لأن الدنيا هي دار اختيار واختبار؟ الدنيا دار اختبار ومن أراد الدنيا دار اختبار ووجد إبليس متعاليا مستكبراً فما طرده حتى من الجنان بعد الإباء من السجود لآدم جعله فتنة حتى في الجنان لآدم عليه السلام بعد العصيان والطغيان، من لم يمنع إبليس من نبي من أنبياءه هل يمنع الدجالين والمنحرفين من أن يضحكوا على المسلمين والنصارى واليهود؟ نقول كلا يلبسهم ملابس دين وتقوى ويبعثهم ليختبر بهم الناس أهم يعيشون عقلا أم هم يعيشون حضارة تقديس وتقليد ومتابعة قد سكروا العقول ولم يطهّروا النفوس من رذائل حجبها، هكذا هي الدنيا فمن

١ـ سورة غافر، الآية ١٦.

فهم هذا في مرحلة التوحيد فهم لماذا لم يحسم الله تعالى الصراع في مرتبة النبوة، الآن الناس تتصارع بين منكر لنبوة وإن أقر بالصانع وبين مقر بها مختلف في مصاديقها أهي اليوم لمحمد، لعيسى ولموسى وليحيى عليه السلام ومالهذه الأمور، صراع لماذا لم يحسم الصراع بعد التوحيد في النبوة لتعيش الناس معارف سالكة سبل ربها بدون خطأ و بدون شبهة ولا ظلمة؟لأن الدنيا دار اختبار واختيار، هذا هو الواقع فإذا كان هذا هو الواقع، هذا الواقع الأصيل الذي ما حسم في مرتبة التوحيد وماحسم في مرتبة النبوة جاء لكي لا يحسمفي مرتبة الإمامة ليرى الناس سبحانه وتعالى أهم أشد من الدواب ضلالة يختلط عليهم الأمر بين علي النور والتقوى والإيمان والمعارف ودجّال ماكر كمعاوية وجاهل بينه وبين الحسين عليه السلام شمس الهداية ومصباحها كيزيد بن معاوية، أهم دواب أم بشر هم يدعون ما يدعون من الدين والعقل والمعارف هل هم أضل من الأنعام سبيلاً أم واقعاً هم بشر، الله لا يُخدع على دينه ولا على جنته، بل يختبر وبأشد الاختبارات، إن كنا نذهب إلى المدارس ونحتاج إلى إثني عشر سنة ونضيفها ثمان أو عشرفي مراتبها العالية اختبار الله منذ نُخلق وتوجد لنا العقول إلى أن نترك دار الدنيا يختبرنا في كل لحظات حياتنا، إن كانت الاختبارات لها ساحة امتحان وقاعة، فالدنيا هي قاعة الإمتحان في ليلها ونهارها في غضبها و رضاها

ومالها وفقرها وصحتها وبلاءها، هكذا هي الدنيا، الله أرادها فإذن نقرأ ونقول فمن لم يحسم النزاع وهو الله القادر على كل شيء في مرحلة التوحيد والنبوة كيف يحسمه في مرتبة الإمامة شرحاً وتطبيقاً لرسالات السماء وهو الذي أراد الدنيا دار اختيار واختبار فإذن الوصول إلى الحقائق عدلاً ومعرفة جعله مشروطاً بشرط لا خروج منه وهو الجهاد ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (١) والجهاد ليس أماني جهاد علم متواصل وعمل متواصل يتصادم مع الجهل ويتصادم مع الظلم ثم تأتي التضحيات فهل الحكام أنا كررت وأكرر هذا لأنه محل مزالق الأقدام أصبح الجهل مفخرة تفخر به الأمة الإسلامية فهل الحكام أولى من تطبيق شرايع السماء أم أولي العزم من الرسل والأنبياء الكرام، فكيف يتركهم رب العزة لم يطبق على أيدي هؤلاء العظماء شرايعه على يد نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد كيف يتركهم وهم يعملون بها بعصمة وعلم قطعي ليقوم بها الخليفة الأول أبو بكر أوعمر أو زيد أو بنو أمية باجتهادات وتخرصات في أمور واضحة اختلفوا فيها في السقيفة في شوراها اختلفوا في بديهيات شرع الله اختلفوا، حتى راح السيف ليكون حكماً والمتأمل سيعرف أن ذلك يخالف الغاية

١ـ سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

من الخلق لما كان حسم الأمور بسلطان إلهي في التوحيد أو النبوة أو الإمامة على أيدي العظماء من الرسل كأولي العزم أو غيرهم من الأنبياء الكرام أو أوصياءهم الكرام لما كان يتخالف مع الغاية التي هي الاختبار، السلطان الإلهي لا يجعل الدنيا دار اختبار فما يتنافى مع الاختبار مستحيل أن يحققه الله سبحانه وتعالى ولذا ترك الناس يتصارعون فيما بينهم.

ذلك لأن الدنيا دار اختبار حيث أن الله تعالى بعد اتمام لطفه ببعثة الأنبياء مبشرين ومنذرين من بعد ما تمم لطفه ببعثة الأنبياء وتمم لطفه بجعل الأوصياء بعد الأنبياء الذين هم (١٢٤٠٠٠) نبي والذين منهم أوصياء محمد صلى الله عليه وآله وإن ضحك الدجالون على أبناء العامة والجماعة فأنكروا ذلك، أراد أن يتمم لطفه ببعثة الأنبياء تنزيلاً وجعل الأوصياء هم أوصياء الأنبياء الخمسة من أولي العزم والبقية كلهم أوصياء لماذا يجعل الأوصياء؟ليشرحوا رسالات السماء حتى تصبح حضارات للأمم الرسالة ليست مقالة وخطبة تقال على منبر، الرسالة تحتاج إلى تبديل هوية جاهلية إلى أن يصبح الإنسان متحضراً بحضارة رسالات السماء هذا يحتاج إلى إثني عشر نقيب وإلى أمر متواصل كما جعله في الأولياء المتقدمين وبعد محمد صلى الله عليه وآله بالأوصياء الإثني عشر، الموجود عددهم حتى في البخاري على الرغم من نصبه وشدة مخالفته لهذه الحقائق، بعد

عظيم لطفه ببعثة الانبياء والإشارة إلى أوصياءهم الكرام أنيأتي الناس بعد ذلك بأنفسهم طالبين منهم إقامة العدل وبيان الحق والرشد وإلا فأي قيمة لإمبراطورية يقال في حقها أنها عيسوية أو موسوية يهودية أو أنها محمدية أمير مؤمنينها شارب خمر جائر ظالم أبلتسميات تتبدل الحقائق؟لو أن حاكما يعيش عدلا ولو لم يرتبط بالله فالله أرحم به من حاكم يدعي الإسلام أو يدعي الارتباط بشرائع السماء وهو مجرم هذه جريمة فوق جريمة، ذاك يرتكبها و قد يكون عادلاً وإن لم ينسب نفسه إلى الأديان وهذا يرتكب الجريمة والغواية وكل بشاعة وينسبها إلى الله فهي جرائم فوق جرائم لكن البشر يفتخرون بها، ولو جعل الله أنبياءه متسلطين لجاءهم الناس كما ستأتي في خطبة الإمام علي عليه السلام للدنيا رهبة ورغبة ولم تتوحد الغايات في غاية واحدة وهي معرفة الحقيقة والسعي لتطبيقها عدلا على وجه الأرض.

سنأتي إلى هذه الخطبة وهي المسماة بالقاصعة لنشهد معالم الربوبية ولو كان الأنبياء والأولياء سلاطين لجاءهم الناس كما يأتون للحكام خاشعين خاضعين وهم يغلطون حتى في كلماتهم التي يتكلمون فيها في كل يوم، الإنسان لا يغلط في صلاته يقرأها بسرعة في صلاته لماذا نغلط حتى في كلماتنا العادية لو وقفنا بين أيدي الجبابرة فلو أنه سلط أنبياءه بهذا العظم وبهذا السلطان

السليماني وأكثر من ذلك لجاء الناس أذلاء طالبين دنياهم باسم الدين

قال علي عليه السلام: «ولو أراد الله أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه ويبهر العقول رواؤه وطيب يأخذ الأنفاس عُرفه لفعل» يعني هو قادر أن يفعل ذلك، لماذا ما خلق آدم عليه السلام بهذه الكيفية قال عليه السلام «ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة»[1] الله جاء بآدم ليختبر به العقول، جاء بآدم داعية إليه تحت عنوان الاختبار والاختيار لكن لو سلطه ماذا سيقع يا أمير المؤمنين قال «ولو فعل لظلت له الأعناق خاضعة ولخفّت البلوى فيه على الملائكة» بآدم ليس فقط اختبر زيداً وعمرو بآدم اختبر إبليس فوجده رجيماً، لأنه حكم على المظاهر وما تأمل فوجد عتمة أو وجد عدم نور في آدم عليه السلام فغفل عن حقائق أخرى فراح ليقيس النار في الطين والنار حارة مضيئة فإذن هو أفضل من آدم عليه السلام فحكم وتجاوز الحدود ما توقف على آدم بل راح ليخطّئ الله في علمه وعدله، أما بالنسبة إلى الملائكة الله تعالى يشير أنهم يكنون ويكتمون أمرا لكنهم ما كانوا يترددون في عظم الله عرفاناً وفي أوامره صحة لكنهم كانوا يتفكرون لماذا اختار على السموات العلى الأرض الدانية وسكان

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٢٨٥ ، الخطبة القاصعة.

السموات العلى أولى بها من سكان الأرض، وكيف ترك من يسبحون ويقدسون لقوم يسفكون حتى الدماء هكذا وقعوا في خلط و تردد لكن ما ساقهم إلى الطغيان ولذا يقول علي عليه السلام: «ولخفّت البلوى فيه على الملائكة» حتى الملائكة ابتلوا بهذا البلاء اختبرت ضمائرهم وإن كانوا ما حوسبوا على ذلك لأنهم ما فعلوا ما يدفع إلى الخلاف «ولكن الله سبحانه وتعالى يبتلي خلقه» ولا أريد أن أقول أنهم ما أظهروا وكانوا ينوون أمرا، هم مستسلمون لأمر الله لا يختلفون في أوامر الله ولا يترددون فيها لكن وجدهم الله سبحانه وتعالى ناظرين إلى مظاهر بعيدين عن بواطن وأصول فأراد أن يلفت أنظارهم لا تنظروا إلى المظاهر إجعلوا المظاهر مرآة للباطن إجعلوا المظاهر مرآة للوصول إلى الأعماق هذا الذي أراد أن ينبه الملائكة الكرام إليه سبحانه وتعالى «ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله» يعني الأصل كان مجهولاً لديهم والظاهر كان معلوماً خلقه من طين و وجدوا كيف خلقه من ذلك الطين هذا الظاهر لكن الأصل والباطن أن هناك عقلا ومعرفة وأن هناك روحا خلقها بيد القدرة والعظمة وأن هناك قابلية تعرف الأسماء وهم دونها فهماولو عاشوا مليارات السنين لما توصلوا إليها لقصور ذاتي عن الوصول إليها هكذا هي الاصول هكذا هي الحقائق هكذا هي البواطن التي قد يغفل عنها حتى الملائكة الكرام «ولكن الله سبحانه

يبتلي خلقه» هذا الابتلاء ليس لي أنا الإنسان الجاهل لا حتى للملائكة كان ابتلاء «ببعض ما يجهلون أصله تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستبكار عنهم» حتى يخرجوا من الاستكبار، لعل الملائكة كانوا يظنون على أنهم وصلوا إلى قمم العلمفهم فوق الغير علماً ومكانة وهم لما يقومون به من التسبيح والتقديس هم أولى بغيرهم فعلاً ومقاماً، هذا لعله يسوق إلى نحو من الإعجاب و الكبر، كما ساق إبليس، إبليس (٦٠٠٠) سنة ما شرب بها خمراً ولا أكل فيها لحم خنزير كيف صرفها التي لا يدرى أنها من سنين الدنيا أم من سنين السموات كيف صرفها بخمورها وأكل ميتتها أو خنزيرها؟ كلا، أو في سوق كان يعيش فيه كله مكر ودجل وإفتراءات؟ كلاصرف (٦٠٠٠) سنة عابداً يستخدم سبل العبادة لربه، أفعال فقدت ركائزها الداخلية وقيمها الداخلية ساقت إلى طغيان و كبر وهكذا علينا أن نحذر كبشر ربما يصاب الواحد منا بالعجب لأنه قد يرى الناس قد لا تصلي فيرى نفسه من الزهاد لأنه يصلي بتأن ويصلي صلاة الليل ويصوم رمضان ثم يلحقه بشهرين ويسمع الناس أن البعض منهم ما حجّ حتى مرة واحدة وهو قد حج كرارا وتكراراً وهكذا فيصاب بالعجب والغرور ولذا يقول الإمام عليه السلام «تمييزاً بالاختبار لهم ونفياً للاستكبار عنهم».

فإذن الكبر ليس فقط لأن بمجرد أن نقول الكبر يظن

الشخص على أن المراد من الكبر هو التكبر الأخلاقي، الكبر ربما يحمله الإنسان وهو غير ملتفت عالم متواضع بكل معنى التواضع الأخلاقي لكنه يعيش عجبا لعلمه وآخر نجده متواضعاً لكنه في الباطن يعيش عجباً لنسبه وهلم جرا ولا ننسى أن الكبر هو الحجاب الذي يحجب الإنسان عن التكامل، يوقفه، هذا أقل ما يفعل بالإنسان أنه يوقفه عن التكامل ولعل الملائكة كانت تظن ليس هناك من هو أكثر منها معرفة فلما وجدت أن هذا المخلوق الذي كانت مستغربة منه راحت لتأتي ساجدة بين يديه تطلب معارف ربها بأسمائها كلها، اكتشفت أمراً عظيماً ثم يقول عليه السلام: «ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون»[1] هذا كله اختبار اختبر الملائكة وإبليس بخلقة آدم الظاهرية فوقع الكثير منهم ولو نفسا في تردد أو معرفة في تردد بإستثناء إبليس الذي طغى، كيف بعد يختبر قال ومن اختباراته «ولقد دخل موسى بن عمران ومعه وأخوه هارون عليهما السلام على فرعون» كان الله قادرا أن لا يوقع فرعون في الأخطاء ولا أصحاب فرعون أن يجعل لهما ملائكة تسير معهما وأن يجعل معهم الطير والأنوار المشعة للسماء فلو دخلوا بهذه الهيبة والكوكبة لما وقع فرعون في الخطأ فإذن دخلوا عليه بما

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٢٨٥ ، الخطبة القاصعة.

يمكن أن يوقعه في الخطأ وهكذا يختبر الله عباده «وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي وكان قادرا رب العزة أن يلبسهما أحسن الثياب وأحسن التيجان وأن يجعل الأنوار شاعة والملائكة في ركابهم و....، فلما وجد فرعون هذا الوضع فشرطا له بهذا الوضع، فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه» حسب الظاهر الوقت قد انتهى والحمد لله رب العالمين.

كيف وصف الإمام علي عليه السلام دخول موسى وهارون عليهما السلام على فرعون وعلى ماذا يدلنا الحدث؟

قلنا إن أي حدث وواقع تأريخي لا يمكن أن يلحظ بما هو هو بل لابد وأن يلحظ بما له من الزمان والمكان وبما تحفه من القرائن وربما احتاج الإنسان أن يطل على أكثر من ذلك الحدث زماناً ومكاناً ولذا راحت الروايات لتؤكد على أن شهود الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء لا يمكن أن نطل عليه ما لم نطل وننظر بإمعان ما جرى على الصديقة فاطمة عليها السلام لأنها هي مشكاة هذا النور وزجاجة هذا النور ولا يمكن أن نشهد حسيناً عليه السلام ثائراً ضد الظلم والظالمين ونحن لم نقرأ حسيناً من طريق نور محمد صلى الله عليه وآله لنرى كيف وصف الحسين عليه السلام كيف عرّف الحسين عليه السلام فهل يمكن أن يعرّف الحسين عليه السلام بأنه ريحانته وبأنه سيد شباب أهل الجنة وبأنه مصباح وإمام قام أو قعد بأنه سفينة، ثم نأتي لنقول أكان محقاً أم ما كان محقا حين قيامه ضد بني أميه أليس هذا من مهازل العقل ألا يكون مثل هذا التردد بعد أن ننظرإلى ما كان من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نأتي مترددين هل كان هذا القيام سببا لشق عصا

المسلمين؟ هل كان سببا القيام لضعف إمبراطورية عظمى تقابل الرومان؟ نأتي بمذاقنا الشخصي بآلاف حجبنا وجهلنا لنحكم على واقع يجب أن نشهده من طريق النبوة وهكذا وقعنا في الجهل والخلط لمّا جئنا لنقول إن رسول الله قرن غضب الله بغضب فاطمة ورضاه برضاها وأنها سيدة نساء العالمين وأنها يشم منها رائحة الجنة وأنه يستأذن على بيتها، لأنه يشهد من وراء الحجب قوما يقصدون البيت لحرقه، هكذا أمور حينما ننظر إليها بمنظار ثم نأتي بأذواق نسميها عقلا لنشهدها ونفسرها نقع في خلط ثم نقول إن الخليفة الأول مثلا رأى أن فاطمة قد أخطأت في ميراث وهلم جرا، مثل هذا الخلط يجعلنا نقع في أخطاء ومطبات، سيدة نساء العالمين لا تفهم بدايات الأحكام وطامعة لأبناءها من مال المسلمين هذا الخلط ماكان وصل لوعاش المسلم عقلا فلذا نقول نأتي لنتكلم عن خطبة القاصعة لعلي عليه السلام لنرى معالم شرع الله حتى إذا جئنا إلى الحسين عليه السلام طريد بني أمية نجده قد سُبق بأن كان من هو أعظم منه طريد قريش وهو محمد صلى الله عليه وآله ونجد عظماء الخلق كإبراهيم عليه السلام طريدا للنمرود ونجد موسى عليه السلام طريدا لفرعون وهلم جرا حتى لا نفخربجهل نسميه شرعا ونذهب وراء الظلمات فنقول كيف لا يكون زيد وعمرو خدَما شرع الله ولولاهما لما نشرت دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله على وجه الأرض وكأن الله كان قاصرا غير قادر من أن

ينشرها على يد محمد صلى الله عليه وآله سيد الكائنات و كأنه من قبل ذلك كان غافلاً من أن ينشرها على أيدي أولي العزم من الرسل الذين يطبقونها بقطع ويقين لما نجعل مقاييس الدنيا ومفاخر الدنيا وسيلة لكي نقيس بها قيم الحق نقع بمثل هذا الخلط.

فإذن نقرأ هذه الخطبة الشريفة لكي نرى كيف وصف الامام علي عليه السلام أنبياء الله و قال يجب أن يكونوا فقراء حتى تختبر بهم البشرية وما قال أنه يجب أن يكونوا عظماء بمنظار الناس، أصحاب سلطان وحكم وما قال أن بيته الحرام يجب أن يكون في جنان الأرض كل ذلك لأن الدنيا دار اختبار، فلا تختبر النفوس بجنان الأرض لكي تجعل بيتاً لله تعالى، ولا تختبر النفوس إذا دعيت لكي تبايع جباراً متسلطاً على وجه الأرض، تختبر النفوس بأن تبايع طريد قريش، تختبر النفوس بأن تبايع وتثبت مع طريد بني أميه وهلم جرا.

ونحن في رحاب الامام الحسين عليه السلام وقد وصلنا في الخطبة الشريفة للإمام علي عليه السلام إلى قوله «ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون عليهما السلام» لماذا يا أمير المؤمنين يدخلان على هذه الصفة؟ لماذا ما أدخلهم الله دخول المتمكنين و السلاطين ليقابلوا سلطاناً ليقابلوا سلطان؟ السلطان لا يقابل بالضعف السلطان يقابل بالسلطان والسيف يردعه السيف، يبين لنا الإمام علي عليه السلام حكمة

الدنيا وباطنها إن كنا أهلا لشهود البواطن «دخلا على فرعون وعليهما مدارع الصوف» هكذا دخول يدفع إلى الغلط هكذا دخول يدفع إلى أحكام خاطئة أما لو دخلا متسلطين متمكنيَن تحفهم الملائكة لما استوجب خلطاً ووقوعاً في متاهة في الظلمة، الله يريد الدنيا مختبراً للعقول، الله يريد الدنيا غاية يتوصل بها الإنسان جاعلاً إياها جسراً لمسالك ربه في ظلمات الدنيا «وبأيديهما العصي» يقيناً كل إنسان مهما كان ضعيفا كان قادراً بدل العصي أن يجعل سيفا في يده، الناس تقاتل بالسيوف ولا تقاتل بالعصي، لماذا يبعثهما بعصي؟ جيد دخلا هذا المدخل، فرعون طاغية يريد أن يستعبد بني اسرائيل يريدهم أذلاء خاسئين عبيدا لا قيمة لهم وإذ بموسى وهارون يتجاوزا مرحلة الطلب أن يرفع ظلماً ويريدون منه أن يصبح مطيعاً، هذا تجاوز، إنسان غاية ما يمكن أن يأتي طالباً يا فرعون نريد منك أن ترفع العبودية عنا نلتمسك التماساً وتتركنا نضيع في الأرض، هذا غاية ما يمكن أما أن يأتيا بلسان الآمرين والمعلمين والمرشدين، هذا بمنظار الجبابرة لا يعتبر إلا سخرية، ماذا جائا ملتمسَين لكي يرفع العبودية؟ نقول كلا: «فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه» هذه المقاييس والأمور توقع الآخرين في الأخطاء، محمد صلى الله عليه وآله ما بعث إلى كسرى رسالة ليقول ارفعوا أيديكم أيها الفرس عن الجزيرة العربية ودعوها وفقرها وجهلها ما

قال هكذا، بعث إلى كسرى يقول له أسلم تسلم، هكذا الأمور وقعت وهذا الذي ساق الجبابرة إلى الخطأ فوق الخطأ.

فإذن شرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه، ما هي المقاييس هاهنا، أقل الفروض ينظر إليها فرعون ويقول في نفسه إن كانا صادقين فليخلصا أنفسهما من الفقر، هذا أول ما يطرو على ذهن فرعون، أي ادعاء هذا وأي جهل هذا؟ لأن كل إنسان تفكره بما هو له من الغاية و المرآة، الإنسان المؤمن تفكراته بكيفية يرى أبناء الدنيا جهلة وأبناء الدنيا تفكراتهم يرون أبناء الآخرة جهلة، لأن كل واحد يقيس الأمور بمقياس وإذا اختلف المقياس والميزان اختلفت النتائج والثمرات، وهل يعقل أن يعطي الفقير سلطاناً فقير لا يملك لباسا فيلبس الصوف، فقير لا يملك زهوا بل يمتلك عصيا، أهذا يعطي غيره، أفاقد الشيء يعطيه.

هكذا هذه هي مقاييس أبناء الدنيا، وهكذا المسألة كانت بالنسبة إلى كسرى ورسول الله ﷺ، هذه مصاديق فهم، العقل يختلف باختلاف الغايات، عقل أبناء الدنيا يفسر الأمور بتفسير وعقل أبناء الآخرة يفسر الأمور بتفسير، بل عقل العلماء يفسر الدنيا بتفسير وعقل الجهال يفسر الدنيا بتفسير، العقل يفسر أو يرى الأمور بتبع الغايات ولذا قال الإمام عليه السلام حينما سئل عن العقل: «ما عبد به

الرحمن واكتسب به الجنان»[1] هكذا عقل أهل الآخرة.

بعد هذه المقالة قال فرعون «ألا تعجبون» هذه سخرية بمنظار فرعون، «من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك» فرعون ما كان في السجن، فرعون كان حاكماً لو كان في السجن وجاءاه فقالا له إنا نخرجك من السجن لتعلق ولو بواهمة أن تخرجه من سجن ليعود إلى سلطان، لكنه صاحب السلطان، يأتي إليه فقير فيقول لا أبقي لك سلطانك، هذه كلها بمعايير أبناء الدنيا تعتبر مهازل، «ألا تعجبون من هاذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل» فقراء معدمين، أذلاء خائفين من أخذي وبطشي، يتكلمان بهذا الكلام فهذان ليسا بعاقلين فأراد أن يسقطهما مكانة عند الناس أنهما يتكلمان بخلاف موازين العقل حتى لا يخدع بهما أحد أنهما علماء وعقلاء وأصحاب دعوى، هؤلاء بهذا السخف من العقل ثم قال فرعون «فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب» لو كانا كما يدعيان أصحاب مقدرة لكانا مع الذهب والإمكانية والقدرة والمال، فهلا ألقي عليهما أساورة من ذهب ولو كان لهما رب يمتلك العزة لألقى لهما ذهباً، «إعظاماً للذهب وجمعه واحتقاراً للصوف ولبسه» هكذا هي المشاهد

١ـ المحاسن ١: ١٩٥، ح ١٥.

والبراهين والفهم باختلاف أبناء الدنيا والآخرة.

ثم قال علي عليه السلام «ولو أراد الله» هذه الشبهات حتى لعلها في أذهان الموحدين، كيف يعيش المؤمن فقرا كيف عاش الأنبياء فقرا، كيف عاشوا مضطهدين؟ لماذا ما أمدهم الله تعالى؟ لأنهم ما فهموا الغاية، من فهم الغاية احتلت عنده هذه العقد جميعاً، الغاية من خلق الإنسان، الغاية هي الاختبار ولا تختبر الأمور الا بصعابها.

ثم قال علي عليه السلام: «ولو أراد الله سبحانه لأنبياءه حيث بعثهم» يعني هل كان الله غافلاً عن مثل هذه الأمور يعني لو بعثهم بتيجان، وبسلطان وأمدهم بملائكته وبكل شيء جناً وإنساناً لجاءت الناس مطيعة فما أصبحت الدنيا داراختبار واختيار، «حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان» العقيان: هي الذهب الخالص «ومغارز الجنان وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرضين لفعل» لكنه لو أراد وفعل فهو قادر لكنه هل تبقى الدنيا مختبراً للعقول؟ هل يبقى الإنسان يجب عليه أن يجاهد في سبيل ربه في ظلمات الدنيا ليشهد النور في بيوت أذن الله أن ترفع؟ كلا ثم يقول علي عليه السلام «ولو فعل» يا أمير المؤمنين لماذا ما فعل حتى تكون الناس بأيدي الأنبياء، لماذا جعلهم فقراء وجعل أعداءهم أغنياء؟ جعلهم بلا جند وجعل أعداءهم أصحاب الجيوش الجرارة، لماذا؟ قال: «ولو فعل لسقط البلاء» الاختبار يسقط، أي إنسان يدعى إلى جبار

ليحقق له مالا وجاهاً ومقاماً وعملاً وعزاً يدعى إليه ولا يستجيب الدعوة؟ الكل يستجيبون مثل هذه الدعوى، لو الآن دولة من الدول تقول بأن الحاكم الفلاني يريد منكم أن تأتوا إليه لوجدنا الناس صفوفا صفوفا من الليل واقفين ينتظرون لقاء ذلك الحاكم، «وبطل الجزاء» الجزاء يجازى الإنسان ثواباً وعطاء من قبل ربه حينما يكون مؤمناً ثابتا في عزيمة لتحقيق أمر حقاً وعدلاً «واضمحلت الأنباء» هذه الأنباء التي جاءت بها الرسل، الرسالات السماوية التي جاءت بها الرسل لو أنها كانت تحت ضلال السلطان لقبلها الناس قبولاً مسلّماً ولما تردد فيها إثنان، ترددوا في المرسل وهو الله وترددوا في الرسول كالأنبياء وترددوا في الرسالات، ترددوا في كل شيء لكن لو جاءوا بسلطان لما تردد أي شخص لا في مرسل وهو الله تعالى ولا في رسالة نبي، هذه الأنباء التي هي محل خلاف ونزاع بين البشر قبولا وعدم قبول لكلها سقطت من الاعتبار «ولما وجب للقابلين أجور المبتلين» ولماذا يحصل المؤمن على أجر عظيم لأنه يبذل جهداً و يعطي من نفسه أمناً وراحة وجاها وعزيزاً يعطي من نفسه كل شيء حتى يعطي نفسه، هكذا يكون الثواب، ولما وجب للقابلين أي القابلين لهذه الأنباء، ولا يتكلم الإمام عن القابلين قبول التقليد وعدم الفهم، الإمام يتكلم عن الذي يقبل الأنباء بمعارف ولذا ما كان هناك ولا جوز نبي من الأنبياء أن يأتي الإنسان ليقول

أنا أقول بالتوحيد لأن العالم قال لي كذلك، هذه ليست محط تقليد هذه معارف تستنير بها العقول لابد أن تستنير بها طهرا لشهود الحق أو بواسطة الدليل والبرهان سالكا سبل ربه ينتقل من مرحلة إلى مرحلة أرفع «ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين» في هذه المرحلة ليس عندنا محسن ومسيء، الكل مندفع للسلطان يأمل جاهاً ومقاماً وعزاً، يقبل الكتاب لأنه يوصله إلى دنياه ويقبل الأنباء لأنها توصله إلى دنياه «ولا لزمت الأسماء معانيها» أي أسماء يا أمير المؤمنين؟ نحن لا ندعي أننا بما يريده علي عليه السلام نحن أقل من أن ندعي ذلك لكن نقول بما نفهم «ولا لزمت الأسماء معانيها» هذا سمي باسم يحشر به يوم القيامة وذاك سمي بإسم، هذا سمي بصابر وذاك جائر، هذا سمي بمستسلم لقضاء الله تعالى راض به وذاك بخلاف ذلك، هذا سمي بعالم وذاك بجاهل، بهذه الأسماء تقف البشرية يوم الحساب، وعلى طبق هذا تقيّم الناس بعقولها الراقية وبما بذلت من جهد لزكاة نفوسها لو أن الدنيا بأيدي الأنبياء لما تحققت كل هذه الأمور، ولا لزمت الأسماء، أي أسماء المؤمنين والكافرين، العارفين والعادلين، الصادقين والكاذبين، فيما يقابلهم، فلابد أن يذهب الإنسان يوم الحساب واقفا بأسماء ثبتت له معانيها.

أوضح لنا الدنيا يا أمير المؤمنين قال: «وكانت النيات مشتركة» زعيم قوم ومتسلط على دنيا يدعوا الناس إليه هذا يأتيه

طالبا دنيا وذاك يريد مع الدنيا آخرة بقدر أتختلط الأمور أو لا تختلط؟ حتى من توجب لربه توجه مع خلط دنياه، لكن من توجه إلى طريد قريش في شعب أبي طالب توجه إليه لا آخذا منه دنيا، بل باذلاً مالاً وكرامة ونفسا مصبّراً نفسه على كل بلية ففرق بين الأمرين، يعني كانت النيات مشتركة بين الإخلاص وبين ساع رغبة ورهبة «والحسنات مقسمة» الحسنات أيضاً يجب أن تكون مقسمة حسنة مخلص وحسنة لمن جاء بنيات وشؤون مختلفة أخرى، نحن لا نريد أن نتوغل لكن أردنا الخطبة الشريفة منبها لأنا توغلنا في الجهل فألبسنا الدنيا ملابس الدين وفخرنا بذلك وقلنا كيف لا يكون الخليفة الأول عظيما وقد نشر الدين، كيف نشر الدين هل نشر الدين بواقع العلم والبيان، أم نشر الدين تحت ضلال السيوف؟ حتى البوذية ما انتشرت بواسطة السيف، وانتشرت الكثير من الأديان مع كل ما ورد فيها من انحراف اكثر من الإسلام.

ثم يقول عليه السلام: «ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم» يعني إن للدنيا مظاهر، جيش وسلطان وتيجان وسيوف مذهبّة تشهدها الحواس ببساطتها وهناك بواطن تخترقها العقول بمعارفها هذه التي يريده الله تعالى لأبناء الدنيا أن يشاهدوها في العظماء ثم يكونوا في ركابهم، ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، هذه العزائم القوية التي تهز البشرية ما كانت

لتكون لو لا العقل العظيم، ما كانت لتكون لو لا العلم العظيم والخلق العظيم هكذا هي الحقائق التي أرادها الله أن نشهد بها أولياءه، ولكن الله جعل رسله أولي قوة في عزائمهم «وضعفة في ما ترى الأعين من حالاتهم» هذا هو واقع الدنيا، أن ضربت الدعوة أركانها على وجه الأرض بصاحبها ورائدها محمد صلى الله عليه وآله أخذه حتى لا يطلب لجاه دنيوي، فمن طلبوا بعد ذلك لإمبراطورية ما كانوا مصداقاً لقول علي عليه السلام وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم، هكذا أراد الله أولياءه ولذا ما سلطهم حتى يطلبوا وهم بأعين الناس ضعفة، أما الذين جاءوا للخليفة الأول جاءوا إليه بكيفية أخرى، ومن جاء إلى الخليفة الثاني ما جاء إليه بهذا المنظار ومن جاء إلى بني أمية وبني العباس والعثمانيين ما جاء إليهم بهذا المنظار وكذلك من يأتي اليوم لأي حاكم متسلط باسم الدين سنياً أو شيعياً لا يأتيه بهذا المنظار بل يأتيه لدنياه ثم قال عليه السلام، هذه حقائق يجب أن نفهمها من هم أبناء الدنيا ومن هم أبناء الآخرة، «مع قناعة تملأ القلوب» لمن هذه القناعة لأبناء الدنيا؟ أبناء الدنيا جهال، أبناء الدنيا فرعون إن أصبح متسلطاً خضعوا له ولو أن يوماً نبياً أصبح متسلطاً لخضعوا له لأنهم يخضعون رغبة ورهبة طمعا في الدنيا، مع قناعة تملأ القلوب أي العقول والإدراك والواقع البشري من أعماقه «والعيون البصيرة ببصائر المعارف غنىً» ثم قال عليه السلام هاهنا الغنى،

هاهنا شهود العزائم هاهنا شهود المعارف هؤلاء العظماء كأبي ذر كسلمان ومالك ككثير من العظماء على طول التأريخ وجدوا هذه الحقائق ولذا راحوا يتهافتون شهداء في ركاب الأنبياء والأولياء الكرام حسب الظاهر الوقت قد إنتهى والحمد لله رب العالمين.

ما المقصود من أن الله تعالى جعل الكعبة الحرام قياماً للناس؟

ونحن نعيش في رحاب الإمام الحسين عليه السلام، قلنا لابد من مشاهدة الحدث وواقع القيام والنهضة بما تحفها من الأحداث والقرائن وبما يمكن أن يكون مزيدا من الفهم لدرك حقائق الأمور وقد كنا نتكلم عن خطبة للإمام علي مسماة بالقاصعة وصلنا إلى هاهنا لنعرف الدنيا وقيمها و موازيين عقلها لدى العقلاء الذين يبحثون عن الآخرة ولدى من يسمون بالعقلاء بما لها من قيم دنيوية حتى لا تختلط علينا الأمور فنفخر بمفاخر دنيوية ألبسناها لباس الدين فراح الواحد منا ليفخر انظروا إلى الإمبراطورية الإسلامية العظمى كيف خدم رجالها دين الله.

ثم قال علي عليه السلام: «ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام» محمد صلى الله عليه وآله وهو سيد الأولين أخذه بمجرد أن ضربت الدعوة أركانها على وجه الأرض أخذه على جواره حتى لا يطلب لدنياً فإذن من طلب من بعده طلب لدنياً ومن فتحت له الابواب فتحت لدنيا لتختبر به البشرية من بعد ما اختبر الله البشرية إلحاداً وكفراً

وشركاً و دعوات مختلفة لا يترك الأمة الإسلامية ولا يختبرها وهاهنا يكون الاختبار أشد وأدق، ذاك يختبر أيدرك توحيداً أو لا يدرك، فيكون ملحداً أو مشركاً، هذا يختبر أهو صادق فيما يدعي من معرفة التوحيد وهل يعقل أن يعرف شخص التوحيد ويخطأ في النبوة أو الإمامة، من المستحيل، من أخطأ في نبوة أو أخطأ في إمامة فراح منحدراً في الوديان يراها في وجه بني أمية ما كان عارفا في التوحيد، لو عرف التوحيد ما وقع في هذا المنحدر، فلذا أقول نعود فنتأمل في كلمات علي عليه السلام لنخرج من جهل ونتربى تربية ربوبية على يد إمام المتقين عليه السلام.

قال عليه السلام: «ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام»، لا ترام أي لا تقهر أي لا يقصدها ولا يطلبها طالب لأنه يعلم أنه سينهزم، «وعزة لا تضام» يعني لا يصيبها الضيم لقوة سلطانها، لو كان الأنبياء هكذا لاختلطت الموازيين كما قال علي عليه السلام، «وملك تمدّ نحوه أعناق الرجال وتشد إليه عُقد الرحال» يعني تشد إليه النوق والخيل قاصدة إليه، لماذا ما جعلهم هكذا أمة واحدة ولماذا ما سلط أنبياءه لتكون الدنيا دنيا ربوبية حكماً إلهياً لماذا؟ قال عليه السلام، هذه الخطب من أمير المؤمنين مرت عليها القرون هل قرأها المسلمون، هل قرأناها نحن الذين ندعي ارتباطاً بعلي عليه السلام وأنّا نشايعه، نحن ما قرأناها فكيف نأمل من زيد أو عمرو أن يقرأها، حتى نتربى تربية إسلامية «لكان

ذلك» يعني لو كانوا اصحاب قوة إلى آخر العبارات، لكان ذلك «لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار» لكانت الأمور لا يقع فيها خلط، اعتباراتها تكون واضحة على أنه أي إنسان يخطأ في الله وهو يرى جنانه ونيرانه وملائكته وهو يراه بأسماءه جلالاً وجمالاً ساطعة على وجه الأرض، أيخطأ أحد؟ كلا، فكذلك أي إنسان يخطأ في أنبياء الله وهم أصحاب سلطان تحفهم الملائكة والجن والإنس، ومعهم الذهب ومعهم كل الأمور أيخطأ فيهم أحد فلذا قال لكان ذلك أهون على الخلق في الإعتبار، الله يعتبر الأمور بملاكات العقل لا بمظاهر خلابة وإلا لأعطى أنبياءه نورا ساطعا إلى عنان السماء، الله يريد عقلا مميزا يعتبر الأمور اعتباراً إلهياً لا اعتباراً دنيوياً كما راحت الأمة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله باعتبارات دنيوية تقيّم الرجال «وأبعد لهم من الإستكبار» إحدى المشاكل الكبرى التي دفعت وتدفع إلى الأخطاء هي الكبر الذي ساق إبليس «أبى واستكبر» وهكذا اكثر الناس يصابون بالأخطاء للكبر، هل هناك من أحد يعيش كبرا في مقابل نبي يملك الدنيا، هل هناك من أحد يعيش خطأ في علي عليه السلام يملك الدنيا، أبداً لا شيوعيها ولا نصرانيها ولا سنيها ولا شيعيها، ولذا قال وأبعد لهم من الإستكبار، بمجرد أن تذهب حجب الإستكبار تتجلى الحقائق واضحة، الذي يجعلنا نعيش الغشاوات ونخلط بين الأنوار

والظلمات ما هو؟ الاستكبار، لو لمسنا فقر أنفسنا لما أعجبنا بأنفسنا، لو عرفنا أنفسنا بما لها من الفقر والحاجة إلى رب العالمين لما أخطأنا في معارف أنفسنا، كما قال علي عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1] لو عرفنا أنفسنا من بعد ذهاب حجاب الكبر لعشنا، هذا محجوب بحجب الكبر علما كفقيه وفيلسوف وذاك بمال، يعيش وأنفه إلى السماوات لعله لا يفهم بين الألف والباء من حقائق الأمور لأنه صاحب مال، لو قيّمه الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بميزان حقه لكان صفرا على صفر، لعله بهيمة من البهائم لكن لأنه صاحب مال يرى نفسه عظمه، كيف يؤمنون يا أمير المؤمنين لو كانت الأنبياء أصحاب عزة وسلطان سليمانية بل أعظم من ذلك قال: «ولآمنوا» الله تعالى كيف يريد الإيمان؟ يريده إيمان معرفة بجهد متواصل علما وعملاً، «ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم» أيكون هذا ايمان معارف، أيكون هذا سلوكا في سبل الله تعالى للعروج إلى اللانهايات؟ كلا «أو رغبة مائلة بهم» ثم يؤكد علي عليه السلام أيها الناس اخرجوا من جهلكم بأنوار علي عليه السلام، «ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتباع لرسله» يعني يريد أن يقول الإمام علي عليه السلام الله كان قادراً أن يجعل الناس جميعاً تتبع أنبياءه بسلطان

١ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٩٢، حكمة ٣٣٩.

قاهر في الدنيا متمكن وأنوار مشعة، «لكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والإستكانة لأمره والاستسلام لطاعته» كيف أراد كل هذه الحقائق يا أمير المؤمنين قال عليه السلام «أموراً خالصة لا تشوبها من غيرها شائبة» يعني لو كان الأنبياء والأوصياء والصلحاء متسلطون على وجه الأرض لكانت كل هذه الأمور أصيبت بشوب أي بخلط، ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه الكريم والإستكانة لأمره والإستسلام لطاعته أرادها جميعاً «أموراً خالصة له لا تشوبها» الشوب كأن نجعل في الحليب ماء، أي نخلط شيئاً في شيء فيضيع، «لا تشوبها من غيرها شائبة» هكذا أراد أن يأتي الإنسان خالصاً لوجه ربه، جاء خالصاً في سبيل ربه قاصداً أولياءه سالكاً إلى الله عن طريقهم هكذا أراد الله سبحانه وتعالى، فبالتأمل في هذه الحقائق ومعرفة الغاية من خلق الإنسان أنه خلق للاختبار مختاراً لا يفخر بعد ذلك مسلم بما حصل من فتوح جهلاً ملبساً قيم الدنيا ملابس الدين.

ثم يقول عليه السلام: «وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم كانت المثوبة والجزاء أجزل» متى تكون البلوى أعظم؟ البلوى أعظم في جوار سلطان متمكن يعطيني ولاية و مالا وعلى جنبه أحصل على شرف أهكذا هي البلوى، البلوى أن آتي إليه مقبلاً يده طالباً منه أن

يهديني سبل ربي فيقول لي إن السبيل إلى الله تعالى وراءه البلاء المبرم هل أنت قادر على السعي إليه صابراً مضحياً، يجب أن تحسب حسابك بأن تترك مالاً وجاهاً وأمناً وكذا وعزيزاً ونفساً، هكذا هي البلوى، «وكلما كانت البلوى والاختبار كانت المثوبة والجزاء أجزل» ثم أراد عليه السلام أن يقرب هذه الحقائق لأذهاننا المملوءة بمقاييس دنيوية بعناوين دنيوية ألبسناها لباس الدين وضحكنا على أنفسنا.

ثم قال «ألا ترون» كلمة ترون تدل على المشاهدة ها هنا هي نظرة البصيرة «ألا ترون أن الله إختبر الأولين من لدن آدم عليه السلام » الله سبحانه وتعالى لا يختبر قوما في زمن الحسين عليه السلام ويتركني أسرح وأمرح وأظن نفسي أني من أتباع حسين عليه السلام، قائلاً يا ليتنا كنا معكم، بدأ الاختبار بآدم عليه السلام، هكذا أراد علي عليه السلام أن يقول لا تظنوا ولا تضحكوا على أنفسكم لأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام وبدأ الإمتحان، «ألا ترون أن الله اختبر الأولين» يعني سنة الله واحدة، «من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم» كيف اختبرهم؟ هناك ضرب أمثلة بأنبياء مضطهدين، فارين، يعيشون البلاء المبرم صابرين محتسبين، فقراء جائعين ثم جاء ليقول مرة أخرى وانظروا نظرة أخرى لتروا أين وضع بيت الله تعالى؟ فإن وجدتم أنبياءه كيف بعثهم إلى فرعون إلى كسرى وإلى الطواغيت

إن وجدتهم يفرون من مكان إلى مكان فقراء مضطهدين، هذا طريد قريش وهذا طريد النمرود وهذا طريد بني أمية، عرفتم حقائق من واقع الدنيا لمعارج ربكم وأنظروا نظرة أخرى لتجدوا سنة الله واحدة كما بعث أنبياءه بهذه الكيفية فقراء جعل بيته في أوعر مناطق الأرض حرا غبارا تعباً مقطوعة حتى عن القرى، قال: «بأحجار لا تضر ولا تنفع» يقول نحن لا نريد أن نقول أن هذه الأحجار جعل فيها معارف هي أحجار عادية كبقية الأحجار فلا يتصور متصور أنه يذهب إلى الكعبة فيلمسها وإذ بها في باطنها بطون المعارف هي أحجار لكن هي احجار اختبار وامتحان، «ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام» كل إنسان له بيت يسكن فيه، البيت مأوى وسكن وفيه ما يريح الإنسان أي شيء في بيت الله يا أمير المؤمنين أهذه الأحجار بما هي أحجار تعطي أمورا كما وأن الداخل إلى بيت السلطان الفلاني يجده قصرا فيه المياه وفيه الأكل وفيه كل ما يحتاجه الإنسان من شيء، ماذا نجد في بيت ربنا يا أمير المؤمنين «فجعل بيته» هكذا يجب أن نتأمل في كلمات العظماء أنا لا أدعي معرفة لكلمات العظماء أقول يجب أن نتوقف عندها ولا نمر عليها مرور الكرام، «فجعل بيته الحرام الذي» قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ

﴾[1]، «فجعل البيت الحرام الذي جعله قياما للناس» قبل أن نأتي ونتكلم متأملين متوقفين نريد أن نأخذ شيئاً من علي عليه السلام لعقولنا التي مُلأت بمفاهيمها الدنيوية فلنذهب إلى آية أخرى في مكان آخر الله تعالى يقول: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ ما هي قيمة الأموال يا ربي ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[2] الاموال جعلها الله لنا قياما بالأموال نشتري المسكن وبالأموال نشتري المأكل ونعيش كرامتنا بالأموال فإذن قيام دنيانا بالمال، حتى نفهم معنى الشيء ﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾ لا تعطي أيها الإنسان السفيه مالك، إبنا كان، بنتا كانت، زوجة كانت، صديقا كان، الله تعالى أعطاك عقلا لا تسلّم مالك بيد السفهاء، السفهاء يضيّعون عليك مالك لا يعرفون كيف يصرفونه، فالتذهب الاموال لا قيمة لها؟ قال كلا ﴿التي جَعَلَ اللهُ لكُم قياماً﴾ قيام كرامتكم وحياتكم بالأموال، هكذا هي الأموال، هذا الوصف بنفسه جعله لبيته الحرام.

أرجو التوجه نحن في الأموال لا نتردد فهمنا ذلك، المال الكثير يجعلني أشتري قصرا، المال الكثير يجعلني أركب سيارة فخمة، المال الكثير يجعل بيتي مملوءً خدما، وهلم جرا، هكذا

١ـ سورة المائدة، الآية ٩٧.

٢ـ سورة النساء، الآية ٥.

قوامه للدنيا، إلهي وسيدي أنت قلت جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً، كما أن المال قياما هذا أيضاً قياماً، أي قيام؟ نحن نذهب إلى بيت الله تعالى نطوف ونسعى ونرمي وو.... نعود أسقطنا تكليفاً خوفاً من الوعيد، أي قيام هذا، المال نراه قياماً، آثار المال ملموسة نلمسها أكلا وشرباً وقصراً ورفاهية وسعادة هاهنا عرفنا القيام، لكن قيام لنا، الله تعالى الذي جعله قياما ما جعله قياما لك أنت أيها الإنسان، لمن قيام؟ للأمة الإسلامية، نقول كلا أنت لا تحدد شرع الله تعالى، بعث الله محمدا ﷺ رحمة للعالمين، جعل القرآن هدياً للمتقين، حتى لا تختلط علينا الأمور، القرآن لا يفهمه إلا من كان متقياً، لا يجعله مناراً ونوراً لسبل ربه إلا المتقي لأنه يحتاج إلى جهاد، أما محمد ﷺ أيضاً بعثه الله للمسلمين رحمة؟ نقول كلا للعالمين رحمة، يعني ما جاء به محمد ﷺ لو طبق تطبيقاً سليماً وصحيحاً لا بأيدي المتمكنين والجبابرة الذين فتحوا البلاد وجاءوا بأعراض الناس يقسمونها ذلاً وهواناً لشهواتهم لوجدتم الدين قياما للناس جميعاً، يعني رحمة للعالمين فإذن محمد ﷺ رحمة للعالمين حتى الكافر يعيش في ظله عدلاً، يعيش في ظله إحساناً ورحمة، يعيش في ظله غير جائع وغير ذليل، محمد الإحسان لا يحقد على ملحد، محمد الإحسان لا يحقد على عدو، محمد الإحسان لا يحيف في عدله على أي إنسان، هكذا يكون رحمة للعالمين، فلنتأمل في هذا

القيام، الله سبحانه وتعالى والإمام علي ﵇ يقول الذي جعله للناس قياماً، يعني ماذا؟ ما قال الذي جعل بيته للمسلمين قياماً حتى نتأمل في معاني الأمور، لماذا محمد ﷺ رحمة للعالمين، البيت الحرام قياما للبشرية، لا للمسلمين، سنتكلم عن هذا حتى نستنطق الكلمات ولو بقدر ما إن استنطقها مثلي بجهله بمقدار سيأتي من هو أعقل مني، من هو أتقى مني، من هو أعلم مني سيستنطقها بأكثر من ذلك ويستنطقها ثالث ورابع، «الذي جعله» أي البيت الحرام «للناس قياماً» أرجو التوجه على كلمة للناس يعني للبشرية، إذن ماذا يريد أن يقول علي ﵇ ونحن غافلون؟ أي ما يقوم به أمر دينهم وما يتحقق به أمر دنياهم، هذا البيت لو حجه المسلمون لكان رحمة لهم وللبشرية كافة، بتبادل آراء بمؤتمر عالمي فيه الملايين تنمو العقول، بتشاور بعيد عن الأحقاد، إن وقفنا هناك بعيدين عن التمايز عربية أعجمية، بعيدين عن التمايز زيد وعمرو وطائفية، تسقط كل الأمور متوحدين في ثياب كلنا فقراء بين يدي ربنا قد سحقنا الكبر والأحقاد لو شكلّت مؤتمرات بعد رسول الله ﷺ في هذا البيت الحرام لكان هذا البيت قياما للبشرية، لكان هذا البيت رحمة للبشرية، مؤتمر يحمل روح الرحمة خدمة لخلق الله، عابدا مطيعا لله تعالى فهو يعيش عبودية ربه ويعيش خدمة خلق ربه، يخدم الناس وإن اختلفوا معه في الفكر، يخدم الناس وإن اختلفوا معه في

العقيدة، يقول علي عليه السلام هكذا يكون البيت قياما للناس، أي ما يقوم به أمر دينهم ودنياهم حيث أن حقيقة الحياة بمفاهيم عمق الرسالة لا بقشورها وظواهرها، عشرة يحجون البيت قياما خير من ملايينها يحجون البيت جهلاً، أي قيمة لحجيج يقول لبيك اللهم لبيك ورجل الحق يخرج غير معتبر إياهم تاركا لهم مودعا بيت الله الحرام متوجها نحو العراق أي الحسين عليه السلام، أي تلبية هذه؟ تلبية كاذبين، جهلا أو نفاقا.

هناك من قال إن البيت جعله الله للناس قياما أي لقريش فقط، فصار قريش يعيشون عزا وكرامة وأمنا وأمانا وذاك راح ليجعله للعرب وآخر راح ليجعله إن وسّع النطاق للمسلمين، القرآن صريح والروايات والأخبار صريحة على أنه قياما للناس، نسأل هاهنا فهل لأنهم أي الناس يطوفون حوله فأصبح قياما؟ نحن نريد أن نجعل الموازنة كيف يكون المال قياما أي به قوام الحياة وكيف يكون بالحج قوام البشرية لا للمسلمين حتى نرى ولا نتكلم بكلمات كادت أن تكون شعرا، فهل لأن المسلمين يطوفون حوله خائفين من وعيد ربهم يسقطون تكليفاً يصبح هذا البيت قياماً للبشرية، أهكذا يصبح القيام؟ وهل طواف المسلمين بما هو طواف أو سعي يجعله قياما؟ نريد أن نرى واقع القيام كيف نجده، أم أن المسلم إذا جاء ليطوف في البيت سبعا إنتقل ببصيرة أن السبع حركة نحو

اللانهايات قبولاً واستعداداً فراح ليطوف سبعا يحمل أبعاد السبع بمعارفه لينتقل بأعدادها إلى عمق المراد الإلهي أنك أيها الإنسان بطوفانك حول بيت الله الحرام تسعى للدخول في أعماقه وباطنه بشهود معارف ربك سبعا عارجا بها إلى اللانهايات لأن السبع والسبعين يشار بها إلى اللانهايات، أهل جئت لتسير بدون فهم أو جئت لتطوف تكاد أن تدخل داخله؟ أنت تطوف حوله لكن أدخل داخله ليكون قياماً، كيف يكون قياماً؟ إذا لمست مفهوم السبع أي الحركة نحو اللانهايات، إذا لمست بسبعة طوافك وبسبعة سعيك ذلك الأمر للعروج نحو الكمال اللامتناهي لأنك قاصد مبدأ لامتناهيا وهو الله تعالى، بهذه السعة يكون البيت للدنيا والآخرة كمالا يسقط منك الأحقاد فتخدم البشرية غير متوقع منهم شيئا، إن نازعك منازع على دنياً ما اهتممت بذلك، لا تحقد على أحد ولا تفكر في تصفية حسابات تريد أن تعطي ليعطيك رب العزة بما يجدك أهلاً له ثم تذهب لترجم الشيطان أي لتبتعد أيضاً بسبع لامتناهية عن الظلمات لأن الظلمات التوغل فيها أيضاً يكون غير متناه وقتنا أيضاً انتهى والحمد لله رب العالمين.

كيف يكون الحج كمالاً وحركة نحو اللانهايات؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وما يتعلق بهذا الحدث العظيم التأريخي الإسلامي قلنا نشير إلى ما يرتبط بهذا الحدث حتى يكون بياناً لكل ما يكون مقارنا لكشف هذا الحدث بأبعاده ولكي نعرف أن هناك حقائق قد طواها التأريخ وطوتها الأمم غافلة عن معالمها ومعارفها وقد كنا معاً نعيش خطبة عظيمة تحكي أبعاد السلوك والسير الإلهي لاختبار عباده حتى لا يقعوا في غفلة وخطأ فيعتبروا ما ليس بشأن ديني شأنا دينياً ومفخرة كما راح المسلمون ليفتخروا بإمبراطوريات حدثت بعد رحيل رائد السلام محمد صلى الله عليه وآله وراح في مقابلهم ليفتخر النصارى بإمبراطوريات كالرومان ودول قوية تعيش اليوم على وجه الأرض وهلم جرا لعل اليهود اليوم راحت لتفتخر بدويلة اسرائيل بقوتها وهيمنتها معبرة ذلك سلطانا موسويا لموسى عليه السلام.

فالإمام علي عليه السلام يريد بهذه الخطبة العظيمة التي تحكي معالم شرع الله تعالى كيف يحققها على وجه الارض بإذهاب الكبر من نفوس المؤمنين والصالحين يدفع بهم لكي يحجوا بيتاً أحجاراً كما

قال علي عليه السلام لا تسمع ولا ترى، أحجاراً بما هي أحجار لا يمكن أن تقيم بقيم ولذا ورد الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله: إن كرامة أو دم المؤمن أفضل من أحجار بيت الله الحرام، إذن القيمة ليس للحجر القيمة ليس لتلك الأحجار وربما تبدل تلك الأحجار بأحجار أخرى ولعلها بدلت وغيرت على طول التأريخ وهدمت الكعبة المشرفة، هذه الأحجار بما هي ظاهر يعبر عنها الإمام علي عليه السلام قائلاً: إن الله اختبر الأولين والآخرين من لدن آدم بأحجار لا تضر ولا تنفع، فإذن ما وصفها بأن هناك في بطونها معالم توحيد ولا تبصر ولا تسمع، لا نفع ولا ضرر ولا بصر ولا سمع إذن يا أمير المؤمنين هل أراد الله تعالى فقط لإذهاب روح الغرور والكبر أن نذهب هناك لنعيش ذلا ربوبيا حتى نخرج من كبرنا وخطأنا وأوهامنا وخيلاءنا، أفقط هو هذا، ليذهب الكبر قال نعم بذهاب الكبر شهود قيم الرسالة، أي قيم هذه ؟ قال «فجعلها» أي هذه الأحجار، «بيته الحرام» أيّ بيت هذا؟ هل فقط وفقط لذهاب الكبر ساقنا لنذهب إلى تلك البلاد القاحلة؟ قال كلا من شهد السماوات والأرضين بظاهرها يعيش جهلا ومن عاش قد يرى ملكوت الأرض فيعيش قمما، إبراهيم عليه السلام ما وجد ملكوت الله تعالى في السماوات فقط، لنري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين، فإذن في الأرض ملكوت، في الأرض شهود عظم سلطان الله

تعالى، هذا العظم وهو ملكوت الله تعالى الذي جعله الله في الأرض إضافة على السماوات يريد أن يقول لنا الله تعالى لا تتصوروا أن هناك ملكوتاً وملكا عظيما لا يراه إلا من كان يسكن في سماواته، من كان يعيش بصيرة يلتفت إلى ملكوت في الأرض ينقله إلى السماء وفي السماء ينقله إلى الأرض وهناك لو طفنا به الكون بكله وبتمامه لما وجد أمرا:

«فجعله بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً» نحن عرفنا وأشرنا بالأمس أن الأموال جعلها الله قياما لنا حينما قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [1] لماذا يا إلهي علينا أن لا نعطي السفهاء الأموال التي جعلها الله تعالى لنا قياما؟ لأنها قيام الحياة، ولا يسلم عاقل قيام حياته الدنيوية بيد سفيه لا يعرف كيف يتصرف، هذه الأمة التي نهيت من أن تسلم المال بيد السفهاء سلمت بيت الله الذي جعله قياما بيد السفهاء وهم الحكام هكذا هذه الأمة حينما أصبحت معالم الله المناسك لبيت الله الحرام الذي منعنا أن نسلّم المال للسفهاء لأن الحياة تضيع، هذه الأمة المتهاونة في دينها الجاهلة لشعائر ربها حقيقة سلمت بيت الله أي سلّمت واقع الحكم الإلهي بيد الحكام فضاعت جميع القيم وسنتكلم عن الحج، «الذي

١ـ سورة النساء، الآية ٥.

جعله للناس» ما قال الله سبحانه وتعالى ولا قال علي عليه السلام أن البيت الحرام جعله للمسلمين قياماً، بل جعله للناس قياماً، كيف يكون قياماً للناس أي ما يقوم به أمر الناس لا المسلمين، لحياتهم الدنيوية ولحياتهم الأخروية معارف نحو الله تعالى، فهل لأن المسلمين يذهبون إلى بيت الله الحرام ليطوفوا طوافهم بالبيت ويسعوا سعيهم ويرجموا الشيطان بهذه الأفعال يكون الحج قياما للناس، فليكن قياما للحجاج هذا نهاية الأمر، فهل طواف الناس بماهو طواف وقيامهم بمناسك الحج يجعل الأمر قياما للناس؟ أم أن هناك أمرا أراده الله تعالى من وراء ذلك بأن تتبادل العقول أفكاراً، وبأن تشاهد العقول حضارات مختلفة تأتي من كل فج عميق لتتعارف ولتتبادل الأفكار في جميع الشؤون المختلفة دينياً، اعتقادات، اقتصادياً وسياسيا وهلم جرا، حتى يكون منطلقاً منه ينطلقون إلى العالم فإذا وجد العالم مؤتمر الحج لهم قياما لأرزاقهم لأن المسلم يذهب هناك بروح العطف والمودة البشرية ليندفع لمساعدة الناس، ولسياسات توصل الناس إلى الكمال، توصل الناس إلى الإخاء لا لكي يجتمعوا ليهاجموا البشر بالسيوف جاعلين الدين قهرا وإكراها وقد قال تعالى: لا إكراه في الدين.

فنقول هل أصبحت هذه الفريضة تحت ظل حكام مسلمين أو تحت ظل حكام ينسبون أنفسهم إلى الإسلام وتحت ظل وعاظ

السلاطين، هل أصبحت قياما للمسلمين حتى تكون قياما للبشرية؟ هي ما صارت وما كانت يوماً من الأيام هذه الفريضة قياما لنفس المسلم، فكيف يطلق الله تعالى أجزافاً أتجوزاً يتكلم الله سبحانه وتعالى ويدعي أن الحج هو قياما للبشرية؟

فإذن أرجو التوجه ما أشرنا إليه سابقا نؤكده هاهنا مرة ثانية برحيل الرسول ﷺ بيوم رحيله لا بعد ذلك بعقود من الزمن في السقيفة ضربت بطون الشريعة ومحتوى هذا الشرع فبقيت إطاراً، فكانت الضربة الأولى حينما قام السيف بديلاً عن العقل، حينما قامت القبلية لتقول أن الإسلام جاء لقريش وأن الحق والشورى لقريش وأن القيادة لقريش هذه المعالم وهي معالم الجاهلية أعيدت فنسف الشرع بباطنه في المرحلة الأولى وجاء لينسف بإطاره الظاهري مرة ثانية عندما وصل الأمر إلى الحسين عليه السلام في حين أنه من شهد الله تعالى بمعالم السبع طوافا وبمعالم السبع سعيا وبمعالم السبع رجما للشيطان ووقف متأملاً، لماذا تتشابه السبع هاهنا؟ سبع طوافا وسبع سعيا وسبع رجما للشيطان، لو تأمل المسلمون لبدءوا بحياتهم نحو الكمال اللامتناهي لو التفتوا إلى معالم هذه الشعيرة ببداية حركتها سبع في سبع في سبع، طواف لطلب الحقيقة سبعا والسبع هي الحركة نحو اللانهايات ثم بعد ما يطوف الإنسان ليصل إلى أعماق ما أودعه الله تعالى في بيته الحرام

ليصبح عروجا إلى الله تعالى يبدأ سعي اللاتناهي سبعاً ثم يلتفت الحاجّ أنه لا يتحقق هذا الطواف ولا السعي إلا برجم الظلمات سبعا أي رجما لامتناهيا هكذا هي الحقائق، هذه المعالم الإلهية التي أرادها بداية للخروج من الغفلة رب العزة ليخرج المسلم من جهله ومن غفلاته سلّمت بأيدي وعاظ السلاطين ففسروها بتبع الهوى مرضاة للحكام فأضيعت كل الحقائق، لو وقفنا كمسلمين بعيدين عن روح الجدل والأحقاد الطائفية وتأملنا، الله تعالى قياما للبشرية، والإمام علي عليه السلام يقول قياما للبشرية هذا الحج وتأملنا ورجعنا إلى عقولنا أين هذا القيام؟ نحن وجدنا القيام بالمال فكان البيان واضحا أن لا نسلّم أموالنا بأيدي السفهاء، الأموال كانت عزيزة فما سلّمت للسفهاء لكن الدين كان رخيصا فسلّم للسفهاء وهم الحكام، هكذا يختبر الله عباده وجدهم لغلاء الأموال عندهم لأن الغاية دنيوية ما سلموها للسفهاء وتوجهوا بكل أعماقهم أن لا تسلم الأموال للسفهاء فكيف جاءوا ليسلموا معالم ربهم وحقائق العرفان التي أودعها الله تعالى في بيته الحرام لتكون قياما للبشرية كافة فضلا عن المسلمين، لماذا سلمت بكل بخسٍ من الثمن إلى الحكام؟ لأن الدنيا هي الغاية فما سلّم المال ولأن الآخرة لاقيمة لها سلمت للحكام.

في حين أنه يجب على المسلم قبل أن تشكل المؤتمرات

لتبادل الأفكار بين المسلمين الذين راحوا بعد تطهير النفوس ليجلسوا بعقول الإخاء والمودة، بعقول الحركة نحو الأحسن والكلمة نحو الأحسن هذه العقول راحت فقط لتدور على بيت الله الحرام لم تلتفت على أن السبعة في شرع الله هي الإشارة إلى اللانهايات ولذا عدد السبعة والسبعون يتكرر في كثير من المواطن ما وجدنا تارة سبعة وتارة ستة وتارة ثمانية، ماوجدنا الإستغفار أو التوبة تارة سبعين وتارة تسعة وستين وتارة واحد وسبعين لأن هذه إشارة إلى حقائق يجب على المسلم أن يرجع إلى عقله ويبتعد عن تقديس الرجال ليشهد مشاهد ربه في بيت الله الحرام ليكون قياما للبشرية.

فإذا وجدنا في الموقف الأول أي في الطواف في السعي في الرجم اللانهايات متحققة نرجع إلى عقولنا لنرى بلا نهاية الكمال أيكون الحج كمالاً أم لا يكون؟ بنهاية الكمال عروجاً وطوافاً وسعياً ورجماً للشياطين رجماً لا متناهياً بتطهير النفوس المتواصلة للابتعاد من الظلمات سيجد الإنسان لو أن لنا من العلماء من العرفاء الحقيقيين الذين يطوفون في البيت طواف عرفان حقيقي الذين يسعون سعيا حقيقيا بنحو حركة لامتناهية بطهر قلوب تقطر دما على البشرية، المؤمن رئوف وحنون ويحب الخير حتى لعدوه، بهذه النفوس لو رحنا إلى بيت الله الحرام لرجعنا دعاة إلى البشرية

دعاة سلام وخير لا دعاة أحقاد وتكفير وإجرام وما شاكل هذه الأمور.

فإذن مدرك بعقله، قديسٌ بواقع درك معارفه يشهد اللانهايات بهذا الطواف والسعي والرجم وآخر فرضناه فقيها عارفا فإنه بعد الطهر والزكاة والتأمل في هذه المناسك يجد دستوراً قيما لم يتحدد بنهي عن شرب خمرٍ أو بنهي عن ترك صلاة، يجد شرعا هو شرع الحياة لا شرع الممنوعات، اكثرنا نحن كرجال دين شرع الله بأيدينا شرع الممنوعات الذي ينفر حتى أبناءنا وبناتنا في بيوتنا فجعلنا من شرع الحياة شرع المنفرات لتفر الناس منا حتى في بيوتنا فإذن وفقيه بفقهه يجعل مناسك ربه في الحج سبيلاً لتحقيق دستور وقانون يكون قانوناً حقيقياً قانوع شرع الحياة في كل أبعادها فينطلق منه نحو ربه وثالثاً يجد الحج قياما إجتماعيا يخدم البشرية بامتزاج الحضارات وتقييم أسس السياسات والاقتصاد والتربية وأفكاراً متبادلة لإصلاح روح الإنسانية مودة وهدياً نحو الخدمة الإنسانية، لو انطلقنا هكذا إلى الناس والبشرية لوجدنا الناس جاءت جميعاً إلى الإسلام لكن نذهب إلى الحج ونأتي لكي نسقط تكليفاً كل همنا أن نخرج من الوعيد، الله كلفنا بالحج نريد أن نذهب لنسقط حكماً، نرجع مرة ثانية نحن على ما عليه من جهلنا ومن أحقادنا سنية شيعية، مسلمين نصارى، نحن نعيش أحقاداً ونظن

أنفسنا نعيش إسلاماً، المسلم لا يحقد.

حيث أن المسلم الحقيقي يعيش واقع العبودية لربه بعيداً عن الكبر وإذا عاش العبودية لربه أصبح محض الخدمة لخلق الله ولذا ما خدم البشرية أحد كما خدمها الأنبياء الكرام ليس هناك من أحد يتمكن أن يدعي خدمة للبشرية كما جاء بها الأنبياء الكرام أولئك العظماء كانوا خدمة للبشرية بدون كبر ولا أي شيء ولا طلبا لأي أمر من الأمور، لا كما نحن نعيش أحقاداً من بعضنا على بعض اكثر مما نعيشه حتى على الملحدين، ليصبح البيت الحرام قياما للناس لا للمسلمين فقط لكن لما أغمض المسلمون كافة الطرف عن هذا القيام البشري الذي أراده الله ليصبح الحج فقط وفقط تكليفاً مسقطاً بنظرنا لأن الله تعالى يعاقبنا يوم القيامة إن لم نحج بيته الحرام، هكذا نحن نفكر ونتصور أن الله جعل بيته الحرام من لم يحجه يدخله النار فلما صار هكذا الفهم أنا إذا لم نقم بما أمرنا الله تعالى سندخل النيران أصبحنا كالأطفال حينما يخوفهم الآباء والأمهات يخاف من أمر ومن عقاب فينتهي، نحن هكذا أصبحنا وكأن شرع الله تعالى لم يحمل مصالح ولامفاسد، كأن شرع الله لم يحمل نورا في مقابل ظلمة لأنفسنا ولغيرنا.

فإذن حينما أصبح شرع الله يقيمه الحكام الظالمون ويفسره للناس وعاظ السلاطين الدجالون هكذا شرع قيادته بيد الظالم

ومفسره ومعلمه ومبينه يأخذ رشده من حاكم لابد وأن تكون الأمة هذه الأمة فأين الخلل في معالم ديننا فهما الذي أفقدنا عزا وسيّرنا سلوك جهل وجعلنا أمة تضحك حتى الأمم العادية من جهلها، أصبحنا الآن أمة العالم يضحك منا، فرقة مكفرة للبشرية تقتل الناس وتتقرب بالجريمة إلى ربها وآخرون يدعون العلم والفقاهة حجموا شرع الله تعالى الذي هو شرع الحياة لكمال الدنيا والآخرة حجموه في صلاة وشرب خمر وأنهوا الشريعة بكلها وتمامها وكأن الله تعالى ما بعث أنبياءه إلا أن نأمر بالمعروف بالصلاة وننهى عن المنكر في شرب الخمر، في حين أن رب العزة أراد الحج أي بيته الحرام قياما للناس أي للبشرية كافة ينهض بهم نحو مكارم الأخلاق والعلم والعز ويبعدهم عن الجهل والظلم والإستسلام للظالمين، كيف نبتعد من الظلم والظالمين ونحن نسمي المجرمين بأمراء المؤمنين؟ هكذا عشنا ونعيش وهكذا مع كل الأسف ليومنا هذا الشيعي عصبية وجهلاً يتعصب للحاكم إذا كان شيعيا في مقابل حاكم سني والسني يرى الأخطاء الواضحة ويغض الطرف عنها عصبية وجهلاً يؤيد الحكام الظالمين السنة لأنه يرى حكاماً في مقابلهم هكذا نعيش دوافع جهل وعصبيات جاهلية ألبسناها لباس الدين والشيعي منا يرجو جنان ربه بها والسني يرجو جنان ربه بجهل الجاهلين.

ولذا لو تأملنا أن الحسين عليه السلام متى ترك الحج بما هو قيام للناس؟ لأنه ما وجد الحج قياما وجد أناسا تطوف على بيت الله لا يفهمون حتى مفاهيم الأعداد، بشر ومسلم لم يفهم حتى أن السبعة تشير إلى اللانهايات في طواف بيتها وسعيها في رجمها للشيطان، مفاهيم الأعداد مسلمنا لم يعرفها فأين هو من أن يجعل الحج قياما ولذا ما وجد حجيجا ليتم معهم الحج مؤتمراً إسلاميا ثم يتوجه بعد ذلك إلى العراق وإن كانت هناك دواعي أخرى أشار إليه هو عليه السلام قائلاً على أن بني أمية جعلوا ثلاثين شيطانا لقتله وأراد أن لا يكون سببا للعدوان على بيت الله والقتل وسفك الدماء فيها لكن الغايات قد تتعدد ولذا ترك الحسين عليه السلام جمع الحجيج وهم يضجون قائلين لبيك اللهم لبيك لما وجدهم كاذبين فيما يدعون.

كيف يلبي ربه وهو صادق تحت ظل الجائرين؟ فسار نحو العراق لأنه وجد حجيجا لا يفقهون إلا قشور ألفاظ من حج جعله الله قياما للبشرية فضلا من المسلمين فأنّا لهذه الأمة أن يكون لها الحج قياما وهم يعيشون تحت وطأة الجبارين أذلاء خاسئين وقد وجد مدينة العز والكرامة والشموخ مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن ذلت للجبارين ووجدها راكعة للجبارين راح لينظر إليها من وراء الغيب عليه السلام بعدما قبلت بدل الحق الظالمين حكاما راح لينظر إليها كيف سيتعدى الظالمون عليها فيأتون بتلك الرجال الذين يوماً

هابتهم الرومان وهابهم فارس وهابتهم العرب وهابتهم اليهود يأتون أذلاء يختم على ظهورهم أنهم عبيد لآل أبي سفيان ومن أبى تضرب عنقه، هكذا الرجال الذين كانوا يوماً شرف الإنسانية يؤتى بهم أذلاء فيختم على ظهورهم، هكذا رآهم من وراء الغيب، ثم يؤتى بنساءهم وبناتهم لتستباح للجيش ثلاثة أيام وسنتم الحديث والحمد لله رب العالمين.

كيف بحجاج الله تعالى وهم ينادون لبيك اللهم لا يستجيبون لنداء الحق؟

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وما يحفّ هذا الواقع بكل أبعاد الكلمة قد وصلنا إلى شرح ولو مختصرٍ لخطبة مهمة تحكي واقع الحياة بأبعادها اختباراً وهي الخطبة المسماة بخطبة القاصعة للإمام علي عليه السلام ولذا أدعو المسلمين بعيدين عن روح الشحناء وتقديس الرجال أن يقرأوها بإمعان ليأخذوا منها معالم شرع الله حقاً ليميزوا بها رجال الحق من رجال الباطل.

وقد وصلنا ونحن في رحاب الحسين عليه السلام أنه ترك في أيام الحج والناس تضج قائلة لبيك اللهم لبيك ترك الحجيج بآلافه وأي حجيج يمكن أن يوصف بالحق والمعارف وهو قد سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله إن كان جاهلاً لا يميز الحق بمعرفة الحق ليعرف الرجال فقد بلغه بلا شك ولا ريب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة وقد بلغه أنه سيد شباب أهل الجنة وقد بلغه وبلغه بعد كل هذا البلاغ والبيان راح الواحد منهم بكل

جهل وابتعاد عن المعارف ليتقدم وهو من أهل مكة أو المدينة ناصحا الحسين عليه السلام مريدا منه أن لا يقوم ضد الظالمين هكذا يوصل الجهل بعض الرجال فبدلاً من أن يكون عوناً من أجل الحق يأتي مخذلاً وداعماً للظلم بجبنه ولذا قلنا وجد الحسين عليه السلام مدينة العز والكرامة والعلم مدينة الشموخ مدينة العظمة مدينة الرجال مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك الذل والخنوع للجبارين وجدها من وراء الغيب كيف يختم على ظهور رجالها أنهم عبيد لآل أبي سفينان وكيف وجدهم من وراء الغيب تستباح أعراضهم وهم سادات المسلمين كما وأنه قد شاهد من وراء حجب الغيب كيف هذا البيت العظيم الذي جعله الله للبشرية قياما فضلا عن المسلمين كيف هذا البيت الذي راح المسلمون يلبون حوله لا يعرفون الا قشورا من ألفاظ، كيف وجدهم لم يلتفتوا حتى إلى مفردات الأمور وألفاظها وحتى إلى مفهوم السبعة في طوافهم و في السعي وفي رميهم للجمرات فوجدهم كيف هم كاذبون فيما يدّعون حينما راح الظالمون ليهدموا كعبة العشاق بيت الله الحرام آمنين من سخط هذه الأمة، فوجد مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله من وراء الغيب مستباحة ووجد بيت الله الذي جعله قياماً مهدوماً بواسطة السلاطين ووجد الأمة موجهة ذليلة حقيرة لا قيمة لها حينما قبلت المجرمين وسمّتهم بأمراء المؤمنين.

فراح ليشهد عليه السلام وكله حزن وآلام كيف تهدم كعبة عشاق الله، الذي أرادها الله بيتا لعشاقه راحت لتهدم يهدمها الظالمون آمنين من سخط هذه الأمة التي تمسكت بالقشور وما فهمت حتى مفهوم المفرادات من الأعداد سبعاً وسبعاً وسبعاً، تقول لبيك اللهم لبيك كاذبة جاهلة وهي تركع تحت ظل حكم الظالمين والجائرين أليس هذا من الكذب والافتراء أن يأتي الحاج مدعيا أنه يلبي نداء ربه والأنبياء وهو عبد حقير ينصاع إلى الجائرين فأراد الحسين عليه السلام بخروجه من بيت الله والحجيج مجتمع أن يقيمها حجة ليوم الحساب، وإلا كان قادراً أن يحج ثم لا يجعل بيت الله محلاً لقيامه ويتوجه إلى العراق لأن من هناك جاءت الدعوة وما جاءت مع الأسف الدعوة من أهل مكة والمدينة الذين هم اكثر عرفانا بالحسين وبالبيت النبوي فما كان ذلك نقدا على أهل العراق النقد أولا يجب أن يتوجه على أهل مكة والمدينة ثم يصب على من دعوه ثم خذلوه، فذلك القيام لهذا البيت العظيم الذي أراده الله قياما لكل قيم الدنيا والآخرة جعل الله تعالى لبيته الحرام حتى يأتي الناس من بعد ما يقطعون هذه المسافات الوعرة ويأتون إلى هذه الصحراء يجدون معالم ربهم لا أنهم يطوفون بدون أي معرفة وبدون أي شيء يطوفون بالعروج نحو اللانهايات وإلا فالله تعالى كان قادرا وهو اليوم قادر أن يجعل الناس أمة واحدة لكنه لا يغير

الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم هكذا هي معالم التوحيد تعرف من خطب الأولياء من كلام الأنبياء من آيات الكتاب المبين وهذا الواقع العظيم قد نبه إليه إمام المتقين علي عليه السلام في خطبته القاصعة إلى مكان البيت ووعورته وما حمل في بواطنه من قيام للبشرية يجعلهم قياما ليسوا يعيشون غفلة ولا نوما ولا ذلا ولا ماشكل هذا الأمر و ما أشار إليه عليه السلام في هذه الخطبة في خلق آدم عليه السلام وأدمته وعدم نور ظاهر فيه ولا سلطان يدفع للخشوع والتبعية إلا من كانوا من أهل البصائر بالإيمان شاهدوا أبعاد اللانهايات في بيت الله الحرام وشاهدوا العزائم والمعارف في آدم وفي أنبياء الله الكرام، فالحج إذن شهود باطن يكشف السير نحو اللانهايات بعدده السبع وهو تبادل آراء و مشاركة عقول واندماج حضارات للحركة نحو الأحسن للنهوض بالناس جميعاً نحو خير الدنيا والآخرة وأي مؤتمر يجمع هذا الحشد بملايينه على اختلاف المدن في العالم واختلاف الحضارات والعقول لو أن هذه اجتمعت فكانت قيماً وقياماً لكانت قياماً للبشرية كافة تنهض بهم ليخرجوا من جهل، ولذا قالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها الشهيرة في المسجد النبوي تلك الخطبة التي حاول ويحاول وعاظ السلاطين و السلاطين أن يطمسوا معالمها حتى لا تصل إلى مسامع الناس خوفا من أن تنال من كرامة الرجال فمن أجل أن لا يصل الأمر إلى النيل من كرامة

الرجال نالوا من شرع الله وغيروه و شوهوه وطمسوا معالم دينه وخطب لعلي عليه السلام ولفاطمة عليها السلام فعلى المسلم أن يرجع إلى تلك الخطب القيمة لفاطمة عليها السلام يرجع إلى خطب قيمة تحييه وتخرجه من الإستسلام إلى السلاطين والظالمين لعلي والحسين والأئمة المعصومين عليهم السلام ماذا قالت فاطمة عليها السلام وكيف رأت فاطمة بيت الله الحرام قالت «وجعل الحج تشييداً للدين» علي يقول بمقالةفي الحج وكتاب الله يقول بمقالة في الحج وفاطمة تقول بمقالة في الحج، وجعل الحج تشييداً للدين، الدين دين البشرية، الدين دين محمد صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله رحمة للعالمين كيف وجد المسلمون الحج تشييداً للدين ما وجدناه هكذا نذهب نطوف ونرجع ونحن على جهلنا لا تبادل حضارات ولا تبادل عقول ولا مساعدات ولا أي شيء هي أحقاد نعيشها يحقد بعضنا على بعض أنعيش أذلاء تحت أيدي حكام ظلمة جائرين الف وأربعمائة سنة؟.

تقول عليها السلام وجعل الحج تشييداً للدين وبالدين كرامة البشرية إن كان دين حق ولم يكن دينا تحت سلطة الظالمين يفسره وعاظ السلاطين، ثم قال علي عليه السلام في خطبته أي القاصعة «ثم وضعه» أي وضع بيته الحرام «بأوعر بقاع الارض حجراً وأقل نتائق الدنيا مدرا وأضيق بطون الأودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دنفة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف و لا حافر ولا ضلف ثم أمر»

جعل بيته هكذا حتى نرى أن سنن الله تعالى ثابتة غير متبدلة، ما خلق آدم بنور وما أظهره بمظاهر سلطان فاختبر بظاهر ليس بخلاب اختبر ملائكته وإبليس وهكذا جعل أنبياءه ضعفة على وجه الأرض إلى الخاتم منهم إختبر بهم البشرية، السنة واحدة ومنهج الاختبار واحد، وجعل بيته في أوعر بلاد الأرض، ما جعله في أرض السواد كالعراق ولا جعله في لبنان وتونس الخضراء ولا جعله في أي محل آخر في شرق الأرض وغربها يعيش خضرة ونقاوة أما كان الله يعلم أين محل البيت يجب أن يكون كان قادرا أن يجعله في أحسن المواطن ماء وهواء ومن كل الجهات ما جعله كذلك.

ثم قال عليه السلام «ثم أمر آدم عليه السلام وولده أي يثنوا أعطافهم نحوه» أي نحو هذا البيت «في هذه الأرض الوعرة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله ويرملون على أقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما» هل أراد بكل ذلك أن تأتي الناس من كل بقاع الأرض تتحمل هذه الأخطار في هذه الأرض الوعرة لتطوف سبعا جاهلة ثم تعود إلى بلادها وهي تعيش جهلها وأحقادها أهكذا يكون الحج قياما للبشرية فضلا عن المسلمين، «وامتحانا شديداً واختباراً مبيناً وتمحيصاً بليغاً جعله سبباً لرحمته» أيكون سبباً للرحمة ونحن نعود جهالاً منه، يكون سببا للرحمة اذا سعينا نحو

اللانهايات حركة إذا عرفنا أن السبع والسبع في السعي والطواف حركة نحو اللانهايات معرفة لحياة دنيوية وأخروية تكون عزاً وكمالاً ورجمنا الشيطان سبعا وابتعدنا عن الظلمات ابتعاداً لا متناهياً هكذا نكون محلاً لرحمة ربنا، جعله الله سبباً لرحمته «وسبيلاً إلى جنته» هكذا تكون الصلة، هكذا يكون الفعل سبباً لأن يوصلنا إلى جنان ربنا أما نذهب حاجين ونحن نعتبر الظالمين أمراء للمؤمنين هل هكذا يكون الحج صلة؟ «ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات» يعني لا تتصوره أنه تعالى خلق آدم في تلك المنطقة وما كان يعرف منطقة ثانية فأمره بمكة، «بين جنات وأنهار وسهل وقرار جم الأشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين قرة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراص مغدقة ورياض نضرة» لماذا ما جعل ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال الله تعالى جعل الدنيا دار امتحان، أراد أن لا يقصد البيت الا لوجهه لا منتزها نذهب من أجل أن ننتزه ونستر ونرجع ثم قال «ولو كان الأساس المحمول عليه» أي على البيت الحرام «والاحجار المرفوع بها» هذا البيت «بين زمردة خضراء ياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك مضارعة الشك في الصدور» الله لو جعله هكذا لخفف الشك أنا ندعى إلى أنبياء هم يعيشون إمبراطوريات، ندعى إلى أنبياء نجد النور ساطعا من عنان السماء على رؤوسهم والملائكة

ترفرف بأجنحتها عليهم وهم في قصور وبيت الله في منتزه أهكذا يكون الإمتحان؟ يقول كلا، الإمتحان في بيت في هكذا محل وعر والأنبياء يعيشون مطرودين خائفين وهكذا يختبر الله عباده «لخفف ذلك مضارعة الشك في الصدور» ثم قال عليه السلام الله تعالى لا يخدع على دينه ولا على جنته، الله يريد أن يميز الخبيث من الطيب ولكي يميز العاقل من الدواب، ثم قال عليه السلام: «ولكن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بألوان المجاهد» هنا نكتة يجب الالتفات إليها لنخرج من جهل، الله سبحانه وتعالى يختبر الملحدين بما يناسب الإلحاد ويختبر المشركين بما يناسب الشرك ويختبر كل إنسان على وجه الأرض أما من يدعون أنهم حملة راية السلام لرائد السلام محمد صلى الله عليه وآله للأمم إمتحان هؤلاء أدق وأشد، يقينا لا يأتي إبليس ليقول لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله إرجعوا إلى أصنامكم ولا يقول لهم إشربوا الخمور ولا يقول لهم ارتكبوا الزنا هكذا لا يأتي إبليس، إبليس يقول لهم إذهبوا بسيوفكم على الأمم وءاتوا بأعراضها وقسموها فإنه فتح وهؤلاء ملك يمين، إبليس بدلا من أن يقول لهم قال الله تعالى ابعثوا المسلمين دعاة للبشرية دعاة رحمة وعلم يقول لهم إبليس إجعلوا السيوف على عواتقكم وانتشروا لضرب أعناق البشرية فمن أبى فهو كافر يستحق الموت، الله خلق البشر ليختبرهم هؤلاء يقتلون البشر ويدعون أنهم اكثر غيرة على

دين الله من الله ومن أنبياءه، هكذا جهل أن مدع يدعي أنه أغير على دين الله من الله ومن أنبياءه أي جهل اكثر من هذا قبلته الأمة «ويتعبدهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتكبر من القلوب وإسكاناً للتذلل في النفوس» وقد قالت الصديقة فاطمة عليها السلام في خطبتها التي ألقتها في المسجد النبوي وحاول المسلمون طيلة هذه القرون أن لا يقرأها أحد، أيها المسلمون اعلموا أنكم يوم الحساب ستقفون إما تحت راية أوصياء الأنبياء أو تحت راية الحكام فاختاروا لأنفسكم إحدى الرايتين قبل يوم الحساب وقد قالت الصديقة عليها السلام: «وجعل الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر» تقول عليها السلام جعل بيته في هكذا مكان ليذهب الكبر هل نذهب بكل ذلنا لكي نعرف معالم ربنا هناك بعيدين عن الزهو والقبليات والقوميات، وجعل الصلاة تنزيها لكم عن الكبر وجعل بيته كذلك وجعل ذلنا لأنبياء مضطهدين فقراء كذلك وهلم جرا.

ومن اختبار الله لخلقه في الوقوع في الأخطاء إن لم يحصّن الإنسان نفسه بالزكاة والعلم نجد أن في مقابل نبيين بمظاهر الضعف بصوف وعصي جعل الله تعالى الوضع هكذا لكي ترى هل العقول تميز أولا تميز، الضعف أظهره بكل مظاهره صوفا وعصي وفقر ومذلة، و قد أعطى فرعون سلطانا وفي مقابل هذا ما جعل الطرف الثاني متوازنا مع هذا ليس عصي في مقابل عصي بل عصي

في مقابل إمبراطورية و وقد جعل الطرف الآخر إمبراطوراً وسلطانا و أعطى قارون أموالاً هكذا تمتحن الناس .

وكذلك أيها الإخوة والأخوات كان الاختبار صعبا لأمة محمد صلى الله عليه وآله حيث جعل أوصياء محمد بين طريد وسجين ومقتول ومسموم ومجعول في الإقامة الجبرية كالإمامين العسكريين ومضطهد وفقير وجعل رجال الله فقراء يموتون في الربذة وأموال عبد الرحمن بن عوف تكسر بالفؤوس ذهبها وفضتها وأموال الزبير يعرفها كل أحد وهؤلاء ليسوا في أصول الكراسي وعروشها هؤلاء من أجل أن يرضى الواحد منهم أعطاهم الحاكم ما جعلهم كل واحد منهم قارون هذه الأمة فكيف كان أصحاب الملك أيها الناس بعد ما كان الإسلام فتح إفريقيا وإيران والكثير من البلاد وجاء بالأموال تحت مسميات دينية، وفتح أبواب الدنيا في مقابل الحكام الجبابرة الذين يدعون أنهم يطبقون الإسلام وجعل موسى وهارون فقراء بمظاهر الصوف والعصي في مقابل فرعون وقارون وجعل أوصياء محمد صلى الله عليه وآله كذلك فقراء مضطهدين وفتح الدنيا للسلاطين المتلبسين بلباس الدين حيث القصور حتى يرى أن أمة محمد صلى الله عليه وآله صادقة أو كاذبة تطلب أهل الحق في شعبهم في سجونهم في إقامتهم الجبرية أم تطلب الدنيا؟ فوجدها تطلب وفتح أبواب الدنيا للسلاطين فجعلهم في القصور وجعل لهم جنداً لتشتد

البلوى ويصعب الاختبار على أمة محمد المدعية للمعارف والقيم والمدعية متابعة النبيين حيث أن هذه الأمة لا تختبر بأمر من الشيطان بشرب خمر ولا بأكل لحم خنزير ولا بدعوة إلى الوثنية أو الإلحاد، بل تختبر بما يلبس بلباس الدين فلما لبست الدنيا لباس الدين اختبر الله هذه الأمة والله تعالى لا يترك أحداً بدون اختبار وعلى الناس أن ترجع إلى الآيات التي تتكلم: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا﴾ [1] الكثير من الآيات تتكلم عن هذا الواقع حتى لا يظن أحداً أنه خارج من نطاق الإمتحان الإلهي وكذلك جعل أولياءه على طول التأريخ ضعفة فالذين لهم في الغالب الأموال والشهرة من الحكام و من رجال الدين اكثر هؤلاء تأملوا فيهم لا أقول جميعاً قد يكون من المؤمنين من هو من أصحاب المال ومن المشاهير من الفقهاء من هو متقٍ حقيقي لكنهم قلائل لأن سنة الله في عباده أن جعل هؤلاء لا يطلبون إلا لله خالصاً لا يطلبون لجاه ولا لمقام ولا لصوت يسمع يكون واسطة فيه ذلك الرجل العظيم حتى لا نعيش جهلا فعلينا أن نرجع إلى سنن الله لنقرأها قراءة عرفان حتى نجد فيها قيم السبع التي هي حركة نحو اللامتناهي هذا ما عليّ من الله في بيان خطبة وإن كنت قاصراً جاهلاً لبيان خطبة

١ـ سورة العنكبوت، الآية ٢.

للإمام علي عليه السلام أردتها منبها ولو فسح الزمان لنا وقتا وأعطتنا الدنيا مجال سنبينها إن شاء الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

ما معنى قول الإمام الحسين عليه السلام
ما رأيت أصحاباً كأصحابي

ونحن أيها الإخوة والأخوات نعيش في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وإذ بنا نسمع حديثاً منسوباً إليه يقول فيه «والله ما رأيت أصحاباً كأصحابي» أو يقول فيه «إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي» فهاهنا قسَم صادر من الحسين عليه السلام يصف لنا أصحابه ونحن قلنا لابد أن نستنطق الكلمات ولا نمر عليها مرور الكرام فما المراد إذن من مثل هذا الحديث الشريف الذي يتكلم عن أصحاب الحسين عليه السلام فهل يريد عليه السلام حكاية عن نفسه وزمانه أي إني في زماني ما رأيت أصحاباً كأصحابي فإن كان القصد في زمانه فيجب أن نبحث عن زمان الإمام الحسين عليه السلام ولو بدءاً بحياته في زمن الرسول صلى الله عليه وآله لنعيش أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم نأتي لنعيش أصحاب علي عليه السلام ثم نأتي لنعيش أصحاب الحسن عليه السلام ثم ننظر أي مقايسة بين أصحاب الحسين عليه السلام وبين أصحاب هؤلاء العظماء ويقيناً هو لا يريد أن يقيس أصحابه بأصحاب الملوك والجبابرة ولا بأصحاب الدنيا يقيناً قياس أصحاب بأصحاب في

مواطن القرب في مواطن المسالك الإلهية والربوبية هذا إن كان المراد هو قياس أصحاب بأصحاب في عصر وزمان متقارب عاشه الحسين عليه السلام لكن كلمات العظماء تخرق الزمان والمكان لتكون مشهداً ومنظاراً وحكاية عن واقع في مقابل واقع فإن كانت هكذا فإذن لها بُعد عظيم فكأنه يريد أن يقول ما رأيت في واقع الكون أصحاباً كأصحابي لو قسناهم بجميع أصحاب الأنبياءو الصالحين والطيبين على طول التأريخ، فهل يمكن عندها أن نحصل على مطلوب يمكن أن يكون معقولاً ثم ننسبه إلى الحسين عليه السلام حتى لا نأخذ الأخبار إرسال المسلّمات فالخبر ما لم يكن متمشيا مع العقل ومع ما يمكن أن يكون تفسيراً سليما له فإما أن يترك لأهله أو يؤول أو يفسر فهل نحتاج إلى ترك لأهله أو تأويل وتفسير أو هو ينطق بالمراد؟نقول إن الحديث هاهنا من تأمله وجده بنفسه ناطقا بالمراد خارقا للزمان والمكان فلا يريد أن يقول عليه السلام أصحاباً في عصر معين، يعني لا يريد أن يقول ما رأيت أصحاباً من مقطع إلى مقطع زماني وهو زمن الإسلام إلى زمانه، إن كان الحديث هكذا وأردنا أن نتأمل فيه نقول: إنه عليه السلام لا يريد مقارنة أصحابه من حيث الفرد ببقية أصحاب الأنبياء حتى نعيّن محور البحث، كل كلام لابد أن ينقّح محل المراد؟ الغاية أين هي؟ هل يريد أن يقول عليه السلام حتى يكون البحث علمياً، ما رأيت أصحاباً يعني لو جئتم إلى

اصحابي ونظرتم إلى كل واحد واحد منهم ثم ذهبتم إلى أصحاب الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام وتأملتم فيهم لوجدتم أن كل فرد من أصحابي هو أفضل من كل فرد من أصحاب الرسول ﷺ الى الحسن عليه السلام؟ أهكذا كان يريد أن يقول عليه السلام؟حتى يقول القائل منا بعد ذلك إذن زيد وعمرو من أصحاب الحسين عليه السلام هم أفضل من عمار هم أفضل من سلمان ومالك وجعفر الطيار وحمزة وهلم جرا.

نقول هذا من المستبعد أن يكون مرادا للحسين عليه السلام فإذن لا يريد أن ينسب فردا إلى فرد ولذا جاء بصيغة الجمع أصحاباً في مقابل أصحاب، هذا أولا حتى لانقع في خلط وإشتباه وتفسير غير صحيح، فلا يريد أولا نسبة فرد من أصحابه إلى فرد من أصحاب رسول الله ﷺ إلى زمن الحسن عليه السلام بلا لا يريد أن يقول أصحابي في مقابل أصحاب الأنبياء والأوصياء والأولياء على طول التأريخ فردا في مقابل فرد ولا نشك أن هناك سواء كنا نعلم أو لا نعلم من العظماء أصحاباً لموسى وعيسى وآدم و نوح عليهم السلام، فلا يمكن أن نجيز لأنفسنا مفسرين مقالة للحسين عليه السلام بجعل فرد في مقابل فرد بل المراد جمع في مقابل جمع هذا أولا.

المطلب الثاني لتنقيح محل الكلام والمعرفة المراد من كلام العظماء أن نقول لا يريد أن يقيّم أصحاباً باصحاب علما ونحن لا

نتردد أن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام وإن تركنا العصمة فلا شك ولا ريب أن هناك أصحاباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وأن هناك أصحاباً لعلي عليه السلام وأصحاباً للحسن عليه السلام هم أفضل علما من بعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فإذن ليس هو قياس فرد بفرد بل قياس جمع بجمع، ثانياً: محل القيام ليس علماً في مقابل علم يعني لو جئنا مجموعة عالمة في مقابل مجموعة عالمة أو فرد عالم في مقابل فرد عالم ليس المحل هكذا يقاس إذا ابتعدنا عن مثل هذه الأمور التي تلقي بشبه على الحديث فيكون مستبعداً ومستغرباً أن يقول الحسين عليه السلام بمثل هذه المقالة، لأنه مما لا شك ولا ريب فيه أن الإمام الحسين عليه السلام لو لم يلقي نظرة على أصحاب إبراهيم أو نوح أو عيسى عليهم السلام قد ألقى نظرة على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كأبيه علي عليه السلام إن أغمضنا الطرف عن العصمة فمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كالحمزة وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كجعفر وأبي ذر والمقداد وسلمان وذي الشهادتين ونظائرهم من العظماء حدثنا التأريخ بأسماءهم أو لم يحدثنا التأريخ بأسماءهم وهاهنا من باب الإشارة أقول : أنا أجزم ولا أتردد أن هناك أصحاباً لرسول الله صلى الله عليه وآله تكلم عنهم علي عليه السلام في كثير من المواطن يتكلم عنهم بعظم عجيب غريب، من هم هؤلاء العظماء الذين حملوا الرسالة بثقلها سنين طوال مع كل قسوة قريش

ما حدثنا التاريخ عنهم، ما حدثنا التأريخ إلا عن أبي هريرة وعن الخليفة الأول والثاني والثالث وفلان وفلان، من هم أولئك العظماء؟ طوى التأريخ عنهم صفحا، فأقول لو رجع الإنسان إلى كثير من خطب علي عليه السلام يجد أنه كان يقول: كان أصحاب رسول الله كذا وكذا حينما يتكلم عن زهدهم وصلاتهم وتقواهم نجد عظما، حينما نأتي إلى مصاديق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لا نجد هذا العظم إلا في نوادر من البشر وهكذا القرآن يتكلم عن عظم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله تتكلم عن عظم لبعض الأصحاب فنقول إذن، يقينا لا يتكلم عن هؤلاء وأشباههم من العظماء كما وأن الحسين عليه السلام بغض الطرف عن أصحاب جده لا يتكلم بإطلاق من الكلمة بالنسبة إلى أصحاب أبيه وفي أصحاب أبيه من هو أعلم بهم من غيره هناك عمار وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وهشام المرقاق، فلا يريد أن يقول أن كل فرد من أصحابي هو أعظم من كل فرد من أصحاب علي أو الحسن عليهما السلام وهؤلاء الكثير منهم كانوا من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام.

وكذا نقول ليست المقارنة بين جمع وجمع من حيث العلم وإلا ففي أصحاب بعض الأنبياء من عاش حياتهم وجد علما ومعارف ربما لا تقاس ببعض أفراد من لحق بالحسين عليه السلام ومن

أصحاب الحسين عليه السلام الحر وإبنه إن كانوا داخلين في هذا الخطاب لأن الخطاب حسب الظاهر في الليلة قبل اليوم العاشر فلا يكون شاملاً لمن التحق في اليوم العاشر، هناك من التحق في اليوم العاشر لكن نتردد أن الخطاب يكون شاملاً لهم أو ليس شاملاً لأن الذين اختبر نفوسهم ومدحهم ذاك المدح وكشف الغطاء عن بصائرهم حسب الظاهر قبل يوم العاشر من المحرم، وعليه فلابد أن نتوقف عند الكلمات ونلحظها بما يمكن أن تحمل حقائق تتناسب والعظماء، كلام صادر من عظيم صادق لا شك ولا ريب في صدقه محفوف بقسم.

فإذن لا يمكن أن نبقى مترددين ما المراد من هذا الكلام؟ لابد وأن نتوصل إلى ما يمكن أن يكون معقولاً في المقام.

إذن ما هي الخصوصية لهؤلاء الأصحاب حتى لا يقاس بهم أحد في العالمين، جمع يتكلم عنه الحسين عليه السلام يقول لا يقاس به أحد في العالمين، ونحن قلنا أن كلمات العظماء لا يقيّدها الزمان والمكان حينما قال الإمام الحسين عليه السلام من لحق بي منكم استشهد بيّنا هناك ووضحنا أنه ما أراد من لحق به في زمانه في مقابل طغيان بني أمية استشهد، من لحق بواقع هذا الركب خالصا مصيره الشهادة لا مخرج عن الشهادة لأنه طريق معين في مقابل الطواغيت يأبى الله له إلا القرب واللطف الإلهي وهي الشهادة، إذن حتى لا نقيس

الكلمات للعظماء مقاييس غير صحيحة وهناك أصحاب مضوا كأصحاب الكهف، وهم أصحاب لهم مكانتهم لا يتردد فيها متردد لكن الحسين عليه السلام يتكلم عن عظم لأصحابه يتجاوز كل هذا العظم.

هنا نقطة يجب أن نلتفت إليها حتى لا يقول قائل إن الشيخ الخاقاني يتكلم بكلمات قد تكون بعيدة عن الواقع بدوافع الأحاسيس يأتي فيقيس أصحاب الحسين عليه السلام حتى بأصحاب الكهف ثم يقول لهم خصوصية فوق أصحاب الكهف ولهم خصوصية فوق أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وفوق أصحاب علي عليه السلام وفي أصحاب علي عليه السلام من هم من العظماء، نحن لا نريد أن نقول أيها الإخوة والأخوات مفسرين المراد للإمام الحسين عليه السلام الحسين ما قال في خطابه إن أصحابي لهم من المنزلة عند الله تتجاوز عظما وقربا أصحاب الكهف وتتجاوز جعفر الطيار وتتجاوز حمزة في عظم مكانتهم وجنانهم وقربهم عند الله تعالى، ما قال الحسين عليه السلام هكذا؟ الحسين عليه السلام يتكلم عن عظم في أصحابه وخصوصية لأصحابه ما حدّث عنها التأريخ.

فإذن نتأمل في الكلمات حتى لا نتجاوز الحدود، الحسين عليه السلام ما قال أبدا أن أصحابي ستجدونهم يوم الحساب بمنازل قرب عند ربهم ومكانة في الجنان ورضوان دونهم البشرية إلا الأنبياء، متى قال الحسين عليه السلام هذا الكلام! حتى نقول يقينا أصحاب الحسين عليه السلام

أفضل من الحمزة و من أصحاب الكهف ومن أصحاب الأخدود وأصحاب الحسين عليه السلام يقينا أعظم قربا من كل الخلائق إلى قيام الساعة! الحسين عليه السلام ما قال بهذه المقالة أبدا، قال إن هؤلاء الأصحاب كجمع صحبة لا كفرد، كمجموعة لهم خصوصية ما كانت هذه الخصوصية لأحد، من باب الإشارة مبادراً حتى لا يقع البعض في الخطأ حينما خرج أصحاب الكهف خرجوا فارين من طغيان آملين الحياة ساعين إلى الاختفاء من بطش جبار وأصحاب الحسين عليه السلام خرجوا مستسلمين للموت والقضاء الإلهي، حينما جاءت البشرية برجالها الصالحين لتؤيد الأنبياء على طول التأريخ والأولياء والصالحين الذين لا نتردد في صلاحهم جاءوا وهم يأملون الحياة وهم لم يقطعوا كل روابطهم كمجموعة أقول، أكرر لايقول قائل شيخنا هناك من خرج من الأبرار قاطعا حبال الدنيا بكلها أنا لا أتردد في ذلك أن هناك من العظماء بمجرد أن جاء لنبي وأسلم على يد أي نبي من الأنبياء جاء مستسلماً لقضاء الله وقدره قاطعاً روابط الدنيا بما فيها من حبال، لكن أرجع وأقول الحسين عليه السلام يتكلم عن مجموعة كاملة وكوكبة بمن فيها من العظماء هؤلاء لو جئنا إليهم لوجدناهم بغاية وعزم واحد لا إثنينة فيه، لوجدناهم عزما، قطع الروابط من كل شؤون الدنيا مصمما على الموت لا يريد غير ذلك ومن خرج كمجموعة مع رسول

الله ﷺ ولو كان مؤمنا لكن كجمع هناك من كان يريد البقاء في الحياة، هناك من كان يأمل الرجوع إلى زوجة، هناك من كان يأمل الرجوع إلى مال، هناك من كان واقفا وهو يدعو الله بالنصر وهؤلاء ما جاءوا لنصر دنيوي فإذن الغايات هكذا كانت نفوس صممّت، أرادت شهادة جازمة بها: «من لحق بي استشهد»[1] هكذا يجب أن ننظر إلى الأمور حتى لا يقول قائل أن زيداً من الشيعة جاء وفضّل أصحاب الحسين عليه السلام عند الله على أصحاب الكهف وعلى أصحاب الأنبياء والمرسلين لا فضّلت ولا الحسين عليه السلام فضّل، المنازل يوم القيامة يقيمها الله تعالى ولذا كان المقيم هو الله لا يأتي زيد ولا عمرو لكي يعطي الناس منازل عند ربهم من أنا وزيد وعمرو حتى أعطي الأبرار منازلهم عند ربهم، منازلهم عند ربهم يعينها ربهم هو أعرف بهم من كل أحد.

فإذن يجب أن نخرج من جهل ربما نقع فيه، إذن ما هي الخصوصية لهؤلاء العظماء حتى لا يقاس بهم أحد في العالمين حتى كأصحاب الكهف فهنا نقطة يجب التوقف عندها وهو أن الكلام ليس بما للأصحاب من منزلة عند ربهم.

فإذن ليس الكلام في فرد في مقابل فرد، ليس الكلام في علم

١ـ كامل الزيارات: ٧٥، ح ١٥.

في مقابل علم كمجموعة، في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من كان أعلم من كثير مما هو من أصحاب الحسين عليه السلام وليس المراد بيانا لمراتبهم عند ربهم، مراتبهم عند ربهم يعينها ربهم يوم القيامة، فذاك شأن إلهي بالنسبة إلى كل فرد فرد، ذاك ليس مجموعة في مقابل مجموعة، الله يوم القيامة يحاسب الناس ويدخلهم منازلهم فردا فردا ما يأتي بأصحاب الحسين عليه السلام كمجموعة يحكم عليها بحكم واحد، كيف يحكم على ركب مؤلف من أناس يختلفون عقلا ويختلفون بصيرة ومعارف ويختلفون في واقعهم، أيقاس الحسين عليه السلام في كربلاء بزيد وعمرو ممن استشهد معه كلا ثم كلا.

فإذن ذاك شأن إلهي بالنسبة إلى كل فرد فرد، الله تعالى يوم القيامة كما يأتي بكل الخلائق جميعاً يحاسب كل فرد فرد يحاسب الأولياء أيضاً كل واحد فرداً فرداً بما لكل فرد من أصحاب الحسين عليه السلام أو أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أو أصحاب الأنبياء والمتقين كل واحد يحاسبه بما له من معارف بحسب عقولهم ومراتب علمهم ومراتب صفاءهم وخلوصهم ولا يقيّم ذلك أحد على الله سبحانه وتعالى فهو وميزان عدله ثم هو ولطفه ثم هو وإحسانه وماله من المزيد، فلنخرج من خطأ قد نقع فيه فنقول والعلم عند الله فهو العارف أولا وقبل كل شيء بكلمات العظماء ما جئت أنا اليوم لأقول هذا هو المراد من الإمام الحسين عليه السلام أقول هذا ما نحتمله من

كـلام العظمـاء، كـلام العظمـاء يفـسره العظمـاء بأنفـسهم ويعـرفه الله سبحانه وتعالى.

فإذن نقول أولا: ليس المراد قياس فرد بفرد بل قياس جمع بجمع يعني لو جئنا بهذا الركب أي الركب الحسيني السائر بمعرفة وجزم للشهادة وقسناه بأي ركب آخر في زمان أي نبي من الأنبياء حتـى يـصبح القـياس سـليما حتـى لا يقـول قائـل كـيف تقيـسون أصحاب الحسين عليه السلام وفي أصحاب رسول الله من هو كذا وكذا من العلم والمعرفة .

وثانيا: إنه قياس من حيث الغايات لا يتصور الإنسان أنه جمع في مقابـل جمـع ومطلقـاً، جمـع بغايـة مـوحدة في مقابـل أي جمـع مختلف في الغايات، هذا الجمع وحدته غاية واحدة دعوة إلى الحق وتصميم لإقامة العدل وهو عالم جازم أنه مقتول مقدم على الشهادة ذاهب إليها بكل عزم فما ذهب واحد من هؤلاء طالبا لجاه أولمقام أو رياء، ليس الميدان لهؤلاء ميدان تفاخر ورياء بل ميدان موت ولا يبرز لمثل هذا الموت المتحتم منافق ولا مرائي ولا جبان ولا متكثر في الغايات.

مـن بـاب الإشـارة فـي المقـام نقـول: أصـحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وأصـحاب جمـيع الأنبـياء والمرسـلين جـاءوا وقـد تكـون الغايـات متعددة هذا جاء ليتخلص من رق العبودية وذاك جاء ليتخلص من

بلاء القبلية يعيش في مجتمع هناك مفاخر قبلية هذا من قريش وهذا من قحطان وهلم وجرا فإذا جاء لموازين القوميات فما وجد لنفسه ميزانا وإن جاء لموازين القبليات ما وجد لنفسه ميزانا وإن جاء لميزان اللون فكان أسود مثلا فما وجد لنفسه ميزانا لأن الناس هكذا تقيم، البشر باللون يقيم وبالقبيلة يقيم وبالعربية والأعجمية يقيم وهلم جرا، هكذا هي القيم البشرية فالكثير من الناس حينما سمعوا صوتاً عالياً مرتفعاً يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أبيض» ووجدوا قيم الإنسانية جاءوا يتهافتون إلى هذه القيم التي تعطي للإنسانية قيما لا لبياض إنسان أو سواده أما الذين كانوا مع ركب الحسين عليه السلام فجمعتهم غاية واحدة فما جاء أحد ليتخلص من لون وما جاء أحد ليتخلص من عنوان قبلي وما جاء أحد ليتخلص من مذلة أو إهانة جاء الجميع ليتخلصوا من أنفسهم ليخلصوا إلى ربهم فالغاية واحدة متوحدة.

فإذن نقول إنه قياس مجموعة بمجموعة من حيث خلوص الغايات في كل المجموعات البشرية الغايات قد تتكاثر حتى في أعمالنا العادية ربما نأتي بها بغض النظر عن معارفنا وبغض النظر عن كل شيء، قد نتوضأ قاصدين القرب إلى الله تعالى لكن لنتبرد أيضاً، لكن في بعض الأحيان الفعل لا يتحمل إلا غاية واحدة مثل

ركب الحسين عليه السلام لا يتحمل أي غاية وأي اثنينية في المقام من هذا اللحاظ قيمهم الحسين عليه السلام حيث هاهنا الغاية متوحدة وبقية المجاميع البشرية لا الأفراد أكرر ربما تكثرت فيها الغايات ولم تتوحد ولم تكن في غاية الخلوص وقممها فهنا الخلوص في قمته والغاية واحدة ولم تتحد مع أي جهة ولم تشبها أي شائبة فهي بيان حق لتحقيق عدل معرفة بالموت جازمة مصممة عليه قاطعة متيقنة بذلك مثل هذه قل ما توجد في مجموعة من مجاميع البشرية كلها فإن أصحاب الحسين عليه السلام بما هم كمجموعة واحدة لم يكن فيهم من جاء ليتخلص من رق ولا هناك من جاء فارا من تمييز قبلي أو قومي أو من مفاخر أو ظلمات من هنا أو هناك أو جاء طالبا للدنيا ولو كان مؤمناً، قد يطلب الإنسان دنياه من طريق الدين لكن ليس منافقاً لأنه بالدين وجد عقلا ووجد علما ووجد صفاء وخلقاً، قد يطلب الدين لذلك، لكن الذين جاءوا كانوا متجاوزين هذه المراحل كانوا علماء وعارفين ومسلمين ما جاءوا للدين ليعرفوا توحيداً، كانوا موحدين، ما جاءوا للدين ليعرفوا خلقا، كانوا أصحاب خلق فإذن هذه القيم يجب أن ننظر إليها في خطاب وكلام الحسين عليه السلام ورابع ربما جاء ليفر من حروب طحنته كالأوس والخزرج أناس مؤمنون لا نتردد في إيمانهم لكن من جملة الدوافع التي دفعتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يتخلصوا من

مـشكلة طالـت العقـود مـن الـزمن طحـنت رجـالهم فـوجدوا محمداً صلى الله عليه وآله منقذاً ومخلصاً لهم من دمار جاهلي وهلم جرا ولنهاية الوقت نكمل الحديث في محاضرة أخرى إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

علم الأعداد وأهمية العدد سبعة في القرآن المجيد

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الإمام الحسين عليه السلام مقتبسين أنواراً من مصباحه الذي لا يطفأ وإذ بنا نمر بذكريات أليمة حزينة وهي بقلوبنا نشاهد ركب الإباء بعد أربعين يوماً على أرض كربلاء أرض البطولات والتضحيات قد طوت هذه الذكريات في بطون أسفارها معالم الشرف والكرامة بصدق وحق في سبيل القرب والرضوان والخلود والسعادة الأبدية في جنب مليك مقتدر لطيف غفور فقد كانت تلك الذكريات لأهلها أي لذلك الركب العظيم على الرغم من الأسى وما قدم من تضحيات جسام على الرغم من كل ذلك كان فخراً وشموخاً وما أوجب ذلك ذلاً وهواناً حيث راحت هذه الذكريات بعظيم مقامها وإبائها وعزها لتتجلى في مقالة زينب عليها السلام وهي امرأة قد فقدت أربعة من أولادها وفقدت إخوتها وفقدت وفقدت... وإذ بنا نسمع ومن وراء القرون ما أبقى لنا التأريخ من كلمة وإن كان التأريخ قد ظلم العظماء فحذف وغيّر وشوّه وارتكب ما ارتكب هذا التأريخ لكن مع كل ذلك بقيت نبرات نسمعها اليوم لتقوية القلوب و للثبات والرشد، نجد امرأة

مثكولة بهذا المصاب العظيم وإذ بها تخاطب مجرماً، تافها تخاطب من سلطهم معاوية ويزيد على رقاب المسلمين، قائلة حينما قال لها كيف رأيت صنع الله بأخيك قالت :ما رأيت إلا جميلاً ولست بصدد الإشارة إلى خطبها و مواقفها و كلامها لأنا نريد من خلال أربعين الحسين عليه السلام أن نقف متأملين في أعداد كالأربعين، في أعداد كالواحد والوحدة والأحدية في أعداد كالسبعة والسبعين في أعداد كإثني عشر نريد أن نقف لنشهد عظم شرائع السماء فيما رمزت إليه بأعداد معينة حتى لا نمر مرور الكرام على خطب أو علة حياة و سيرة بل يجب علينا كمسلمين أن نتوقف حتى عند الأعداد لأنا بواسطة هذه الأعداد نصل إلى حقائق عظيمة، كرؤوس مطالب أشير وسنأتي إلى تفاصيلها :

ـ نجد عددا كعدد السبعة أوالسبعين يتكرر كرارا وتكراراً في الكتاب المجيد ويتكرر في السنة النبوية لابد وأن نتأمل، لمَ هذا العدد هو بنفسه يتكرر بعناوين ومضامين مختلفة لنرى على أن الأعداد التي أشير إليها في الكتاب المجيد أو في التوارة أو في الإنجيل هل جيء بها ككلمات عادية أو أرادوا من المؤمن أن يتثبت ويتأمل في كل حقائق التشريع بما تشير إلى واقع تكوين، فكانت أيها الإخوة والأخوات تلك الذكريات ذكريات الأربعين لقوافل البشر المارة على هذا الواقع بقلوب طاهرة ستشاهد ببصيرة

الإيمان فخراً تجلى بكل معالمه المحمدية والعلوية والفاطمية والحسنية براية حق رفعت في كربلاء وراحت لتجدد معالمها لتعطي البشرية دروساً في كربلاء مرة ثانية حينما رجع هذا الركب ليجدد تلك الذكريات وإذ بنا ننظر ومن وراء القرون بقلوبنا إلى تلك الساحة فنجد في الطرف الآخر أناساً يسمون أنفسهم مسلمين نجد خسة ودناءة وعدواناً نجد طغياناً وجهلاً لا يمكن أن يوصف بوصف.

لماذا أقول لا يوصف بوصف؟ لأن المجرم يطلب غايته وهؤلاء تجاوزوا من غايتهم وهو الحسين عليه السلام إلى العدوان على الأطفال والعدوان على نهب أمور لدناءة كأن ينهب أو يقطع إصبعا لخاتم لماذا إنتقم الله بسرعة من هذه الأمة؟ أي غدر وأي دناءة وأي خسة تكون من أناس طلبوا من عظيم أن يأتي لينقذهم من الهوان والذل والعدوان والجهل فيتحرك بغيرة الإسلام وبدوافع الإنسانية مجيبا دعوتهم ملبيا لهم نداءاً وإذ بهؤلاء القوم بأنفسهم يرفعون سيوفهم لقتل الحسين عليه السلام فمثل هذا لا يمكن أن يوصف بوصف ولا يمكن أن تبين خسته الأقلام ولا الألسن ولا أي شيء ولذا وجدنا الله سبحانه وتعالى إنتقم من هذه الأمة، سلط عليها بني أمية فأذلتها، سلط عليها بني العباس والعثمانيين فأذلت هذه الأمة واليوم نحن كنتاج هذا التراث نعيش أمة ذليلة لا قيمة لها ممزقة

متعادية متشاحنة قد تسلطت عليها دويلة أهانت كرامتها، وعظمها أهانت كل ما فيها كإسرائيل وغيرها، ما أهانتها إسرائيل وما أهينت من أي دولة بل أهانها الجهل الذي تعيشه، أهانها الحقد الذي تعيشه، أهانها التمزق وعدم المعرفة بالدين وهلم جرا.

- إنه ليوم الأربعين يوم الذكريات لأهل السعادة، الله تعالى في كل جريمة ترتكب يمهل المجرم أو الأمة أتتراجع وتندم وتطلب غفرانا أم تستمر على الطغيان وكلمة الأربعين كما سيأتي بيان ذلك من جملة المعاني التي تعطى لأهل السعادة ثباتا وتعطى لأهل الشقاء تماديا في شقاءهم حتى إذا جاء البلاء وجاء الغضب وجاء الهلاك الإلهي يكون قد تم كل ما يمكن أن يتم من حجج فأمهل الله تعالى هذه الأمة أربعين يوماً، ينتظر وعياً، ينتظر ندامة، ينتظر توبة ثم وجدها أمة هالكة فسلط عليها الأشرار فنقول أن الأربعين فيها الكثير من المعاني، بالأربعين كمال العقل بالأربعين اختبار الناس سير إلى السعادة أو الشقاء.

نعم إنه ليوم الأربعين يوم الذكريات لأهل السعادة، سعادة أولياء الله عند ربهم وبما شيّدوا من مدارس صدق لمن شاء إلى ربه سبيلاً وهو يوم شقاء قوم أمهلوا ليصبّ الله عزوجل حمم غضبه عليهم حيث يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ

أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾[1].

وقبل الخوض في تفاصيل الأعداد وفيما نحن بصدد بيانه وهو عدد الأربعين الذي يكون شاملاً ليوم أربعين الحسين عليه السلام، قبل ذلك لابد وأن نعيش واقعا للأعداد التي رُكّز عليها في جميع الأديان وقبل الخوض في الأربعين وما يحمل هذا الرقم من أهمية وما يرمز إليه من عظيم أمر لابد من التأمل في مكانة الأعداد والأرقام حتى نرى هل أنها جيء بها بدون أن تكون مرتبطة بواقع كمال وتكوين أم أنها حقائق تكشف واقعاً، فإن كانت حقائق تكشف واقعاً علينا أن ننظر إليها كما ننظر إلى تفسير الكتاب المجيد، كما أنه من واجبنا أن نعرف القرآن تفسيراً وفهما وأن نعرف السنة النبوية وأن نعرف سيرة الرسول صلى الله عليه وآله بما هي سيرة وبما رسمها أهل الحق وهم أوصياء النبي صلى الله عليه وآله علينا أيضاً أن نتثبت ونتأمل في المراد من الأعداد.

لا بأس بالتأمل في هذه الأعداد وبما لها من أهمية و صلة بواقع الكون، ليست أعداداً جيء بها هكذا من باب التشهّي، بل بواقع الكون بدءا من الحق تعالى ذاتاً ورحمة، نحن نشاهد الفلاسفة والعرفاء يصرّون مؤكدين على الوحدة الحقيقية على أن هناك

١ـ سورة السجدة، الآية ٢٢.

وحدة حقة حقيقية قبل أي كثرة للأسماء والصفات الإلهية وقبل أي كثرة في عوالم الإمكان يصرون على تلك الوحدة، هذه الوحدة هي تلك الوحدة التي ساقت الصديقين لشهود الحق سبحانه وتعالى فقال قائلهم «بك عرفتك»[1] هي حقيقة وحدة هي صرف الوجود، فإذن للوحدة الحقة الحقيقية واقع أمر في شرع الله تعالى من شاهد تلك الوحدة شاهد بتبع تلك الوحدة مظاهر تلك الوحدة شاهد الرحمة المطلقة الإلهية شاهد الكلمة التامة الإلهية وهي الحقيقة المحمدية وهلم جرا.

فإذن حقائق أرقام وأعداد ترمز إلى واقع تخرج من غفلة فعلينا أن نتأمل فيها ولذا نقول إن هناك وحدة حقة حقيقية دفعت المتأمل إلى وحدة ظلية وهي وحدة رحمة الله المطلقة التي كانت رتقا واحدة ثم فتقت فكانت عوالم مختلفة، وليس هاهنا محل تفاصيل هذه الكلمات لكن نشير إليها إشارة لتكون منبهاً لمن شاء أن يبحث عن الأعداد.

ثم إن المتأمل في واقع الأعداد يجد بعد الوحدة الحقة الحقيقية و الظلية بما لها من تجليات وحقائق يجد رقما آخر له الأهمية في كل مكان، من خرج من جهله بوحدة الحقة الحقيقية

١ـ مهج الدعوات: ١٤٤، من دعاء الإمام الحسن عليه السلام.

فعاش معالم الصديقين وجد بعد ذلك حقائق أخرى تشير إليها الاعداد الأخرى وعلى رأس هذه الأعداد أو من أصول هذه الأعداد هي عدد السبع أو السبعون، لماذا هذا التأكيد على السبع والسبعين؟ لأنه يحملمعالم تكوين وحقائق في التكوين وإلا فأي معنى لكي يتكرر في كل مكان وسنشير إلى ذلك.

ثم علينا أن نتأمل في عدد السبع مثلاً وما يحمل من عظيم أمر، ما هو هذا الأمر العظيم الذي يمكن أن نستفيده من عدد السبع أو السبعين، راحت كل الكلمات لتقول إن عدد السبع او السبعين رمز للانهايات من حيث القبول والإستعداد، بأي معنى؟ أضرب مثالا: العدد بما هو كواحد نضيف إليه كذا عدد ليكون مائة وثلاثمائة مثلا لو أضفنا إليه ما لا ينتهي من الأعداد اللامتناهية لكان قابلاً لذلك فالعدد فيه قبول لأعداد وإضافات وإزدياد لامتناهي هذا هو الكون ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [1]، هكذا هو الكون، أراد الله سبحانه وتعالى حينما أشار بسبع سماوات وسبع أرضين، حينما أشار إلى سبع أحرف نزل بها القرآن المجيد وأشار إلى سبعين بطن أوسبعة بطون لمعالم هذا الكتاب المجيد ما أرادها كلمة تمر كمرور الكرام أراد أن يقول أنت أيها الإنسان لك من العقل والقابلية

١ـ سورة الذاريات، الآية ٤٧.

واستعداد كما للعدد من القابلية والإستعداد لو أضفت عليه هو قادر أن يزداد فكذلك أنت بعقلك أيها الإنسان جعلناك مسجوداً للملائكة جعلناك بقابلية فوق كل السماوات والأرضين فلك تلك القابلية أن تستنطق الكلمات وأن تتأملفيها فإن سبعة السماوات وأن سبعة الأرضين إشارة إلى اللانهايات أي أنها سبعة ستطوى لتكون سبعة أخرى وسبعة ستأتي من سماوات وأرضين ستطوى لأنها قاصدة المبدأ اللامتناهي ذاتاً هذا القاصد بقابلياته إلى المبدأ اللامتناهي الذي هو فعلية اللاتناهي وهو الله بوحدته الذاتية اللامتناهية هذا سير وسلوك إلى اللانهايات فتأمل في الكلمات فإذن نقول عدد السبع يحمل عظيماً من الأمر يرمز إلى اللانهايات لكن لا يقول قائل هل هناك لانهاية بأزاء الحق نقول الحق لانهاية بالفعل وما كان طالباً الحق متحركاً بفيض من الحق يسير أيضاً سيراً بحسب القبول والقابليات لا متناهياً نحو المبدأ تعالى بما أشار الله تعالى قائلاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (1) فإذن سبع سماوات وليست السماوات السبع فقط الأرضين كذلك هي سبع يعني أن العوالم العليا و العوالم السافلة يعني الدانية هي كلها عوالم رقي وكمال يكمل بعضها بعضا لسيرها وسلوكها إلى

١ـ سورة الطلاق، الآية ١٢ .

الله تعالى فإذا غيرنا عوالم عليا غيرنا عوالم سفلى ليسير الجميع نحو الحق تعالى وكذلك هي الأيام جعلها سبعة لكي يقول إن ما في هذه الدار أي في دار الدنيا من أيامها السبع التي هكذا هي تتكرر ستكون الايام الربوبية سبعة متواصلة لانهاية فيها، بما للعوالم من اللانهايات بحسب القبول والحركة إلى الغاية وهي المبدأ اللامتناهي و هكذا نجد نحن السبعة والسبعين واردة مشيرة إلى بطون الكتاب المجيد وأنه نزل على سبعة أحرف وأنه له سبعا وسبعين بطنا، هذه كلها يجب أن تستوقفنا، ما هذه الكلمات؟ نمر عليها مرور الكرام، بطون سبعة وأحرف سبعة وبطون سبعين وسماوات سبعة، أرضين سبعة، هذه السبعة ليست سبعة عددية متوقفة، السبع يقينا له مفهومه والسبعون لها مفهومها لكن المراد من سبعة متزايدة لم تقف على حد.

وقد جعل الله تعالى المساجد التي نستقبل بها رب العالمين خاشعين طائعين سبعة أيضاً، نصلي في كل يوم، فجعل بتكوينتنا المساجد في صلاتنا سبعة، لماذا هذه السبعة تتكرر في كل مكان، سبعة واقع عدد مرتبط بواقع الكون فليس عددا لا ربط له بواقع الكون، خلقنا ككون يحكي كون العالم بكله وبتمامه، فنحن نعيش عالم المادة وعالم البرزخ وعالم العقل وعالم النور، هذا الكون الصغير أراد الله أن يقول إنكم تستقبلون الله بسبع مساجد أي

تستقبلون الله بلا نهايات خشوعكم فأنتم تتطورون الخشوع والخضوع بالمساجد السبعة لا متناهية، فاليوم أنتم بمعرفة و بخشوع وغداً إن زكيتم النفس فجعلتم العقل زكيا والفطرة سالمة وجدتم شيئاً جديداً وهلم جرّا، فليست الأمور هكذا تشهياً تتناسب جميعاً سبعة مساجد وسموات وأرضين وهلم جرا.

وكأنها تشير أيضاً إلى اللانهايات في سلوك العارفين إلى ربهم والقرب بواقع المعرفة والعبودية، ثم نجد في موطن آخر القرآن المجيد يشير إلى سبع المثاني ويعتبرها عطاء عظيما إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله حتى وإن كنا لا نعرف السبع المثاني أو فسرناها بعقلونا بتفسير هي تشير إلى أمر عظيم جعله الله منّة على رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، وإذ بنا ونحن نعيش السبعة يأتي الطواف بالبيت سبعاًأهذه كله من باب الصدفة؟ هذه ليست صدفة هذه مرتبطة برب الكون بما للكون من واقع، لا يمكن أن يخرج منه فإذن نطوف بالبيت متقربين إلى الله يريد منّا الله تعالى بهذا السجود وبهذا الطواف وبهذا السجود بالمساجد السبع أن نعيش رقياً وتكاملاً وطلباً إلى الغاية اللامتناهية.

هل فقط السالكون سبل ربهم بطوافهم السبعة وبصلاتهم في كل يوم بمساجدهم خضوعاً وخشوعاً وذلاً في مقابل ربهم عباداً إن كانوا حقيقيين يقول الله تعالى أنظروا بتأمل وكذلك هو رمي

الجمرات للشيطان سبعة يعني أنت اليوم بنزاهة وبعد عن الظلمات بقدر إن طهرت النفس وجدت نفسك اليوم كنت تعيش كرها ولعنة وابتعاداً عن الشيطان والظلمات وشياطين الجن والإنس ستجد نفسك بعد عشرين سنة إن كنت تسير سيرا حقيقيا أنك قبل عشرين سنة كنت غير ضامن للشيطان، كنت في ذلك الوقت ترى نفسك نزيها ترى نفسك إبتعدت من الشيطان ترى نفسك رجمته وضربته وإذ بك بعد صحوة وبعد سير وسلوك ستجد نفسك بعد عشرة أو عشرين سنة أنك كنت في ذلك اليوم تعيش الكثير الكثير من القرب في مسالك الشيطان ظننت نفسك رجمت الشيطان وأنت تعيش غيبة، ظننت نفسك رجمت الشيطان وأنت تتلاعب بالكلمات فتجعل ما ليس من مواطن التقية تقية وكنت تراها صحيحة بدون أن تكون كاذبا على نفسك ولا منافقاً ولا دجالاً لكنك لحجب وجدت هذا واقعاً ولذا نتأمل لنرى وفي مقابل هذا نرى رمي الجمرات للشيطان سبعة للإشارة إلى أن التبري كالقرب لا حدود له، أن الابتعاد من العدوان ومن شياطين الجن والإنس أيضاً لا يقف عند حد، لو شاهدت اولئك العظماء وأنت متبرٍ من الظالمين، لوجدت نفسك أؤلئك بأنوار بعيدة عن تلك الظلمات لم تمتزن يوماً بظلمة ولوجدت نفسك تعيش مع كل معتقداتك الثلاثين أو الأربعين ابتعاداً وإذ بك في مواطن أخرى ظننت نفسك مطهرا إياها

إن أنت تعيش عدم الإبتعاد وعدم اللعنة ولا أريد من اللعنة الكلمات فقط أريد منها الإبتعاد عمن كان مطروداً، وكيف لا نكون في كثير من حقائقنا نعيش روحا شيطانية هذا يرى لنفسه الفخر لأني عربي في مقابل أعجمي وبالعكس وذاك بالعكس يرى لنفسه الفخر لأنه أعجمي في مقابل عربي ورحنا لنفتخر بقبيلة في مقابل أخرى وراح الكثير منا ونحن نشاهد طغيانا في بعض المدن التي كانت فقيرة وأصبحت الآن غنية وهي البلدان التي كانت فقيرة قبل أربعين سنة كيف اليوم تعيش جبروتاً وكيف اليوم الواحد منهم لأمواله وإن كان يعيش جهلا وإن كان يعيش عدم معرفة و عدم دين راح ليظن نفسه لماله يعيش عظمة وراح ليظلم الناس بالأمس كان مظلوماً واليوم يأتي بالخدم إلى بيته ويذل الخدم هؤلاء ساقهم فقر وأنت بالأمس كنت تعيش مثلهم مع كل الأسف الله تعالى ما إبتلى أمة لبلية إلا ووجدها غير ناجحة، وقد وجدنا نحن كأصل مؤصل هو أصل الأصول كلها وهي كلمة «لا إله إلا الله» فكما وأن النفي لابد وأن يكون الإيجاب على شاكلته، الإيجاب لامتناهي وهو الله فالسير والسلوك نحو اللامتناهي يقابله متقدماً عليه النفي، فالنفي كرمي الجمرات لابد وأن يكون كذلك فنفي يعني قضايا سلبية تقابلها وتكون عدلاً لها حقائق إيجابية مظهرها الكامل هو الله بما له من شأن، بما له من شأن في أنبياءه

وأوصياءه بما له من شأن حقاً في مقابل باطل وعدلاً في مقابل ظلم، كل هذا الواقع يقابله كلمة لا، هذه الأمور يجب أن نتأمل فيها حتى لا نقع في خلط وإشتباه، فنفهم أن هناك عددا يرمز إلى اللانهايات قبولا كالسبع والسبعين وهناك عددا آخر كالوحدة ترمز إلى حقائق هذه أمور لو دققنا فيها لوجدنا فيها معالم كثيرة من المعالم الربوبية.

وقد أشار تعالى إلى لانهاية الإبتعاد عن ساحة الحق والظلمات في موطن آخر مخاطباً نبيه الكريم: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [1] هاهنا جاءت كلمة السبعين أيضاً، إن تستغفر لهم سبعين مرة يعني لو أن الرسول ﷺ استغفر لهم واحد وسبعين مرة سوف يستغفر الله لهم، كلا، ليس المراد الاستغفار وعدم الاستغفار لفظاً يعني هؤلاء يعيشون ظلمة و استغفارك ولطفك وإنسانيتك وكل شيء منك لا يخرجهم من حضيضهم، رحمة الله الواسعة ما آخرجتهم يا محمد، رحمة الله التي وسعت كل شيء ما أخرجتهم من حضيض ظلماتهم لا يخرج الإنسان إلى السعادة إلا من الداخل، ولا يكون الإنسان يعيش ظلمة إلا من الداخل ولذا جاءت كلمة السبعين مرة ثانية

١ـ سورة التوبة، الآية ٨٠.

هاهنا في الطرف الثاني وهي الظلمات، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، على أن هؤلاء قد وقعوا في لانهايات الظلمات، فعاش ظلمة تامة لا منفذ ولا مجال لأي نور يصل إليه فلا تضيع الحياة معهم خاطب قوما آخرين.

وقد جاء في التنزيل أيضاً وهذه الكلمات ليست صدفة تجتمع في جانب الإيجاب والسلب أيضاً: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾ [1] لماذا سبعين، يختار ستة وستين، فإذن كلمة السبعة والسبعين لها واقع تكويني، أراد الله تعالى أن يقول أيها الناس إفهموا أن الكون هندسيا مرتبط بواقع عددي إصلاحاً او اضمحلالاً وقال تعالى في موطن آخر حكاية عن أبواب جهنم ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [2]، جهنم فليكن لها ألف باب، فليس الأمر إذن هكذا تشهيا بل هؤلاء فتحت لهم سبعة أبواب نحو المذلة اللامتناهية وكل طبقة بإمامها تقدم من باب، طبقة الجهال تدخل لجهنم من باب وطبقة المنافقين تدخل من باب وطبقة الحكام والأشرار بمن إتبعهم يدخلون من باب والناس على اختلاف طبقاتها، فاذن هاهنا جيء بكلمة سبع أيضاً.

١ـ سورة الأعراف، الآية ١٥٥ .

٢ـ سورة الحجر، الآية ٤٤ .

وفي كيفية العذاب نسمع مقالة مرتبطة بهذا العدد، ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾ [1] فاذن تحكي واقعاً في جانب النور لامتناهياً، بحسب القابلية والسير والسلوك نحو المبدأ كوناً كان أو إنساناً وتحكي بالعكس ابتعاداً وظلمة لامتناهية، المتصور يتصور أن ملائكة كالبوليس يأتي بحديد ويربط يديه ويعذب ساعة اوساعة ثم ينتهي، ليس الأمر كذلك هذه سلاسل ظلمات نفسه كانت فعلا في الخارج وكانت واقع جحيم في الخارج لا يتمكن أن يتخلص منها، هي سبعون لامتناهية، لا أريد أن أقول أن النيران نفسانية، أريد أن أقول إنما يكون في النفس يكون فعلا خارجيا متجليا لا يتمكن أن يتخلص منه لانه مرتبط بظلمة قلبه، لا أريد أن اقول أن الجنان والنيران معنوية ومن أنكر الجنان والنيران الخارجيتين فهو كافر خارج من الدين، لا يمكن أن نأتي ونجتهد في مقابل نصوص في الكتاب المجيد في مقابل كلمات وردت من سيد الكون ومن آله الأطهار فنؤولها ونفسرها هذا ليس من ديدني، قرأنا الفلسفة لا لننحرف وقرأنا العرفان لا لننحرف، تريد أن تقول هذا واقع كون على أن تلك الظلمات تتجسد واقعا خارجيا فعليا فتكون سلاسل

١ـ سورة الحاقة، الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

خارجية في النيران الخارجية مرتبطة بقلبه الأسود التي لا تنفك عنه، فإن تمكن أن يغير حقيقة نفسه تغيرت تلك الحقائق بالتبع ومن عاش تلك الظلمات لا يتمكن أن يغير نفسه غاية الامر رحمة الله ترفع عنه ما كان غضبا وسخطا لكن واقعه بظلمات نفسه لا يتمكن أن ينفك منه فأقول لنفسي قبل غيري علينا أن نخلص النفس من ظلماتها حتى لا يلازمها أمر لاينفك منها.

وجاء في موطن آخر ليقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [1] ها هنا يتكلم عن فيضه وعلمه وعطاءه وجدنا نفس العبارة تأتي بشكل آخر، و لو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر هذه سبعة أبحر يقول لو أن أبحر اللانهايات تأتي لكانت متواصلة لم تتوقف عند حد، نحن نريد أن نشير فقط وفقط أن بعض الكلمات لها واقع وليس واقعاً مرتبطاً بزيد أو عمرو، لها واقع مرتبط بالأنفس، وبالتكوين كله بأن الكون كله مقاييس هندسية ورياضية.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ

١ـ سورة لقمان، الآية ٢٧.

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [1] ما خرجنا من واقع السبعة، هناك مقادير وحقائق قدرها الله تعالى بمقاديرها العددية لا يخرج منها خارج، ومن هذا العدد وهو السبع أو السبعون ينتقل الذهن بأن هذا الواقع بما له من واقع اللانهايات والقابليات يحكي واقع تكوين إيجاداً ويحكي واقع تكوين تكاملاً نحو المبدأ تعالى ويحكي واقع تكوين مرتبط بالتربية والسلوك إلى الله اللامتناهي فلا العلم يقف عند حد ولا الكمال يقف عند حد ولا التوغل والسقوط في الحضيض يقف عند حد كلها لا تقف عند حد ولذا راح ليقول علماء الرياضيات إن الأرقام لغة الكون حيث لا نهايات الأعداد وقابلياتها.

فإذن علماء الرياضيات وجدوا العالم أرقاماً وفهموا من هذه الأرقام أن المسألة ليست من باب الصدفة بل العالم مرتبط بمقادير وكميات عددية لا يمكن أن يتجاوزها ولذا قالوا إن الأرقام هي لغة الكون وقال آخرون من علماء الرياضيات إن لكل شيء علاقة بالأرقام والأعداد فإذن هذا واقع هذه حقيقة يجب أن نتنبه إليها ونحاول أن نفهم لغة الأعداد، أن نفهم الأعداد الواردة في الشرع تشير إلى أي شيء.

١ـ سورة البقرة، الآية ٢٦١.

فالوحدة الحقة الحقيقية هي واقع أمر من أدركه كان من الصديقين ومن أدركه شاهد الوحدة الظلية لرحمة الله المطلقة وشاهد الوحدة المتجلية بكلمة الله الواحدة التي هي النور المحمدي، ولذا راح الكتاب المجيد في موطن آخر ليقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ (١) فإذن هناك وحدة يريد أن ينبهنا القرآن أن هناك وحدة في واقع أصل الوجود وهي الوحدة الحقة الحقيقية لله تعالى ويريد أن ينبهنا القرآن المجيد أن هناك وحدة فعل كانت رتقا وحقيقة واحدة ثم فتقت بتبع الأسماء والصفات الإلهية لتتكثر في العالم ولنهاية الوقت نقول الحمد لله رب العالمين.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) فهناك مقادير وحقائق قدرها الله تعالى بمقاديرها العددية ومن هذا العدد ينتقل الذهن أن الواقع بما له من اللانهايات يحكي واقع تكوين إيجاداً والسلوك إلى الله بواقع لامتناهي فلا التوغل والسقوف يقف عند حد ولا العروج يقف عند

١ـ سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

٢ـ سورة البقرة، الآية ٢٦١.

حد.

ولذا راح ليقول علماء الرياضيات إن الأرقام لغة الكون حيث لا نهايات الاعداد وقابلياتها، علماء الرياضيات وجدوا العالم أرقاماً وفهموا أن المسألة ليست من باب الدقة بل العالم ... .

يريد أن ينبهنا الله تعالى أن هناك وحدة في واقع الوجود وأن هناك وحدة خارجية لتتكثر في العالم ولنهاية الوقت نقول والحمد لله رب العالمين.

أهمية الأعداد في القرآن الكريم

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام نريد أن نتحدث ولو بقدر ما عن يوم الأربعين وعما تحمل الأعداد في طياتها من معاني ربما أعرضنا عنها تأريخاً طويلاً ولم نتأمل فيها مع كونها مكررة مؤكدة في كثير من المواطن فنرى أهل السير والسلوك وجدوا الله بتلك الوحدة الأحدية وبالوحدة الأحدية شاهدوا رحمته المطلقة وفيضه اللامتناهي.

فإذن إذا كان العدد يحمل حقيقة الكون بكلها وبتمامها كوحدة أحدية ثم وحدة ظلية واحدة وهي تلك الرحمة المطلقة الإلهية قبل الفتق والتكثر لابد أيضاً أن نتأمل في واقع هذه الأعداد، وسنلخص في آخر الحديث عن الأعداد ما يمكن أن نستفيده من عدد السبعة او السبعين أوالاربعين مثلا.

ويقال أيضاً أن في الكتاب المقدس وأعني الإنجيل، أن عدد السبع يعتبر مقدسا عندهم ومما عللوا به قدسية هذا العدد وهو عدد السبع قال قائلهم لأن الله تعالى إستراح في اليوم السابع، هل إستراح في اليوم السابع من أيام الأرض أو هل إستراح في اليوم السابع بعد

جولة في الكون في مراحلها السبع التي حققت سبع سماوات وسبع أرضين أو إستراح في آخر المطاف من كل لانهاية لتنتقل إلى جهة أخرى لأنها تعيش سلوكاً لامتناهياً بواقع سبعها وسبعينها، هاهنا نحن ربما عشنا كمسلمين لننقد كل كلمة وردت في التوراة أو الإنجيل فأريد من بابإلفات النظر إن القرآن المجيد ما جاء يوماً من الأيام ليقول لنا إن هذه الكتب هي والعدم، ما قال الله أنها حرفت من ألفها إلى الياء لو كانت هكذا لما خاطب علماء اليهود والنصارى تجدونه في كتبكم، فإذن من الحق ما يوجد في هذه الكتب حتى لا ندخل في متاهات فالله سبحانه وتعالى رحمة بحال عباده أراد أن ينبه أتباع الديانات السابقة على أنكم إن حصلتم على الحقيقة السالمة غير المتلاعب بها بالمائة أربعين أو خمسين أو ستين فهناك كمال ومزيد فلا تتوقفوا فإن الطالب ربه لابد أن يسير سيراً متواصلاً واعلموا إضافة على المزيد في الكمال أن هناك تحريفاً بحسب القصور للبشر جهلاً أو بحسب الغايات لأصحاب المقاصد حكماً وعلماء أتباع لهذا الحكم تلاعبوا و غيروا وفسروا فها هو الحق مرة ثانية يتجلى بمحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا الحياة بتبع تقديس الرجال وهذا ليس من سنن الله تعالى بالنسبة إلى اليهود والنصارى ها هي الأمة الاسلامية في رواياتنا تقول، تخاطب مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله قائلة «يبن رسول الله هل جئت بدين جديد» فإن

كانت شريعة السلام الخاتمية مع كون الله أخذ على نفسه أن يحفظها مع حفظ أصولها وحفظ قرآناها تلاعب المتلاعبون به تفسيراً وتأويلاً ومذلة للأمة حتى كاد أن يكون شرع الله دين الحكام وأذنابهم من العلماء يجب أن تذل الأمة بكلها للحاكم لأن الغاية من بعثة محمد صلى الله عليه وآله هيبة السلطان لا العدل ولا كتاب الله ولا سنة رسوله هكذا نحن نتلاعب.

فإذن أرجو التوجه حتى نكون منصفين غير متسارعين وغير متبجحين بجهل، التوراة فيها ما فيها من الحق والإنجيل فيه ما فيه من الحق فإذا وجدنا عبارة تقول إن الله إستراح في اليوم السابع لا نبادر متسارعين لأن العبائر بالترجمة تعطي معاني، نحن وجدنا ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ [1] لو أراد النصراني أن يأخذها ويقول الله تعالى معناه ينتهي من أمر ويفرغ للثاني، العبائر تعطي معانيها بما يناسب العقل البشري حتى يتمكن من فهمها وكل إنسان بمقدار عقله إذا قيل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾ [2] الجاهل بحواسه يجد الله صافا مع الملائكة والعالم بعلمه وفهمه الذي يرى ليس كمثله شيء يجد الله بكيفية أو بما يمكن أن يدركه ولو إدراكاً

١ـ سورة الرحمن، الآية ٣١.

٢ـ سورة الفجر، الآية ٢٢.

بمرحلة وآخر من القديسين يجد الله بواقع اللاتناهي فهما وإدراكاً «بك عرفتك»[١].

فإذن علينا أن نكون منصفين أنا قلت في كثير من الدروس من رد على الشيوعيين الإلحاديين العقائديين بكتب قرأها من هنا وهناك من الذين كتبوا كتبا ضد الشيوعية كان ظالما للشيوعيين والله لا يحب ظلما ولو لأمثال الشيوعيين، الله يريد العدل خاطب نبيه أن يكون عادلاً مع البشرية وما قال له اعدل للمسلمين فإذن علينا أن نكون عدلاً حتى في نقدنا للإلحاد فلا ننسب إلى الإلحاد ما ليس فيه ولا نتكلم ولو عن الملحدين ما ليس فيهم إفتراء أو هجمة عليهم من كتب قوم ردتهم نردهم بأدب من كتبهم لا من كتب غيرهم.

هكذا علينا أن نعيش سلامة طبع، أن نعيش سلام عقل ودين لسنا أغير من دين الله على الله حتى نحقد على يهودي أو على نصراني ولا يجوز لنا أن نجعل شرذمة خرجت عن زي الإنسانية كالصهاينة ونحكم اليهودية بذلك لا يجوز، هناك من تجاوز الحدود وهو من المسلمين سنة وشيعة أيمكن أن يحكم على التشيع أو التسنن بشرذمة تجاوزت الحدود جريمة.

١ـ مهج الدعوات: ١٤٤، من دعاء الإمام الحسن عليه السلام.

فإذن أريد أن أقول إنما بأيدينا من توراة أو إنجيل ترجم إلينا ولو أن القرآن ترجم لأعطى معاني لعلها غير سليمة ونقول إن في التوراة والإنجيل من الحق الكثير فلا نتصور أنها والعدم وكتب الضلال معا، الله اللطيف بعباده أراد لهؤلاء أن يتنبهوا إلى أخطاء وتحريفات حدثت وأراد منهم أن يأخذ بأيديهم إلى كمال جديد شاءوا لأنفسهم التوقف.

ويقال وليس من اختصاصي وإنما أنقل أمراً موجوداً إن الطيف مركب من سبعة ألوان فإذن هذه السبعة لها مدخلية في واقع التكوين لها مدخلية في كل شيء وراح أهل الله الذين وجدوا الله بعقولهم لا بتبع تقليد الآخرين راحوا ليجدوا في الثلاثة عدداً عظيماً أو رمزاً عظيماً وجدوا الله ومن وجد الله حقا وجد أنبياءه حقا ومن وجد أنبياءه حقا وجد أنبياءه بعظمهم في سماوات العلى لا يتناسبون مع أمير مؤمنين جاهل فاسق شارب للخمر.

فإذن أقول فوجد الصديقون وجد المتألهون في الثلاثة حقيقة عظيمة وجدوا الله ووجدوا لطفه بأنبياءه ثم وجدوا لطف الأنبياء بأوصياء للأنبياء شراحاً لمناهج الربوبية ولم تجعل مناهج الربوبية بأيدي الحكام الفاسقين وأذنابهم من العلماء الدجالين المتزلفين فأقول في العدد رقم ثلاثة أيضاً هناك أبعاد ثلاثية لواقع الكمال في الكون والدين حتى راح الله في كتابه المجيد ليقول: ﴿الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [١] فرب متسارع يقول كيف وقد تمت كل الأمور أولا من باب التقريب الذهني أقول لو أن إنساناً جاء بهوية مركبة كالصلاة جاء بها بكل أجزاءها ركوعاً وسجوداً، وترك شرطاً كالساترية أيكون العمل عملا أم يحكم عليه بالعدم فلا يستغرب الإنسان، هذا حقق كل الأجزاء من الصلاة وكل الشروط للصلاة بوضوءها وقبلتها لكن جاء ليقف بين يدي ربه عاريا أتكون الصلاة صلاتا أو كانت الساترية متحققة وهو مدبر للقبلة أو كانت كل الشروط متحققة والأجزاء إلا جزءا واحدا لا طمأنينة في سجود أو ركوع هل تكون صلاتا؟ لا يستغرب الإنسان ويقول كيف يحكم الله تعالى على أمر تحقق بالمائة تسعة وتسعين لأن زيدا ما حقق طمأنينة في سجدة تكون صلاتا كالعدم ليست الأمور بمقاييسنا وتشهياتنا الله أراد أمرا بهذه الهيكلية شرطا وجزءا بخمسين جزء وشرط فلو قدم المقدم تسعة وأربعين كان فعله كالعدم، ومثالنا فوق هذا من المستوى مثالنا هو توحيد ونبوة يراد فهمهما بواقع فهم ليس من متزلف لحاكم وعالم دجال يراد فهمهما بأبعادهما وقد عرفنا نحن ولا نتردد في ذلك على أن الأنبياء واسطة تشريع ومن جاء إلى الله من دون واسطة التشريق كان

١ـ سورة المائدة، الآية ٣.

كإبليس بعد ستة آلاف سنة وإذ به رجيم، من جاء ليطلب وجه ربه سالكا إليه متصوراً أنه قادر أن يسلك سبل ربه بمسالك الأنبياء بدون أن يراها متجسدة بالأوصياء كان كمن طلب الله كإبليس شرحوا الكتاب شرحا حقيقيا لا بإجتهاد وظن وتخمين وتطبيقه بدون هوى وبدون رغبات تطبيقاً صحيحاً يطبق شرع الله حكما من المستحيل أن يقوم به زيد الجاهل وإن سميناه أمير المؤمنين والدجال الذي يعيش في كنفه وإن سميناه الحبر والعظيم.

فإذن أقول وللأعداد أهمية عظمى من جملة هذه الأهمية لعدد الثلاث كيف به توحد الكمال فصار وحدة كمال ألوهية نبوية إمامة وقيادة، حتى راح الله سبحانه وتعالى ليقول في كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) رسالة بكلها بعد ثلاثة وعشرين سنة من الجهاد والتضحيات يعتبرها رب العزة فما بلغت رسالته، رسالة يقوم بها الحكام ويفسرها الدجالون ليست برسالة، فإذن للأعداد واقع مهم يجب أن نلتفت إليه.

ومن جملة الأعداد التي تحمل أسراراً عظيمة وإن أعرضت عنها الأمة بتبع الهوى تقديساً للرجال ساحقة شرع الله تحت الأقدام

١ـ سورة المائدة، الآية ٦٧ .

ومن تأمل في عدد الإثني عشر سيجده أيضاً دخيلاً في واقع الكون ومن تأمل شرع الله وجد عددا آخر له الواقعية والدخالة في شرع الله بل في صلاح الكون كله حيث يرمز هذا العدد وهو عدد إثنا عشر عند قوم للكمال حكما وحكومة هؤلاء ليسوا بشيعة لكن وجدوا أن هذا العدد يرمز للكمال حكومة وحكما ونرى في موطن آخر وأنا هنا سأشير إلى هذه الأعداد إشارة لأني لست بصدد بيانها تفصيلاً نحن نشير إليها لأنا نريد الكلام عن أربعين الحسين عليه السلام ونرى في موطن آخر إن الأسباط لبني إسرائيل والنقباء لبني إسرائيل كانوا إثني عشر هل صدفة هذا؟ فليكونوا هنا إثني عشر وهناك تسعة، ونرى هذا العدد بنفسه عند النصارى يعتبر مقدساً وأن عيسى عليه السلام إختار إثني عشر من الحواريين فاعتبروا تلامذة له ونرى أن عدد العيون التي شرب منها بنو إسرائيل كانت إثني عشر عينا قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (١) وقال تعالى في موطن آخر: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً﴾ (٢) فإذن ليس صدفة يجتمع هذا العدد في مواطن متعددة في عطش يرفع باثني عشر عين؟ كأنه

١ـ سورة البقرة، الآية ٦٠.

٢ـ سورة الأعراف، الآية ١٦٠.

يريد أن يقول الله سبحانه وتعالى أن عطش المعارف لا يمكن أن يرتوي منه الإنسان إلا باثني عشر نقيب وإمام ومعصوم لا باثني عشر تافه من الحكام والظالمين ونجد مرة أخرى الشهور جعلها الله إثني عشر شهرا وكذلك بتبع الشهور كانت الأبراج وقد ورد عن طريق أبناء العامة والجماعة على الرغم من كل إصرارهم لإنكار الواقع يصرون كقول عبدالله بن الزبير: «أقتلوني ومالكا»[1] وكادوا أن يدخلون مع أصحابهم إلى ما يدخلون إليه منكرين مصرين أن لا واقع لهذا الشيء أبداً ومطلقاً والشيعة يفترون فلنجد إفترينا أم هو موجود في تراثهم وقد ورد عن طريق أبناء العامة والجماعية يقينا بمجرد أن يسمع بعض هؤلاء الدجالين والمنحرفين أن رجلا شيعيا يقول إن لهذا العدد دخالة حتى عند السنة بأنفسهم وفي صحاحهم يبادر ويقول يكذبون وكذب، هذه من ألبستهم التي يلبسونها في كل مكان يكذب ولا يستحي من كذبه أقول هذا في صحاح القوم كالبخاري ومسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً»[2] أين هؤلاء الأمراء الاثنا عشر الخلفاء الراشدون كما يدعون أربعة، خلفاء بني أمية ليسوا هكذا، خلفاء بني العباس ليسوا

١ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ١٥٩.

٢ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٣١٠، ح ٨.

هكذا وخلفاء بني عثمان ليسوا هكذا، إثنا عشر في السموات يستقبلون رسول الله ﷺ عند معراجه؟ يكون من بعدي يعني في معراجي عند لقائي لله تعالى عندما أودع جبرائيل عند سدرة المنتهى؟ يكون من بعدي اثنا عشر أميراً، لو أعطيت هذه الكلمة لأي إنسان يعرف اللغة العربية أيمكن أن يتلاعب ويقول نعم لا نتردد أن الخلفاء الراشدين الحقيقيين هم إثنا عشر؟ جيد أين هم هؤلاء الإثني عشر نحن نضرب أخماساً في أسداس ونخرجهم لكم أربعة الراشدون ثم نجد معاوية ماكرا فنغض الطرف عنه ويزيد أيضاً تافه نتركه ثم نذهب إلى عمر بن عبدالعزيز ونختار هنا واحدا من بني أمية في بني العباس هارون الرشيد واحد ولعل زيدا أو عمروا من بني العباس أيضاً صاروا ستة أو سبعة، والعثمانيين كيف؟ والرسول ﷺ قال كلهم من قريش؟ من قال لكم أن العثمانيين ليسوا من قريش؟ لعل أصلهم كان من قريش فاستعجموا ثم يخرجون منهم ثلاثة مثلا وننتظرحتى قيام الساعة حتى يخرج العدد الباقي من الإثني عشر، كأن الله أوكله إلى الناس يكملونه، مثل هذه المهازل مع كل الأسف يمر بها المسلم ومن ينسب نفسه إلى التسنن وهو تارك سنة رسول الله ﷺ، كيف يكون سنيا وهو قد ترك سنة رسول الله ﷺ الموجودة في البخاري على ما نعتقد والموجودة في صحيح مسلم.

وفي رواية أخرى: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة»[1] ما وقف يوم من الأيام أحد ليقول هذه الإثني عشر التي وردت أين هي، لنفسك ولحسابك، أترك الشيعة برفضهم وإلحادهم وكفرهم، أنت وجدت هذا العدد موجود أما سألت يوماً من الأيام واحداً من هؤلاء الوهابيين على أن هذا العدد الوارد ما هو؟ وإن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم إثنا عشر خليفة.

وفي رواية أخرى «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنتي عشرة خليفة»[2].

وفي رواية أخرى «الخلفاء بعدي اثنا عشر»[3].

هذه الروايات بكمها الهائل بصيغها المختلفة ثابتة عند القوم أنها وردت عن الرسول صلى الله عليه وآله ما وردت لا من سماوات ولا من أرضين، هل توقف واحد ليسأل نفسه أو يسأل هؤلاء الذين أضلوه أربعة عشر قرناً هذه واردة في تراثنا فسروها لنا، نحن نرى أن الروافض الكفرة والله سبحانه وتعالى ما فتح النيران إلا لهم فهمنا أن النار ما خلقها الله إلا لنا، أنت الذي تريد أن لا تدخل في هذه النار

١ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١ : ٢٨٩ .

٢ـ مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١ : ٢٨٩ .

٣ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٣١٠، ح ٧ .

مع الروافض أما سألت نفسك يوماً من الأيام وما بحثت بنفسك بدون واسطة هؤلاء الدجالين لترى هذا موجود في تراثكم فلماذا هذا الإغماض عن هذه الحقائق؟.

وأما عند الشيعة فلعدد الإثني عشر مكانة عظمى يرون الشرع بدون هذه المكانة أي بدون واقع تكوين يثبت بهذا العدد لا يرون شرع الله شرعا، أمن أنفسهم تعصبا يقولون هكذا؟ كلا تبعا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١) وكلمة فما هي نفي مطلق فرسالة محمد صلى الله عليه وآله التي تكون بدون هذا التبليغ عدما أي شيء؟ أهي توحيد أم نبوة أو صلاة أو صوم فليبحث السني ليخلص رقبته عند ربه فالدجال الفلاني لا يخلصها له.

الآن من بعد ما انتهينا من هذا الرقم وهو رقم إثنا عشر نأتي لندخل في محل بحثنا والكلام عن عدد الأربعين أو عن رقم الأربعين هذا العدد كأنه يرمز إلى التمام، يرمز إلى تمامية البيان إلى قمة البيان التي بدونه يكون الشيء لا شيئاً رقم الأربعين يرمز إلى مقام تمامية العقل، بعث الله نبيه في الأربعين فمن جملة ما يرمز إليه هذا العدد أنه يرمز إلى قمم التمام والكمال كما وأنه يرمز إلى إقامة

١ـ سورة المائدة، الآية ٦٧ .

الحجة كما سيأتي، الله سبحانه وتعالى يدفع بالإنسان إلى أن يوصله إلى الأربعين فإن وجده خيرا أمده بفيضه وإن وجده لا صلاح له لا يكون صالحا بعد ذلك أبدا فهو إذن لبيان التمامية للعقل وإتمام الحجة اختيار السعادة أو الشقاوة، بهذا الأربعين سنة وبهذا الأربعين إقامة حجة، الله تعالى من بعد ما يقيم الحجة بهذا العدد الأربعين إما أن يأخذ بالإنسان إلى السعادة أو يأخذ به إلى الشقاء فإنه يقال إن رقم أربعين مستعمل بشكل واسع في علم اللاهوت والروحانيات عند أكثر الأديان السماوية لعل قائلاً يقول شيخنا أي إستدلال هذا بوجود رقم أربعين في أكثر الأديان السماوية والأديان السماوية أبطلت بالإسلام أتستدل بما هو باطل؟ أريد أن أنبه أيضاً مرة ثانية الأمر نحن نقول إن هناك تحريفاً حصل لكن كون التحريف حصل معناه أن الشيء صار مع الصفر شيئاً واحداً؟ على الإسلام طرأت الكثير من الأمور هل معناه أن الإسلام أصبح والعدم بحكم واحد، يقينا تلاعب المتلاعبون في الروايات والرسول صلى الله عليه وآله يقول ستكثر عليّ الكذابين، هل معنى هذا أن الدين الإسلامي أصبح والعدم شيئاً واحداً؟ نقول كلا، لا النصرانية أصبحت والعدم شيئاً واحداً ولا اليهودية بل أقول أكثر من ذلك إن هناك حقائق لا أريد أن أقول تحكي معناً فهمه القوم لكن هناك مخلفات عن المتقدمين من الأنبياء المتقدمين هي موجودة في التراث الصيني والهندي في

تراث الأمم السابقة لأن ما من أمة إلا وقد مر بها نبي ووصي نبي، الله لا خصوصية له للعرب ليبعث لهم أنبياء ويترك الأمة ولا خصوصية لبني إسرائيل ليبعث لهم أنبياء ويترك الأمم، الله رب الكون ولطيف بالجميع والجميع بأزاءه عبيد.

فإذن إذا جئنا لنستدل ونقول إن عدد الأربعين مستعمل بشكل واسع في علم اللاهوت وفي الروحانيات عند كثير من الأديان أريد أن أقول أن هناك متخلفات عن الواقع لها ما يدل عليها ولذا مع كل انحراف قريش الذين وصلوا إلى الوثنية بعد كون إبراهيم من كسر الأصنام بقيت متخلفات مثل تقديس الكعبة، والطواف بالبيت وبقيت أمور تحكي عن شيء حرّف فإذن كون الشيء قد حرّف ليس معناه أنه نسف فصار عدما فصار ضدا لذلك الواقع، عند كثير من الأديان السماوية وغيرها وقد ورد هذا العدد في الكتاب المقدس وهو عدد الأربعين مرات عددية، لماذا هذه الأعداد ترد في التوراة والإنجيل وترد في القرآن.

فإذن هناك ترابط بين واقع الكون وترابط بين هذه الأديان وما جاءت به الأنبياء الكرام، كما في قصة نوح عليه السلام والطوفان هناك يتكلمون عن الأربعين وكذلك جاء في قصة موسى عليه السلام عدد الأربعين وكذلك ورد في حياة الرب يسوع المسيح وظل يظهر ذاته أي الرب لتلامذته لمدة أربعين يوماً، أرجو التوجه نحن قلنا يجب

أن نكون أمينيين حينما تأتي مثل هذه العبارة نحن لا نريد أن نتهم القوم أنه كان يظهر يعني كان إنساناً يأتي ويظهر النفس الجاهل منهم ربما فسرها بهذا التفسير فوجد الله تعالى يحل في المسيح أو ما شاكلها لكن ليس الكل بهذه المستوى ولعل لهم تفاسير يمكن أن تعطي معاني أنا لا أريد أن أنزه لكن أقول لا نضرب الناس بعصا واحدة، وبقي الرب يظهر ذاته لتلامذته لمدة أربعين يوماً، لو أردنا أن نفسرها يمكن أن نفسر أن الله تعالى بقي يريد إصلاحهم إلى الأربعين ومن لم يصلح إلى الأربعين لا يفيد معه الإصلاح، «لتلامذته لمدة أربعين يوماً قبل الصعود إلى السماء» فإذن جاء لإنقاذهم أربعين يوماً ولعلها كانت أربعين سنة لعلها كانت ترمز إلى شيء ثم إرتفع إلى السماء يعني من وجده أهلا رفعه بهذه الأربعين ومن لم يجده إرتفع عنه لأنه وجده جاهلاً ليس قابلاً للإصلاح، وورد هذا العدد أيضاً في قصة يوسف وأبيه وورد عدد الأربعين في قصة داوود عليه السلام وذكرت فترة الأربعين يوماً بالنسبة إلى إيليا وورد فترة الأربعين يوماً في قصة بعض الأنبياء في الكتاب المقدس عندما نادى بمدينة نينوى قائلاً بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى فإذن تنقلب نينوى ونحن لا ندري نينوى أي البلاد هي أفي العراق أكربلاء هي أو أي منطقة، فإذن مر على نينوى أن الله أمهلهم أربعين يوماً أن يتراجعوا فلما وجدهم لم يتراجعوا صب

عليهم حمم غضبه وإنتقم منهم وكذلك هي هذه الأمة بعد أربعين يوماً انتظرها الله تعالى أترجع من خطيئة عظمى فلما وجدها مصرة مفتخرة بجريمتها سلط عليها من قتل الجبارين والمجرمين كعبيد الله وأمثاله الذين قتلوا على يد المختار ثم الله تعالى ما أراد لها خيرا لكي يتسلط عليها المختار فتكون دولة عدل أراد لها الأشرار لينتقم منها فسلط عليها الأشرار كالحجاج وغيره وبالجملة قالوا ورد ذكر رقم الأربعين في إثني عشر مناسبة في الكتاب المقدس وقد ارتبطت أحداث وشخصيات وعمر هذه الشخصيات أيضاً في الكتاب المقدس وهو الأربعون، وأما بالنسبة إلى نبي الله موسى عليه السلام فقد ورد أنه عاش مائة وعشرين سنة فقسّمت هذه السنين إلى أربعين أربعين أربعين كأن مقاطع لحياة هذا النبي العظيم أربعون سنة عاشها مع فرعون وما دعى إلى أمر وإن كان بسلوكه هو دعوى إلى الكمال نحن لا ننسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله إن كان قبل الأربعين في أمة جاهلة ما دعاهم إلى كتاب سلوكه كان يدعوا إلى الرقي ولو كانوا أهلا للرقي لوجدوا فيه مظاهر الربوبية لمسالكه ومقالاته وكلماته وما شاكل هذه الأمور.

ويقال إن سليمان عليه السلام ملك أربعين سنة وكذلك كان ملك داوود وقد بعث الله نبيه الكريم الذي هو قمة العظمة بعثه في الأربعين عاماً وقد جاء في الكتاب المجيد: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [1] فإذن بالأربعين طلب من ربه أن يشكر نعمته، بالأربعين وجد نفسه أهلاً لشكر الله تعالى بما يقدم إليه من إحياء للبشرية وبالأربعين وجده الله كذلك وأحس من نفسه في هذا الحال والمقام وفي هذا السن هو الأهل لكي يكون شاكراً لربه وليس المراد كما نظن نحن أن نشكر الله أن نقول الحمد لله عندما نأكل ونقول كذا عندما نقوم من أكل، الشكر هو شكر بواقع يجسده في الخارج.

﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾ [2] وقال تعالى بالنسبة إلى الميقات وانقلاب أمة موسى عليه السلام أيضاً الأربعين كانت دخيلة أي دخالة لهذه الأربعين، ثلاثون يوماً ما انقلبت أمة موسى عليه السلام على الأعقاب من عظم التوحيد إلى حضيض الشرك، يا ليتهم عبدوا أسداً، عبدوا العجل يا ليتهم رسموا شكلاً لنبي فعبدوه يا ليتهم أي أمة بسقوط وحضيض تعبد عجلا، فإذن ثلاثون يوماً لو جئناهم قبل الثلاثين لوجدناهم أمة متماسكة فعلاً لا عقلاً، لو كانت متماسكة عقلاً لما انقلبت على الأعقاب ولذا أقول أمة محمد صلى الله عليه وآله لو كانت متماسكة بمعارف توحيدها لعرفت بالتوحيد النبوة الصحيحة ولعرفت بالنبوة

١ـ سورة الأحقاف، الآية ١٥.

٢ـ سورة الأحقاف، الآية ١٥.

الصحيحة الإمامة الصحيحة التي لا تكون للظالمين، فكانت متماسكة تماسك عمل لا تماسك رقي وفهم لواقع شرع فكذلك هي أمة موسى عليه السلام وقد ورد أن فرصة الإنسان للكمال إنما هي إلى الأربعين فإن أوصل نفسه إلى ما يمكن أن يوصلها إليه فتح الأبواب إلى اللانهايات عروجا وقربا إلى ربه وإن أضاع الأربعين فتوبة بعد الأربعين كما نشاهد الكثير من الناس شاهدتهم بنفسه يعيش حياة المتاهات جهلاً وضلالة ثم يأتي من بعد التقاعد ليريد أن يكون ناسكاً يكثر فعلاً أي يصلي كثيراً ويصوم كثيراً يريد أن يتدارك أمراً ثم يسلم رقبته بيد الدجالين فأمواله تصرف في متاهات ويؤخذ به إلى متاهات وربما يؤخذ به بواسطة الدجالين ليؤيد حكومة ظالمة فظن نفسه خرج من شرب خمر فتدخل في تأييد الظالمين هكذا الرجوع إلى الله تعالى إذا لم يكن على أسس معرفة، يريد أن يتوب من ضلالة وخطأ يدخل فيما هو أشد منها ضلالة وخطأ وهم الكثير من الناس الذين يريد بعد التقاعد أو بعد الأربعين أن يتراجع، يتراجع تراجع فعل وعمل فيسلم الرقبة بيد أناس هؤلاء هو وحظه من الله من الخير إن كانوا رجال الله حقا أرشدوه إلى الحق لكنه منقاد لا بصير وإن كانوا دجالين استغلوا غباءه وجهله لمقاصدهم وربما أدخلوه ليرتكب جريمة يسميها جهادا أو يرتكب جريمة تأييداً لظالم وهلم جرا حسب الظاهر الوقت قد إنتهى والحمد لله رب العالمين.

أهمية الأعداد في القرآن والسنة

ونحن نعيش في رحاب الحسين عليه السلام ويوم الأربعين وهناك الكثير الكثير من الروايات في إستحباب هذه الزيارة وما ورد فيها من روايات لأنها قد بحثها الكثير من الأساتذة والخطباء وهي لا يتردد في فضلها ومكانتها وأثرها أي شيعي فلست بصدد الدخول في تفاصيل ما يترتب عليها عند الله تعالى وما لها من أثر على النفس ومن زكاة وما ورد فيها من روايات لكن الحديث هنا نريد أن نقول أن هناك أعداداً ومن جملة هذه الأعداد عدد الأربعين له الأثر في واقع شرع الله تعالى في الشرائع جميعاً وورد بكيفيات مختلفة فنقول قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (1) فإذن الثلاثون ما كان سبباً لردة وانقلاباً على الأعقاب بل الأربعون كانت كذلك فإذن لهذا العدد في واقع التكوين أثرا نفسيا يسبب إستقامة كما استقام البعض مع هارون عليه السلام ويسبب وسقوطاً والله يختبر بما يشاء ويعلم

1ـ سورة البقرة، الآية 51.

أنه يكون سبباً للاختبار وإلا لو رجع إليهم بعد ثلاثين يوماً لما كان سبباً للاختبار ولا سبباً لردة أو شقاء فما كان عدد الثلاثين يحدث نتاج سعادة أو شقاء لكن عدد الأربعين كان سبباً للقمم الرفيعة ثبوتاً مع هارون عليه السلام وصي موسى عليه السلام وكان سببا للشقاء مع السامري وهكذا هي الأمم بعد أنبياءها إما مع سامري أو مع هارون موسى عليهما السلام.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۞ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (١) هناك لاختبارهم شقاء وسعادة أختبروا بالأربعين وهنا لتأديبهم إما أن يصلحوا ليعودوا إلى ربهم أو يزدادوا تيهاً على تيههم أيضاً أختبروا بأربعين سنة فإذن ليس هذا صدفة وما شاكل هذه الأمور بل واقع عدد بأربعين يومه، بأربعين سنته وبما يمكن أن يكون له مدخلية في التربية والعقلية وفي الرشد والكمال كبعثة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولست بصدد الكلام أنه كيف يبعث الله أنبياءه وهم في المهد ويبعث آخرين وهم يعيشون الصباوة ويترك محمدا صلى الله عليه وآله إلى الأربعين وهو سيد الأولين والآخرين قلته وأقول مرة ثانية، كان نبيا قبل أن يأتي إلى هذه الدار وكان نبيا وكان وليا وكان قمة وكان

١ـ سورة المائدة، الآيتان ٢٥ و ٢٦.

إماما غاية مصلحة وإرادة ومشيئة إلهية أن يبعثه إلى العرب في الأربعين إن فهمنا منها شيء جهلنا أشياء ثم أريد أن أقول إن نبوة بقدر وعظما بقدر وشأنا بقدر وشأنا بإطلاق واقع القرب لسيد الكون لعله يحتاج إلى أمور كالمعراج، الرسول صلى الله عليه وآله بعظمه كان رسولاً وكان خاتم المرسلين وكان سيد الأولين والآخرين لكن للمعراج واقع، للأربعين واقع لست بصدد شرح مثل هذه المطالب هنا وأنا أريد أن أتكلم عن مجرد العدد لكن لا يدخل شخص في متاهة من القول على أن هناك أنبياء وصلوا إلى القمم وهم في المهد والرسول صلى الله عليه وآله ما وصل إلى هذا إلا بعد الأربعين، الوصول له قممه الله علّم آدم عليه السلام الأسماء كلها لكن الأسماء اللامتناهية التي وجدها محمد صلى الله عليه وآله في معراجه هي غير تلك اللانهايات من الأسماء التي عرفها آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (1) يتيهون إما لإصلاحهم لمن عاد إلى ربه أو لأنهم ليسوا أهلا فليتيهوا وليضيعوا مع الفاسقين.

وقد ورد في الأحاديث المعتبرة عن الأئمة عليهم السلام، نجد الأربعين هاهنا وهناك يأتي بمعاني ويأتي بكيفيات وأمور مختلفة

١ـ سورة المائدة، الآية ٢٦ .

هاهنا يأتي ليقول عن الأئمة عليهم السلام: «واعلم أن من شرب من الخمر قدحاً» ليس كمن اعتاد على الشرب ويعيش عدم العقل ليلاً ونهاراً لكن من شرب من الخمر قدحاً واحداً «لا يقبل الله صلاته أربعين يوماً»[١] قدح واحد، الانحراف انحراف كما قالت بني إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[٢] يعبدون آلهة على قدر السنة أو يعبدون أربع كعظماء الأصنام أو يعبدون واحد العقلية واحدة، العدد لا يبدل، من ينزل من عظيم مقام الإنسانية والعقل إلى دناءة الخمر شرب كأسا أو عشرة الاختلاف في الأثر لا شك ولا ريب فيه لكن السقوط سقوط، فمن شرب من الخمر قدحا واحدا قيده بواحد لا يقبل الله صلاته أربعين يوماً أيضاً هاهنا لا أريد أن أتوغل في المعاني فلا يتصور شارب لخمر على أنه إذن هو شرب اليوم خمرا إذا كانت صلاته لا تقبل وكان صومه لا يقبل فليترك هذه الأمور إلى أربعين يوماً، القبول له معاني: أن صلاة من زكي طاهر ذي معرفة يكون بنحو من القبول يختلف عن قبول من جاهل فكيف به إذا كان فاسقاً بشربه للخمر فإذن كلام عن المرتبة لا عن الأصل فلا يدفع مثل هذا الحديث أحدا إلى أن يقول أنا إذن

١ـ الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام: ٢٧٩.

٢ـ سورة الأعراف، الآية ١٣٨.

شربت الخمر وصلاتي لا تقبل فأترك الصلاة إلى أربعين يوماً ثم أصلي بعد ذلك، الله يريد منه الصلاة على كل حال ولو قبلها منه بالمائة عشر درجات، إن كان للصلاة مائة درجة من الثواب ومن العطاء والقرب هذا لتلويث نفسه وحجب عقله لا يتمكن أن يتوصل إلا إلى عشر أو عشرين درجة من باب الفرض إن صلاها تماماً ولا أريد أن أدخل في تفاصيل هذه الأمور لكن أريد أن أقول لا يسوق مثل هذا الحديث أحداً يشرب الخمر إلى مثل هذا فيكون جهلاً بعد جهل ومتاهة بعد متاهة ولا يسوق آخر سمع بهذا الحديث ليقول لشارب خمر يوماً من الأيام لا تصلي الله لا يقبلها منك أربعين يوماً لأن بعض الجهال يظن نفسه متدينا يسوق الجاهل إلى جهل آخر ويسوق البعيد عن ربه إلى مساق جديد فيأتي إليه ناصحا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، أنت صليت أو ما صليت لا يقبل الله منك صلاةً لأنه لا تقبل منك إلا بعد أربعين فهذا الذي يريد أن يصلي يقطعه من الصلاة ويظن نفسه من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر.

وعن أبي جعفر ﵇ أي الإمام الباقر ﵇ قال: «ما أخلص العبد الإيمان بالله عز وجل أربعين يوماً» الكلام هنا عن الخلوص ما أخلص العبد الإيمان بالله ولا يكون الإنسان مخلصا إيمانه بالله إلا إذا صدق العمل العلم فكان فهما لشرع الله تعالى بمراحل توحيده

وكان تطبيقاً له تطبيقاً سليماً، «أو قال: ما أجمل عبد ذكر الله» يعني جاء به جميلاً بكل واقع جماله «عزوجل أربعين يوماً إلا» من أخلص إلى الله تعالى أربعين يوماً خلوصاً عقلياً علماً وخلوص علم يعني ما جاء لصلاة لأي جهة إلا لربه وما أمر بمعروف أو ما تكلم عن أمر إلا لخالص وجه الله لأنا قد نتكلم ونقصد مصالحنا، قد نتكلم ونخلط بين الحق والباطل وهلم جرا، «إلا زهده الله عزوجل في الدنيا»[١] أربعين يوم ضمن الله تعالى للإنسان أن يزهده في الدنيا، «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[٢] نحن نقرأ في الحوزات ثلاثين وأربعين سنة وقد نصلي صلاة الليل ونعيش في واقعنا إن لم نغالط الآخرين حباً للزعامة والرئاسة ونستر إذا دخلنا في مسجد أو حسينية فقال الناس صلوا على محمد وفي خلدنا نعيش وهما على أنا نطوي مرحلة لنصبح بعد كذا مرحلة حجة الإسلام ونصبح آية الله وبعد فترة نصبح آية الله العظمى وهلم جرا.

الحديث الشريف ماذا يقول؟ لا يقول أن الخلوص هو أربعين سنة، نحن ندرس أربعين سنة ونصلي ونصوم أربعين سنة وقد نصلي صلاة الليل أيضاً أربعين سنة ولعلها صلاة لا من أجل أن

١ـ الكافي ٢: ١٦، ح ٦.

٢ـ الكافي ٢: ١٣٠، ح ١١.

نمتدح فتكون رياء، مع كل هذا وإذ بنا نجد أنفسنا لسنا نعيش زهادة في الدنيا فإذن ما عشنا أربعين يوماً من أربعين سنة زهادة في الدنيا لنعيش هذا الطهرو هذا القرب، «ما أجمل عبدٌ ذكر الله تعالى أربعين يوماً إلا زهده الله في الدنيا» إذن الأربعين لها أثر تأكيدنا هاهنا على أن هذا العدد له أثر تكويني على النفس يخرج الإنسان من حب الدنيا الذي كلنا نعيش إلا ما ندر نعيشه على اختلاف مراتبه وعلى اختلاف عقلياتنا والإمام عليه السلام يقوم أربعين يوماً، يقول أضمن لكم طهرا من هذا الباطل في خلال أربعين يوماً، هذا كلام معصوم يحكي واقع تكوين ويحكي واقع إسقاط حجب لشهود الحق سبحانه وتعالى، هذه الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة تسقط في أربعين يوماً، يصبح لا يحب الدنيا زاهدا فيها ولا أريد هنا أن أدخل في معنى الزهد، «وبصّره داءها» أي وبصره أمراض هذه الدنيا يصبح يشاهد الأمراض فيفر منها الآن لو أن إنساناً منا سمع أن الطاعون أو السرطان أو الوباء أو الأمراض التي يتكلم عنها الآن الناس الكثيرة لو أن إنساناً سمع أن في قرية معينة هذه الأمراض أخذت تأخذ الناس أفواجاً أفواجاً هل يذهب إليها؟ هكذا يصبح الإنسان المسلم يجد الأمراض فيفر منها «وبصّره داءها» كما أن الإنسان الذي يعيش شامّة سليمة كيف يفر من المستنقعات والإنسان الذي يعرف الأمراض كيف يفر من مواطنها إن علم بوباء

معين، هكذا هؤلاء العظماء يشاهدون بعد طهرهم بأربعين يوم صفاء للقلوب وفعلاً سليماً يشاهدون أمراض هذه الدنيا والإنسان بعد معرفة المرض يأتي لكي يبتعد عن مثل هذه الأمور ولذا يقول «وبصره داءها ودواءها» ليس فقط يعرف المرض بل يجعله طبيباً، إنسان يدرس ثمان سنوات وهو جاهل في كثير من الحقائق لكن الله تعالى لكرمه وجوده يجعله في أربعين يوماً كل الحقائق حاصلة عنده هكذا هو كرم الله سبحانه وتعالى، هكذا يصبح عظيما بأربعين يوم لو أخلص إلى ربه، أجود الله وقف عند هذا الحد؟ يقول الإمام الباقر عليه السلام كلا «فأثبت الحكمة في قلبه» وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[1] يصبح حكيماً الأذهان تذهب على أن الحكمة هي الفلسفة أو العرفان الذي يقرأه زيد أو عمرو، نقول الحكمة إحكام الأمور وجعلها في مواطنها، من شاهد الأمور بواقعها ووضع كل شيء في موضعه هو حكيم ولو كان يعيش بادية، أربعين يوم لو أخلصتم لكنتم هكذا عند ربكم، فقط هذا؟ قال اكثر من ذلك «وأنطق بها لسانه» يعني يصبح لسانه لساناً ربوبياً أي عظمة هذه، تحصل على كل هذه الأمور نحن نذهب إلى الحوزات أربعين سنة ولا نحصل عليها والناس يذهبون إلى

١ـ سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

الجامعات أربعين سنة لا يحصلون على مثل هذا الواقع أنه يصبح طبيبا يشاهد الأمراض وعلاجها بل يصبح حكيما بل يصبح نطقه وسكوته حكمة، وأنطق بها لسانه: يصبح يتكلم حكمة يعني تصبح الحكمة طبيعية له لا يكلف نفسه تكليفاً بها يتكلم في الأمر بالمعروف في موطنه وينهى عن المنكر في موطنه يعرف المعروف ويعرف المنكر فلا يدخل جهلاً ولا ينفر الناس بأفعال وتقدسات كما يفعلها الكثير منا يصبح متدينا بنظره فيصبح مكروها حتى في بيته الكثير منا هكذا، مؤمن يرى نفسه أوامره في الصلاة لأبناءه وبناته تخرج البنات والأولاد من دين الله، لأنه لا يعرف كيف يأمر بالصلاة أو ينهى عن ترك الصلاة كلنا جهل في جهل ننفر ونرى أنفسنا إلى الله متقربين، فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه ثم تلا الإمام الباقر عليه السلام هذه الآية الشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [1] هؤلاء كانوا يدعون ما يدعون، كانوا يرون أنفسهم من أتباع موسى عليه السلام نبي من أولي العزم العظام هؤلاء الذين كانوا يرون أنفسهم مقربين ومن صحابة نبي وإذ بهم يعبدون عجلاً ولذا نقول لغيرنا لا تخدعوا أنفسكم بأن زيداً من الصحابة أو أن فلاناً من

١ـ سورة الأعراف، الآية ١٥٢.

أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصحبة عند الله سنة واحدة أصحاب موسى هاهم وأصحاب عيسى عليه السلام فليقرأ القارئ من هم أصحاب عيسى عليه السلام حتى لا نخدع أنفسنا بكلمات جهل صدرت من دجالين.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوماً لأصحابه: ملعون كل مال لا يزكى»، ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ملعون كل جسد لا يزكى»، المال يجب أن تزكوه يخاطب أصحابه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فله حق واليتيم له حق والأرملة لها حق والإعمار له حق وكل سبل الخير لها حق في أموالكم، ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ولو في كل أربعين يوماً مرة»[1] يعني تجب الزكاة أقل من ذلك يعني الله إذا أحب قوماً زكى أموالهم في كل يوم أي دفعهم لزكاة أموالهم في كل يوم وإذا أحب قوما دفعهم ليزكي أجسادهم في كل يوم، أرجو التوجه الذين يحبهم الله تعالى يزكي أموالهم أي يدفعهم بهدي منه ليزكوا أموالهم في كل يوم، لا في كل أربعين يوماً لكن يقول أقلها هذا، وكذلك يدفع بهم أن يزكي أجسادهم في كل يوم ولو في كل أربعين يوماً مرة فقيل يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناه، أمرتنا بزكاة أموالنا وأعطيتنا قانون الزكاة ونحن نزكي إن شاء الله فما

١ـ الكافي ٢: ٢٥٨، ح ٢٦.

زكاة الأجساد؟ فقال صلى الله عليه وآله لهم : أن تصاب بآفة، الآفة هي المرض فاستغرب الأصحاب يا رسول الله تصاب آبدانا بأمراض وإلا فنكون ملعونين ما توجيه هذه الكلمات؟ قال فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه، فلما رآهم قد تغيرت ألوانهم قال لهم أتدرون ما عنيت بقولي؟ قالوا لا يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله : بلى الرجل يخدش خدشة، قبل هذا أنقل قصة بنحو إجمالي حتى يكون البحث هاهنا واضحا يقال إن الرسول صلى الله عليه وآله كان مع أصحابه في غزوة فمر على بيت شيخ عشيرة فاستقبلهم ذلك الرجل استقبالاً واحترم الرسول صلى الله عليه وآله بكل معنى الكلمة وإحترم أصحابه ورحّب بهم كضيوف فسأله الرسول صلى الله عليه وآله عن حاله فأخذ يقول الحمد لله أموالي كثيرة وما أصبت يوماً من الأيام بمرض ولا عانيت مشكلة وإعتبر كل ذلك من منن الله تعالى عليه لأن الله يحبه هكذا كان يظن الشخص فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الرحيل إسرعوا إلى الخروج لأنه بيت يحتمل أن ينزل عليه الغضب الإلهي فذلك الرجل استغرب معنى الحديث على أن الله إذا أحب مؤمنا إبتلاه فالبيت الذي لا ينزل عليه البلاء لا في مال ولا في جسد ولا في أي جهة من الجهات فيعيش نعيماً تاماً هو يظن لأن الله أحبه صنع به ذلك الصنع وإذ بمنظار أولياء الله أن هذا البيت قد أعرض عنه الله سبحانه وتعالى.

فإذن بهذه المقدمة نفهم ما نحن فيه، قال صلى الله عليه وآله: «بلى الرجل

يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا»[1] هذه كلها الله تعالى يريدها بلاء له حتى يتألم حتى يجد على أن هناك أمورا يختبره بها الله تعالى فإذن الإنسان المؤمن لا يتركه الله ولا يظن لأن له مال فإذن هو محبوب عند الله تعالى قريب منه، الذين يحبهم الله تعالى هم الأنبياء عاشوا تهجيراً وخوفاً واضطهاداً وفقراً وبلاء لا يوصف بوصف هكذا هم الذين يحبهم الله إذا خرجوا من صف نقلهم إلى الصف الثاني وإن أنهوا الإبتدائية نقلهم إلى الثانوية وإن امتحنهم في الثانوية من باب التقريب الذهني نقول نقلهم إلى الجامعة وهلم جرا يعيشوا بلاء بعد بلاء ومشكلة بعد مشكلة ومرضا بعد مرض حتى يصفى خالصا لقرب ربه بشهادة يشهد الله له بها يوم الحساب ويجعله شاهدا وشهيداً على البشرية.

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «ما من رهط» الرهط هو الجمع «أربعين رجلاً اجتمعوا» جاءت هنا مرة ثانية كلمة الأربعين «فدعوا الله عزوجل في أمر إلا استجاب الله لهم» لم يقل تسعة وثلاثين بل قال أربعين فإذن هذا العدد حتى في القبول من الله له الأثر، اجتماع أربعين مؤمناً عند الله له مكانة يسبب نزول البركات والرحمة إلا

١ـ الكافي ٢ : ٢٥٨ ، ح ٢٦.

استجاب الله لهم ثم يقول عليه السلام: «فإن لم يكونوا أربعين فأربعة» إذن أصل المسألة كان أربعة «يدعون الله عزوجل عشر مرات» حتى تكون أربعين مرة ثانية، هم أربعة من المؤمنين يدعون على قدر أربعين رجلاً، «إلا استجاب الله لهم» فإذن للأربعين دخل «فإن لم يكونوا أربعة» لعل إنساناً مؤمناً يعيش في سجن فلا يتمكن أن يجمع أربعة ولا أربعين، «فواحد يدعو الله أربعين مرة»[1] فإذن عدد الأربعين بأربعين شخص كل واحد دعوة، بأربعة كل واحد عشرة أو واحد يدعو أربعين مرة أما يكون هذا سبباً لانتباه الذهن والعقل أن لواقع الأعداد في واقع التكوين قبولاً ورفضا وسعادة وشقاء ورحمة من الله وعطاء، هذا يعطي هذا المعنى فقرأنا الكثير من الروايات التي ورد فيها هذا العدد ووجدنا كيف لها الدخالة في السعادة والشقاء والعطاء والقبول الإلهي الآن بكيفية أخرى يقول الحديث.

وورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعذبه»[2] هنا أيضاً في مسألة الأحاديث وردت وسيأتي أربعون حديث عن

١ـ الكافي ٢: ٤٨٧، ح ١.

٢ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٦، ح ١٣.

الإمام الرضا عليه السلام، اعتبر الأربعين لها حقيقة وواقع هذا الواقع من حفظه دخل الجنة الكثير من الناس يتسارعون إلى لقلقة اللسان بمجرد أن يسمع أنه من ذكر الله أربعين مرة مثلاً يدخل الجنة فيعتادها فتكون لقلقة لسان فلعله يعيدها في كل يوم عشر مرات وسيجد يوم القيامة أنه ما كان لهذه اللقلقة من قيمة أبدا لأنه ما فهم معنى الله، يجب أولاً أن يعرف معنى الله تعالى حتى يتكلم بهذا الإسم فكيف يذكر لفظا وهو لا يعرف الله تعالى وكيف يذكر لفظ الله وهو لا يعرف من يقربون إلى الله كالأنبياء وأوصياء الرسل وهلم جرا، وكلها من باب الإشارة والتوغل فيها وشرحها له مجال آخر، من حفظ من شيعتنا فليس الحفظ كحفظ الكثير من الجهال يحفظ القرآن بكله وتمامه وهو لا يتقن منه آيتين وكذلك هنا من يجهل الأمر فيظنه على نفس النمط يحفظ أربعين حديثا لا يعرف معناها ولا يطبقها على نفسه ولا يدري كيف تكون وكيف يبصرها يظن أنه حفظ أربعين حديثا فالحمد لله رب العالمين قد ضمن الجنة، من حفظ من شيعتنا أربعين حديثا بعثه الله يوم القيامة فقيهاً، أهل لمن يضبط بدون فهم مثل الطفل مثلاً وربما الطفل يحفظ اكثر من أربعين حديثاً، طفل لربما يحفظ القرآن هل هذا يحشر يوم القيامة فقيها وهو لا يفهم هذه الكلمات فعلينا أن نفهم الأمور حتى لا نخدع بواسطة بعض الخطباء يطلقون الكلمات بدون

شروطها ومعانيها والناس تستر كثيرا لمثل هذه الكلمات من الخطباء، من صلى على محمد وآله مرة لم تبق من ذنوبه ولا ذرة والحمد لله إذن يوميا أصلي مرتين أو ثلاث مرات فلم تبق من ذنوبي ولا ذرة وأدخل الجنة، ليس الأمر هكذا وبهذا الخداع.

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا مات المؤمن فحضر جنازته أربعون رجلاً» مرة أخرى في الجنازة وردت كلمة الأربعين «من المؤمنين» حتى نرى أن كلمة الأربعين لها واقع تكويني لها حقيقة في كل مجالات الحياة، «وقالوا: اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً» هذا الإنسان نحن عشنا معه فترة من الزمن ونحن لا نعلم بواطن الأمور ولا ندعي معرفة للباطن ولا نزكيه باطنا لكن ما وجدناه شرب خمراً ولا لزمنا عليه كذباً أو أكلاً لأموال الناس هذا ما شاهدناه في سلوكه وسيره يا إلهي نحن نشهد على سلوكه وسيره وما أقر به من الشهادتين وغيرها نشهد أنه كان من المؤمنين «وأنت أعلم به منا قال الله تبارك وتعالى: قد أجزت شهادتكم وغفرت له ما علمت مما لا تعلمون»[1] يعني اعتبر هذه الشهادة سببا للغفران، أيضاً كانت بشهادة أربعين، فجعل سبب الغفران شهادة أربعين على ظاهره لكن لا ننسى أن المؤمن لا يشهد في دجال، المؤمن له

١ـ من لا يحضره الفقيه ١ : ١٦٥، ح ٤٧٢.

بصيرة فلا يشهد لدجال بالإيمان والمؤمن له معارف فلا يشهد لجهال بالإيمان، لابد وأن نعرف معنى الإيمان حتى نعرف أن الذين يوصفون بالإيمان لا يشهدون إلا بما وجدوا فيه شرائط الشهادة صحيحة حتى لا يكونوا عند ربهم كاذبين.

وكذلك ورد في صلاة الليل يستحب الدعاء لأربعين مؤمن ولذا ورد عن الصديقة فاطمة عليها السلام كانت حينما تبدأ في دعاءها تبدأ بأربعين من المؤمنين ثم تدعوا لنفسها أو لأبناءها هذا مما ورد أيضاً في الأحاديث، وكذلك أيضاً في صلاة الليل يستحب الدعاء لأربعين مؤمن، أيضاً قيدها هنا بأربعين وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: قال «من قدم في دعائه أربعين من المؤمنين» يعني في البداية يدعو لأربعين من المؤمنين «ثم دعا لنفسه استجيب له»[1]، فإذن هذه الأربعين حتى في قبول الدعوات كانت شرطاً كما وأنه ورد عن الإمام علي عليه السلام: «من جاء ليطلب من ربه شيئاً صلى على محمد وآل محمد أولاً حتى إذا استجيبت هذه والله يستجيبها تستجاب التي من بعدها» فإذن هناك شرائط حتى للدعاء فجعل من هذا الدعاء لأربعين مؤمن.

وقد ورد في الأحاديث أن زيارة الأربعين للإمام الحسين عليه السلام

١ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٥٦، ح ٤.

من علائم المؤمن فمن جملة علائم المؤمنين زيارة الأربعين كما في الأحاديث وقد ردت رؤوس الشهداء على بعض الروايات إلى كربلاء في يوم الأربعين ورجع السبايا إلى كربلاء في يوم الأربعين وإن كان في هذه الرواية وهي رجوع الرؤوس خلاف بين المؤرخين البعض قال دفنت الرؤوس في الشام وجاءت روايات أخرى لتقول نقلت إلى مصر في زمن الحكم الفاطمي وأنا لست بصدد تأييد أو إبطال لرواية لكن أقول أن هناك من الأخبار ما تقول هكذا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله من طريق أبناء العامة: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً»[١] فإذن قد ورد عندنا حفظ أربعين حديثاً وقد ورد حتى عند أبناء العامة ذلك، «في أمر دينها بعثه الله فقيهاً وكذلك له يوم القيامة شافعاً وشهيداً» ولكن نقول مرة ثانية ليس حفظا بما هو حفظ بل علمبعمل بما يتطابق مع الأحاديث.

وقد ورد في الأحاديث «أنه تم تخمير طينة آدم عليه السلام بيد القدرة الإلهية أربعين صباحاً» حتى في تكويننا وتكوينة أبينا وردت كلمة الأربعين يعني حتى في واقع التطور والكون وجمع الكمال كان دخلا لو لا أن الله تعالى بناء على صحة هذه الأخبار،

١ـ الدر المنثور للسيوطي ٥: ٣٤٣.

يعلم بواقع علمه الأزلي أن لتطور الأربعين أثر في تكوينة هذا الإنسان ليصبح أكبر كائن وأعظم موجود تسجد له الملائكة بهذا التطور الكوني لما خمرّها أربعين يوماً وستأتي أنه حتى في النطفة أربعين ولذا نقول إن أربعين الحسين عليه السلام لم يخرج عن هذا الواقع.

وعن الصادق عليه السلام: «إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح إبليس على وجهه» يعني إبليس أعطاه المجوز أن هذا من أصحابي، إطمئن إبليس أن هذا إذن من أعوانه «بأنه وجه لا يفلح أبداً» كأن قائلاً يقول الكثير من الناس بعد الأربعين والخمسين والستين ونحن نشاهد أن الكثير منهم لما يصل إلى التقاعد في الستين وينتهي من كل خزعبلاته وأعماله يتوجه إلى ربه ونرى الكثير من هؤلاء قائماً قاعداً مصلياً ملتزماً بالمسجد ومن حمامات المسجد نقول الحديث يتكلم عن واقع فعل يعود أساسه إلى جهل قد يقع بيد جهال ومكرة يسوقونه إلى جهل آخر، ربما مسجد راح ليصلي فيه كان المصلي والإمام الحجاج بن يوسف الثقفي وهو لا يميز لجهله ورب مال دفعه لجهل فكان وبالاً عليه بدلاً من أن يكون سبيلاً عليه، راح في الستين ليخمس لكن لجهله سلّم الأموال بيد دجال استغلها لدنياه ولمآربه وترك الفقير والأرملة والشرع بما فيه وهلم جرا.

فإذن أقول وأكرر على الشباب أن يلتفتوا إن من أصلح نفسه

في شبابه ازداد علماً وإيماناً وراح يسير في مسالك ربه وشملته الرحمة واللطف الإلهي ومن لم يكن كذلك هناك روايات عن الإمام الصادق عليه السلام يسأله السائل: يبن رسول الله إن الله يقبل التوبة من عباده مطلقاً قال نعم وهذه مضمون الرواية، فقال له القائل لو أن إنساناً عاش عمره المفاسد والشهوات ثم بعد الستين والسبعين ووجد نفسه في حالة جاء ليتوب إلى ربه قاصداً التوبة تماماً قال عليه السلام: لن يوفقوا، ليس معناه على أنه لم يتب لن يوفق إلى توبة تقربه من ربه لأنها توبة جاهل أصبح الجهل والضلال ملكة لنفسه وظلمة فكيف يطهرها ولست بصدد الدخول في تفاصيل هذه الأمور.

وما ورد عن الأربعين وعن أربعين الإمام الحسين عليه السلام وعن سن الأربعين وما عن الثواب الذي كتبه الله ويكتبه للزوار الحسين عليه السلام ولقبره الشريف كلام عظيم لكن لاننسى أن الأفعال تقيّم بالمعارف فصلاة ركعتين من عارف لا تعادلها صلاة الملايين وكذلك هم زوار الحسين عليه السلام وكذلك هم الذين يقولون اللهم صلي على محمد وآل محمد فإن الفعل لو كان يقيّم بما هو فعل لقيم الله لإبليس ستة آلاف سنة من الأفعال فما اعتبرها شعرة في ميزان العدل فكذلك أقول زيارة الحسين عليه السلام مهمة وزيارة أولياء الله تعالى مهمة .خلافا للغباء الوهابي لكن يجب أن نزور ونحن عرفاء، يجب أن نزور ونحن مزكين للنفوس حتى لا نأتي بأفعال بعيدة عن واقع المراد والحمد لله رب العالمين.

كيف ورد ذكر الأربعين في الآيات القرآنية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام؟

ونحن في رحاب الإمام الحسين عليه السلام وقد وصل بنا البحث إلى الأربعين ومن باب الكلام يجر الكلام ذهبنا لنتكلم عن الأعداد لنرى ما هو مكانة عدد الأربعين في مسألة الإمام الحسين عليه السلام هل هي من باب الصدفة أن يكون هناك عدد الأربعين داخلاً في نهضة الحسين عليه السلام أم أن هناك واقعا تكوينياً مرتبطاً بالأديان لم يتقيد في مسألة الحسين عليه السلام أشرنا إلى كثير من المواطن وقلنا أنها حُددت بعدد الأربعين، أربعين سنة وأربعين يوم وهلم جرا وكادت أن تكون دخيلاً في مهلة للبشرية للسعادة أوالشقاء كادت أن تكون رمزا للكمال، كادت أن تكون دليلاً على مقاطع في التكوين، ولذا نجن جئنا هاهنا لنشير إلى مواطن عدة وردت فيها عدد الأربعين لكن من باب توضيح أمر لابأس بالتوقف لحظه هاهنا مرتبطة بالمحاضرة السابقة:

نحن أشرنا في المحاضرة السابقة على أن السائل يسأل الإمام الصادق عليه السلام هل التوبة بابها مفتوح إلى آخر أيام الحياة وهناك

الكثير من الروايات تشير على أن الله تعالى يوفق العبد ويأخذ بيده إلى سن الأربعين فإن وجده أهلاً للكمال أنزل عليه ألطافه وإن وجده ليس أهلاً تركه ونفسه وقلناهناك روايات عن الأئمة تشير إلى أن الإنسان إذا تجاوز هذا السن وبالأخص بعد الستين لن يوفق إلى التوبة، نريد أن نقول كل حديث يرد في موطن من المواطن يشير إلى هداية أو ضلالة أو إلى أي شيء كقول الامام لن يوفقوا يجب أن نتأمل حتى لا ندخل في خطأ، لا يريد الإمام عليه السلام أن يقول من بلغ الستين صار مثل هذا العمر سببا وعلة تامة لعدم الرجوع إلى الله تعالى، يريد يقول إن المقتضي للرجوع يكون ضعيفاً، لم يكن الحديث متكلم فيه عن علية في المقام الله لم يسلب اختياراً من أحد مادام موجوداً وجعل التوبة إلى أن تظهر معالم الموت فعندها لا يقبل من الإنسان توبة أما قبل ذلك فتقبل التوبة.

فإذن الحديث لا يريد أن يقول إن مثل هذا يكون علة لعدم التمكن من الرجوع أي سالباً للإرادة والاختيار وموجباً للقهر، هذا ما أردنا قوله حتى لا يقع أحد في خطأ.

ثانياً:أردنا أن نقول إن التائبين إلى الله، رب إنسان يعيش التوبة في كل لحظات حياته يعود من قرب إلى قرب اكثر فإذن التوبة حينما نقول أن هناك روايات تقول لن يوفقوا تتكلم عن التوبة النصوح الصحيحة توبة المعارف للرجوع إلى الله بزكاة

نفس، مثل هؤلاء الذين عاشوا الحياة في ظلماتها من ظلمة إلى ظلمة من متاهة إلى متاهة حتى كاد الجهل أن يكون ملكة تامة، حتى ولو وجدوا القرب من الموت وراحوا خائفين ليعودوا إلى ربهم لكن عود العالم غير عود الجاهل، عود النفس الملوثة بآلاف الظلمات والمعاصي غير النفس الشفافة التي تعود إلى ربها فإن إعتبرناها عودة فهي عودة فعل لم تحكي عقلية عائدة لأن العقلية العائدة تحتاج إلى معارف ونفس طاهرة طيبة.

فإذن ما أردنا أن ندعي أن ذلك يكون علة تمنع من الرجوع، الاختيار لا يرتفع لكن أردنا أن نقول على أن توفيقاً قد لا يحصل، أردنا أن نقول في الغالب هؤلاء لا يرجعون، أردنا أن نقول إن الروايات تشير حتى ولو تابوا ورجعوا فهي توبة جاهل وملوث، الله رحمته واسعة ولم يسد باب رحمته ولطفه لكن الإنسان الذي عاش الظلمات لا يتمكن أن يتخلص منها ولذا أشرنا في بعض المحاضرات على أن الإنسان حتى ولو رفع الله عنه عذاب الجحيم لا يتمكن أن يتخلص من جهله الذي عاشه بظلمات نفسه هذا يبقى معه لا مخلص منه.

وقد ورد في كثير من الروايات الأربعون حديث كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، لماذا الأحاديث ترد أربعون حديث لماذا لم تقل ثلاثين يعني هذا الواقع له على النفس أثر ولذا الأئمة تكلموا عن

أحاديث كأربعين وأرادوا من الناس أن يتعلموا أربعين حديثا كأن من عرف أربعين حديثا معرفة تامة بزكاة نفس وفهم وطهر وعلمها للآخرين حشره الله فقيهاً لكن بطبيعة الحال كيف يكون فقيها وهو لم يعرف التوحيد والنبوة وكيف يكون فقيها وهو لم يعرف الإمامة راح راكضا وراء الحكام وكيف يعرف التوحيد و هو لم يعرف صلاتا وحجاً فإذن لا ننسى على أن الأمور بشرطها وشروطها حتى لا يتصور متصور أن هناك إنساناً قادراً لحفظ أن يحفظ أربعين حديثاً سيصبح يوم القيامة فقيها ويحشر مع الفقهاء، هذه الأمور ليست كضابطة تضبط كلمات هذه معاني يجب أن نلتفت إليها حتى لا نأخذ الأحاديث مأخذ جهل ونعيش إتكاليين وربما أقول أن الكثير من الناس سيقت إلى الإتكالية والجهل لأن الخطباء يصعدون المنبر ومن أجل أن يستر بكلامهم السامع فيقول قائلهم على المنبر من صلى على محمد وآل محمد لم تبق من ذنوبه ولا ذرة، أناس جالسون يسترون من هذا الكلام والخطيب يستر لتبادل السرور بين الطرفين يسوقهم إلى جهل ويسوقهم إلى عدم المعارف والإتكالية بمثل هذا الحديث أو بأحاديث أخرى لا أريد أن أدخل في تفاصيلها لكن أريد أن أقول يجب علينا أن نكون عرفاء ليست الجنان بهذه السهولة، الله تعالى لا يخدع على جنانه والله تعالى خلق الجنان للمتقين العرفاء وإن كانت رحمته واسعة قد يدخل الكثير

من الناس ولو كانوا ليسوا بهذا المستوى لكن لا يدخلون جنانا يدخلها الأولياء، لا يدخلون جنانا يدخلها شيعة علي عليه السلام بحق، الإنسان الشيعي هو الذي يشايع عليا عليه السلام علماً وعملاً فليس كل إنسان نسب نفسه إلى محمد صلى الله عليه وآله كان سالكا سبل محمد سبل سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وليس كل من يتصورنفسه أنه من أتباع علي عليه السلام بالصلاة على محمد وبكثير من الأمور التي يقولها بعض الخطباء على المنابر ويسوقون الناس إلى الإتكالية والجهل أردتها منبها حتى تخرج الناس الذين يريدون الحق أما الذي يخدع نفسه والخطيب يخدعه فيتفقان على الخداع فذاك أمر آخر.

وقد ورد الأربعون حديث عن الإمام الرضا عليه السلام فإذن الأربعون نجدها في كل مكان موجودة وورد أنه كان من عادة المصريين القدامى زيارة قبر الميت وإحياء ذكره يوم الأربعين ويقال أنها عادة قديمة من زمن الفراعنة، لعل سامعا يستغرب حديثا من رجل دين يقول ويسند الكلام إلى المصريين القدامى ويسنده إلى زمن الفراعته فيقول يا عجبا رجل دين يستدل على الأربعين بفعل الفراعنة أو بفعل المصريين القدامى أي رابطة بين هذا الكلام وبين ذاك، أريد أن أقول من باب المنبه أيضاً أن الكثير من المخلفات القديمة هي ناشئة عن ديانات صحيحة انحرفت فصارت بكيفية أخرى، ما كان أهل مصر القدامى يعيشون اعتباراً واعتباطاً أنهم

جعلوا فرعون ربا لهم أو أنهم كانوا يقدسون ويحترمون الأربعين أو يذهبون إلى زيارة موتاهم يوم الأربعين، الكثير من الأمور التي نجدها اليوم قائمة أو كانت قائمة قديما هي من مخلفات ديانات صحيحة انحرفت فالكثير من العادات التي نجدها في الجاهلية هي من مخلفات ديانات صحيحة سابقة كالديانة الإبراهيمية أو الكثير من الديانات التي ما كتب التأريخ لنا عنها شيئاً نحن لا ندري أي مخلفات بقيت ولعلها ليومنا هذا نسينا أسبابها كانت وإستمرت بين الأمم بتبع نوح عليه السلام، بتبع إبراهيم عليه السلام بتبع الأنبياء السابقين ولذا الكثير من الكلمات إن تأملها المتأمل المنسوبة إلى فلان وفلان من الحكماء يجد لها جذورا مرتبطة بالأديان السابقة انحرفت وتبدلت هذا لانتردد فيه لكن أقول إن وجودها في التراث البشري يدل على واقع فهذا الذي أردت أن أتوصل إليه أن وجود أربعين في زمن الفراعنة حتى في تاريخ المصريين القدامى وتاريخ مصر وحضارة مصر قديمة تحكي واقع قدم وحضارات قديمة بشرية كتاريخ مصر وكتاريخ الهند واليمن والكثير من الأمم الأخرى كل هذه الحضارات إن وجدنا فيها شيء لا نحكم عليها بالبطلان لعل انحرافاً حصل لكن لها جذور تأريخية تحكي واقعاً هذا الذي أردت أن أتكلم عنه وأبين أن ليس كل شيء نجده نقول ما هذا الإستدلال.

فإذن حضارات تحكي احتراماً لأربعين يوم الميت تدل على واقع قديم تأريخي لعله يرتبط بواقع تشريع أو نبوة، كما وأني أشرت في كثير من المواطن على أن الكثير من الانحرافات لها أصول حينما جاء الكثير من الناس ومن الأمم ليعبدوا أصناماً هذه الأصنام كانت مظاهر عن أرباب أنواع أرباب الأنواع تصوروها ملائكة هذه تصوروها لأنها مدبرة أمر ثم نسوا الملائكة ونسوا الحق تعالى وراحت النفس للمحسوس راحوا ليجعلوا الأصنام مظاهر حاكية عن تلك، ثم نسوا تلك وبقوا يعبدون أصناماً وهلم جرا.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال كان بين قول الله عزوجل: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾[١] مخاطباً لموسى وهارون عليهما السلام، بين هذا القول من الله سبحانه وتعالى وبين أخذ فرعون وإهلاكه أربعين عاماً، حينما خاطب الله موسى وهارون عليهما السلام أن دعوتكما بحق فرعون وجبروته قد أجيبت لكن ما تحققت الإجابة فعلاً وخارجاً إلا بعد أربعين عاماً، فإذن إمهال لتحقق شقاوة تامة أرادها الله تعالى لفرعون وجمعه في أربعين سنة إمهالاً وتمامية شقاوة وأراد صبراً لبني اسرائيل أربعين سنة فإذن هذه الأربعون لها مدخليات في شقاء

١ـ سورة يونس، الآية ٨٩.

في اختبار في سعادة و ما شاكل هذه الأمور.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قدم أربعين من المؤمنين ثم دعا استجيب له»[1]، من أراد أن يطلب من ربه حاجة فليقدم أربعين مؤمنا يدعوا بقضاء حاجتهم ليقضي الله له حاجته فإذن الأربعون هنا أيضاً دخلت.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾[2] قال: «كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة»[3] لأن الآيات تقول ثلاثين وأتممناها عشرة، فتارة يأتي الكلام عن أربعين وتارة يأتي الكلام عن ثلاثين أضيفت إليها عشرة، إنه قال: «كان في العلم والتقدير» يعني في العلم الإلهي «ثلاثين ليلة ثم بدا لله» أي من الله تعالى «فزاد عشراً»، هاهنا ثلاثون أخبر بها موسى عليه السلام، ثلاثون أخبر موسى قومه بها، كيف تخرج الثلاثون لتكون أربعين؟ الامام عليه السلام هاهنا يشير إلى حكمة الاختبار، إلى حكمة توصل إلى سعادة بأربعين وتوصل الى شقاء بأربعين، كلمة بدا الكثير من ابناء العامة مع كل الأسف لعدم قراءتهم لمذهب التشيع وأصوله

١ـ الكافي ٢: ٥٠٩، ح ٥.

٢ـ سورة البقرة، الآية ٥١.

٣ـ تفسير العياشي ١: ٤٤، ح ٤٦.

يأخذون كلمات من قوم آخرين جهال أوحاقدين ويهاجمون التشيع على أن الشيعة أنظروا إليهم كيف ينسبون البدا إلى الله سبحانه وتعالى أي أنه ما كان عالما أو كان مصمما فغير إرادة، أنا قلت في كثير من المواطن أن الإنسان المنصف لا يبادر ولا يسارع حتى بالنسبة إلى الشيوعيين الإلحاديين بالنقد عليهم ما لم يجد الشيء في كتبهم لكن مع كل الأسف أن أمة إسلامية ترى في نفسها الكرامة والأمانة وعدم العدوان تأخذ بأقوال مثل هؤلاء الجهال كالوهابيين وغيرهم من الأغبياء والجاهلين وتجعله حجة على الآخرين وهي فخورة أنها تلقى ربها بتصديق كاذب جهلاً يوم الحساب وهكذا تقرب أكثر أبناء العامة على طول التأريخ أربعة عشر قرنا آخذين من مثل هؤلاء معالم دينهم، فأقول أنا قد أشرت و بينت مفصلاً على أن ما المراد من البدا ليس معناه على أنه يظهر إلى الله تعالى، يظهر أمراً لغاية ثم للامتحان والاختبار يأتي بجديد من باب المحو والإثبات أي يتكلم عن أمر في واقع كون المحو والإثبات لغايات، لعل قائلاً يقول هذه ادعاءات؟ ليست بإدعاءات جاءت الأديان جميعاً بهذه الكيفية فنسخت الأحكام، جاءت الأديان من زمن آدم عليه السلام ما قال آدم عليه السلام حينما خاطب الذين كانوا معه أنذاك على أن ديني إلى ٣٠٠ سنة ثم لأصبح الناس من أول الأمر يترددون من مثل هذا الدين قال هذا شرع الله لكن شرع الله

بحسب الزمان والمكان بما يحمل ذلك الزمان والمكان وتلك العقليات يحمل مصلحة هذه المصلحة إذا انتهى هذا الزمان والمكان إنتهت مصلحتها فقد تنسخ آية ويأتي الله بآية أخرى شبيهة بتلك الآية، أو قد يكون العمل بعد ذلك مفسدة، فكما وأن الأحكام الإلهية في الشرائع جاءت من زمن آدم عليه السلام بما يناسب الزمان والمكان والمجتمع بما كانت تلك الأديان تحمل من مصلحة لا شك ولا ريب فيها و تحارب مفسدة لا شك ولا ريب فيها كذلك جميع الأديان كانت كذلك وليس بمستغرب على دين كدين الإسلام أمر الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون أن يصلوا إلى بيت المقدس ثم بعد فترة أمروا ببيت الله الحرام، هل كان الله تعالى غير عالم ثم بدا له أي أنه غير رأيا و وجد مصلحة وكان أمرا خفيا عليه ثم ظهر عليه لا يقول عاقل ولا يقول مسلم بمثل هذه المقالة على أن الله تعالى أمر نبيه بأمر ثم بعد فترة من الزمن وجده غير صحيح ثم أمره أن يصلي إلى بيت الله الحرام فما قبلناه في شرائع السماء نسخاً أي انتهاء لأمد حكم هو بنفسه في واقع التكوين يكون، فكما وأن الأحكام ينتهي أمدها كانت لمصلحة ثم تنتهي تلك المصلحة وتأتي مصلحة أخرى بكيفية ولو أرقى منها كذلك هو واقع التكوين الله سبحانه وتعالى يجعل موجوداً إلى أربعين يوم نطفة ثم يجعله بكيفية أخرى ليس معناه أنه ندم وغير، التكوين في سيره

وسلوكه كمالاً أو شقاء يحتاج إلى سير وسلوك فهاهنا أيضاً نقول وخلاصة الكلام البدا هو الإبانة والظهور بعد الخفاء لكن لا لله تعالى كما ظن أبناء العامة بتبع الحاقدين من وعاظ السلاطين، وهو أن يظهر الله تعالى شيئاً لغاية كما في التشريعيات قلنا هكذا يظهر شيء لغاية، يأمر المسلمين بالصلاة إلى بيت المقدس ثم حينما تنتهي تلك الغاية يأمرهم أن يتوجهوا إلى بيت الله الحرام، فكما تصورنا ذلك في التدوينيات لمصالح أخفاها الله تعالى حينما أمر بشيء كذلك في التكوينيات يقول بشيء ثم يبين حقيقة أخرى، يقول بثلاثين يوم ثم يغير وليس معناه أنه تغيرعنده بل أراد أن يمتحن ويرى ثم يغير وهو واقع عالم المحو والإثبات وعنده أم الكتاب، هناك أمور لا تتغير هذه المتغيرات متغيرات بحسب المكان والزمان وبحسب المصلحة لا متغيرات علم، وهو تغيير الأشياء تكوينا والنسخ هو انتهاء أمدها حكما وقلت من أحب التفصيل فالتفصيل موجود على الموقع يرجع إليه في مسألة البداء.

إنه قال: ﴿وَإِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إنه قال عليه السلام أي أبا جعفر عليه السلام: «كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ثم بدا لله فزاد عشراً فتم ميقات ربه للأول والآخر»، كأنهما ميقاتان، ميقات أول لغاية وهذا الميقات الثاني يكمل الميقات الأول فلما كان مكملاً بهما معاً تتحقق تلك الغاية فأراد الله تعالى أن يرى المجتمع كيف يعيش فتم

ميقاته الثاني وبالثاني تم أربعين ليلة، فقال إنها محرمة عليهم أربعين سنة: شاهدنا هاهنا، صار الميقات الثاني مع الأول كميقات واحد لغاية ثم قال عليه السلام حكاية عن القرآن المجيد إنها محرمة عليهم أربعين سنة، يعني مصر أن يدخلوها يتيهون في الأرض، لماذا هذا العدد بالتحديد؟ الله تعالى في واقع التكوين له غايات تسوق إلى سعادة أو شقاء فلما أراد موسى عليه السلام أن يفارقهم فزعوا وقالوا إن خرج موسى عليه السلام من بيننا نزل علينا غضب الله وعذابه ففزعوا إليه وسألوه أن يقيم معهم، خوفا من نزول سخط الله عليهم، ويسأل الله تعالى أن يتوب عليهم، فأوحى الله إليه قد تبت عليهم، إذا كان الله تعالى قد تاب عليهم فلماذا يتيهون في الأرض أربعين سنة؟ من أجل أن يرجعوا إلى رشدهم، يعني أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام قل لهم إني لا أريد أن أنتقم منهم أريد أن يكون الشيء أبدا لهم، ماذا كانوا قد صنعوا حتى يؤدبوا وأن يحرموا من دخول مصر عقوبة لهم أربعين عاما؟ قال عليه السلام حينما قالوا إذهب أنت وربك فقاتلا، الله أراد منهم أن يتيهوا أربعين سنة، يعني إما كحكم أن يتيهوا وهو بعيد، حسب الظاهر على أن هذه النفوس التي هي بهذا السقوط يجب أن يأتي جيل آخر يرى نتاج فعل آباءه المتقدمين حتى إما أن يسير على مسالكهم فيعيش ضياعا بعد ضياع أو يأخذ عبرا من أخطاء مضت حتى يتمكن بعد ذلك أن يدخل مصر وهو

ليس بمنع شرعي بل هو كينونة لحياة جديدة إن غيروا النفوس بهذا الوقت المحدد كأربعين سنة كانوا أهلاً ليدخلوا غير أذلاء إلى مصر وإلا لو دخلوا في أي بلد لكانوا أذلاء مرة ثانية كما كانوا في مصر قبل ذلك تحت راية فرعون أذلاء لا قيمة لهم.

وورد أن الأطوار الثلاثة النطفة والعلقة والمضغة تكون في ستة أسابيع فهي إما تماما أربعون يوم أو كما قالوا أكثر من ذلك بقليل لكن بالنتيجة هي مقاطع أربعين أربعين أربعين حتى تأتي مرحلة نفخ الروح فتكون مرحلة جديدة فإذن حتى في واقع تكويننا يأتي عدد الأربعين في تخمير طينة آدم عليه السلام ويأتي عدد الأربعين في مراحل تكويننا من نطفة إلى نفخ الروح هذا كله ليس أمرا من باب الصدفة هذه حقائق مرتبطة بكمال لكمال آخر مرتبطة باختبار لسعادة أو شقاء وما شاكل هذه الأمور.

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (١) احتبس الوحي عن النبي صلى الله عليه وآله أربعين يوماً، هناك كلمات كثيرة ونسيج عجيب وغريب ساقه القوم لأنفسهم أن الله تعالى حينما خاطب نبيه ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ بقي النبي صلى الله عليه وآله مضطرباً لا يدري أنزل الوحي على آل أبي الخطاب أو نزل على زيد أو نزل

١ـ سورة الضحى، الآية ٣.

فجاءوا هاهنا وصاغوا لأنفسهم كرامات للخليفة الثاني، الله تعالى لا نبيه بهذه المرحلة ولا الله تعالى يعطي مجالاً لمثل هذه المتاهات بعد كون محمد صلى الله عليه وآله سيد الكائنات والرجل الذي يدعى في حقه ما يدعى يا ليته كان يعيش فطرة ولم يعش الوثنية؟ الذين هم بهذا القمم حتى يتردد الرسول صلى الله عليه وآله أنه إذا تأخر الوحي قد يكون نزل على زيد يجب لا أقل أنهم كانوا يعيشون عقلاً ومن عاش عقلاً لا يعيش دناءة وسقوط عبادة الأوثان ومن كان يعيش سلامة فطرة أيضاً لا يعيش هذه أبداً ومطلقاً فضلاً عن كونه كان يعذب النساء وكان وكان، لكن أمور افتعلت وخلقت من أجل جهات وغايات معينة، لكن أريد أن أقول هذا الامتحان وهو أربعين يوم، أراد أن يختبر عقول المسلمين أفي عقولهم من يتردد في محمد صلى الله عليه وآله إن تأخر عنه الوحي؟ أفي عقولهم من أناس منحطين سيترددون لعله إن تأخر سيكون لعمر بن الخطاب فوجد هذه الأمة أيضاً بكيفية ثانية هي حاضرة لكل متاهات، عدد الأربعين هو إما كشف لنفوس عظيمة للأخذ بها إلى سعادة أخرى أو كشف لنفوس حاضرة للانقلاب على الأعقاب والخروج عن الفطرة وزي العقل، فكشف الله نفاقا وجهلاً وكشف الله على أن هناك نفوساً مستعدة بدلاً من سيد الكائنات أن تبحث عن ختام النبوة في بيد زيد أو عمرو هكذا هو الجهل يصنع بهذه الأمة ويختبرها الله بأربعينها عددا.

وكذا أثر بعض الأعمال يستمر أربعين يوماً قال الإمام الباقر عليه السلام: من شرب الخمر لم تحسب له صلاة أربعين يوماً، وأنا أشرت إلى هذا على أنه ليس المراد على أن صلاته والعدم تكون بكيفية واحدة، لكن معناها أنه لم تحسب له الصلاة التي يجب أن تحسب لمؤمن.

وقال ص: من اغتاب مسلما أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وهنا يجب علينا أن نتوقف حتى لا نضيع أعمالنا بالغيبة التي هي حلاوة المجالس وحلاوة الجلسات وعلينا أن نبدأ بأنفسنا كيف نعيش وكيف بدلاً من أن نفكر بمعاييب أنفسنا لإصلاحها نذهب وكأننا صلحاء نريد أن نصلح الآخرين ولو بهتيكة الناس، وهذا واقع إجتماعي ومرض عام سائد في المجتمع، حلاوة المجالس هو ذكر عيوب الناس ولذا قال من اغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً لا يراد على أن الذي يغتاب الآخرين صلاته بحكم العدم لكن هي ليست صلاة مقبولة كما تقبل من المؤمن، فهو كلام عن المرتبة وليس سلباً للجنس من أصله ولست بصدد اكثر من ذلك إلا أن يغفر له صاحبه، إلا أن يذهب معتذراً من الذي إغتابه ويغفر له ذلك الشخص وإلا صلاته مقبولة دون مرتبة القبول عند الله تعالى إلى أربعين يوم، فإن جدد الغيبة بعد ثلاثين إستمرت مرة ثانية وهلم جرا.

باب إستحباب دعاء الإنسان لأربعين مؤمن قبل أن يدعو إلى نفسه:

هذا الباب موجود في الفقه على أنه يجب أن يدعو الإنسان لأربعين مؤمن ثم يدعوا لنفسه وهكذا كانت فاطمة عليها السلام وكذا مسألة الاستغفار أولاً يستغفر لأربعين مؤمن ثم يستغفر لنفسه حتى يغفر الله له فيكون الغفران اكثر وأسرع في هذه المواطن والحمد لله رب العالمين.

تكملة المعاني في عدد الأربعين

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من قدم في دعائه أربعين من المؤمنين ثم دعا لنفسه استجيب له»[1] فإذن عدد الأربعين نجده مرة ثانية وثالثة ورابعة يأتي في كثير من محاور البحث ومما يعود إلى شرع الله تعالى.

وأما ماذا عن أربعين الإمام الحسين عليه السلام الذي نحن بصدد التكلم عنه، تكلمنا عن العدد ومناسبة هذا العدد مع زيارة الأربعين فهناك لاشك ولا ريب الأحاديث الكثيرة في فضل زيارة الحسين عليه السلام وفي الثواب الذي يعده الله تعالى لمن قصد أولياءه بمعرفة إليهم قاصداً إحياء تلك الشعائر وقد اعتبرت الروايات أن من علامات المؤمن زيارة الأربعين وهناك روايات تشير إلى أن أول من زار القبر الشريف، لا ننسى أن هناك نظاماً جاهلاً جائراً تسلط على هذه الأمة فمنع حتى من زيارة الأولياء، فكانت الناس تخاف من الزيارة خوفاً من الاتهامات و من الحكام، فأول من زار القبر الشريف هو

١ـ الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٥٦، ح ٤.

جابر بن عبدالله الأنصاري وقد استمر زيارة القبر الشريف واستمر إجرام المجرمين لكل من يزور قبر الحسين عليه السلام في الأربعين وفي العاشر من المحرم وإلى يومنا هذا نشاهد الإجرام قائما بالنسبة إلى زوار الحسين عليه السلام ولم نجد مع كل الأسف من السنة وأبناء العامة رداً لمثل هذه الجرائم، ونرى الأمر متواصلاً وتدفع من أجله الأموال واكثر الناس يعلمون من الذين يدفعون الأموال لهؤلاء الجهال؟

إن أول من زار القبر الشريف هو جابر بن عبد الله الأنصاري جاء قاصدا القبر الشريف من المدينة المنورة ويقال كان في اليوم الذي عاد فيه ركب السبايا من الشام إلى كربلاء، وهناك زيارة لجابر زار بها الحسين عليه السلام بعد أن قال ثلاثا يا حسين ثلاثا وقال في ضمن زيارته حبيب لا يجيب حبيبه إلى أن قال فأشهد أنك بن خاتم النبيين وبن سيد المؤمنين وبن حليف التقى وسليل الهدى إلى أن قال وخامس أصحاب الكسا وبن سيد النقباء وبن فاطمة سيدة النساء حتى قال فطبت حيا وطبت ميتا غير أن قلوب المؤمنين غير راضية بفراقك ولا شاكّة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه وهناك زيارات واردة عن الأئمة عليهم السلام منها : السلام على ولي الله وحبيبه السلام على خليل الله ونجيبه، السلام على صفي الله وبن صفيه السلام على الحسين المظلوم الشهيد، السلام علىأسير

الكربات وقتيل العبرات.

وقد ورد عن الرسول ص: إن الارض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً، وقد ورد عن الامام الباقر ع: أنه قال إن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين صباحاً، لست بصدد تفسير الروايات التي وردت في هذا المضمون وإنما التأكيد على هذا الرقم وقد جاء في الاحاديث أنهإنصرف آدم عليه السلام يبكي على هابيل أربعين يوماً و ليلة، نحن نعلم أنا بمجرد أن نقول أن السماء بكت على الحسين عليه السلام أربعين يوماً أو أن الأرض بكت على الحسين عليه السلام أو على مؤمن أربعين يوماً هناك من يسخر من الوهابين ومن كثير من الجهال أنظروا ماذا يقولون إن السماء بكت على إمامهم وأن الأرض بكت على إمامهم فيجعلون هذا سخرية وأخذاً للانتقاد على الشيعة يقولون أنظروا إليهم تجاوزوا الحدود من بكاء الإنس والجن على إمامهم حتى راحت السماء أيضاً لتبكي، حقهم أن يقولوا بذلك لأنهم لو قرأوا كتاب الله قراءة معرفة لا حفظ لوجدوا في كتاب الله قولاً يشير إلى ذلك قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ [1] فإذن السماء يمكن أن تبكي على أحد، يمكن أن تبكي الأرض على أحد، فإذن هناك الارضين والسماوات والكون

١ـ سورة الدخان، الآية ٢٩.

كله له لسان يسبح ويقدس نحن لا نفهم كيف يبكي السماء على نبي على ولي أو على صديق ليس ذلك دليل على أنها لا تبكي على أحد، قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾، فاذن السماء قد تبكي على مؤمن والسماء قد تبكي على حسين عليه السلام، هذه كلها لابد وأن نتأملها.

وقد جاء في الاحاديث عن معاوية بن وهب يقول: استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي: ادخل فدخلت فوجدته في مصلاه فجلست حتى قضي صلاته فسمعته وهو يناجي ربه قائلاً: «يا من خصّنا بالكرامة وخصّنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا اغفر لي ولإخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله وإجابة منهم لأمرنا وغيضاً أدخلوه على عدونا أرادوا بذلك رضاك فاكفهم عنّا بالرضوان» إلى أن قال عليه السلام: «اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم» أي على الذين يزورون قبور الأولياء، «إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا وخلافاً منهم على من خالفنا فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس» إلى أن قال: «وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا وارحم تلك

القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم الصرخة التي كانت لنا. اللهم إني أستودعك تلك الأنفس» أي التي تزور الحسين عليه السلام «وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش»[١].

قال الراوي فما زال الإمام عليه السلام ساجداً وهو يدعو بهذا الدعاء ولست بصدد حصر الأدعية ولا بصدد حصر الزيارات ولا بصدد بيان الثواب لكنه إشارة والناس قد سمعوا ذلك في المنابر كثيراً كثيراً، فنعود مرة ثانية للأعداد تلخيصاً وبياناً لأصول ما ورد فيها من أهمية:

١ـ نقول إن الوحدة بما هي وحدة إن إعتبرناها عددا أو مبدأ للأعداد ترمز إلى البساطة واللانهاية ذاتا وهي الوحدة الحقة الحقيقية الإلهية التي هي واقع الكون بكله وبتمامه كما وأنها ترمز إلى رتق ووحدة تامة فعلية بها طرد الله العدم عن صفحة الإمكان وتسمى بالوحدة الضلية أو الحرفية أو الآلية أو الفيض أو النفس الرحماني وترمز هذه الوحدة إلى وحدة تامة وهي اللطف الإلهي وهي الرحمة المطلقة الفعلية التي طردت العدم ظهورا لأسماء الله تعالى فكانت وحدة لظهو الجلالة وهو الله تعالى وكانت ظهورا لكثرات تبعاً لأسماء الله تعالى متكثرة متجلية في الكون وهناك ما

١ـ الكافي ٤: ٥٨٢، ح ١١.

يدل على وحدة أول ما خلق الله العقل، أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر وهلم جرا فإذن للأعداد واقعية وحقيقة لا نغفل عنها.

٢ـ وكذلك الثلاثة ترمز إلى المبدأ تعالى وترمز إلى لطفه في مرتبتين في مرتبة لطفه لبعثه للأنبياء وفي مرتبة لطفه في جعله الأوصياء بعد الأنبياء تتميماً للطف الإلهي لمن شاء إلى ربه سبيلاً وما ضاع بعد الأنبياء الذين هم مظهر لطف الله تعالى تابعا الجهال والحكام والظالمين راح ليعرف على أن عدد الإثني عشر ما جاء تشهيا.

٣ـ بل جاء عدد الإثني عشر ليقول للعالم من شاء تغيير حضارة وكيان، من شاء أن يبتعد عن حضارة الجاهلية لا يكون التغيير بحكم يغير حضارة أمة، بل سير أمة بعد أنبياءها تحت راية الأولياء مطيعة لهم تشاهد معالم الربوبية علماً وعملاً بواسطة هؤلاء العظماء على طول التأريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد جميع الأنبياء هو الذي أراده الله تعالى كمالاً للأمم، ليخرجوا من حضارة الجاهلية إلى حضارة رسالات السماء، فإذن بالثلاثة نشهد الحق بواقع لطفه متجليا في ذات لطفه ومتجليا في أنبياءه لطفا ومتجليا بأوصياء الرسل لطفا فتكون الثلاثة رمزا لهذا اللطف بأبعاده الثلاث ويكون عدد الإثنا عشر تكملة لتمامية الرشد وتمامية السير والسلوك للخروج من جاهلية حقا لكي يكون المسلم مسلماً، الآن المسلمون

بملايينهم لا يشكلون قيمة لأنهم لا يحملون علما ولا يحملون واقع عدل ولا يحملون معالم، لماذا ضاعوا هكذا؟ لأنهم ما ساروا مسالك الأولياء بعد الأنبياء.

٤ـ والسبعة ترمز كما قلنا إلى اللانهايات قابلية واستعداداً لكي تشير إلى لانهاية ذاتية وهي لانهاية الحق فالسبعة كانت رمزا للقبول إلى اللانهايات قاصدة اللانهاية في سيرها وسلوكها إلى الله بسبع سماواتها وأرضينها هذا خلاصة ما تقدم عن الأعداد.

٥ـ والأربعون رمزت إلى مراحل تمامية السعادة لمن أراد لهم سعادة وإلى الشقاء لمن أراد لهم شقاء بسير وسلوك واختيار هذا خلاصة الكلام بالنسبة إلى هذه الأعداد وعلى الإنسان أن يتأمل فيها ليجد كيف كانت كلمة الأربعين، كيف كان عدد الأربعين سببا لكثير من الأمور حتى يتأمل الإنسان أن الأربعين ترمز إلى أي شيء والمقصود عدد الأربعين لا أربعين الإمام الحسين عليه السلام، حتى نكتسب معارف من كتاب الله تعالى .

ونحن أيها الإخوة والأخوات في رحاب الحسين عليه السلام أردنا في الخاتمة أن نقرأ أبياتاً في ذكر الحسين عليه السلام نظمتها عن سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام:

أكاد للوجد ومر الفراق — أطير شوقاً نحو أرض العراق
أكاد للسكرة رغم الوثاق — أجب ذا الكون بخطف البراق

دعني ولا تعتب على العاشقين   يا صاح فالحب لباب اليقين
وهو سبيل الحق للسالكين   وفي دنا الأوهام حبلٌ متين
فاشرب كؤوس الخلد قبل الفوات   وإطرب ولا تخش دنو الممات
فسكرة الوجد سبيل النجاة   فلا تبح سر الهوى للغفاة
إني أيا صاح شربت المدام   من قبل أنفاق الدجى والظلام
شربتها في المهد قبل الفطام   وبعد ذا من كأس خير الأنام
والله لو قطعني الماكرون   وداس أشلائي سرى الغافلون
ما حدت عن قوم هم الصادقون   منهم حسين السبط والعالمون

نختم حديثنا في هذه السنة في شهر محرم الحرام بهذه القصيدة ونرجوا من الله تعالى أن يساعدنا في معرفة شرع الله تعالى اكثر فأكثر وأن نتأمل في كلمات العظماء كالأنبياء والأوصياء لكي نسير على دربهم درب النجاح والسعادة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

سر خلود الثورة الحسينية

موضوع بحثنا أيها الإخوة والأخوات في مسألة تعود للإمام الحسين عليه السلام وهي المحتملات في سر خلود الثورة الحسينية حيث راح هاهنا الكثير من الأعلام والكُتّاب وأصحاب الرأي ليبدوا آرائهم في سر خلود هذه الثورة مع ما أن على طول التأريخقد مر التأريخ البشري بكثير من الحوادث أصبحت في طي الكتمان فنقول إن كل حدث لابد وأن يعلل سر خلوده بعلة أو بعلل وأسباب ومن جملة هذه الأحداث الخالدة على ممر الدهور والعصور هي الثورة الحسينية حيث أن هنالك الكثير من البواعث والدواعي التي قد يكون لها الأثر البالغ في خلود هذه الثورة سواءً نظرنا إليها على صعيد معتقد يرسم معالم مذهب ككون هذا الحدث مرتبطاً بمذهب أهل البيت عليهم السلام وأنه يرسم لأتباع هذا المذهب منهجا يحمل الكثير من أبعاد عقائدية والكثير من أبعاد ترتبط بالسير والسلوك نحو الله أو تطبيقاً للعدالة على وجه الأرض أو بما كان لهذا الحدث وهو الثورة الحسينية من خلود على صعيد إنساني عام يعني ربما نبحث سر الخلود لأن هذا الحدث مرتبط

بمذهب وقد نبحث عن سر الخلود لأن هذا الحدث يرتبط بالإنسانية بما هي وإذا كان الحدث مرتبطاً بالإنسانية هناك يجب أن نجد أن أي معالم للإنسانية قد حملها هذا الحدث ليكون سبباً لخلوده حتى يكون قد تخطى جميع القيود زماناً ومكاناً ومذهباً وحضارة ليكون معلماً من المعالم الإنسانية وما نحن بصدد البحث عنه كما هو واضح هي الثورة الحسينية وربما لا يكون مبالغاً فيه إذا قلنا على أن هذه الثورة قد تخطت جميع القيم بما لها من قيود خاصة مذهبية، قومية وماشاكل هذه الأمور لتكون ثورة تتطلع إليها الإنسانية ولذا راح صدى هذه الثورة ليكون في العالم جميعاً على اختلاف الرؤى وعلى اختلاف التفاعل مع هذه الثورة.

فأخذ منها أتباع لمذهب مسالكاً وطريقاً للوصول إلى ربهم وآخر وجدها علَماً يُرفع للحرية والكرامة بعيدا عن الذل والهوان وهؤلاء هم الأحرار والثوار حينما اختاروا من بين الرايات التي يجدونها في ظلمات الدهور مرفوعة الكثير منها هي رايات ضلال والكثير منها وإن طبعت بطابع دين لكنها راحت لتدعو المجتمع إلى الإستسلام إلى الحكام مدعية أن الإستسلام للحكام ما قام عليه الإجماع وما ثبت عملاً من طريق الصحابة الذين أسندوا الحكام ولو كانوا ظالمين مثل هذه النبرات الداعية إلى الذل والإستسلام إلى السلطات لايمكن أن يتقبلها حرعلى وجه الأرض ولا ثائر ضد

جهل أو ضد ظلم وراح ثالث فوجدها أي هذه الثورة راية سلم وإخاء فمد إليها طرفا وهو يتطلع إلى حلم الإنسانية حيث وجد في اتّباع هذه الراية وجد جميع الأمور قد تهاوت وتساقطت، وجدها راية اجتمعت تحتها الكثير من الأمور التي لا جامع بينها بحسب العادة فوجد تحت هذه الراية العرب والأعاجم وجد تحت هذه الراية المسلم والنصراني لأنها راية دعت إلى العدالة والإنسانية ولذا يجد المتتبع لركب الحسين عليه السلام جميع الطوائف عربا، أعاجم، مسلمين، نصارى يجدهم متواجدين تحت هذه الراية على قلة عددها لكنها تحمل من القيم الكثير الكثير وهكذا هو ركب العظماء على طول التأريخ وإن كان ركبهم لا يسير فيه إلا القليل لكنه كثير من حيث القيم، كثير من حيث الهمم، مثل هذه الرايات لا تنال منها الأمور التي تدعو إلى تمزيق الإنسانية والبشرية كأنها شموس لامعة كأنها أنجم ساطعة لايمكن أن تكون الظلمات وضيق الرؤى مؤثرا عليها ولذا وجدنا أن دعوة الأنبياء كانت دائما دعوة إنسانية ولذا كان الأنبياء الكرام والأبرار والصالحون على طول التأريخ إخوة على مسير ومنهج واحد يسند بعضهم بعضاً ووجدنا أنفسنا كأتباع للديانات نسبنا أنفسنا إلى محمد صلى الله عليه وآله وآخرون نسبوا أنفسهم إلى عيسى عليه السلام أو إلى موسى عليه السلام على الرغم من كون الأنبياء وأتباعهم على طول التأريخ كانوا يسيرون

على منهج واحد إخوة في صراط مستقيم لكن مع كل الاسف وجدنا أنفسنا متناحرين متحاسدين يكفر بعضنا بعضا ويسعى كل واحد للنيل من الأخرين هكذا هم من ينتسبون إلى الأنبياء على طول التأريخ لكن تلك الراية وهي راية ركب الحسين عليه السلام جمعت لأنها كانت راية عامة إنسانية.

ولذا نحن نحاول في بحثنا هذا التعرض لبعض المحتملات الدخلية في سر خلود هذه الثورة ونحاول الابتعاد بقدر المستطاع عن روح الخطاب الإعلامي، ما المراد من روح الخطاب الإعلامي؟ هناك بعض الخطابات إن تأملنا فيها سنجدها بعيدة عن روح الدليل والبرهان ومن باب التقريب الذهني نقول إن هناك من علل خلود هذه الثورة بالخلوص لله تعالى نحن لا نتردد أن من جملة بواعث خلود هذه الثورة هو ما كان يحمله الحسين وأصحابه عليهم السلام من خلوص لله تعالى لكن لا يمكن أن نجعل هذا علة ونقول هذا هو العلة لخلود هذه الثورة لم؟ لأن على طول التأريخ مر أنبياء كرام ومر معهم الكثير من الأبرار والصالحين، لعلنا اليوم ما سمعنا حتى بأسمائهم فلا يمكن أن نقول إذا خلصت النية صار الأمر خالدا هناك الكثير من النيات كانت خالصة على طول التأريخ وهناك الكثير من الناس على طول التأريخ قدموا الكثير من الضحايا لكن بمرور الأيام أصبحت تلك الأحداث نسياً منسياً فإذن

لا يمكن أن نقول أن العلة الوحيدة لخلود الأمر هو الخلوص لله تعالى الخلوص في كثير من الرايات التي حملت على طول التأريخ كانت موجودة لكن ما وجدنا الحدث خلّد كما خلدت قضية الحسين عليه السلام.

فإذن نقول حدث شاء له القدر أن يكون حياً على صعيد الإنسانية على الرغم من سعي الجبابرة والطغاة ومن كان في ركبهم ومن يكون في ركبهم بكل جهد أن يطمسوا معالم هذه الثورة منذ قام الحسين عليه السلام ضد بني أمية وجميع الحكام على طول التأريخ الطغاة حاولوا ويحالون وبواسطة أتباعهم ومن يعيش معهم وفي ركبهم أن ينالوا من هذه الثورة وأن يحرفوا معالمها فمع كل هذا التحريف ومع كل هذه القسوة التي ارتكبت بالنسبة إلى هذه الثورة وأتباعها كأن هؤلاء راحوا ليصبوا الزيت على الحطب كلما بذلوا جهدا للقضاء عليها اشتعلت أكثر وتجلت أكثر وانتشرت أكثر واندفع من يعتقد بها إلى التضحيات أكثر، هذا من جانب السلاطين، من جانب الجبابرة والمنحرفين من جانب وعاظ السلاطين وهناك بقصد أوبدون قصد جهلاً الكثير من المنتسبين لمذهب أهل البيت ينالون من حيث لا يعلمون من هذه الثورة بشتى الطرق وبشتى الأمور سواءً التفتوا أو ما التفتوا، من تأمل أن الكثير من الذين يسمون بعض الأمور شعيرة حسينية لا ربط لها بواقع ما

قام من أجله الحسين عليه السلام ولا أريد أن أدخل في هذه التفاصيل لكن أقول حدث ربما اتّحدت عليه الكثير من الأيدي للنيل منه كالأعداء لآل البيت وبعض الموالين ولو جهلاً راحوا لينالوا من هذا الحدث تشويهاً له وابعاداً له عن غاياته ربما دفعتهم دوافع المصالح أو دفعهم الجهل بغاية شرعية ودينية قام من أجلها الحسين عليه السلام ونأمل وندعو الله أن لا يكون هناك من هو بقصد ودراية منتسباً لأهل البيت يريد النيل من هذا الحدث العظيم لأن ضربة المنتسب إلى مذهب ودين تكون أخطر وأشد وأعمق تأثيراً من ضربة عدو معلن عدائه لمذهب أو دين .

حتى راح ليقول بعض أعداء مذهب أهل البيت بعد كل ما بذلوا من جهد على طول التأريخ للنيل من هذه الثورة حتى لا تكون سببا لإيقاظ أمة وخروجها من غفلة راح ليقول قائلهم مستميتاً في الدفاع عن الباطل تأييداً لأسياده الحكام على الرغم من كوننا اليوم نعيش زمناً الوعي فيه أكثر من السابق بمعنى أن الكثير من غير أتباع أهل البيت أصبحوا لا تملى عليهم الأمور والقضايا إملاء بالمائة مائة هناك من يتأمل ومن يتردد، هناك من أصبح يشك في كثير من المقالات التي يحاول أعداء آل محمد أن ينسبوها إلى التشيع أو أن يحرفوا بها ثورة الحسين عليه السلام من أنه قام على إمام زمانه ومن قام على إمام زمانه كان باغياً وأن أمير

المؤمنين يزيد كان منتخباً ولو من قبل معاوية وكان أميراً قد بايعه المسلمون فمن خالفه كذا وهكذا نسمع إلى يومنا هذا الكثير من مثل هذه المقالات من بعض من هو من الوهابيين أو من من يدعي السلفية وما شاكل هذه الأمور.

فنقول إنا بصدد ذكر بعض المحتملات التي يمكن أن تكون من عوامل خلود هذا الحدث العظيم ولا ندّعي أنا نحيط بكل أسرار هذا الخلود لكن نقول هذا ممايمكن أن يكون من أسرار هذا الخلود فنقول إن هناك عوامل عدة كانت هي السبب لهذا الحدث وخلوده فمن أهم البواعث والدواعي لسر هذا الحدث العظيم كونه دخيلاً في عمق شرع الله تعالى، كيف يكون هذا الحدث دخيلاً في عمق شريعة رسول الله وآلهوأي رابطة لهذا الحدث في واقع شرع الله؟ نقول: شهود الحقائق بأعماقها تحتاج إلى صفاء تحتاج إلى نظرة نزيهة عن قيود الطائفية عن قيود الجهل والأحقاد فمن تأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1] هذا الذكر بلا شك ولا ريب هو كتاب الله المجيد وإذا كان الذكر هو كتاب الله المجيد نأتي لنرى كيف يمكن أن يكون هذا الحدث هو ما أخذ الله تعالى على نفسه لطفاً بحال العباد أن يحفظه الكلام وارد

١ـ سورة الحجر، الآية ٩.

في الكتاب المجيد أن الله سبحانه وتعالى لأنها شريعة الخاتمية ولا رسول ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله أخذ على نفسه إتماماً للحجة ولطفاً بحال العباد أن يجعل هذه الشريعة محفوظة بكتاب الله المجيد لكن هذا ما أخذه الله على نفسه بالنسبة إلى الكتاب المجيد أما بالنسبة إلى حدث كحدث كربلاء لعل قائلاً يقول أي رابطة لهذه الآية الشريفة بهذا الحدث؟ نقول نحن سمعنا علياً عليه السلام يوماً من الأيام في صفين يخاطب المسلمين حينما رفع المصاحف مكرةٌ كعمرو بن العاص ومعاوية ماذا قال علي عليه السلام قال: «أنا القرآن الناطق» ما معنى هذا الكلام الذي يقوله علي عليه السلام؟ لا أريد أن أدخل بحثا عرفانيا في المقام إلا إشارة، علي عليه السلام الذي هو مظاهر تجليات أسماء الله سبحانه وتعالى علي عليه السلام الذي هو نفس رسول الله بنص الكتاب المجيد، علي عليه السلام الذي هو واقع سلام الفطرة و العقل و واقع باب النبيين يقينا هو القرآن الناطقلأن القرآن حينما يقع بأيدي الناسكل واحد يفسره على قدر فهمه وكل واحد يرى منه جانبا من الجوانب ورب ذنب حجب عن رؤية وعن مشاهدة أمر وربّ قصور حجب عن رفيع مقام للكتاب المجيد بما له من البطون فإذن من هوالذي ينطق ويكون شرحاً وبياناً للقرآن بظاهره وباطنه بعامه وخاصّه بكل أبعادهأهو أنا وأمثالي من الذين لا يتمكنون أن يحيطون بما أنزل الله تعالى سبحانه وتعالى، أم هم أولئك العظماء الذين عرفوا

الكتاب بواقعه فكانوا لسان صدق له فإذا قال علي عليه السلام أنا القرآن الناطق ليس كلاماً ليكون مبالغة أو ليكون تجاوزاً عن مرحلة، يقيناً الذي ينطق لبيان القرآن إن لم نقل هو قرآن و قلت لا أريد أن أدخل بحثا فلسفيا وأقول أن عليا عليه السلام هو القرآن، أريد أن أقول هو لسان القرآن الناطق به بكل أبعاده بيانا لظاهر وباطن وأعماق وأبعاد.

فإذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم أن المسلمين والرسول بعد مسجّى راحوا ليفسروا البيعة بعنوان والشورى بعنوان والخلافة بعنوان واختلفوا فيما بينهم مهاجرين وأنصار واختلفوا واختلفوا وقاتل بعضهم بعضا فكيف يتمكن الإنسان الذي يأتي من بعد تلك المرحلة وفي تلك المرحلة وقعت الأخطاء والاختلافات، فكيف أمثالنا الذين يأتي من بعد قرون من الزمن يتمكن أن يشهد القرآن ناطقاً، الصحابة ما وجدوه ناطقاً اختلفوا فيه واجتهدوا فيه وهلم جرا، فإذا كان القرآن ما كان للصحابة ناطقا اختلفوا فيه فكيف يكون لي أنا اليوم بعد مرور القرون وظلمات الدهور أجد القرآن ناطقا إن لم أجد من كان قرآناً ناطقاً فإذن نقول علي عليه السلام كان قرآناً ناطقاً ومن قبل الجميع كان الرسول صلى الله عليه وآله قرآنا ناطقا حينما كانت تنزل الآيات من كان يفسرها؟ لو كانت اللغة العربية كافية لنزل الكلام وقال رسول الله نزلت آية واذهبوا بها، كان رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تنزل الآيات يبينها فكانت السنة عِدلاً للكتاب المجيد هذا

القرآن العظيم الذي السنة كانت عِدلاً له، السنة أخذت مآخذها بروايات صحيحة وغير صحيحة وبرواة ربما كانوا صادقين وربما كانوا خاطئين وبرواة ربما كانوا شياطين.

فإذن نقول قول علي عليه السلام أنا القرآن الناطق ما كانت تجاوزاً في مقال لأن القرآن بواقع أبعاده لابد وأن يكون لسان صدقه الحقيقي بكل واقع الكلمة إنسان حفظه الله من الأخطاء بناءً على هذا نقول في يوم من الأيام نطق القرآن بياناً على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يوم آخر نطق القرآن على لسان علي عليه السلام وهكذا نطق على لسان الإمام الحسن عليه السلام وهكذا راح في كربلاء لينطق بالحق لمن شاء إلى ربه سبيلاً وإذا كان الله سبحانه وتعالى أخذ على نفسه أن يحفظ نصه فهو أولى أن يكون حافظا لأعماقه وأبعاده برجال هم عمقه وبعده وهم لسان صدقه لبيان بطونه.

فإذن نقول من جملة أعظم أسرار حفظ نهضة الحسين عليه السلام حية في النفوس البشرية فضلاً عن أتباع آل محمد، هو لأن هذه الثورة هو لأن هذا الحدث راح ليرسم معالم الشريعة أي شرعية؟ شرعية مرت بمقطعين مهمين من الزمان شريعة مرت بتصارع على الزعامات فحدث الانقلاب الأول على الأعقاب حينما ضربت الشريعة بمحتواها وبقي الإطار كمنظر يشاهده الناظر حينما وقف علي عليه السلام في المرحلة الأولى عند الانقلاب الأول والردة الأولى

وفاطمة سلام الله عليها لحفظ وتنبيه المجتمع بحدث عظيم حدث بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (١) ثم في المرحلة الثانية حينما وصل الأمر استهتاراً بشريعة رسول الله استهتاراً بكل القيم الإنسانية فضلاً عن شرايع السماء، العالم إن تخطّى الدين راح ليختار العقلاء قادة و العلماء قادة أما أمة محمد فتجاوزت كل القيم لم تتوقف على قيم سمتها صحابة ولم تتوقف على قيم تكون علماً أو عدلاً راحت لتنصب شباب جهلة فسقة شربتَ خمور، يوماً يقتلون حسيناً عليه السلام وهم يعلمون أن قاتله قتل ريحانة رسول الله، وفي يوم تمد اليد على المدينة برجالها وأعراضها ثم يؤخذ برجال هذه الأمة لكي يعترفوا على أنفسهم أنهم عبيد لآل أبي سفيان وقبلت هذه الأمة أن هذا دينا يرسم شرع رسول الله صفلما تخطى العدوان حسيناً عليه السلام والمدينة راح ليهدم الكعبة فهذه الأمة ما بالت أن يكون الأمير للمؤمنين فاسقا شاربا للخمر ينصب نصبا وراثيا لا شورى ولا عصمة ولا علم ولاعدل بل كرامة السلطان فوق الكعبة وأن تهدم، وكرامة السلطان فوق الصحابة وأن تقتل ويتعدى على أعراضها، فسرّ خلود ثورة الحسين عليه السلام لأنها

١ـ سورة آل عمران، الآية ١٤٤ .

مرحلة ثانية مرت عليها هذه الأمة حينما تجاوزت جميع القيم فضرب المحتوى في المرحلة الأولى ثم ضرب الإطار وقف الحسين فخلدت هذه الوقفة لأنها هي المرحلة الثانية للعودة إلى شرع رسول الله صلى الله عليه وآله ولولا موقف الحسين لصار منهج يزيد بشربه للخمور سيرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسنتم الحديث في المحاضرة القادمة إن شاء الله والحمد لله رب العالمين.

سر خلود الثورة الحسينية

كنا بصدد بيان بعض المحتملات في مسألة سر خلود الثورة الحسينية على صاحبها آلاف التحية والسلام وقد قلنا في المحتمل الأول على أن المراد من الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) شريعة الخاتمية لابد وأن تقام بكل معالمها على صعيدين، الصعيد الأول: لابد وأن تكون هذه الشريعة فيها ما يوصل إلى الله سبحانه وتعالى لمن شاء إلى ربه سبيلاً وما عاش غفلة ولا لهواً فمن شاء إلى الله السبيل لابد وأن يكون السبيل موجوداً متحققاً وليوم الحساب لابد وأن تكون الحجة البالغة لله تعالى حتى لايقول قائل يا إلهي أنا كنت في دنيا الظلمات فما كان هناك من سبيل أتمكن أن أتوصل به إليك لابد وأن تكون الحجة لله لا للناس لكي يكون الله سبحانه و تعالى إني بعثت نبيا وكان خاتم النبين وإني أخذت على نفسي لطفاً بحال العباد أن يكون هذا الذكر محفوظاً لا تتمكن أن تنال منه ظلمات

١ـ سورة الحجر، الآية ٩.

الدهور لقسوتها وجهلها لكنك كنت ضائعاً وغافلاً وكنت منهوماً على دنيا فإن فسرنا أن المراد من الذكر هاهنا هو القرآن فقط فمن طبيعة الأمر ووضوح العقل هاهنا على أن هذا القرآن الذي اختلفت فيه الصحابة والرسول بعد مسجّى، هذا القرآن الذي فسر بحسب فهم المسلمين إلى ٧٣ فرقة فسرته ونحن نجزم أن ما نزل على الرسول صلى الله عليه وآله هو منهاج واحد و صراط الله المستقيم فكيف يمكن أن تكون هذه كلها صحيحة واضحة داعية إلى الله سبحانه وتعالى فالمنهج الحق هو كتاب الله هذا الكتاب نعرف إن تأملنا في الأمر على أنه بما هو هو بدون أن يكون معه العدل وهو السنة النبوية لا يكون ناطقا وبدون أن تكون معه معالم سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله متجلية بواقعها لا لا بتبع الهوى والجهل والقصور والتقصير لا يكون متضحاً فإذن الذي أخذ الله على نفسه أن يكون باقياً محفوظاً وهو الذكر، الذكر نصاً والذكر فهماً لأن مجرد النص لا تقام به الحجة النص موجود لكن من كان غير عربي لا يتمكن أن يفهم من النص شيئاً فلو كان مجرد النص وجوده على الأرض كافيا لما كان هذا النص مجديا بالنسبة إلى غير العربي فإذن النص المراد هو ذلك النص المبين بواقع الأمر الذي يحكي القرآن بكل أبعاده ليكون قرآناً ناطقاً، إذا فهمنا أن القرآن الناطق هو كتاب الله المشروح بسنته الصحيحة الذي رسمه وأصبح متجليا على وجه الأرض

بخطاه أوصياء الرسول الإثني عشر يصبح المعنى واضحاً أن لله الحجة على الناس في يوم الحساب وأن له السبيل إليه لا بالقرآن بما هو قرآن الذي اختلفت فيه الصحابة والرسول بعد لم يقبر صلى الله عليه وآله، فكيف بنا اليوم لا نختلف فيه بعد ٧٣ راية كل واحدة تدعي أنها هي الحق.

فإذن نقول أن هذا القرآن الذي هو شريعة الخاتمية لابد وأن يكون ناطقاً وقد نطق بعد الرسول بواقع نطق هو كتاب الله لا اجتهاداً واحتمالاً بواسطة علي عليه السلام وراح ناطقاً بواسطة الأئمة لكن رب نطق حجبه ظلم الظالمين، رب وجود أبعده مع كل نوره الظلم والجور من أن يصل صداه إلى المجتمع، كما عاش الأئمة في بعض الأحيان كالإمامين العسكرين في ابتعاد عن المجتمع لظلم الظالمين لكن ثورة الحسين ما تمكن أحد أن يحجبها وأن يحجب صداها عن الأجيال فإذن كان القرآن ناطقاً بأبعاده مدوياً على كرة الأرض بكلها وبتمامها على الرغم من كل ما بذله الظالمون من جهد لطمس شريعة محمد صلى الله عليه وآله أتم الله نوره بواسطة الحسين عليه السلام فكان من أبرز المصاديق لهذا القرآن الذي أنزله الله وحفظه ناطقا متجليا بوضوح بالحسين عليه السلام فإذن من سر خلود هذه الثورة أنها قرآن الله الناطق الذي ما تمكن أن يحجبه أحد لأن الله شاء ذلك أن تصل صدى هذه الثورة بمعالمها المرادة إلى العالم وستكون اكثر

وضوحا وتجلياً بقيام المهدي عجل الله فرجه حينما يصبح القرآن ناطقا على صعيد عالمي بواقع العدل المشار إليه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١) نحن نعلم أن صدى هذا الواقع ما وصل إلى العالم وصار عدلاً إلهيا يفسر بواقع المراد، كل عاقل يفهم على أن الصلاة لا تكون صلاة إلا تحت ظل عدل الهي وكذلك الصوم والحج يصبح شعارا كما هو الآن، الناس تذهب إلى الحج وتعود تقوم بتكليف تسقط عن رقابها أمرا أما أنه عز للإسلام فما وجدنا الحج عزا للإسلام وجدنا الحج بأيدي جهال يسوقون الناس كيفما يشاءون ووجدنا المجتمع فرادى غير مرتبط يذهب كل واحد ليقوم بتكليف ويعود فما وجدناه مجتمعاً إسلامياً مترابطاً يتبادل الأفكار للرقي، فإذن سيكون القرآن ناطقاً بتلك الأبعاد والبطون اللامتناهية وحينما يصبح العدل حاكماً لكي تفسر كل حقائق الكتاب المجيد تفسيراً بعيدا عن خوف وتقية وجهل الجاهلين وهذا من المحتملات لسر خلود هذه الثورة.

ومن المحتملات أيضاً لسر هذا الخلود، أن هذه الثورة المباركة راحت لتعم بقيمها جميع الأمور فمع قض الطرف عن آية

١ـ سورة التوبة، الآية ٣٣.

ربما تكون مشيرة إلى سر هذا الخلود أو رواية أو عقل أو عرفان، نقول هناك وراء كل آية ورواية وتفسير لمفسر عاقل فقيه فيلسوف أو أي إنسان آخر كأن الإنسان يلمس أن هناك بعض الحقائق على طول التأريخ أرادها الله حية فتعلقت بها المشيئة الإلهية فهي وراء جميع الأسباب والعلل والدواعي فالمتأمل يلمس أن هناك لطفا بحال العباد شاء أن تكون بعض الحقائق حية في الضمير الإنساني هذه الحقائق التي أرادها وقال لها كن فيكون، من جملة هذه الحقائق التي هي دخيلة في المشيئة الإلهية هو أن هذه الثورة كيف بقيت على الرغم من كل القسوة التي مرت عليها وسنشير، كيف بقيت على الرغم من جهل حتى أتباع آل محمد لكن كانت ثورة و غيلانا ودمعة وثورة وكانت تهز ضمائر البشرية هذا كله لا يمكن أن يكون بدوافع فردية، أو بخطاب خطيب أو بكلمات متكلم يجد المتأمل أن هناك مشيئة إلهية أرادت بقاء هذه الثورة حتى تكون بمعالمها التي تخطت القومية و تخطت كل الشؤون وكل الأمور أرادها أن تكون باقية فإذن فوق كل الأسباب والعلل التي يمكن أن نتصورها هي مشيئة إلهية شاءت لهذا الهدف البقاء حدث كرست كل القوى لإذهابه في كربلاء تعتيماً وراح وعاظ السلاطين ليقول قائلهم بدون أي حياء ولا خجل لا من المجتمع ولا من رب العالمين أن حسيناً قام على إمام زمانه فكان باغياً مع كل هذا

تتساقط قوة السلطان ودجل الماكرين كوعاظ السلاطين ولا تؤثر لا رغبة ولاترهيب على طول هذه القرون وهذا كله يدل على أن هناك مشيئة إلهية شاءت بقاء هذا الحدث فإذن نتمكن أن نلخص كل الأمور بمشيئة وراء الأسباب التي يمكن أن تكون مترابطة وتابعة في تلك المشيئة.

وكذلك يمكن أن نجعل من المحتملات في المقام لسر خلود هذه الثورة: ما قدمت من تضحيات، الصدق له أثره لماذا سقطت أعظم الامبراطوريات في العالم فنسيت أو تبعتها اللعنات، تأتي الإمبراطوريات بقوتها و إذ بها بعد مائة أو مائتين أو ثلاثمائة سنة تصبح نسيا منسيا وتذكر بكل سلبياتها، لماذا ما تمكنت كل القوى بكل جهدها وبكل قوتها وبكل قسوتها وربما بالحادها أن تضرب أسس الأديان؟ جاء المد الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وإذ به ينهار كدولة عظمى وتبقى النفوس تحمل أديانا سقط الإتحاد السوفيتي وقد وجدنا مرة ثانية الإلحاد والشيوعية كأنها ما كانت في تلك البلاد، عادت الناس إلى نصرانيتها و إلى إسلامها وإلى يهوديتها وإلى معتقداتها، لماذا؟ لأنها كانت في القلوب فما كان السيف ينال منها، وربما تكون القسوة سببا لعمق المعتقد وهكذا هي ثورة الحسين عليه السلام ثورة الإنسانية مطارق الكون كلها كانت سبباً لعظمها لا لإذهابها وإضمحلالها فلذا نقول و يمكن أن يكون من

جملة دواعي هذه الثورة ما قدمت هذه الثورة بصدق من تضحيات، أي تضحيات هذه؟ قدمت من الرضيع حتى الشيخ الكبير هذه تعطيها خلودا أنها كانت صادقة أنها ما قدمت للمحرقة أبناء الناس وبقيت من البعيد تتفرج عليهم جاءت بثقل نساءها واكثر القادة في العالم يجعلون نساءهم وأعراضهم بعيدين عن ساحة القتال حتى إن انتصروا كان عزاً وسلطاناً وإن قتلوا ولو لنهمة دنيا كانت الأبناء والأعراض بعيدة عن ساحة القتال، لكن الصادق لا يدعوا أحدا ويقول له هلم معي يعرض نساءه وأبناءه لفتك الطواغيت ونساءه وأطفاله في المدينة يعيشون الحفظ والأمان، فجاء الحسين عليه السلام صدقاً ليقدم كل شيء حتى قال نفسي مع أنفسكم وليس ذلك فقط بل وأهلي مع أهليكم وشاء الله أن يراهن سبايا، ووجدنا الحسين عليه السلام في يوم العاشر من المحرم بدلاً من أن يخاطب زيداً أو عمرو راح ليخاطب ولده علياً الأكبر تقدم يا علي، هكذا هم الصادقون وإذ بنا نشاهد على طول التأريخ الذين يدعون ما يدعون ولو تستمر الحروب إلى عقود من الزمن أو إلى سنين نجد فيها يتساقط كما يتساقط الورق أبناء الناس أبناء الفلاح والكاسب وزيد وعمرو وإذ بعد سنين من الزمن نجد أبناءه محفوظين ونجدهم بعيدين عن كل الأخطاء مهما تلاعبوا ومهما ضحكوا على الناس جهلاً لغباء لأمة أو لعدم معارف أمة أو لأي

جهة لكن الصدق له واقع، فالصدق ثورة الحسين عليه السلام بكل واقعها بما قدم الحسين عليه السلام هي من جملة تلك الدواعي لخلود هذه الثورة لخلود منهج رسم به الحسين عليه السلام منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وكل متأمل دون أولياء الله سيجدهم كيف تلاعبوا إن كان لا يعيش طائفية ولا يعيش خمولاً، نجد رسول الله صلى الله عليه وآله ماذا يقول علي عليه السلام في حقه: «كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله» لا يلاذ بأحد يعيش بعيداً عن محارقها وقد قال علي عليه السلام كنا في المعارك أول ما يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين قائلاً تقدم يا علي، تقدم يا حمزة، يقدم أهل بيته درعا للمسلمين، وهكذا وجدنا علياً عليه السلام في ساحاتها في جملها وصفينها ونهروانها هو و أبناءه متقدمين وهكذا وجدنا حسيناً عليه السلام في كربلاء.

فإذن من جملة أعظم سر لخلود أمر مهما تلاعب المتلاعبون ومهما عاشت الأمم جهلها لكن الواقع له أثره على النفوس ولذا خلدت دعوة الأنبياء لواقع سلامها وصدقها وخلد الحسين عليه السلام لأنه قدم التضحيات رخيصة صدقاً راسماً خطى علي عليه السلام وخطى رسول الله صلى الله عليه وآله وخطى جميع الأنبياء والمرسلين، فإذن هذا أيضاً من جملة سر خلود هذه الثورة وأيضاً أيها الإخوة والأخوات من جملة سر هذا الخلود، أنها ثورة لها بعدها الإنساني في الغالب الدعوة تكون لمذهب أو لقومية، رجل يقوم لظلامة قوم وآخر يقوم لظلامة

مذهب أو ما شاكل هذه الأمور فتكون الأمور في الغالب في كل دعوة إلا ما كانت دعوة إلهية يكون لسانها لسانا ضيقا، لكن دعوة الأنبياء دعوة إنسانية ودعوة من رسموا خطى الأنبياء هي دعوة إنسانية فما قام الحسين عليه السلام ليدعو لعدل لشيعة، وما قام يدعو لعدل يحققه للمسلمين، قام ليحقق عدل الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين، فمن ظن حسيناً عليه السلام قام للمسلمين فقط كان خاطئا لأن دين الله ليس دينا لمن نسب نفسه إلى محمد صلى الله عليه وآله، العدل يراد للإنسانية والرحمة تراد للعالمين فحسين عليه السلام جاء يدعو للخروج من جهل ومن ظلم، داعيا للعلم بما هو علم وداعيا للعدل بما هو عدل فلذا نقول بعد ثورة الحسين عليه السلام هذا البعد الواسع العظيم الذي تخطى كل القيود زماناً ومكاناً ومذهباً وديناً وقومية فكان ثورة إنسانية لتحقيق العدالة وهذا ما تعاني منه الإنسانية على طول التأريخ، الإنسانية دائماً تسمع النداء الذي يكون إنسانياً، كل نداء خاص ينتهي بزمانه ومكانه لكن نداء الإنسانية يبقى حياً على طول التأريخ فلذا نجد أن هذه الثورة مع كل ما قام ضدها من عمل ومن تشويه وتضليل، من تأمل نظام بني أمية سيجده نظاما قوميا عنصريا واضحا اكثر من غيره معلماً من هذه الجهة فلما دعا الإمام الحسين عليه السلام الناس إلى العدالة دعاهم إلى العدل الإنساني فوجد غير العرب متنفساً في هذه الدعوة وجد الإنسان متنفساً ولذا حتى ولو تجاوزنا

زمن بني أمية لما كانت الدنيا دائما تعيش عنصرية تعيش مذهبية بغيضة تحت الأحقاد فالإنسانية وجدت في حسين عليه السلام دعوة للعدالة فلما كانت دعوة للعدالة مرت القرون بعد بني أمية وصدى الحسين عليه السلام يدوي في الآذان ليومنا هذا يسمعه الشرقي والغربي، يسمعه الإنسان بما هو إنسان مسلما كان شيعياً أو سنياً، يهودياً كان أو نصرانياً، إنساناً ولو كان بوذياً، البوذيون يفتخرون بالحسين عليه السلام، الإنسانية لو سمعت صدى الحسين عليه السلام لافتخرت به كما افتخر به الكثير من الناس على طول التأريخ.

من جملة خلود الأمور هو معلَمها الإنساني هو رايتها الإنسانية التي لم تقيدها قيود قومية أو مذهبية ولذا نقول إن الحسين عليه السلام ولو كان هو رجل الإسلام ولو كان هو رجل مَعلم الأوصياء لكنه بإنسانية هو رحمة لليهود والنصارى، هو بإنسانيته رحمة للسنة والشيعة، هو رحمة للجميع وليس كأمثالنا إن كان شيعياً راح ليحقد على الآخرين، أو كان سنياً أو يهودياً أو نصرانياً أوشرقياً أو غربياً راح ليحقد على الآخرين هذه الروحية روحية انطواء وجهل، فوجد الناس دعوة تسع الإنسانية ولذا تفاعلت معها الإنسانية وليومنا هذا وصارت من الأمور التي أخذت مأخذها العالمي واستغلها الكثير من الناس على طول التأريخ، ما أسقطت تلك الإمبراطورية لبني أمية إلا لشعارات رفعها بنو العباس يصيحون يا لثارات

الحسين، ولعلها على طول التأريخ أسقطت إمبراطوريات وأسقطت أنظمة هذه الدعوة وهي يا لثارات الحسين وأخذت عنواناً عاماً للدعوة واستغلها الكثير من الناس ولو لمصالحهم الشخصية.

كما وأن من دواعي خلود هذه الثورة هو أنها رسمت للأجيال خطاً: الكثير من الثورات من تأمل فيها لا يجد معالم غاياتها واضحة لأنها إما للوصول إلى كرسي أو أنها ولو كانت اكثر من هذا نزاهة لكنها مقيدة بالدفاع إلى جهة وخصوصية معينة كقوم في زمان أو مذهب في زمان ولو كانت حقاً، لكن من تأمل ثورة الحسين عليه السلام وجدها قد رسمت للأجيال خطاً وكل ما يكون علماً ومنهجاً يبقى خالد ولو كمفهوم لقضية ومنهج وعلم ودين هذه الثورة رسمت للأجيال خطاً ربما خفيت المعالم لجهل أو لقسوة زمان فترة من الزمن فراح الحسين عليه السلام ليعيد كل هذه الحقائق بكل معالمها وأبعادها مرة ثانية ما هي هذه المعالم والمعارف الحقة التي تجلت بثورة الحسين عليه السلام؟ ها هنا لابد وأن نتأمل في أمر وقاعدة ضربها لنا علي عليه السلام حتى نعرف كيف حملت ثورة الحسين عليه السلام بعدا معرفيا لمراحل الثبوت والنضال والجهاد، قال علي عليه السلام: من بعد مقتل الخليفة الثالث حينما جاءته الأمة مصرة على أن تبايعه وراح ثلاثة أيام يرفض لأنه يعلم أن الناس ما جاءت لدين الله جاءت لغاياتها أرادته وسيلة للوصول إلى تلك الغايات، كل واحد فسر العدل

وفسر الأمر بتبع ذهنه فراح ليأتي إلى علي عليه السلام ظن عليا عليه السلام وسيلة لتلك الغايات الشخصية وعلي عليه السلام كان وسيلة لغاية الإنسانية، ماذا قال علي عليه السلام حينما جاءته الأمة وقبل بعد ثلاثة أيام؟ قال عليه السلام: «لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها»[1]: أي معلم رسالي نفهمه من هذه الكلمات، أي من خطبة الإمام علي عليه السلام المعروفة بالخطبة الشقشقية، من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله جاءت الظلمات يتلوا بعضها بعضا والظلمات حينما تأتي تأتي على نحوين شكلين، ظلمات تميزها الفطرة يراها العدل ظلمة، كدعوة إلى إلحاد أي إنسان عاش فطرة وجد الإلحاد يتنافى مع فطرته، ووجد الدعوة إلى حكم مستبد يتنافى مع كرامته الإنسانية، وهلم جرا، المشكلة ليست في تمييز الباطل كظلمة في مقابل النور هذا من الأمور التي يكون واضحة، المشكلة تكمن إذا تلبست الظلمة لباس النور، إذا تلبس الباطل لباس الحق هاهنا ربما تخدش الفطرة وربما يحجب العقل، ما حدث بعد الأنبياء كان من هذا الباب أي ردة عن أي منهج لنبي عظيم صار سبباً لانطماس ذلك الدين إنما هو بواسطة رايات تدعي الانتساب إلى اولئك

١ـ نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ٤٨، الخطبة الشقشقية.

الأنبياء الكرام، ليست الفاصلة بعيدة بين رسول الله ﷺ وبين عيسى عليه السلام لكن في ضمن قرون لا تتجاوز الخمسة أو الستة جاء رسول الله داعيا البشرية إلى ربه وإذ بالبشرية بين مدع أن إنساناً هو بن الله أو أنه هو الله، أي انقلاب عن فطرة، لو كانت الناس بفطرتها لما ادعت بحق إنسان أنه الله أوأنه ابن الله، أظن الوقت قد انتهى وسوف نعود إليها في محاضرة قادمة إن شاء الله تعالى لنبين هذه الحقيقة التي هي من أصول وحقائق خلود ثورة الحسين عليه السلام لأنها تحمل بعدا معرفيا عظيما والحمد لله رب العالمين.

سر خلود الثورة الحسينية

ونحن أيها الإخوة والأخوات نحاول بيان بعض المحتملات في مسالة خلود الثورة الحسينية وصل بنا البحث إلى هاهنا على أن هذه الثورة حملت من الأصول والمعالم لمن شاء إلى ربه سبيلاً الكثير الكثير وقد كانت القاعدة في المقام قول الإمام علي عليه السلام «لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر» حيث فهمنا من هذه القاعدة على أن المؤمن يعيش بين حالتين حالة بما هو مؤمن ما هي وظيفته؟ وحالة لو دعي من قبل المسلمين ليقيم لهم عدل الله ما هي وظيفته؟

قلنا إن الإمام علي عليه السلام من سيرته يتضح لكل متأمل على أنه من بعد الرسول صلى الله عليه وآله ما خطط يوماً لقبض أزمة الأمور ولا حمل سيفا لذلك وإنما نبه الأمة من مغبة انحراف وانقلاب على الأعقاب كما نبهت بذلك السيدة فاطمة عليها السلام في المسجد النبوي وبعد ذلك، التنبه لخروج الأمة من غفلتها التي انهمكت في الدنيا ومطامعها ما دفع بالإمام علي عليه السلام ولا بمن سار بمسيرته لكي يعيش صمتاً فالصمت ليس من مسالك الأولياء بل كان الإمام علي عليه السلام بيانا لواقع

الشرع في مقابل كل ما حاول المنقلبون على الأعقاب أن يبدلوا ويتلاعبوا ويسموه دينا فكان معلما علميا يبين حقائق الشرع فما عاش كما يتصور البعض ٢٥ سنة صمتاً بل عاش مبيناً مدرّساً موضحا شرع الله تعالى حتى لا تكون ظلمات الليالي سبباً لاندارس معالم الشرع فإن الصمت يدعوا لاندارس معالم الشرع فكان مفسراً لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله كان سالكاً مسالك رسول الله سيرة لمن شاء إلى ربه سبيلاً وهكذا سار بقية الأئمة عليهم السلام هو واقع أمر وهو وظيفة كل مؤمن ومؤمنة أن يكون مخرجا للناس من الظلمات إلى النور.

والوظيفة الثانية التي نفهمها من سيرة الأئمة الهداة بعد الرسول صلى الله عليه وآله على أن وظيفة المؤمن أن يكون ثورة ضد الظلم والظالمين ولا يرضى للأمة أن تعيش ذلاً وهواناً لأن الأنبياء ما جاءوا إلا للقسط ولا يمكن أن يكون يوم من الأيام ما جاء من أجله الأنبياء وهو القسط في مقابل العدل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور لا يمكن أن يكون هذان الأساسان مغفولاً عنهما تحت أي ذريعة من الذرايع هذا ما كان سيراً ومنهجاً لكن للإمام الحسين عليه السلام ومن قبل ذلك للإمام علي عليه السلام هناك أمر يختص بهما في المقام وهو أن الأمة جاءت طالبة منهما إقامة عدل فلما جاءت بعد الخليفة الثالث للإمام علي عليه السلام وجاءت بعد هلاك الطاغية

معاوية للإمام الحسين عليه السلام صار واجباً أن يقوما بتحقيق العدل، هذه الحقائق جعلت ثورة الحسين عليه السلام تعيش خالدة في الأذهان لأنها رسمت شرعاً كاد أن ينطمس وينتهي.

ما جرى لقوة سلطان الحاكمين جعل حقائق الشرع تحت غطاءه فجاء الحسين عليه السلام ليعيد تلك الحقائق ثورة العلم والعدل ضد الجهل والعدوان، بهذه الطريقة أصبحت ثورة الحسين حيّة لأنه رسمت لكل طالب حق منهجا يعرف به مسلك رسول الله صلى الله عليه وآله بل مسلك الأئمة والأوصياء جميعاً، هذا هو الواقع وتأكيداً على هذا الواقع الذي لا يمكن أن يقول أي قائل في مقابله أقول لو لا أن الأئمة الكرام بعد الرسول صلى الله عليه وآله الذي كان ثورة العلم والعدل للإنسانية لو لا أنهم كانوا هكذا ثورة علماً وسعياً لتحقيق عدل لما خاف منهم الظالمون ولما جعلوهم في السجون ولما هاجموهم ولما ضايقوهم في حياتهم ولما سعى ساعيهم لسمّهم وما شاكل هذه الأمور لو كانوا يبينون شريعة مجزءة مبعضة على صعيد استصحاب وطهارة ونجاسة لما تضايق منهم أحد فإذن نقول على أن من أهم أسرار خلود ثورة الحسين عليه السلام أنها رسمت منهج رسول الله صلى الله عليه وآله بعد انطماسه مرة ثانية فراح الأحرار وراحت أتباع للرسل ليعيشوا معرفة لشرع الله بعد تلك المرحلة التي كادت أن تطمس جميع معالم شرع رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قلنا أن هناك خروج عن منهج

الفطرة فالإلحاد خروج عن منهج الفطرة حينما نأتي إلى الكتاب المجيد ما نراه يتكلم عن الإلحاد كما يتكلم عن الشرك ؟ لماذا لا يتكلم عن الإلحاد وهو إنكار التوحيد اكثر مما يتكلم عن الشرك لأن الشرك خداع بلباس الإقرار بالتوحيد ﴿لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [(١)] يعبد صنماً ويدعي أن الصنم يقربه إلى الله هكذا إذا انقلبت الأمور على أعقابها، فالخطر كل الخطر ليس ما يكون دعوة لخلاف فطرة أو عقل من دعى إلى ما يخالف العقل برهاناً، أو دعى إلى ما يخالف الوجدان والفطرة هو بنفسه حكم على نفسه بالفناء، لكن من حرف شرعا وبدله وأعطاه عنواناً يكون خطره شديد ولذا كان خطر الشرك خطرا عظيما قابلته الأديان بكل قوة، قابله إبراهيم عليه السلام وقابله موسى عليه السلام وقابله رسول الله صلى الله عليه وآله بكل قوة لأنه انحراف داخل الهيكل التوحيدي، كذلك ما حصل بعد الرسول صلى الله عليه وآله كان انقلاباً على لو أن أي إنسان في العالم اليوم يأتي إلى أي قرية من قرى العالم ولو كانت تعيش في الغابات أو تعيش البداوة وقال لهم عليكم أن تطيعوا السلطان والحاكم ولو كان جاهلاً، ولو تسلط عليكم بالوراثة ولوكان ظالماً ولو سلب أموالكم وضرب ظهوركم، لأعتبروها سخرية واتهموا صاحبها بالخلل، لكن

١ـ سورة الزمر، الآية ٣.

علماء الشرع باسم الدين والمذهب والتسنن قالوها وعلى رؤوس الأشهاد ١٤ قرن وما اتهمتهم الأمة لا بعمالة ولا بخسة تملقاً لحاكم ولا أي شيء بل تجاوزوا الحدود فقال قائلهم وعلى ذلك قام إجماع المسلمين فقالوا كذلك قام إجماع المسلمين، كلام لو قيل في قرية بدوية أو غابة لإعتبر سخرية، قيل على أمة رسول الله صلى الله عليه وآله التي يجب أن تكون أوسط الأمم في اعتدالها عقلاً وعلماً قيلت بواسطة علماء ظاهرهم النسك والتقوى فاعتبرت شرعاً هكذا تكون الأمور منقلبة على أعقابها، الشورى بعظمها التي جاء بها رسول الإسلام جاء بها كلام الله، هذه الشورى بعظمها التي تجعل المسلمين متآخين يتكاملون في تفاهمهم، في تبادل آرائهم راح ليقول القائل الشورى لقريش وقبلتها الأمة، صارت الشورى لمن يحكم بالسيف ولو بالوراثة وقبلتها الأمة، فصار هذا معنى الشورى فإذن الخطر كل الخطر فيما لو تلبس الباطل لباس دين وحق هذا كشفه الحسين عليه السلام أما أن أمة بقيت ١٤ قرن تتبع الحكام فهذا ليس لغباء وعدم فهم لعدم الإهتمام بالدين، فمن لا يهتم بدينه ولا يرى لنفسه قيمة ليفهم بعقله بل يذهب راكضا وراء الآخرين لا عقل ولا فطرة ولا متابعة لكتاب ولا لسنة هذا يقينا حسابه يوم القيامة مع كرام الكاتبين، نحن نتكلم ويتكلم دائما الكتاب المجيد لمن شاء إلى ربه سبيلاً أما الذي يريد العناد أو يصر على متابعة الجهل فله

مجال آخر.

فنقول من أهم أسس خلود هذه الثورة أي ثورة الحسين عليه السلام أنها أعادت لمن شاء إلى ربه سبيلاً معالم شرع الله تعالى حتى لا يقول قائل على أنه ضاعت شريعة رسول الله صلى الله عليه وآله ولذا نقول اليوم وغدا على أن هذا هو واقع وظيفة العلماء أن يكونوا بعيدين عن التخطيط لقبض أزمة الأمور باسم الدين نهمة على الدنيا وأن لا يكونوا يعيشون منزوين صامتين يرون تلاعب المتلاعبين، يرون الأمة تعيش جهلاً وهم صامتون ويرون الأمة يفترسها الحكام وهم لا يتحرك لهم ضمير هذا هو منهج رسول الله صلى الله عليه وآله هذا هو منهج علي عليه السلام ومنهج الأئمة الذي ساقهم أن يكونوا وجها لوجه مع الظالمين وجعل الأنبياء كذلك على طول التأريخ وجها لوجه مع الظالمين لا الصمت الذي يجزء شرع الله ويضيعه فتعيش الأمة جهلاً يأتي كل واحد يتلاعب بما يريد.

فإذن عرفنا على أن من جملة خلود هذه الثورة أنها أحيت قيم الرسالة ومن جملة ما يمكن أن يكون أيضاً من دواعي خلود هذه الثورة أنها قام بها رجال أقوياء على طول التأريخ مصممين وبكل عزم وهم رجال العلم من الشيعة هناك رجال على طول هذا التاريخ على الرغم من كل قسوة للظالمين قدموا الضحايا تلو الضحايا رخيصة على طول التأريخ فرجال العلم من الشيعة الحقيقيين لا

الذين يعيشون صمتا على حساب الدين على طول التأريخ قدموا الضحايا الكثيرة الكثيرة وما قدموا ضحايا كما يقدم الغير قدموا الضحايا رافعين علم العلم فقوة دليلهم بتبع المذهب وبتبع المعارف الذي حصلوا عليها من آل البيت عليهم السلام جعلتهم نورا، وقوة تدفع بالشيعة إلى الصلابة.

فإذن من جملة أهم الأمور التي دعت إلى الخلود أيضاً وراء المشيئة الإلهية ووراء ما تحمل الثورة برجالها كالحسين عليه السلام رجال عظماء ثبتوا بكل قوة وأعطوا هذه الثورة معالمها، بينوها، حققوها، دعوا إليها و ركزوها في المعتقدات وهناك شعب كأتباع آل محمد صلى الله عليه وآله عاش حبا ورقة وولاء كان على طول التأريخ يقدم الضحايا تلو الضحايا في الزيارة للحسين عليه السلام في ثبوت على معتقد وهم لا يبالون بما قدموا من تلك الضحايا هذه أيضاً تكون من جملة الأسرار التي دفعت وتدفع إلى خلود هذه الثورة ولا ننسى أن من جملة ما خلد هذه الثورة هو الإمام السجاد والسيدة زينب عليهما السلام هم الأسارى الذين كانوا من بلدة إلى بلدة يحكون ما جرى من ظلم وعدوان هذا كله كان من الركائز التي دعت إلى خلود هذه الثورة، من جملة ما دعى إلى خلود هذه الثورة بشاعة المعركة وقسوتها، لو أن إنساناً قاتل بوذياً باسم الدين، قاتل ملحداً معلناً بالإلحاد بإسم الدين لما تجاوز إلى مثل هذه البشاعة أن يقتل طفلاً

ولا أن يرض صدر مقتول فإذن ما ارتكب من جريمة أعطى القضية ظلامة بعد كون صاحبها معلما من معالم الإسلام، ما جاء من الديلم ولا جاء من الصين هو حسين هذه الأمة الذي هو ريحانة رسول الله الذي هو بن علي بن أبيطالب الذي هو ابن سيدة نساء العالمين، هذا كان واقعا لا يتمكن وهابي مهما كان من الدناءة والحقد أن يطمس مثل هذه المعالم فإذن ما ارتكبه المجرمون بكل قسوة وتجاوز للحدود إلى رض الصدر الشريف بالخيل كان من أسباب خلود هذه الثورة فأخطاء الأعداء كانت أيضاً من مسببات خلود هذه الثورة، من جملة دواعي خلود هذه الثورة أيضاً على أن الأئمة ركزوا عليها واعتبروها دخيلة في كيان المذهب، أكدوا على إقامتها ودعوا الناس إليها ودعوا الخطباء وجلسوا في مجالسهم وبكوا على مأساتها وبكى الإمام زين العابدين عليها كل هذا كان يدفع الأمة إلى أن تعيش هذا الحدث ثم أضافوا على ذلك أمرا صار جزءا من عبادة فصار الشيعي ليتذكر الحسين عليه السلام لا في كربلاء بل في صلاته في كل يوم حينما جعلوا السجود على تربة الحسين عليه السلام من المستحبات فدخلت في واقع الشرع، هكذا سعى أهل البيت عليهم السلام أن يجعلوا هذا الحدث حيا في كل يوم وأي حياة لحدث يتجاوز محرم وصفر ويتجاوز أياما متوالية في السنة فتعيش ذكراه في كل صلاة، هذا يعيشه الشيعي في كل صلاته مهما تباعد

أو تغافل لكنه يرى نفسه عند الصلاة يبحث عن تراب ووجد تراب الحسين عليه السلام أفضل تراب لذكريات العظم والتضحيات لذكريات الشهادة ولذكريات هيهات منا الذلة.

كلمة هيهات منا الذلة أعطت الثورة معلما شرعيا وراء ما تقدم من المعلم، المعلم الأول بيناه تحت عنوان لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، الأمر الثاني الذي نستفيده من هذه الثورة أنها تقول لنا دعوة حصلت من العراق فلباها الحسين عليه السلام ليخرج أمة محمد صلى الله عليه وآله بل البشرية من الذل والهوان إلى عز العدل والمعارف فلما حصلت الخيانة وما حصل التأييد رسم لنا الحسين عليه السلام منهاجاً آخر عند الدعوة يجب على رجل العلم أن يلبي دعوة الداع وأن ينصر المظلوم، بعد كونه ناصراً له بياناً وبعد كونه كان يدعو إلى تحقيق العدل تأتي المرحلة الثانية عندما يحصل الطلب أن يقوم لتحقيق العدل، المرحلة الثالثة لو قام القائم لتحقيق العدل ثم حصلت خيانة حصل انسحاب عن شرف وكرامة، حصلت مثل هذه الأمور، ماذا يصنع الإنسان المؤمن ليعرف كيف يعيش هاهنا يبين لنا الإمام الحسين عليه السلام على أن من قام على ظالم فخانته الأمة لا يستسلم للظالم لأنه سيموت ميتة الذل والهوان فليمت ميتة الشرفاء والعظماء ما كان الحسين عليه السلام وهو العقل والمعارف ليتردد بعد خيانة من دعاه على أنه بثلاثة وسبعين أو بمائة رجل يتمكن أن

يقف أمام امبراطورية هذا لا يتصوره أي عاقل على وجه الأرض فكيف وقف؟ أمره دار بين أمرين بين قبيح وأقبح إن سميناه قبيحا والشهادة ليست قبيحة لكن كأمر واقع خارجي، دار أمره بين أمرين بعد ثبوت الخيانة إما أن يستسلم ويؤخذ به إلى عبيد الله بن زياد كجاهل يفعل ما يشاء أو يؤخذ به إلى يزيد بن معاوية فهو ورحمة الجبارين وما يفعله الطغاة بالنسبة إلى الصالحين، أو يموت ميتة شريفة عظيمة تثبت أن العظماء لا يبالون ولو انطبقت الدنيا عليهم إن وجدوا أن هناك كرامة وشرفاً يجب أن يقفوا من أجله.

فإذن في المرحلة الثانية علمنا الحسين عليه السلام على أن من ثار على طاغوت لا يترك ولو تعلق بأستار الكعبة الطاغوت يقتل حتى ولده، فقد فهمت حكومة بنو أمية على أن الحسين عليه السلام إن طلب من القيام سيقوم فإذن لو تركوه أن يعود إلى المدينة لقتلوه في المدينة، لو تركوه أن يلتجأ إلى الكعبة لهدموا الكعبة لقتله، هذا مما لا يتردد فيه الحسين عليه السلام فهو مقتول على كل حال، مقتول مستسلم بهوان وذل أو مقتول وهو بطل يقاتل لا شك ولا ريب يعلمنا الحسين عليه السلام كونوا عند شدائد الأمور رجالاً، فلا تعيشوا الأماني أن ترحمكم يد الطغاة، الطاغوت لا يرحم أحدا، فلا تدخلوا بأوهام موتوا ميتة الشرفاء والكرماء، هكذا كانت هذه المدرسة تأخذ بنا من مرحلة إلى مرحلة، مرحلة بيان ودعوة إلى

عدل وعدم صمت ثم مرحلة تلبية للقيام ضد الظلم والطغيان فإن سدت مثل هذه الأبواب ولو لخيانة لا تستسلموا ولا تخدعوا بمقالة قائل فإن الطواغيت ستموتون بين أيديهم أذلاء فموتوا عظماء ولا تستسلموا للموت فكان هيهات منا الذلة ليس معناها على أن رجلاً أن يسقط بسبعين رجل إمبَراطورية بل دار الأمر بين أمرين موت على كل حال أو ذل على كل حال، ذل مستسلم لهوان وهذا مما لا شك فيه لا يقبله شريف لنفسه أو يموت شريفاً مقاتلاً ثابتاً راسماً للعظماء.

فإذن في المرحلة الثالثة دار الأمر بين أمرين إما أن يستسلم لرحمة الطغاة ورحمة الطغاة معلومة نهايتها إن تجاوزوا عن القتل أرادوا الشخص ذليلاً يقر على نفسه بألف جريمة وجريمة ويؤيدهم على كل باطل حتى يصفحوا عن قتله وهذا لا يرضاه شريف لنفسه أو يموت كما قال الحسين عليه السلام هيهات منا الذلة.

فإذن هناك الكثير الكثير من الأسرار التي يمكن أن نتأمل فيها في مسألة خلود الثورة الحسينية والأسرار كثيرة ولسنا بصدد بيانها جميعاً أو الإشارة إليها جميعاً أردناها كمنبهات لمسألة ثورة الحسين عليه السلام ومما جعل وراء كل هذا ثورة الحسين عليه السلام خالدة أن الأئمة بينوا ثوابها لمن زار الحسين عليه السلام وشفاعتها يوم القيامة لكن أريد أن أقول لا أريد أن أكون من الذين يدفعون الناس إلى

الأماني من زار الحسين عارفا بالحسين ومن كان من شيعة الحسين عليه السلام يشفع لهم الحسين، أنحن من الشيعة لهذا تأمل حتى لا يظن كل من كان محباً لأهل البيت أنه من شيعة الحسين عليه السلام فأقول في آخر الكلام كلمة حينما جاء البعض وقال نحن من شيعتكم قال له الإمام عليه السلام من شيعة علي الحسن والحسين أأنت كذلك؟ من شيعة علي أبي ذر والمقداد وعمار وسلمان أأنتم كذلك؟ فإذن نحن لا نريد أن ندفع بالأمة إلى الأخطاء بل نقول إنه لا شك ولا ريب أن الأئمة أدخلوا مسألة الحسين عليه السلام في الصلاة وكشعار وأكدوه وأدخلوها في الشفاعة والثواب وكل هذا كان من أسرار خلود هذه الثورة ولو على صعيد أبناء مذهب وأتباع مذهب انتشرت وتجاوزت مذهباً إلى أن تكون إنسانية عامة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

يا أبا الأحرار

يا أبا الأحرار يا ليث العرين ... أنت صرح فوق طيات السنين
أنتَ يا كعبة أفاق العلا ... صرخة فوق عروش الظالمين
أنت يابْنَ الطهر مصباح الهدى ... في ليالي الدهر يبْنَ الأكرمين
أنت شمس الكون من كنز الورى ... وبجنح الليل بدر السالكين
أنت قرآنٌ إذا ما فُسّرت ... أحرف الآيّ بوجد العارفين
أنت فرقان سماوات التقى ... بلهيب الوصل يبن المرسلين
أنت فيض الله من عرش الندى ... لذوي الألباب يبْنَ المتقين
يا لهيب الشوق في سوح الوغى ... أنت أنغام ربوع العاشقين
وحنين الحبّ إنْ هبّ الهوى ... من ديار الخلد يا سفر اليقين
وأناشيد سلام ساقها ... نغم اللطف من الحق المبين
لاذ في حصنك يا طود العلا ... آيُ ربّ الكون يبْنَ الطاهرين
ليس ينساك وإن صبّ العدى ... حممَ النيران أتباع الأمين
دُمْ لأهل الذكر في ليل النوى ... سُبحة تحيي قلوب الذاكرين
ودموعاً تغسل الذنب إذا ... ما تجارت في ليالي الوالهين
وحنينا فيه أنغام الهدى ... لربوع الأرض يبْنَ الأطيَبين

وحنينــــا فـــيه أنغـــام الهـــدى ‌ ‌ لـــربوع الأرض يـــبْن الأطيَبـــين

وأمانـــا لـــذوي العهـــد الأولـــى ‌ ‌ لـم يـسيروا فـي ركـاب الحاكمين

يـــا إمامـــاً تـــوّج المجـــد بمـــا ‌ ‌ فـــيه تـــيجان الإبـــى للثائـــرين

ليتنـي كـنت بـيوم الطـفّ كـي ‌ ‌ ألمس العـرش بـسوح الـصابرين

لأكــونَنّ بـــيوم الحـــشر فـــي ‌ ‌ قرْب أصحاب الكسا والمهتدين

في مدح الإمام الحسين عليه السلام

أمـن نـشوة للكـأس ذا الـيوم تطـرب
وهـل بعـد شـيب أيهـا الـشيخ تلعـب
أم أنـت طروب في دجى الليل للهوى
ومن تاه في ضنك الهوى فهو أخيب
فإنــي أراك الــيوم فــي تــيه صــبوة
ومـن غفلـة بعـد الهـدى أنـا أعجـب
فحتــى م تبقــى فــي ضــياع ضــلالة
تقـضي ليالـي العمـر والعمـر يـذهب
بلـى إننـي يـا صـاح مـن نغـم الهـوى
أعـيش طـروبا والهـوى لـيَ مـذهب

فإنـــي شــربت الكــأس صــفوا لــبابه
ولـست مـن الـنقّاد أخـشى و أرهـب
وقـد بـت فـي بحـر الغـرام لـذا الهـوى
أعـــيش وفـــي أعماقـــه أتقلـــب
ومن لـم يعش طرب الوصال لجفـوة
فلـيس بـذي لـب ولا فـيه يـرغب
ومـن لـم يـذق شـهد الوصـال ومـزنه
سيحـشر ظمـآن الحـشا وهـو أجـرب
وقـــد كـــنت مـــن قـــبل الدنـــية والهـــا
ولست بذي وهم و ذو الوهم يسهب
كذا كنت في ذر و من قبل في العلا
أيـــا صـــاح وجـــدا للعـــوالم مُعـــرِب
فقــل مــا بــدا لــك إن أتــيت مؤنــبا
فما العاشق الولهان يا صاح مذنب

ولو ذقت يا صاح الصبابة و الهوى

لأيقنت أن الحب للعرش مركب

فدع عنك لوم العاشقين فإنهم

إلى الحق سلاّك وذا الأمر يطلب

ألم تر أني عاشق آل أحمد

ولست من القوم الأولى انت تحسب

ففي حبهم أقضي الحياة مسهدّا

ومن أجلهم أرضى بما هو متعب

ولو بت في كنف الكهوف مشردا

سأبقى لذكراهم أحن وأطرب

وليس غرامي في الذين أحبهم

بتيه ضلال منه ذو اللب يهرب

إليهم لأجل الحق في كل موطن

أهب وإن غضب البغاة و ألّبوا

فهـم منيتـي فـي كـل كـون ومنـزل
وهـم لـي بـراق للعـروج ومطلـب
وهـم فـوق خلانـي بـذا القلـب موطـنا
إليهم إذا ما صيح في الحشر أنسب
وهـم قادتـي يـوم الحـساب وملجئـي
بهـم نحـو علـياء العـلا أتقـرب
فهـم عِـدل آيـات الإلـه و وجهـه
ولـيس لـوجه الله فـي الكـون مغـرب
فلـولا هـم ضـاعت معـالم أحمـد
بأيـدي بغـاة مـنهم الـناس أجـدب
ولـولا هـم لـم يعـرف الحـق سـالك
ولا عـاد بعـد الجهـل للحـق مـذنب
طـويت إلـيهم فـي دجـى الليـل أبحـرا
بهـا سـفن الأمـواج للمـوت مـركب

وأنكـرت مـا قـد قـيل ذا مـن فعـالهم
من الجور في يوم به الجهل يلعب
تـركت جمـيع الـناس أبغـي وصـالهم
بعـيدا عـن أعـواد بهـا الـشر يخطـب
أسـامر نجـم اللـيل علّـي أرى لهـم
بأفـق العـلا بـدرا بـه الحـق يطلـب
وقـد كـان مـنهم للرشـاد وللتقـى
وللقـيم العلـياء سـيف مجـرب
حسين الإبى و الخير ذاك إبن أحمد
سـليل بنـي عـدنان ذاك المطـيب
لذكـراه إن طـرب الفـؤاد وغـردت
بلابـل أغصـان الهـوى لـست أعجـب
بـه بـشَّر الهـادي الأمـين و أشـرقت
لمقدمـه أرض الهـدى فهـي مـرحب

وغـنت بـدار الخلـد حـور فأطـرب

رجالاً بها و الكأس للوجد تشرب

و طافت على أرض المدينة للهدى

ملائك من أنوارها الأفق يطرب

فقل ما بدا لك في الكرام فإنهم

شموس عروج للهدى وهي مذهب

و دع من يرى للجهل و الحقد قرده

كبدر الدجى في مركب العُميِ يركب

ودع من يرى ليل الأباطيل صبحه

يعش وهم أحلام الدجى و هو يلعب

ودع من يرى أمثال حبتر فخره

ليوم به حجب الغشاوة تذهب

و دع من رآى الحجاج فخرا لنصبه

لنيران جبار بها القيح يشرب

فـــإن غـــدا للناظـــرين صـــباحه

قـريب فـلا تأسـى إذا القـوم أجلـبوا

فـأين ذو التـيجان أيـن قـصورهم

وأين الأولى جاروا وبالقتل أسهبوا

وأيـن الأولـى قالـوا إلـى الـناس إنـنا

سـنرغم آنافـا وللخـيل نـرهب

وأين الأولى فوق الجماجم أحكموا

عروشاً لغايات الهوى حيث يذهب

فـــإن جمـــيعاً للجحـــيم مـــصيرهم

و يقـدمهم فـرعونهم وهـو يـسحب

في مدح الإمام الحسين عليه السلام

أكـاد للـوجد ومـرّ الفـراق أطير شوقاً نحو أرض العراق
أكـاد للـسكرة رغـم الـوثاق أجبّ ذا الكون بخطف البراق

xxx

دعني ولا تعتب على العاشقين يا صاح فالحب لباب اليقين
وهـو سبيل الحـق للـسالكين وفـي دنـا الأوهـام حـبلٌ متـين

xxx

فاشرب كؤوس الخلد قبل الفوات واطـرب ولاتخـش دنـو الممـات
فـسكرة الـوجد سـبيل الـنجاة فـلا تـبح سـرّ الهـوى للغفـاة

xxx

إنـي أيـا صاح شـربت المـدام من قبل أنفاق الدجى والظلام
شـربتها فـي المهـد قبل الفطام وبعد ذا من كأس خير الأنام

xxx

والله لـو قطعنـي الماكـرون وداس أشلائي السرى الغافلون
ما حِدت عن قوم هم الصادقون منهم حسين السبط والعالمون

xxx

يا راسم الدرب لركب الأباة نحن على نهجك يبن الهداة

يا صرخة فوق عروش الطغاة يا ثورة الحق على المحدثات

xxx

لم تنسك الأيام يبن البتول ولم يدانيك ظلام الأفول

فأنت فوق الأفْق يبن الفحول وفوق طيشٍ لسهام العذول

xxx

أنت سلامٌ فوق سفر الدهور أنت هدير فوق جور القصور

أنت نسيم فوق ماء البحور أنت قضاء فوق زحف الشرور

xxx

يبن الهداة الغر يبن الكرام قد لعبت بالدين أيدي اللئام

وعاد باسم الحق جند الظلام وأودع السجن دعاة السلام

xxx

لو جئت ذا اليوم لقال الشقاء هذا كفورٌ أين منه القضاء

ولاستبيحت منك باسم السماء والحق يا مولاي حتى الدماء

xxx

زماننا هذا زمان عجيب فيه حماة الشاة فهدٌ وذيب

وفيه للعلياء شمرٌ خطيب فيا لعمري كل شيء مريب

xxx

وعود كذب كبريق السراب | وعيش ذلٍ فوق ربع الخراب
سبائك التبر لشيخٍ وشاب | ومن أبى فالسيف مسك الخطاب

xxx

قد ألبس الشك لباس اليقين | وصيّرالكفرإلى الناس دين
وقيل بعد المكر للغافلين | هذا سبيل الحق والسالكين

xxx

أين الهدى والعدل أين الوداد | أين التقى والطيب أين السداد
نشكو إليك الله رب العباد | مانحن فيه اليوم باسم الرشاد

xxx

طبع على نفقة الشاب المهذب عادل ابن المرحوم زايرمجيد كاظم زاده نزيل كوت شنه المحمره حفظه الله ومن بيع الكتاب ينفق لطباعة سايركتب الأستاذ وفقه الله

المصادر

القرآن الكريم.

١. اختيار معرفة الرجال، (المعروف برجال الكشي)، محمد بن الحسن، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: حسن مصطفوي، مؤسسة نشر دانشكاه مشهد، ط ١ / ١٤٠٩هـ، مشهد ـ إيران.

٢. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط١ / ١٤١٣ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١٠ هـ)، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، ط ٢ / ١٤٠٣ هـ، بيروت ـ لبنان.

٤. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، الحسن بن علي بن شعبة الحراني (القرن الرابع الهجري)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط٢ / ١٤٠٤ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

٥. قرب الإسناد، عبد بن جعفر الحميري (القرن الثالث الهجري)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١ / ١٤١٣ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

٦. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، الشيخ المفيد، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي بمناسبة ألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ / قم المقدّسة ـ إيران.

٧. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: د . محمد حميد الله، دار المعارف بمصر، ١٩٥٩ م، مصر.

٨. نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، محمد بن الحسين الموسوي (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق: صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة، ط ١ / ١٤١٤ هـ، قم ـ إيران.

٩. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ، محمد بن علي، ابن شهرآشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، منشورات العلامة، ط ١ / ١٣٧٩ هـ، قم المقدسة ـ إيران .

١٠. روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، محمد بن أحمد، الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ)، منشورات دار الرضي، ط ١ / ١٣٧٥ ش ، قم المقدسة ـ إيران.

١١. كمال الدين وتمام النعمة، محمد بن علي ابن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، منشورات الدار الإسلامية، ط ٢ / ١٣٩٥ هـ، قم ـ إيران.

١٢. وقعة الطف، لوط بن يحيى، أبو مخنف الكوفي (ت ١٥٧ هـ)، تحقيق: محمد هادي اليوسفي الغروي، جامعة المدرسين، ط ٣ / ١٤١٧ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

١٣. تفسير الكاشف، محمد جواد مغنيه (من أعلام القرن الرابع عشر الهجري)، دار الكتب الإسلامية، ط ١ / ١٤٢٤ هـ، طهران ـ إيران.

١٤. عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم، ابن أبي جمهور الأحسائي، تحقيق: مجتبى العراقي، دار سيد الشهداء للنشر، ط ١ / ١٤٠٥ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

١٥. إرشاد القلوب إلى الصواب، الحسن بن محمد الديلمي (٨٤١ هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / قم المقدّسة ـ إيران.

١٦. تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (من أعلام القرن الحادي عشر)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات إسماعيليان، ط ٤ / ١٤١٥ هـ، قم ـ إيران.

١٧. الأمالي، أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، الناشر: كتابجي، ط ٦ / ١٣٧٦ ش ، طهران - إيران.
١٨. المناقب، الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط ٢ / ١٤١١ هـ، قم - إيران.
١٩. مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري)، الشريف الرضي، ط ٤ / ١٤١٢ هـ، قم - إيران.
٢٠. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، نعمان بن محمد المغربي، ابن حيون (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: آصف فيضي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢ / ١٣٨٥ هـ، قم المقدسة - إيران.
٢١. جامع الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧ هـ)، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار المرتضوية، ط ١ / ١٣٥٦ ش، النجف الأشرف ـ العراق .
٢٢. كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخزاز الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق: عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري، منشورات بيدار، ١٤٠١ هـ، قم - إيران.
٢٣. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ط ١ / ١٤٠٤ هـ، قم المقدّسة - إيران.
٢٤. الاختصاص، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي، الشيخ المفيد، تحقيق: علي أكبر الغفّاري ومحمود محرمي، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / قم المقدّسة ـ إيران.
٢٥. التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ، منشورات مدرسة الإمام المهدي (عج)، ط ١ / ١٤٠٩ هـ، قم المقدسة - إيران.
٢٦. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، خاتمة المحدّثين الميرزا حسين

النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ) ، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ١، ١٤٠٨ هـ / بيروت ـ لبنان.

٢٧. المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ)، تحقيق: جلال الدين المحدث، دار الكتب الإسلامية، ط ٢ / ١٣٧١ هـ، قم المقدسة ـ إيران.

٢٨. مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد رضي الدين علي بن موسى، ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، دار الذخائر، ط ١ / ١٤١١ هـ، قم ـ إيران.

٢٩. الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام ، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، ط ١ / ١٤٠٦ هـ، مشهد المقدسة ـ إيران.

٣٠. الكافي، محمّد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، ومحمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ / طهران ـ إيران.

٣١. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بمدينة قم المقدسة، ط ٢ / ١٤١٣ هـ، قم ـ إيران.

٣٢. الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

٣٣. كتاب التفسير = تفسير العياشي، محمد بن مسعود بن العياشي السمرقندي الكوفي (ت ٣٢٠ هـ)، تحقيق: سيد هاشم رسولي محلاتي، المكتبة العلمية، ١٣٨٠ هـ، طهران ـ إيران.

٣٤. مكاتيب الأئمة عليهم السلام ، علي الأحمدي الميانجي (ت ١٤٢١ هـ)، تحقيق: مجتبى فرجي، منشورات دار الحديث، ط ١ / ١٤٢٦ هـ ـ قم المقدسة ـ إيران.

المحتويات

ما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نظر الإمام الحسين ٩
شرح جواب رسالة الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان ٢٩
ماهي الأسباب التي ساقت هذه الأمة بشموخها إلى الذل والهوان ٤٦
كيف كانت سيرة معاوية مع المسلمين وغيرهم في زمان خلافته ٦٥
هل الحسين عليه السلام ذهب مع أهل بيته الكرام لإسقاط إمبراطورية
عظيمة آنذاك؟ ٨١
ماذا قال أبناء العامة عن ثورة الحسين عليه السلام ؟ ٩٩
ما هي وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية ١١٧
تذكير وتنبيه لمن يبحث عن الحقيقة في قضية الإمام الحسين ١٣٦
من المؤسف أن يكون غاية النزاع لمن الحق ١٥٦
إقامة حجة في حقيقة ثورة الإمام الحسين عليه السلام ١٧٥
هل كان الحسين عليه السلام ساكتاً عن جرائم معاوية بن أبي سفيان ١٩٧
ماذا قال الإمام الحسين عليه السلام لمروان بن الحكم؟ ٢١٦
ما هي كلمات الإمام الحسين لأهل العراق في طريقه إلى كربلاء ٢٣٣
من هم الذين قتلهم معاوية مع حجر بن عدي ٢٤٩
ما معنى قول ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً؟ ٢٦٦
هل كلام الإمام الحسين عليه السلام : من لم يلحق بي لم يبلغ الفتح يشمل

بني هاشم فقط؟ ٢٨٣
تكملة الاحتمالات في معنى الفتح ٣٠٢
أمثلة على تحريف الشريعة بيد المتلاعبين والمنافقين ٣١٧
ما معنى المصباح في قول الرسول صلى الله عليه وآله: إن الحسين مصباح الهدى ٣٣٥
ما هو الارتباط بين الحسين مصباح وقوله تعالى ﴿مثله كمشكاة﴾ ٣٥٤
ما هي أهمية فاطمة عليها السلام ودورها في الإمامة؟ ٣٧١
ما المقصود من المشكاة والزجاجة في مقابل المصباح في الآية ٣٨٨
كيف وصف الرسول صلى الله عليه وآله الأمة بأنها هالكة وهي تعيش إمبراطورية ٤٠٤
بيان لعظمة فاطمة عليها السلام وأنها المشكاة لمصباح الولاية الحسينية ٤٢٢
شرح الخطبة القاصعة من كلمات الإمام علي عليه السلام ٤٣٦
كيف وصف الإمام علي عليه السلام دخول موسى وهارون عليهما السلام على فرعون ٤٥١
ما المقصود من أن الله تعالى جعل الكعبة الحرام قياماً للناس ٤٦٣
كيف يكون الحج كمالاً وحركة نحو اللانهايات؟ ٤٧٥
كيف بحجاج الله وهم ينادون لبيك اللهم لا يستجيبون لنداء الحق؟ ٤٨٧
ما معنى قول الإمام الحسين عليه السلام: ما رأيت أصحاباً كأصحابي ٤٩٩
علم الأعداد وأهمية العدد سبعة في القرآن المجيد ٥١٣
أهمية الأعداد في القرآن الكريم ٥٣٢
أهمية الأعداد في القرآن والسنة ٥٥٠
كيف ورد ذكر الأربعين في الآيات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ٥٦٩
باب إستحباب دعاء الإنسان لأربعين مؤمن قبل أن يدعو إلى نفسه ٥٨٤

تكملة المعاني في عدد الأربعين........................ ٥٨٥

سر خلود الثورة الحسينية........................ ٥٩٣

سر خلود الثورة الحسينية........................ ٦٠٥

سر خلود الثورة الحسينية........................ ٦١٨

يا أبا الأحرار........................ ٦٣٠

في مدح الإمام الحسين عليه السلام........................ ٦٣٢

في مدح الإمام الحسين عليه السلام........................ ٦٣٩